

البيان

في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القرطبي النخعي

دار
الفكر العربي



التلخيص في علوم البلاغة

للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
القزويني الحطيب

ضبط وشرحه

الأديب الكبير الأستاذ

عبد الرحمن البرقوقي

مفتي البيان والمظف بمجلس النواب

دار الفكر العربي

مقدمة الشارح للطبعة الأولى

التي طبعت سنة ١٩٠٤

بِإِذْنِ اللَّهِ الْعَلِيِّ

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

حيطة الدين مَلَأَكَ الخير ، والتفقه فيه قَوَامُ السعادة ؛ وإنما السبيل إلى هذا معرفة اللغة التي جاء بها ذلك الدين ، ومِسْكُ اللغة علم البيان ، الذي لولاه لم تر براعة كاتب ، وخلاصة شاعر ، وذراية خطيب ، وما كنت تسمع نظماً أنيق الظاهر ، عميق الباطن ، بل المعاني السوقية ، والألفاظ المبتذلة التي تعافها الطباع ، وتمجها الأسماع ؛ والذي لولاه لاستسر إعجاز القرآن ^(١) ، ولاستمر به يد الدهر ^(٢) السرار ، فينجزم إذ ذاك جبل الدين ، وتنهار — معاذ الله — دعائم اليقين .

وهذا ما أحدا إمام اللغة في عصره : الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى وضع كتابين في هذا العلم ، دار لها فلك الفصاحة ، وبرقت أسرار البيان . سعى أحدهما أسرار البلاغة ، والآخر دلائل الإعجاز .

(١) استسر : من قولهم : استسر القمر ، أي خفي ليلة السرار ، والسرار . آخر ليلة من الشهر .

(٢) يد الدهر : أبد الدهر .

كتب في هذا الفن قبل الإمام عبد القاهر : جماعة من البلغاء ، مثل : الجاحظ وقدامة الكاتب وابن دريد ، بيد أن ذلك الإمام هو الذي أخذ بصنيعه^(١) ، وأناف به على اليفاع^(٢) فهو الذي عين له رسوماً يعرج عليها ، وسن له قوانين يُعمد إليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقوم بفصاحته لسان ، ولا يطلسعُ فحجته إنسان^(٣)

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكي : إمامٌ فتّ في عضده حب الفلسفة^(٤) ، فعمد إلى هذا العلم ، وقبع في كسْرِ بيته^(٥) ، لا يرى إلا نفسه ، ولا يسمع إلا حسه ، ووضع ما وضع مما نهج فيه أهل النظر من الحكماء ، لا منهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وإن فاق عبد القاهر في التشميم والتبويب وتقريب الأحكام ؛ فلم يدرك شأوه في لطف الخس ، وصفاء الديباجة ، وبراعة الكلام ؛ فكان وسطاً بين عبد القاهر وأضرابه من المتقدمين ، وبين عبد الحكيم وأترابه من المتأخرين .

(١) الضبيع : العضد .

(٢) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، وأناف به على اليفاع ، وأخذ بضبعيه : يريد أنعشه ونوه به زجماً .

(٣) اطلع الأرض : بلغها ، والقبع : الطريق الواسع بين جبليْن في قبل من أحدهما .

(٤) يقال : فت هذا الشيء في عضده : إذا كسر قوته ، والمراد بلفت منه واستولت عليه .

(٥) قبع القنفذ : أدخل رأسه في جلده ، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه في قميصه ؛ وكسر البيت : جانب الحياء .

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، فهدب
مأوضعه السكاكي ، وضم إليه تنقائما وضعه عبد القاهر ، وأخرج للناس كتاباً
هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذى الغلة الصادى .

ظهر حوالى ذلك قوم درجوا من غش الفلسفة ، فوضعوا على هذا الكتاب
الشروح والخواشى ، وسلكوا بهذا العلم مسلكاً تنكره اللغة ، ويستهنه
الباء ، فأغضوا عن أبرار البلاغة ، وتشبوا بالفلسفة ، وحى بينهم وطيس
المناطرة ، حتى أتوا على الذمائم الباق من هذا العلم ، وحتى أضحي وقد
انهالت دعائمه ، وتنكرت معالنه :

كأن لم يكن بين العجّون إلى الصفا أنيس ولم يسر بمكة سامر
أتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نسيه^(١) ، حتى أتيت له
فى هذا العصر إمام^(٢) تولى الله تأديبه ، وأرضعه أفابيق حكته ، وأوحى إليه
صالح العلم ، وأيده بآيات الحق : إمام أرسله الله رحمة للغة والدين ، رحمة
للغة بما يدبجه براعه ، وما يخبئه من آثار المتقدمين ، ورحمة للدين بما يبين من
صحيحه ، ويكشف عن صريحه .

فبينما تراه فى جفّ من البلاغة والبيان ، ينافح كتاب العى بعص
يمان ، ويفرى أحشاء الفهاة يبراع أحد من السنان^(٣) ، إذا هو فوق منبر

(١) النيس : بقية الروح ، ويقال : بلغ منه نيسه : إذا أشرف على التاف .

(٢) هو أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده .

(٣) الجفّ : الجيش ، وينافح : يضارب أشد المضاربة ، والكتاب

جمع كتيبة : وعى الجيش أيضاً ، والمضب : السيف القاطع ، استعير هنا للسان .
وفرى : يقطع ، والمراد ظاهر .

التذكير ، يسوق للناس الرشد في نوايغ الكلم ، وروائع الحكم ، فلا يلبث أن يقوم من أود المائل ، ويبحث من النفوس جذور الباطل^(١) ، وبيننا تراه ينقب في مناجم العلم ، ليلتقط من آثار الآباء ، ما تكون فيه عبرة الأبناء ، إذا هو يخرج للناس من منجم علمه ، جواهر تزرى بثلج الجواهر ، ويبرز بها شأو الأوائل والأواخر .

كان من بين ما قرأناه عليه حفظه الله : كتاباً أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لتلك الإمام ، فها هو إلا أن سطع فينا نور هذين الكوكبين ، حتى استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه^(٢) ، ورحنا أنفسنا وأنصيناها في غير طائل ، ومطالبا من العمر أنصيناها في سبيل الباطل ، وحتى علمنا أن ما لدنيا من هذا العلم لم يكن إلا سبابة لا تنفع غلة^(٣) ، ولا تنفي عن رواد البلاغة .

وهذا ما حرك النفس إلى شرح ذلك الكتاب ، الذي هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر ، وقبلتهم التي يحجون إليها ، لولا ما يعترض سبيلهم من اختصار ألجأ المؤلف إليه رغبة أن تكون قواعد هذا العلم على طرف النعام^(٤) ، والذي عقد عليه أولئك القوم سحبا من الألفاظ حجب معانيه دون الطالب لتلك الأسرار ، كما تحجب الغيوم صفحة البدر دون الأنظار ، ولم نزل نردحاً من

(١) الأود : الأعوجاج ، ويبحث : يتتبع .

(٢) الركاب يعتسف الطريق : يحبطه على غير هداية .

(٣) نفع الماء العاش : سكه ، وهذا الشيء لا ينفي عنك : لا ينفعك .

(٤) النعام : نبت صميف لا يطول ، ويقال : هو لك على طرف النعام .

الزمن نستخير الله في أن نلج هذا المأزق المتلاحم ، حتى حار لنا سببانه ولدينا من الصبر درع مسرودة لانتفذ فيها السهام^(١) ، ومن الثقة بالله قَبَسَ^(٢) يَضَى . لنا دُجَنَاتُ الظلام .

أسلفنا أن ثمرة هذا النوع من العلم هي إدراك إيجاز القرآن ، والوقوف على الأسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ، ويفضل بعضه بعضاً . لكن لا بد للعلم قبل ذلك أن يحظى بِرَسٍّ^(٣) من اللغة ، ويصيب ذرواً من النحو ، ويرشف الضرب من لسان العرب^(٤) ، ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم ، وذهن إذا لاقى الضريبة صمم^(٥) .

أما النحو : فهو معيار لا يتبين نقصان كلام ورجحانه ، حتى يعرض عليه ، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ومن شذفيه فقد خش وجه الكلام ، وجعل نفسه غرضاً لسهام السلام ؛ انظر كيف نعى على أبي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر^(٦) :

(١) الرديح : المدة ، والمأزق : المضيق . ويقال : سرد الدرغ : نسجها ، وهو تداخل الخلق بعضها في بعض .

(٢) القَبَس : جذوة من نار ، والدجنة : الغلظة .

(٣) يقال : بلغني رَس من خبر وذرو من قول : أى شيء منه .

(٤) الرشف : المص ، والضرب : العسل الأبيض الغليظ والمعنى ظاهر .

(٥) كدم في مكدم : طمع في مطمع ، وقوله وذهن إذا لاقى الضريبة صمم ،

فالضريبة : المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء - وإن كان بمعنى مفعول - لأنه مزار في عداد الأسماء كالنعلقة ، يشبه الذهن بالسيف في المضاء .

(٦) لأن فعل أفضل لا يجوز حذف الألف واللام فيها ، وإنما يجوز

كأن صغرى وكبرى من فواقها حصياء در على أرض من الذهب
وكيف سلقه الناس بألسنتهم ، حين قال فى الأمين محمد^(١) :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر المأمون
وقل لى بيشك : هل يمكن الجاهل به أن يذود عن القرآن فيما عساه
أن يخفى من وجوه الإعراب ، فيدرك ماقاله العلماء مثلافى قول الله جل شأنه :
«إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون^(٢)» ومااستشهدوا به من قول الشاذ :
وإلا فاعلموا . أنا وأتم بغاة ما بقينا فى شقاق

وأما اللغة والأدب فهما مسرح الفصاحة ، ومعنى البلاغة ، نعم ، وهل
يتسنى للقاتل أن يعمد إلى ماكان من الكلمات عذب النطق ، سهل اللفظ ،
غير حوشى مهجور ، ولا سوقى مردود ، وماكان من التراكيب جيد
السبك ، بحكم الرصف ، غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، وماكان من
التشبيه والجاز والسكناية قد أصاب الحز ، ووضع فيه الهناء مواضع الثقب ،
حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو : حبلى ، إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة .
وهنا عريت عن الإضافة .

(١) فإنه رفع الاستثناء من الموجب .

(٢) سيمر بك فى الشرح أن « الصابئون » مرفوع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التأخير عما فى حيز إن من اسمها وخبرها ، كأنه قيل : إن الذين
آمنوا والذين هادوا والنصارى ، حكمهم كذا ، والصابئون كذلك ، وإن فائدة
التقديم التنبيه على أن الصابئين مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشدم غيا .
يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فالظن بغيرهم .

إلا إذا ضرب في اللغة بهم ، وجرى في أساليبها على عرق^(١) ، وهل يتأتى
للرجل أن يدرك إعجاز القرآن ، وتبرزه على سائر الكلام ، حتى يلم بجميع
خبريه ، ويسر سائر أساليبه .

ولقد أفضى الجود بقوم إلى أن يحسوا الأدب خفه ، ولم يفوه من
الإعظام قطه ، حتى صوّحت لديهم زهرته ، وذوّت بينهم نضرتة^(٢) ،
وصار من يحاول العلم منهم ، فإنما يرتوى من آجن ، ويكتنز من غير طائل ،
ألم يعلموا أن العلوم عيال عليه ، وأن الشريعة مفترقة إليه ، وأن مثله ومثله
قول أئى الأسود الدؤلى :

فَلَا يَسْكُنُهَا أَوْ تَكُنُّهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَنُ أُمه بِلْيَانِهَا

وهل بلغ أئمة الدين هذه المذلة : فهم أغراض القرآن ، ومعرفة أسرار
الشريعة ، إلا بعد أن قبضوا على خرائم الأدب ، وألقت إليهم مقاليد اللغة ،
ألم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم ، أن كان أحدهم يروى من كلام
العرب ما يروى الآخر غيره ؟ هذا لفظ القرء مثلاً ، ذهب مالك رحمه الله إلى
أنه الطهر ، وحجته في ذلك قول الأعشى :

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَائِمٌ غَرُوءٌ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَرِيمٌ عَزَائِكَا

-
- (١) يقال : فلان يصيب بكلامه المهر ، ويعض الهناء مواضع الثقب :
إذا كان ماهرأ مصيباً . والهاء : القطران ، والثقب جمع ثقبه : وهو أول ما يمدو
من الجرب قطعاً متفرقة ، والعرق : الأصل ، والمعنى ظاهر .
(٢) صوحت الزهرة : يدست ، وذوى البقل : ذبل .

مَوْرَثَةً مِثْلًا وَفِي الْحَقِّ زُفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوَ نَسَانِكَا
 وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنه الحيض ، ومستنده قول الراجز :
 يَا رَبِّ ذِي ضِفْنٍ عَلَى قَارِضٍ يُرَى لَهُ قَرْنٌ كَقَرْنِ الْحَائِضِ
 وبذلك قوله صلى الله عليه وسلم : قصوا الشارب وأغفوا اللحى ، قال
 قوم معناه : وفروا وكثروا ، وقال آخرون : قصروا ونقصوا ؛ حجة من
 ذهب إلى التكثير قول جرير :

وَلَكِنَّا نَمِصُّ السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَقٍ عَافِيَاتٍ لِلْخَمْرِ كَوْمٍ^(١)
 وحجة من ذهب إلى التقصير : قول زهير .

تَحْمَلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاةُ
 ومثل هذا كثير : لا يكاد يحصى الاستقصاء ، حتى لقد اختصه العلماء
 بالتأليف ، وأفردوه بالكتاب ؛ اللهم إنَّ الصادَّ عن معرفة اللغة وأسرار
 العربية صاد عن تعرف كتابك ، وأسرار شريعتك ، فسواء من أعدم
 الناس الدواء الذي يشفى من الداء ، وتسبق به حشاشة الأنفس ، ومن
 أعدمهم العلم بأن فيه شفاء ، وأن لهم فيه استبقاء .

أين أنت أيها الباروق الذي قلت حين تنوت قول الله جل شأنه :
 «أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السِّيثَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ثم قلت لإخوتك المؤمنين :

(١) منها : أى من النوق ، والأسوق : جمع ساق ، والكوم : جمع كوماه :
 ومى الناقة العظيمة السنام . يقول إنه يقر النوق العظيمة بالسيوف .

ما يقولون فيها ، فنهض ذلك المذلل وقال : هذه لفتنا . التخوف : التنقص ،
وأشد قول أبي كبير يصف نلقته :

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كما تخوف عودَ النِّبَةِ السِّنِّ (١)
فقلت عليكم بذويان العرب ، فإن فيه تفسير كتابكم .

من لى بك لتتظر حال القسائمين بأمر الدين الآن ، وازدراءهم للغة القرآن ،
حتى بلغ بهم الأمر أنهم يرمون البلغاء بالسخف ، ويتهمونهم بالزيف عن الجادة ،
اللهم إن هذا خذلان فأدر كنا برحمتك ، وهيء لنا من أمرنا رشدا .

إلى هنا علمت أن البلاغة لا يسلس قيادها ، إلا لمن شدا في الأدب .
وعلم النحو والصرف واللغة ، وهذا النوع من العلم علم أسرار البلاغة ،
وطائفة الفصاحة ، المسى بعضه : علم المعاني ، وبعضه الآخر : علم البيان ،
ومن ثم قال البيانون : إن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ،
إذ لا يكون ذلك إلا بوساطة هذه العلوم ، كما ستعرف .

وحيث اتعنى بنا الحديث إلى هذا الموضع ، وجب علينا أن نوفي القول
في الفصاحة والبلاغة حقه من البيان .

ولم الناس قديماً بأمر الألفاظ ولوعاً صرفهم عن جادة الاعتدال ، وجار
بهم عن قصد السبيل ، فكفوا على العبارات المزخرفة ، والألفاظ المنقوفة ،
والتراكيب الضخمة ، والجلل الفخمة ، وكادوا يقصرون الفصاحة على هذا

(١) تَامِكًا : سناماً عظيماً ، والقرْد : الذي أكله القرد ، والسِّن : الحديد
الذي ينحف به وهو المبرد ، يقول : إن الرجل أثر في سنام الناقة وتنقص منها
كما ينقص السفن من العود .

النوع من الحسن ، ويذهبون إلى أن ذلك هو الذى يرتفع به شان الكلام ويفضل بعضه بعضاً ، ويبعد الشأن فى ذلك حتى ينتهى الأمر إلى الإعجاز ، وإلى أن يخرج من طوق البشر جميعاً ، فأنبرى لم الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، وأرهم عليهم لساناً أخرس الشقاشق^(١) ، وأعدم نطق الناطق ، وأسأل الوادى عليهم مجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً ، فنادى بفساد مذهبهم هذا ، وإنه قد يقضى إلى إنكار إعجاز القرآن ، وإن ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ، ولا يشف عن براعة خاطر ، وإنما الذى يدل على بعد الغور ، ودقة الفكر ، ويرتقى به الكلام حتى ينتهى إلى حيث تنقطع الأطماع ، وتحمسر الظنون ، وتستوى الأقدام فى المعجز ، هو تلك الأسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز .

ذهب هذا الإمام إلى أن معترك البلاغة الذى تظهير فيه الخواطر براعتها ، والبلاء مُتَّبَهاً^(٢) ، هو عند توخى تلك الأسرار والمعاني فيما بين الكلم على حسب الأغراض التى يصاغ لها الكلام . فالبلغ هو الذى يضع كلامه الوضع الذى تقتضيه تلك المعاني ولا يخل بشيء منها . فينظر مثلاً إلى الوجوه التى تراها فى قولك : زيد منطلق ، وزيد ينطلق ، وينطلق زيد ، ومنطلق زيد ، وزيد المنطلق ، والمنطلق زيد ، وزيد هو المنطلق ، وفى الشرط والجزاء إلى

(١) الشقاشق : جمع شقشقة وهى شئ كالرمة يخرج به البعير من فيه إذا هاج ، ويقال للنصيح : هدرت شقاشقه ، يريدون قوة البيان ، ويقال : فى بخلاف ذلك : خرست الشقاشق .

(٢) المنة : القوة .

الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأنا خارج إن خرجت ، وأنا إن خرجت خارج ؛ وفي الجمال إلى الوجوه التي تراها في قولك : جاءني زيد مسرعاً ، وجاءني يسرع ، وجاءني وهو مسرع ، أو هو يسرع ؛ وجاءني قد أسرع وجاءني وقد أسرع ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له ، وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في حاق معناه ، نحو أن يحيى ، بما في نفي الحال وبلا إذا أراد الاستقبال . وبأن فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون ، وبأذا فيما علم أنه كائن ، وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيما من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء ، وموضع الفاء من موضع ثم ، وموضع أو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع بل ؛ وينظر في التعريف والتكثير والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار ، فيصيب بكل من ذلك مكانه ، ويستعمله على وجهه ؛ ثم إنه ليست للزنية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها ، ومن حيث هي على الإطلاق ، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها من بعض ، فليس إذا راقك التكثير مثلاً في سؤدد من قول البحترى :

تَنَقَّلَ فِي خَلْقِي سُودِدٍ سَمَاحًا مَرَجِي وَبَاسًا مَهِينًا

وجب أن يروقك أبداً وفي كل شيء ؛ بل ليس من فضل ومزية الإلحاح بالموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد ؛ وإنما سبيل هذه المعاني : سبيل الأضباغ

التي تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد سَهَدَى في الأصابع
التي عمل منها الصور والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التغير
والتدبر في أنفاس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجها وترتيبها إياها :
إلى ما لم يهتد إليه صاحبه ، فناء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ؛
كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيها معاني النحو ووجوهه .

وزبدة القول : إن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ، وكل ما شا كل
ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض ، من حيث راموا أن
يعلموا السامعين ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ، إنما هي ألفاظ
مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بنحسن الدلالة وتامها فيما لو كانت
دلالة ، ثم تبرحها في صورة هي أبهى وأزين ، وأتق وأعجب ، وأحق بأن
تستولى على هوى النفس ، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب ، وأولى بأن
تطلق لسان الحامد ، وتطيل زغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير
أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذي هو
أخص به ، وأكشف عنه وأتم له ، وأحرى بأن يكسوه فضلا ويكسبه نبلا ،
وإذن فرجها النظم والكلام ، دون الألفاظ المحردة والكلمات المفردة .

وقد استظهر عبد القاهر لهذا بعدة أموز ، منها : أنك
تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر ، كلفظ
الأخذ في بيت الحماسة :

تلفت نحو الحى سقى وسدتنى وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدا

وبيت البحتري :

وإني وإن بلغتني شَرَفَ الْفَيْ وَأَعْتَقْتُ مِنْ رَقٍ لِلطَّامِعِ أَحَدَعِي
فإن لها في عَذِينَ الْمَكَانِينَ مَلَا يَخْفَى مِنَ الْحَسَنِ : ثُمَّ إِنَّكَ تَتَأَمَّلُهَا
فِي بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَحَدَعِيكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ هَذَا الْأَنَامُ مِنْ حَرَقِكَ^(١)
فَتَجِدُهَا مِنْ الثَّقَلِ عَلَى النَّفْسِ . وَمِنْ التَّنْفِيعِ وَالتَّكْدِيرِ : أَسْمَافُ
مَا وَجَدْتَ هُنَاكَ مِنَ الرُّوحِ وَالْخَلْقِ ، وَالْإِنْسَانِ وَالْبَهِيَّةِ : وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ .
فَإِنَّكَ تَجِدُ الرَّجُلِينَ قَدْ اسْتَعْمَلُوا كُلَّ بَأْعِيَانِهَا ، ثُمَّ تَرَى هَذَا قَدْ فَرَعَ السَّمَاءَ ، فَإِنَّكَ
وَتَرَى ذَلِكَ قَدْ لَصِقَ بِالْخَضِيرِ . هُوَ كَانَتْ الْكَلِمَةُ إِذَا حَسِنَتْ . حَسِنَتْ
مِنْ حَيْثُ هِيَ لَفْظٌ ، وَإِذَا اسْتَحَقَّتِ الْمُرِيَّةَ وَالشَّرَفَ ، اسْتَحَقَّتْ فِي ذَاتِهَا وَعَلَى
اِفْتِرَادِهَا دُونَ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ حَالُهَا مَعَ أَحْوَاتِهَا الْمُخَاوَرَةِ لَهَا فِي
النِّظَامِ لِمَا اخْتَلَفَ بَيْنَ الْحَالِ ، وَلَسَكَانَتْ إِمَّا أَنْ تَحْسَنَ أَيْدَا ، أَوْ لَا تَحْسَنَ أَيْدَا .

. وَمِنْهَا أَنَّكَ لَا تَشْكُ إِذَا فَكَّرْتَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْنِي مَاءَكَ
وَيَا سَمَاءَ أَقْلَمِي وَغِيضِ الْمَاءِ وَقَعِي الْأَمْرَ وَاسْتَوْتِ عَلَى الْجُودَى وَقَبْلِي بَعْدُ
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » فَتَجِبُ لَكَ مِنْهَا الْإِجْمَازُ ، وَبِهَرَكِ الْبُذَى تَرَى وَتَسْمَعُ . إِنَّكَ لَمْ
تَجِدْ مَا وَجَدْتَ مِنَ الْمُرِيَّةِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا لِأَمْرِ يَرْجِعُ إِلَى اِرْتِبَاطِ هَذِهِ السُّكْمِ بِبَعْضِهَا

(١) الْحَرْقُ بِالضَّمِّ : النَّعْفُ ، وَكَذَلِكَ أَخْفَى وَالْجَهْلُ ، وَضَمُّ الرَّاءِ لَمَّا تَعَرَّضَ
وَيُرِيدُونَ بِتَقْرِؤِهِمُ الْآحَدَعِينَ — وَهِيَ عَرْقَانٌ فِي صَفْحَتِي النَّقْصِ كَالْيَتِيمِينَ : إِزَالَةُ
السُّكْمِ وَالنَّعْفِ .

ببعض . وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة ، وهكذا إلى أن نستقر بها إلى آخرها ، وأن الفضل تنائج ما بينها ، وحصل من مجموعها : وكذلك إذا نظرت إلى قول ابن المعتز :

سألت عليه شعاب أبلج حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، إنما تم لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى بما توشى في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها ملحت ولطفت بمعاودة ذلك وموازرتة لها ، وإن شككت فانظر إلى المخرين والظرف ، فإن كل منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه ، قل سألت شعاب أبلج بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره . ثم انظر : كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التي كانت ، بالملحوظة التي كنت تجدها ؟

ومنها غير ذلك مما أثبتناه في غير هذا الموضع من الكتاب .

أما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الأثير فهم — إذا ألفت النظر وأنعمت الفكر — ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وفتوا إمره ، ذاك لأنهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن : تلاؤم الحروف وسلاسة الألفاظ بل جعلوا ذلك وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلا في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام ، وبينوا أن قوام الشرف والنبيل هو تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، الذي عبر عنه الشيخ : بتوخى معاني النحوفيا بين السكك على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام . بيد أنهم عمدوا إلى الفصاحة وأخرجوها

من حيز البلاغة ، وجعلوها : اسمًا ما كان بنجوة من تنافر الحروف . وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في العلم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوي ؛ وجعلوا البلاغة اسمًا ما كان مطابقًا لمقتضى الحال مع فصاحتها ؛ وهذا غير قاذح فيما ذهب إليه الشيخ .

هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم ، والتنويه بتلك الأسرار . حتى طال بكلامه الأمد ، وحتى كاد يتجاوز غاية الإفصاح إلى سبابة الإملال ، إلما عني به ووضع لأجله كتابه دلائل الإعجاز من إزالة ما كان يملق بالأذهان كافة في عصره من الخطأ في وجه إعجاز القرآن .

وبعد فم المروف أن القرآن تحدى العرب إلى معارضته ، وأخدم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ، فما كان إلا أن استولى عليهم العجز ، وبلغ منهم العي ، وخرست ألسنتهم فما تغير مقالاً ، وخلدت قرومهم فما تستطيع صيالا : وآية ذلك فرارهم إلى شبا الأسنه ، واقتحامهم غمرات الموت ، ووكان لهم عما يحبس لا ابتغوا إليه سبيلا ؛ بيد أن العلماء في وجه الإعجاز مذاهب لا تعدى أربعا : فذهب بعض إلى أن الله سبحانه ما أنزل القرآن ليكون حجة للنسوة . بل هو كسائر الكتب المزالة لبيان الأحكام ، والعرب إنما يمارصوه لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب عيولهم به : وذهب فريق إلى أن إعجازه في أن له أسلوبا يختص به ، ويتميز في نصرته عن أساليب الكلام المعتاد ، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم ، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ، وإلى الكلام الموزون المسجع ، وإلى ما يرسل إرسالا ، وأسلوب القرآن

• باين لهذه العارف . خارج عن هذه الوجود : لاسميا في مقاطع الآيات ، مثل يعلمون ويؤمنون . وذهب ثالث إلى أن إجماره في أن اشتمل على الضيوب وما لم تلم به علم الناس : من أخبار من مضى ، وأحوال مستقبل الأيام .

وذهب آخرون إلى أنه معجز بفصاحته ، ووافقهم على ذلك الشيخ عبد القاهر إلا أنه خالفهم فيما ذهبوا إليه من تفسير الفصاحة بالمزايا اللفظية التي تتجاوز الكلام : كالتشبيات ، والاستعارات ، والكنائيات ، وإرسال المثل ، والجناس . والنورية ، وكل أنواع الفصاحة اللفظية : وفسرهما هو بتوخى معاني النحو ، وأسرار التركيب ، وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والأغراض .

وقال : إن هذا هو روح الإجمار في القرآن ، وهذه هي المزية التي امتاز بها عن سائر الكلام . فأما التشبيهات والاستعارات وأخواتها ، فمزايا يشاركه فيها كل كلام العرب . وما سمع عن أحد من العرب ممن عجب بفصاحة القرآن أنه طرب لتشبيه ، أو دهش لتمثيل . أو عجب لجناس أو تورية ، أو صعق لسماح مثل غريب وكنة بدعة : وما كان يروغهم ويتلذذ عليهم مشاعرهم : غير تلك الأسرار والمغلف التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر ، فما شارحه معارض ، ولا حدث غسه محدث ، بل ظلوا حيارى . هائمين ، يقولون : سحر ! نعم ! إنه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك الحواس ، ويختلب الأبواب : ولعل الإفاضة في هذا البحث ، وإيقاد حقه من البيان ، يخرج بنا عن موضوع هذه المقدمة : فلنمسك بعنان القلم ، ونكته إلى كتبه الخاصة به ، فهناك البيان الواسع . والإفاضة الوافية ، والله ولي التوفيق .

عبد الرحمن البرقوقي

نست البلاغة في الحقيقة إلا ملكة البيان ، وقوة النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى ، لتبليغ من مخاطبها ما تريد من أثر في وجدانه يتميل به إلى الرغبة فيما رغب عنه ، أو النفرة مما كان يتميل إليه ، أو تمكين ميل إلى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه . أو تحويل في اعتقاد ، أو تغيير لعادة ، أو ما يشبه ذلك مما يقعد بالمخاطب ، وذوق النفس كذلك لحاسن ما تسمعه ، أو وجوه النقد فيما يلقى إليها ؛ هذه هي البلاغة في حقيقة الأمر .

وضموا علوماً ليصل محصلها إلى امتلاك تلك الملكة ، أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجاني ، وتبعه من جاء بعده . على نوع من التحرير والتنقيح . وجاء صاحب التلخيص مجمل ما ينبغي تنبيه النفس إليه ، من أسرار تأليف الألفاظ ، ليكون المحصل لذلك الجمل على بصيرة من وجوه التعبير .

شرحه كثير من الناظرين في الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون إذا كتبوا ، ولا هم يقيمون إذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع إذا خوطبوا ، كما هو معروف لأنفسهم ، ولكل من يعرفهم .

شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافياً في تبين معنى مافي الكتاب ، موجهاً نظر الناظر فيه إلى ما قصد منه : ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ،

وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب
أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل
أن يشهد هو لنفسه ؛ وليس لكلامه أن يشهد حتى يروق المرء وأهله ،
وعدوه وخله ؛ وأسأل الله أن ينفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد
منه مراجعته ؟

محمد عمره

فاتحة التلخيص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ على ما أنعم ، وعلم من البيان ما لم تعلم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خير من نطق بالصواب ، وأفضل من أوتي الحكمة^(١) . وفصل الخطاب . وعلى آله الأطهار ، وصحابه الأخيار .

« أما بعد » فلما كان علم البلاغة وتوايعها من أجل العلوم قدرا ، وأدقها سرًا ، إذ به تُعرف دقائق العريية وأسرارها ، وتُكشف عن وجوه الإيجاز في نظم القرآن أستاذنا ؛ وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي^(٢) : أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا ، لك أنه أحسنها ترتيبا ، وأتمها تحريرا ، وأكثرها للأصول جمعا ؛ ولكن كان غير مبصون عن الحشو والتطويل والتعميد ، قابلا للاختصار ، مفتقرا إلى الإيضاح والتجريد^(٣) : ألقتُ مختصرا يتضمن ما فيه

(١) الحكمة : كمال العلم وإتقان العمل . وفصل الخطاب : الكلام البين الذي يفيه المخاطب إلى المقصود من غير التباس . أو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل .

(٢) أي تجريده عما فيه من الحشو

مقدمة الشارح

للطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وسلام على عباده الذين اصطفى »

« وأما بعد » فإنني أحمدهُ الله سبحانه أن حاط هذا الشرح بالقبول ، وكتب له البقاء والخلود ، حتى رأيته بطبع للمرة الثانية ، بعد أن مضى على طبعته الأولى نحو من ثمان وعشرين حجة ، وبعد أن رأيتُ « نَعَام القلوب اليه زَفَافَةً ، ورياح الآمال حَوَّله هَفَافَةً ، وعيون الأفاضل نحوه رَوَاقٍ ، وأنستهم بتمنيهِ نواطق »

والكتاب فيما أظن ويظن معي أفاضلنا ، أكان المتن أم الشرح : يستحق هذا القبول . وطول الإفادة منه ، فإن المتن رضى الله عن صاحبه أَجْمَعُ كُنْشَاةً لعلوم البلاغة ، على صغر حجمه ، ووجازة كلمه ؛ والشرح من أوسط الشروح وأجملها . جَلَّوت فيه هذا العلم كما تجلَّى العروس .

على أن هذه الطبعة الثانية تمتاز عن الأولى بالكثير الكثير ، من الضبط والزيادة والتحوير .

وإلى الله أضرع أن يديم الانتفاع به ، ويجعله بسبب من مرضاته •
إنه سميع الدعاء .

هبة الرحمن البرقوقي

٢٩ شعبان سنة ١٣٥٠ هـ الموافق أول يناير سنة ١٩٣٢

من القواعد ، وَ يَسْتَعِينُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَالشَّوَاهِدِ ، وَلَمْ آلِ
 جَهْدًا^(١) فِي تَحْقِيقِهِ وَتَهْذِيبِهِ ؛ وَرَتَّبَهُ تَرْتِيبًا أَقْرَبَ تَنَاوُلًا مِنْ تَرْتِيبِهِ ، وَلَمْ بِالْغِ
 فِي اخْتِصَارِ لَفْظِهِ تَقْرِيبًا لِمُعَاظِمِهِ ، وَطَلَبًا لِتَسْهِيلِ فَهْمِهِ عَلَى طَالِبِيهِ ؛ وَأَضَفْتُ
 إِلَى ذَلِكَ فَوَائِدَ عَزَزْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْقَوْمِ عَلَيْهَا ، وَزَوَائِدَ لَمْ أَظْفَرْتُ فِي كَلَامِ
 أَحَدٍ بِالتَّصْرِيحِ بِهَا وَلَا بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهَا ، وَسَمَّيْتُهُ « تَلْخِيسَ الْمِفْتَاحِ » .
 وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ : أَنْ يَنْمَعَ بِهِ ، كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ ؛ إِنَّهُ
 وَائِلُ ذَلِكَ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(١) الألو : التفسير ، وأصله : أن يمدى بالحرف ، بيد أنه ضمن معنى
 المنع ، فصار المعنى : لم أمنحك اجتهداً .

مقدم

﴿ الفصاحة ﴾ يُوصَفُ بها المفردُ والكلامُ والتَّكَلُّمُ .

« وَالبَلَاغَةُ » يُوصَفُ بها الأخيرانِ قَطْرًا .

فالفصاحةُ في المفردِ : خُلُوصُهُ مِنْ تَنَافُرِ الحُرُوفِ ، وَالفَرَاغَةِ ، وَتُخَالَفَةُ القِيَاسِ . فَالتَنَافُرُ ؛ نَحْوُ :

* غَدَاةُ مُسْتَشْرِزَاتٍ إِلَى العُلَى *

(الفصاحة) إن الليانين في الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة ، وآراء متباينة ، وهذا حديث فيما يثلج الصدر إن شاء الله .

الفصاحة ومنعها العرب لمعان تشف عن الظهور والإبانة ، يقولون : فصيح اللين وأفصح : إذا أخذت رغوته ، وأفصح الصبح : إذا بدا ضوؤه . ومنه المثل : أفصح الصبح لنى عينين ، وأفصح الأعمى بالعمية ، وفصح لسانه بها : خلصت لفته من اللكنة ، وهذا يوم مفصح وفصح : لا غيم فيه ولا قر .

ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ ، واضح المعنى ، جيد السبك ، متلائم الحروف ، غير مستكره فح ، ولا متكلف وخم ، ولا ما نبذته العرب ، وعدلت عن ألفاظه البلاء ، أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف ، وغرابة الألفاظ ، ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد في التظم والمعنى ، ومخالفة القانون النحوى .

أما تنافر الحروف : فهو وصف في الكلمة ينجم عنه ثقل عملها على اللسان ، والحكم في ذلك هو الإحساس الروحاني ، والدوق السليم الذي يشمره التحفظ

وَالْعَرَابَةُ نَحْوُ : * وَفَاجِئًا وَمَرَسِيًا مُسَرَّجًا * أَيْ كَالسَّيْفِ الشَّرِيفِ
فِي الدَّقَّةِ وَالِاسْتِوَاءِ ، أَوْ كَالسَّرَاجِ فِي الْبَرَقِ وَالْمَعَانِ ؛ وَالْخَالِفَةُ نَحْوُ :
* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ * قِيلَ : وَمِنْ الْكَرَاهَةِ فِي السَّمْعِ نَحْوُ :

لِكَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمِزَازُ أَسَالِيبِ الْبَافَا . وَمَا جَاءَ مُتَنَافِرًا كَلِمَةً : مُسْتَشْزَاتٌ ،
فِي قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

غَدَاؤُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْفَلَا تَقِيلُ الْعِقَاصُ فِي مِثْقَلٍ وَمُرْسَلٍ
الغداير : الذوائب ، والضمير يرتبط بفرع في قوله :

وَفَرَعٌ يَرِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِجٍ أَثْبِثْ كَقِنَوِ النَّخْلَةِ التَّمَعُّشِ كِلِ

والاستشوار : الارتفاع والرفع جدياً ، فيكون الفعل منه تارة لازماً إن
كسرت زايه ، ومتعدياً إن فتحها ، ولعلنا : جمع عليها : تأنيث الأعلى ، وأراد
الجهات العليا ، والعقاص جمع عقصة : الحصلة من الشعر تأخذها المرأة قلوبها
ثم تعقدتها حتى يبق فيها التواء ثم تجعلها وسط رأسها كالرمانه وهي البندرية
يقول : إن غدايره مشدودة على الرأس وأن مجموع الشعر منه عقاص أو غداير
ومنه مثنى - مفتول ، ومنه مرسل ، وأن العقاص تقيس في الآخرين والماد أن
وفور شعرها وجمال وضعه .

وَالْعَرَابَةُ : أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ حَوْشِيًّا غَيْرَ مَأْلُوفٍ الْإِسْتِعْمَالِ وَلَا ظَاهِرٍ الْمَعْنَى ،
وَذَلِكَ نَوْعَانِ حَسَنٌ لَا يَعْابُ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْعَرَبِيِّ الْقَحِ ، وَهُوَ فِي النِّظْمِ أَحْسَنُ مِنْهُ
فِي التَّرْتِيبِ ، وَذَلِكَ مِثْلُ مِثْمَخَرٍ : فَإِنَّمَا فِي قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ لِيُؤَانَ كَسْرِي :

مُثْمَخَرٌ تَمَلُّوْا لَهُ شُرُفَاتٍ دُفِئَتْ فِي دُؤْسٍ رَضْوِيٍّ وَقُدْسِيٍّ

لَا بَأْسَ بِهَا ، وَقَبِيحٌ حَاسٌ لِعَابِ اسْتِعْمَالِهِ عَلَى سَائِرِ الْقَصَصَاءِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعَ

* كريم الجرشى شريف النسب * وفيه نظر .

وفي الكلام : **خُلُوصُهُ مِنْ صَفِّ التَّالِيفِ** ، وَتَنَافُرِ الْكَلِمَاتِ ،
والتعقيد ، مع فصاحتها ؛ فالضعف نحو : **ضَرَبَ غُلَامُهُ زَيْدًا .** والتنافر
كقوله : * **وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ** *

ذلك كراً غليظاً ، مثل جحيش في قول تأبط شراً :

يَطْلُ بَيَوتَانَا وَيُمْسِي بِفَيْرِهَا جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَالِكِ (١)
ومثل اطلنخ في قول أبي تمام :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَخْتُ الْأَمْرَ وَأَنْبَعَثَتْ عَشْوَاهُ تَالِيَةً عُبْسًا دَهَارِيَسًا (٢)
ومثل جفغ في قول المتنبي :

جَفَجَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرَ دَلِيلٌ (٣)

ومن هنا كان قول بعضهم : إن الكلام الفصيح ما كان في ألباطه عنجنية
الغرابة ، .بعد عن الاقتدة الإحاطة بمعناه ، وعز على الأفهام إدراكه : جهلا
بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة . قال الجاحظ — وهو من هو — : رأيت
الناس يديرون في كتبهم أن امرأة خاضعت زوجها إلى يحيى بن يعمر ، فأنتهرها

(١) البومة : المفازة الواسعة : ويقال للرجل . إذا كان يستبد برأيه :
جحيش وحده : وهو ذم ، ويقال : اعروري الفرس ركبا عريانا . وهو
أفعل ، مستعار هنا للهلكة .

(٢) اطلنخ الأمر : اشتد ، والدهاريس : النوراي .

(٣) جفغ : غر وتكبر ، وشيم : فاعل ، والأعر : الشريف ، يقول جفغت
ونظرت بهم شيم ، وهم لا يفخرون بها ، وهذه الشيم دلائل على حسبهم الأعر

وقوله :

كَرِيمٌ مَّتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ وَإِذَا مَا لَمْتُهُ لَمْتُهُ وَحَدِي
والتعقيد : أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد ليخلل

برأياً ، فقال له مجي : آ إن سألتك ثمن شكرها وشبك أنشأت تطلها
وتضلها^(١) ثم قال : فإن كانوا قد رويوا هذا الكلام لكي يدل على فصاحة ،
فقد باعده الله من صفة الفصاحة .

هذا ، ومن الغريب الحوشى ما يحتاج إلى أن يخرج له وجه بعيد ، مثل :
مسرجا ، في قول رؤية بن العجاج :

أَيَّامٌ أَبَدَتْ وَأَخِيحًا مُدَلَّجًا أَغَرَّ بَرَّاقًا وَطَرَفًا أَبْلَجًا
وَمُقَلَّةً وَحَاجِبًا مُزَجَّجًا وَفَاحِيًا وَمَرْسِيًا مُسَرَّجًا

المرسن : الأنف . فلا يعلم ما أراد بقوله : مسرجا ، حتى اختلف في تحريكه ،
ف قيل : من قولهم للسيوف سرجية أى منسوبة إلى قين يقال له سريج ، يريد : أنه
في الاستواء والدقة كالسيف السرجي ، وقيل : من السراج ، يريد : أنه في البريق
كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : سرج وجهه بكسر الراء : أى حسن ، وسرج
الله وجهه : أى بهجه وحسنه .

• هذا ، وكأ أن تهذيب الكلام من الغرابة شرط في الفصاحة . كذلك
تهذيبه من الابتدال . فينبغي للفصيح أن يجنب السوق المبتذل الذي أبلاه
التكرار ، وتدل باستعمال العامة إلى الحضيض .

ومخالفة ما ثبت عن الواضع ، مثل : الأجل ، في قول أبي النجم :

• الحمد لله الملى الأجل •

(١) الشكر بالفتح وبكسر : العرج ، وضلل فلانأ حقه ، كنعج : نقصه إياه
وأبطله عليه ، وتطلها كتمدها : تطلها ، والكسر : حق النكاح أو النكاح نفسه .

إِثْمًا فِي النَّظْمِ ، كَقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ فِي خَالِ هِشَامٍ :
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُتَمَلِّكًا أَبَوَاتِهِ حَتَّى أَبْنَاهُ بِقَارِبَةٍ

القياس : الأجل بالإدغام ، ومثله قول المتنبي :
فَلَا يُبْرِمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلِلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرِمُ
ومخالفة القانون النحوي ، مثل : ضرب غلامه زيداً ، فإن رجوع الضمير إلى
المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور ، أثلاً يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر
لفظاً ورتبة ، ومثل ذلك قوله :

كَسَا حِلْمُهُ ذَا الْحِلْمِ أَنْوَابَ سُودِدٍ وَرَقَى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي ذُرَى الْمَجْدِ
وتنافر الكلّيات ما كان مثل قول القائل (١) :

وَقَبْرٌ حَرْمٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قَرْبٌ قَبْرِ حَرْمٍ قَبْرٌ
وقول ابن بشير يرقى أحمد بن يوسف :

لَا أَذِيلُ الْإِمَالَةَ بِمَذَكَّةٍ إِنِّي بَعْدَهَا بِالْأَمَالِ جِدُّ بَحِيلٍ
كَمْ لَهَا مَوْقِفٌ بِيَابِ صَدِيقٍ رَجَعَتْ مِنْ نَدَامٍ بِالتَّعْطِيلِ
لَمْ يَصْرِهَا وَالْحَدُّ لَهَا شَيْءٌ وَأَنْتَنْتِ نَحْوَ عَرْفِ نَفْسِ ذَهُولِ

فتفقد النصف الأخير من البيت الثالث ، فإنك ستجد بعض ألقاظه تبتدأ
من بعض . ومن ذلك — بيد أنه أخف مما قبله — قول أبي تمام :
كريم متى أمدحه أمدحه والورثى ممي وإذا ما لمته لمته وحدي
وقد أشد خلف الأحمر في هذا المعنى :

(٢) زعموا أن قاتل هذا البيت جني صاح على حرب بن أمة فأتت في
فلاة ، ويسمى هذا النوع من الجن هاتفاً .

أى : أبس مثله فى الناس حتى يقاربه ، إلا مملكا أبو أمه أبوه ؛
وإما فى الانتقال ، كقول الآخر :

وَبَعْضُ قَرِيبِ الْقَوْمِ أَوْلَادُ عَلِيٍّ يَكْذِبُ لِسَانَ النَّاظِقِ الْمُتَحَفِّظِ
وأجود الكلام ما رأيت متلاحم الاجزاء ، سهل الخارج ، فكانه أفرغ
إفراغا واحداً ، فهو يجرى على اللسان ، كما يجرى الدهان : ومثله قول
أبي حية الحميري :

رَمَتْنِي وَسَيَّرَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكَذَّاسِ رَسِمُ
رَسِمُ آتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ يَتَبَا ضَحِيتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ بَيْنَهُمْ
أَلَا رَبُّنَا لَوْ رَمَتْنِي رَمَتِيهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمُ

يقول : رمته بطرفها وأصابتني بحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رميت ،
وقنت كما فنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب . فأنت إذا عدت إلى مثل
هذا : وجدت له اهتزازاً فى نفسك وأريحته فى فؤادك .

والتعقيد أن يشبك المتكلم طريقك إلى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه . حتى
يقسم ففكرك ويشعب قلبك ، فلا تدرى من أين تتوصل ، وأى طريق تملك
إلى معناه ، مثال ذلك قول الفرزدق :

إِلَى مَلِكٍ مَا أَثْنُهُ مِنْ مُحَارِبٍ أُوهُوْهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبُ نَصَاهِرُهُ
يريد إلى ملك أبوه ما أمه من محارب . وقوله أيضاً يحسب إبراهيم بن
هشام بن إسماعيل الخزوي حال هشام بن عبد الملك بن مروان :

وما مثله فى الناس إلا مسكا أبو أمه حتى أبوه يقاربه
يريد : وما مثله فى الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه ، يعنى : وما مثله

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا ۖ وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَحْمَدَا
فَإِنَّ الْإِتِّقَالَ مِنْ جُحُودِ الْمَيِّنِ إِلَى بُخْلِهِا بِالدَّمُوعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ

في الناس أحد يشبهه في الفضائل إلا هشاماً ، فهو كما تراه في غاية التعقيد ، حتى
كانه لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ بِصَبْحِ بَجَانِبَيْهِ نَهَاراً ۖ
ومثله قول المتنبي .

وَقَاوُكَا كَأَنَّيَ أَشْجَاهُ طَائِفَةٍ بَأَنْ تَسْعِدُوا الدَّمْعَ أَشْفَاهُ سَاجِدِهِ
يريد : وقاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاء طائفة . يخاطب صاحبيه بأن
عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء ، مما يزيد في حزنه كالربع كلما درست
معامله كان ذلك أدعى لحزنه : ثم اعتذر بأن الدمع يشقى الباكي ، لأن من حزن
قلبه استراح بالبكاء . وهذا الضرب من التعقيد يرجع إلى اللفظ ، لأن منشأه
فساد النظم بما صنعه الشاعر من التقديم والتأخير وغيرهما مما ليس له أن
يصنعه ، ولا يسوغ أن يقدم عليه . وثمت ضرب آخر يرجع إلى المعنى ، وهو
أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول المعلوم بحسب اللغة إلى المعنى
الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، كقول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ أُنْدَارِ عَنْكُمْ لَتَقَرَّبُوا ۖ وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لَتَحْمَدَا
بدأ فدل بسكب الدموع على ما يوجبها العراقة من الحزن والكمد ، فأحسن
وأصاب ، لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمانة للحزن ، وأن يجعل كناية
عنه كقولهم : أبكاني وأضحكى . على معنى : سامني وحزني .

الشُّرُورِ . قِيلَ : وَمِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ وَتَمَثُّلِ الإِضَافَاتِ ، كَقَوْلِهِ :

ثم ساق هذا القياس إلى نقيضه ، قائلاً أن يدل على ما يوجب دوام التلاقي من السرور بقوله : لتجمدا ، لظنه أن الجود خلو العين من البكاء من غير اعتبار شيء آخر ، وغلط فيما ظن ، لأن الجود خلو العين من البكاء ، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أنه يراد منها أن تبكى فلا يكون كناية عن السرور ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

أَلَا إِنْ عَيْنًا لَمْ تَجْمَدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِحَارِي دَمِيمًا سَلْمُودُ

ولو كان الجود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال السرور ، لجاز أن يدعى به الرجل ، فيقال : لازالت عينك جامدة ، كما يقال : لأبكى الله عينك ، وذلك مما لا يشك في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة : سنة جاد : لا مطر فيها ، وسنة جاد : لا ابن فيها ، فكما لا تجعل السنة والثامنة جواداً إلا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والثاقبة لا تستقر بالهر ، لا تجعل العين جموداً إلا وهناك ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأنها قد جادت وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضفت .

هذا ، وببيت ابن الأحنف المذكور : فظير كلام ابن الربيع بن خيثم ، فإن رجلاً قال له - وقد صلى ليلة حتى أصبح - : أتعبت نفسك ، فقال : راحتها أطلب ، ومثله قوله :

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقَمْتَ بَارِضَنَا وَلَمْ تَدْرِ أُنَى لِلْمَقَامِ أَطْوَفُ

وهو معنى كثير حسن جميل ، وقد زاد بعضهم على هذه الأمور المخلقة بالنصاحة أمراً آخر وهو الكراهة في السمع بأن يمج اللفظ ويترأ من سماعه ، كالجرشي ، في قول أبي الطيب المتنبي بمدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الْأَسْمَاءِ أَغْرُ الْقَبْ كَرِيمُ الْجُرَشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

(الجرشي : النفس) وفيما ذكر هذا القائل نظر ، لأن الكراهة في السمع

* سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيهَا شَوَاهِدٌ * وقوله :
 * حَمَامَةٌ جِرْعَى حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَى * وفيه نظرٌ .
 وَفِي الْمُتَكَلِّمِ : مَلَكَةٌ يُقْتَنَرُ بِهَا عَلَى التَّمْيِيزِ عَنِ الْمَقْصُودِ
 بِلَفْظٍ فَصِيحٍ .

تصلها الغرابية ، وقد احتز عنها ؛ وزاد بعضهم أمراً آخر أيضاً وهو كثرة
 التكرار وتنايع الإضافات ، وأشد على الأول قول أبي الطيب :

وَسَمِعْتَنِي فِي عَمْرَةٍ بَعْدَ عَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيهَا شَوَاهِدٌ
 الغمرة : المشقة ، والبسوح : الفرس الحين العدو الذي لا يتعب راكبه ،
 فكأنه يسبح في الماء . وعلى الثاني قول ابن بابك :

حَمَامَةٌ جِرْعَى حَوْمَةِ الْجَنْدَلِ اسْجَى فَأَنْتَ عِمْرَأَى مِنْ سُمَادَ وَمَسْمَعٍ
 (الجرعاء تأنيث الأجرع : وهي رملة لا نبيت شيئاً ، والحومة : معظم الشيء .
 والجندل : الحجارة والسجع : هدير الحمام) وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ
 إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، وإلا فلا يخل بالقصاحة .
 قال الشيخ عبد الفاهر : قال صاحب : إياك والإضافات المتداخلة ، فإن
 ذلك لا يحسن ؛ وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقول القائل :

يَا بَعْلِي بِنَ حَزْزَةَ بِنَ عَمْرَةَ أُنْتُ وَاللَّهِ مُلْجَةٌ فِي خِيَارِهِ
 ثم قال الشيخ : ولا شبهة في ثقل ذلك في الأكثر ، لكنه إذا سلم من
 الاستكراه فليح ولفظ ؛ وما حسن فيه قول ابن المعتز

وَوَلَّتْ تَهْمِيرُ الرِّاحِ أَيْدِي جَادِرٍ عِتَائِي دَنَائِيرِ الْوَجْهِ مِلَاحٍ

(وَالْبَلَاغَةُ) فِي الْكَلَامِ مُطَابَقُهُ لِمُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ؛ وَهُوَ

ومنه قول أبي تمام :

خُذْهُ، ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ فِي الدَّجَى وَالنَّيْلِ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ
(وَأَمَّا الْبَلَاغَةُ) فَهِيَ فِي اللَّغَةِ تَنْبِيءٌ عَنِ الْوُصُولِ وَالْإِتْمَاءِ ، قَالَ فِي
الْقَامُوسِ بَلَغَ الرَّجُلُ بِلَاغَةً : إِذَا كَانَ يَبْلُغُ بِعِبَارَتِهِ كُنْهَ مَرَادِهِ مِنْ إِيْجَازِ بَلَا
إِخْلَالٍ أَوْ إِطَالَةٍ بَلَا إِمْلَالٍ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْيَاسِيُونَ : لِأَنَّهَا تَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى
مُقْتَضَى الْحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ ، وَتَطْبِيقُ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ : هُوَ الَّذِي يَسْمِيهِ
الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ بِالنَّظْمِ ، حَيْثُ يَقُولُ : النَّظْمُ تَوْخِيءُ مَعَانِي النَّحْوِ فِيمَا بَيْنَ
الْكَلِمِ عَلَى حَسَبِ الْأَغْرَاضِ الَّتِي يُصَاغُ لَهَا الْكَلَامُ . فَالشَّاعِرُ الْبَازِلُ ، أَوِ الْكَاتِبُ
الْمُجِيدُ ، هُوَ الَّذِي يَضَعُ كَلَامَهُ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ تِلْكَ الْمَعَانِي ، وَهَنَّاكَ مَعْرُكُ
الْبَلَاغَةِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا ، وَالبُلْغَاءُ مِنْهَا ، فَأَنْتَ إِذَا عَمَدْتَ
إِلَى مَا تَوَاصَفُوهُ بِالْحَسَنِ ، وَشَهِدُوا لَهُ بِالْفَضْلِ ، مِثْلُ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

تَمَنَّا أَنَّا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ تَحَالَّ بَيَاضَ الْأُمَمِ السَّرَابَا
فَقَدْ لَاقَيْنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا
ومثل قول ابن الدمينة :

أَبِيحُ أَفِي يُمَنِّي بِدَيْكِ جَمَلَتْنِي فَأُفْرِحَ أَمْ صَبَّرْتَنِي فِي شِمَالِكِ
أَبَيْتُ كَأَنِّي بَيْنَ شِقَينِ مِنْ عَصَا حِذَارِ الرَّدَى أَوْ حِجَّةٍ مِنْ زِيَالِكِ
تَعَالَتْ كُنْ أَشْجَى وَمَا بِكَ عَاةٌ تُرِيدُنِي قَتْلِي قَدْ ظَنَرْتُ بِدَلِكِ
فَإِنَّكَ لِأَجْمَدَ سَبِيًّا هَذَا الْحَسَنُ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَيْكَ ، وَيَعْلَا عَيْنُكَ : إِلَّا تَوْخِيءُ
تِلْكَ الْمَعَانِي . وَتَوْفِيَةٌ حَقُوقُهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَتْ الْمَزِيَّةُ بِوَاجِبَةٍ لِهَذِهِ الْمَعَانِي فِي أَنْفُسِهَا ،

مُخْتَلِفٌ ، فَإِنَّ مَقَامَاتِ الْكَلَامِ مُتَفَاوِتَةٌ ، فَمَقَامُ كُلِّ مِنَ التَّنْكِيرِ ،
وَالْإِطْلَاقِ ، وَالتَّقْدِيرِ ، وَالذِّكْرِ ، يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ : وَمَقَامُ الْفَصْلِ يُبَيِّنُ
مَقَامَ الْوَصْلِ ، وَمَقَامُ الْإِعْجَازِ يُبَيِّنُ مَقَامَ خِلَافِهِ ؛ وَكَذَا خِطَابُ الذِّكْرِ مَعَ
خِطَابِ النِّبِيِّ . وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ ، وَارْتِفَاعٌ شَأْنٌ

ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام ، ثم بحسب موقع بعضها
من بعض ، فرب تنكير مثلاً له مزية في لفظ ، وهو في لفظ آخر في غاية الفج
(فظهر) لك أن البلاغة صفة في الكلام بها يقع التفاضل ويثبت الإعجاز ، وإذا
كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها إلا للفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة ، بل
الألفاظ باعتبار إقاداتها للمعاني : أي للأغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام
(وكثيراً ما) تسمى تلك الصفة فصاحة أيضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر
بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ
(قال) وما يشهد لذلك أنك لا تشك إذا فكرت في قوله تعالى : (وقيل بأرض
ابلعى مائد وباسماء أقلمى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي
وقيل بعداً للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذي ترى وتسمع ،
أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا للامر يرجع إلى تركيبها ، وأن
الفضل نتائج ما بينها وحصل من مجموعها ، فإن ارتبعت في ذلك فتأمل هل ترى
لفظة منها لو أفردت من بين أخواتها لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها
من الآية ؟ وما يؤيد ذلك أنك ترى للكلمة تؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها
تثقل عليك في موضع آخر . وهاك مثالا يشهد بصحة ذلك ، وهو أنه قد جاءت
لفظة الشيء مقبولة حسنة في قول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى الزَّمَنُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَا شَيْءٌ لَا يَمِلُّ التَّقَاضِيَا

الْكَلَامِ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبُولِ بِطَبَقَتِهِ لِلإِعْتِبَارِ الْمُنَاسِبِ ، وَانْحِطَاطُهُ
بِعَدَمِهَا ؛ فَمَقْتَعَى الْحَالِ هُوَ الإِعْتِبَارُ الْمُنَاسِبُ ؛ فَالْبَلَاغَةُ رَاجِعَةٌ إِلَى اللَّفْظِ
بِإِعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ لِلْمَعْنَى بِالْتَّرْكِيْبِ ؛ وَكَثِيرًا مَا يُسَمَّى ذَلِكَ فَصَاحَةً أَيْضًا وَلَهَا
طَرَفَانِ : أَعْلَى وَهُوَ حَدُّ الإِعْجَازِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، وَأَسْفَلُ وَهُوَ مَا إِذَا
غَيَّرَ الْكَلَامُ عَنْهُ إِلَى مَا ذُوْنَهُ التَّحَقُّقَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ بِأَصْوَاتِ الْحَيَوَانَاتِ ؛
وَبَيْنَهُمَا مَرَاتِبٌ كَثِيرَةٌ ؛ وَتَتَّبِعُهَا وَجُوهٌ آخَرُ تُورِثُ الْكَلَامَ حُسْنًا .

وجاءت ضعيفة مستكرهة في قول المتنبي :

لَوْ أَنَّكَ الدَّوَّارُ أَبْضَضْتَ سَعِيَّةَ لَعَوْفَةٍ شَيْءٍ عَنِ الدَّوَّرَانِ

فلو كانت الكلمة إذا استحققت المزية والشرف استحققت ذلك في ذاتها وعلى
انفرادها لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إما أن تحسن أبدأ أو لا تحسن أبدأ .
وهناك دليل ثالث ، وهو أنا نعلم أن النبي عليه السلام تحدث بالعرب بفصاحة
القرآن ، ولو كانت عائدة إلى الالفاظ لكان قد تحدثهم بالموجود عندهم في الماضي
والحاضر . ودليل رابع وهو أن العالم بلغة من اللغات لا يحتاج في التناقص بفرداتها
إلى الزوية . وهذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله ﴿ تكملة ﴾ هذه تنف
في البلاغة ثلثة من البلغاء . قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تفرير المعنى في الألفاظ
من أقرب وجوه الكلام . وقال الرمانى : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن
صورة من اللفظ . وقال ابن المعتز : البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام .
وقال إعرابى : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل
على كثير . هذا والبلغ عمره الله من تراه يعبث بالكلام ويقوده بألين زمام .
ومن إذا أنشدته مثل قول البحرى :

وفي التشكُّم مَلَكةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى تَأْيِيفِ كَلَامِهِ بِيَعْنِي . فَمِنْ أَنْ كَانَ بَيْعِ
فَصِيحٌ ، وَلَا عَكْسَ ، وَأَنَّ الْبَلَاغَةَ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْخَطَا فِي تَأْيِيفِ
الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَإِلَى تَمْيِيزِ الْفَصِيحِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالثَّانِي مِنْهُ مَا يَبَيِّنُ فِي

بَلَوْنَا زَيْبًا مَنْ قَدْ تَرَى فَإِنْ رَأَيْنَا لَيْتَحَ ضَرِيْبَا
هُوَ الْمُرَادُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا تَعَزَّوْا وَشَيْكََا وَرَأْيَا صَبِيْبَا
تَنْقَلَّ فِي حُلُقَى سُودِدَ مَمْلَحَا مُرْجَى وَبَأْسَا مَرْيَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِجَا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَشِيْبَا

أَنقُلْ لَهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْأَرِيْحَةُ عِنْدَهُ ؛ لِإِذْ يَرَى شِعْرًا دَنَا حَتَّى اطْمَعَ ، وَنَأَى حَتَّى
امْتَنَعَ ، وَلَا غُرُوَ فَالْبَحْرَى هُوَ الَّذِي ضَرَبَ فِي قَدَاحِ الشَّعْرِ بِأَعْلَى السَّهَامِ ، وَأَخَذَ
فِي عِيُونِ الْفَضْلِ بِأَوْفَى الْأَفْسَامِ ، وَشَعْرُهُ هُوَ الَّذِي يَتَرَقَّرُ فِيهِ مَاءُ الطَّلْعِ وَيَرْتَفِعُ
لَهُ حِجَابُ الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ (مَلَكَةُ) الْمَلَكَاتِ هِيَ الصِّفَاتُ الرَّاحِمَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَكَرُّارِ
الشَّيْءِ (وَهُوَ) أَيْ مَقْتَضَى الْحَالِ (مَقَامَاتُ الْكَلَامِ) أَيْ أَحْوَالُهُ (فَقَامَ كُلُّ مَنْ
التَّنْكِيرُ الْخ) أَيْ فَالْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ التَّنْكِيرُ بِيَاثِنِ الْحَالِ الَّذِي يَنْسَبُ التَّعْرِيفُ
وَهَكَذَا (وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ صَاحِبَتِهَا مَقَامٌ) وَإِذَا فَلَا يَلْزِمُنِي اللَّامُ أَنْ يَصْنَعَ مَا يَخَالِفُ
ذَلِكَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَعْنَى لَوْ اسْتَبْدَلَ بِقَوْلِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عِيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَقَاعٍ مَحْرُوقٍ
قَوْلُهُ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ مَتَحَرِّقَةٍ ، لِنَبَا عَنْهُ الطَّلْعُ ، وَأَنْكَرَتْهُ النَّفْسُ كُلَّ الْإِنْكَارِ .
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّهُ لَا يَشِبُّهُ الْفَرَضُ وَلَا يَلِيقُ بِالْحَالِ ، حَيْثُ أَنَّ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ هُنَاكَ
مَوْقِدًا يَتَجَدَّدُ مِنْهُ الْإِلْهَابُ وَالْإِشْعَالُ حَالًا خَالَا . وَإِذَا قِيلَ مَتَحَرِّقَةٍ كَانَ الْمَعْنَى

عِلْمٌ مِّنَ اللَّغَةِ ، أَوْ التَّصْرِيفِ ، أَوْ النَّحْوِ ، أَوْ يُدْرِكُ بِالْحُسِّ ، وَهُوَ مَاعَدَا
التَّعْقِيدِ الْمُنَوَّيِّ . وَمَا يُخْتَرَزُ بِهِ عَنِ الْأَوَّلِ عِلْمُ الْمَعَانِي ، وَمَا يُخْتَرَزُ بِهِ عَنِ
التَّعْقِيدِ الْمُنَوَّيِّ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَمَا يُعْرَفُ بِهِ وَجُوهُ التَّحْيِينَ عَلَيْهِ الدِّيْع .
وَكَثِيرٌ يُسَمَّى الْجَمِيعَ عِلْمُ الْبَيَانِ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَمِّي الْأَوَّلَ عِلْمَ الْمَعَانِي ،
وَالْآخِرَيْنِ عِلْمَ الْبَيَانِ ، وَالثَّلَاثَةَ عِلْمَ الدِّيْع .

﴿العلم الأول علم المعاني﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يَهَابِقُ مُقْتَضَى
الْحَالِ . وَيَنْحَصِرُ فِي ثَمَانِيَةِ أَبْوَابٍ : أَحْوَالُ الْإِسْنَادِ الْخَبَرِيِّ ، أَحْوَالُ
الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ، أَحْوَالُ الْمُسْنَدِ ، أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ، الْقَصْرُ ، الْإِنْشَاءُ

على أن هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة لحسب . وقس على هذا مثله
(للاعتبار المناسب) ألا الذي اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة ، أو بحسب
تتبع تراكيب الباء ، وهو الخصوصيات (وما يقرب منه) ظاهر عبارة المتناح
أنه معطوف على هو والضمير في منه عائد إلى الأعلى ويكون حد الإعجاز خيراً
عنهما . وهو صحيح ، فإن النزول فيه ماهر متناه في البلاغة وما هو دون ذلك ،
وكلاهما وقع به الإعجاز (وأسفل) قال الرازي : وليس من اللاعة في شيء
(التحق الخ) وإن كان صحيح الإعراب (لأن كل بليغ فصيح ولا عكس)
أما عبد القاهر فإنه يرى أن الفصاحة والبلاغة والجزالة والبراعة ألفاظ مترادفة
(والثاني) أي تمييز النصيح من غيره (بالحس) هو الذوق (الأول) يعني الخطأ
في تأدية المعنى المراد (أحوال اللفظ) أي الأمور العارضة له من التقديم

الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب ، والشاؤفة . لأنَّ الكلامَ إما خَيْرٌ
أو إِنْشَاءٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ انْتِسَبَتِهِ خَارِجَ تَطَابُقِهِ أَوْ لَا تَطَابُقَهُ خَيْرٌ ، وَإِلَّا
فإِنْشَاءٌ . وَالْخَيْرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُسْنَدٍ إِلَيْهِ وَمُسْنَدٍ وَإِنْشَادٍ ، وَلِلْمُسْنَدِ قَدْ يَكُونُ
لَهُ مُتَعَلِّقَاتٌ إِذَا كَانَ فِعْلًا أَوْ فِي مَعْنَاهُ ؛ وَكُلٌّ مِنَ الْإِنْشَادِ وَالْتِمَاقِ إِمَّا
يَقْصُرُ أَوْ يَبْغِي قَصْرًا ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ قُرِنتْ بِأُخْرَى إِمَّا مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهَا
أَوْ غَيْرُ مَعْطُوفَةٍ ، وَالْكَلَامُ الْبَلِيغُ إِمَّا زَائِدٌ عَلَى أَصْلِهِ الْمُرَادِ لِفَائِدَةٍ ،
أَوْ غَيْرُ زَائِدٍ .

« تنبيه » صِدْقُ الْخَيْرِ مُطَابَقَتُهُ لِلْوَاقِعِ ، وَكَذِبُهُ عَدَمُهَا ؛ وَقِيلَ
مُطَابَقَتُهُ لِعَقِيدَةِ الْمُخَيْرِ وَلَوْ خَطَأً ، وَعَدَمُهَا ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ
الْمُتَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ .

والتأخير . والتعريف والتذكير ، والفصل والوصل ، وغير ذلك مما سيأتي تفصيله
(لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه خير) يعجبي قول بعضهم :
الخير هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات
(أو في معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك .
(تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم إشارة ما إلى ذلك
في قوله تطابقه أو لا تطابقه (مطابقتهم للواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه
التحويل (وقيل) القائل النظام (ولو أخطأ) أي غير مطابق للواقع (بدليل
أن كان المتافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه في قولهم إنك لرسول الله وإن
كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وللنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد

وَرَدَّ بَأَنَّ الْمَعْنَى لِكَاذِبُونَ فِي الشَّهَادَةِ ، أَوْ فِي تَسْمِيَّتِهَا ، أَوْ فِي الْمَشْهُودِ بِهِ .
شعرهم .

« الْجَاهِظُ » مُطَابَقَتُهُ مَعَ الْإِعْتِقَادِ ، وَعَدَمُهَا مَعَهُ ، وَغَيْرُهُمَا لَيْسَ
بِعَدِيقٍ وَلَا كَذِبٍ ، بِدَلِيلٍ : أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ . لَأَنَّ الْمَرَادَ

أمرأ فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روى
عن عائشة أنها قالت فيمن شأنه كذلك : ما ذنب ولكنه وهم ، ورد بأن المنق
تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيب الكافر كاليهودى إذا قال الإسلام
باطل وتصديقه إذا قال الإسلام حق كداني الإيضاح (وى الشهادة) لأن المعنى
نشهد شهادة وأطأت فيها قلوبنا ألهمتنا ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة
اسمية ، فالتكذيب فى قولهم نشهد وادعائهم المواطأة لافى قولهم إنك لرسول الله
(أوى تسميتها) أى فى تسميتهم إخبارهم شهادة . لأن الإخبار إذا خلا عن
المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة (أوى المشهود به) يعنى قولهم إنك لرسول الله
(فى زعمهم) لأنهم يعتقدون أنه خبر على خلاف ماعليه حال المخبر عنه فكأنه
فيل لأنهم يزعمون أنهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق (الجاهظ) حاصل مذهب
إليه أن الخبر ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لأن
الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، وإما غير مطابق مع
الاعتقاد أو عدمه ، فالأول أى المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أى
غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب ، والثانى والرابع أى المطابق مع عدم
الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصديق ولا كاذب ،
فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقتها مع
اعتقاده . وغيرهما ضربان مطابقتها مع عدم اعتقاده وعدم مطابقتها مع عدم

بأنه عَيَّرَ الكَذِبَ . لِأَنَّهُ قَسَمَهُ ، وَغَيَّرَ الصِّدْقَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَقَبَّلُوهُ
وَرَدَّ بَأَنَّ الْمَعْنَى أَمْ لَمْ يَفْتَرِ ، فَعَيَّرَ عَنْهُ بِالْجَنَّةِ ، لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا أَفْتِرَاءَ لَهُ .

﴿أَحْوالُ الْإِسْنَادِ الْخَبَرِيَّةِ﴾

لَا شَكَّ أَنَّ قَصْدَ الْمُخْبِرِ تَحْيِيرُهُ : إِفَادَةُ الْمُخَاطَبِ . بِمَا الْحُكْمُ . أَوْ كَوْنُهُ

اعتقاده (بالتالي) أى الإخبار حال الجنة (بأن المعنى أَمْ لَمْ يَفْتَرِ) فيكون التقسيم
للخبر الكاذب في نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أى من يريد
الإخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فإنه قد يقصد التحير والتحزن . في القرآن
حكاية عن امرأة عمران : رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى . وَفِيهِ حِكَايَةٌ عَنْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ
السلام : رَبِّ إِنِّي وَهِنَ الْعَظْمِ مِنِّي . وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمًا^(١) أَحْبَبِي إِذَا رَمَيْتِ أَصَابِي سَبْعِي
فَلَيْتَ عَفْوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَّالًا وَلَيْتَ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصوداً للخبر بخبره
لا يستلزم تحققه في الواقع وهذا مغزى قول من قال : إن الخبر لا يدل على
ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه أنه لا يفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فإن
ذلك هو مفهوم الكلام بلا ريب ولا يصح إنكاره ، فإننا إذا قلنا زيد قائم
فمفهومه ثبوت القيام زيد ، وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوماً للفظ أصلاً
بل احتمال عقل من جهة محضة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أى

(١) أميم : متاذى مرخم .

عالمًا به ؛ ويُسمى الأولُ فائدةَ الخبرِ ، والثاني لازِمَها ، وقد يُنزلُ العالمُ
بِهما منزلةَ الجاهِلِ لِعَدَمِ جَرِيهِ عَلَى مُوجِبِ الْعِلْمِ : فينبغي أن يقتصرَ من
التَّركيبِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ ، فَإِنْ كَانَ خَالِي الدَّهْنِ مِنَ الْحِكْمِ وَالتَّرَدُّدِ فِيهِ
أَسْتغْنَى عَنْ مُوَكَّدَاتِ الْحُكْمِ ، وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالَمَا لَهُ ، حَسَنَ
تَقْوِيَتِهِ بِمَوْكِدٍ ، وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ ،

الخبر (ويسمى الأول فائدة الخبر والثاني لازمها) قال السكاكي : والأول
بدون هذه نتميم وهذه بدون الأولى لا تمتنع كما هو حكم اللازم المجبور .
المساواة ، أي يمتنع أن لا يحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الأول
منه لا امتناع حصول الثاني قبل حصول الأول مع أن سماع الخبر من الخبر
كاف في حصول الثاني منه ، ولا يمتنع أن لا يحصل الأول من الخبر نفسه عند
حصول الثاني منه لجواز حصول الأول قبل حصول الثاني وامتناع حصول
الخاص (وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل) فيلحق بإليه الكلام كما باقى إلى
الجاهل . وقد ورد كثير . أن ينزل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لأغراض ترجع إلى
التسوية بينه وبين الجاهل . تعبيراً له وتقييداً لحاله . وإن شئت فعليك بكلام
رب العزة . ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به أنفسهم لو كانوا يعلمون . وانظر كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم
على سبيل التوكيد القسوى وآخره ينفية عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم (فينبغي)
أي إذا كان الغرض الأصلي من الكلام ما تقدم فينبغي الخ (فإن كان الخ) أصل
هذا الكلام ما أجاب به أبو العباس عن قول الكندي المتفلسف إلى لأجد في
كلام العرب حشواً ، يقولون عبد الله قائم وأن عبد الله قائم وأن عبد الله لقائم
والمعنى واحد بأن قال بل المعاني : مختلفة فبعد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن
عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله قائم جواب عن إنكار

كَأَنَّ نَعَالِي حِكَايَةِ عَنْ رَسُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ سَكَدُوا فِي الْمَرَّةِ
الْأُولَى : إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ، وَفِي الثَّانِيَةِ إِنَّ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَيُسَمَّى
الضَّرْبُ الْأَوَّلُ ابْتِهَائِيًّا ، وَالثَّانِي طَلَبِيًّا ، وَالثَّلَاثُ إِنْكَارِيًّا ؛ وَإِخْرَاجُ
السَّلَامِ عَلَيْهِ إِخْرَاجًا عَلَى مُفْتَضَى الظَّاهِرِ ، وَكَثِيرًا مَا يُخْرِجُ الْكَلَامَ عَلَى
خِلَافِهِ ، فَيُجْعَلُ غَيْرُ السَّائِلِ كَالسَّائِلِ ، إِذَا قَدَّمَ إِلَيْهِ مَا يُلَوِّحُ لَهُ بِالْخَبَرِ
فَيَسْتَشْرِفُ لَهُ اسْتِشْرَافَ الْمُتَرَدِّدِ ، الطَّالِبِ ، نَحْوُ : وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ
ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ . وَغَيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْمُنْكَرِ ، إِذَا لَاحَ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ ، نَحْوُ :

منكر (إخراج الكلام عليها) على الوجوه المذكورة وهي الخلو من التأكيد
في الأول والتقوية بمؤكد استحساناً في الثاني ووجوب التأكيد بحسب الإنكار
في الثالث (بلوح) يشير (له) أى لغير السائل (فيستشرف له) أى فيتطلع
غير السائل للخبير ، وأصل الاستشراف أن ينظر الإنسان إلى الشيء رافعاً رأسه
بأسطأ كفه على عينه كالمتق لشماع الشمس (نحو ولا تخاطبني) الخطاب لنوح
أى لا تكلمنى يا نوح فى شأن قومك ولا تشفع فى دفع العذاب عنهم ، فهذا بلوح
بالخبير تلويحاً ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد
المخاطب فى أنهم صار محكوماً عليهم بالإغراق أم لا . فقيل لأنهم معرقون مؤكداً
ونحوه : وما أرى نفسى إن النفس لأماراة بالسوء وصل عليهم إن صلاتك سكن
لهم ، ومثل هذا قول بعض العرب :

فَقَبَّ وَهَى لَكَ الْقِدَاءُ : إِنَّ غِنَاءَ الْإِبِلِ الْخِدَاءُ

نَجْدٌ شَقِيقٌ عَارِضٌ رَحْمَةٌ إِنَّ بَنِي عَمَلِكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ
وَالْمَسْكِرُ كَثِيرُ الشُّكْرِ إِذَا كَانَ مَعَهُ مَا إِنَّ تَأَمُّلَهُ ارْتَدَعَ ، نَحْوُ :
لَا رَيْبَ فِيهِ .

ومنه قول بشار بن برد :

بَكَرًا سَاحِجِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحُ فِي التَّبَكِيرِ
وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض (نحو جاء
شقيق) فإن مجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رُجحه عرصاً دليلاً على إعجاب
شديد منه واعتقاده أنه لا يفوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس
مع أحد منهم ربح . والبيت للحجل بن فضلة أحد بني عمرو بن عبد القيس بن معن
وهو أحد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ، ومثل البيت قوله تعالى :
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، مؤكداً بأن واللام وإن كان مما لا ينسکر لأن تمامهم
في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده من أمارات الإنسكار (نحو لا ريب
فيه) أي ليس مظ للريب لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث
لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه . ومقتضى صنيعه في الإيضاح إن ذلك تنظير لتزليل
الشيء منزلة عدمه فينبغي كما نزل الإنكار منزلة عدمه فنفي مقتضاه وهو التأكيد
(تمسكة) قال الشيخ عبد الفاهر : قد تدخل كلمة إن للدلالة على الظن قد كان
منك أي المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك الشيء هو عرأى من المخاطب
ومسمع : إنه كان من الأمر ما ترى ، وكان مني إلا فلان إحسان ثم إنه جعل
جزأى ما رأيت ، فتجملك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين
الخطأ الذي توهمت . ومن خصائصها أن ضمير الشأن معها حسناً ولطفاً
ليس بدونها بل لا يصلح إلا بها وذلك في مثل قول رب العزة : إنه من يتق

وهكذا اعتبارات النقي « في الإسناد » به حقيقة عقلية ، وهي

وأيضا . فإنها لاتعمى الأبصار ، ومن لطيف ذلك ما تجده في آخر هذه الآيات التي أوردتها الجاحظ لبعض الحجازيين :

إِذَا طَمَعُ بَوْمًا نَحَرَانِي قَرِينُهُ كَتَاتِبُ يَأْسٍ كَرَمًا وَاطَّرَادَهَا
أَكْثَدُ ثِمَادِي وَلِبَاءَهُ كَثِيرَةٌ أَعَالِجُ مِنْهَا حَقَرَهَا وَاكْتَبَدَا ذَهَابًا^(١)
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخَرٍ إِنَّهُ هُوَ الرَّيُّ أَنْ تَرْمِي النُّفُوسَ ثِمَادَهَا
وما تضمنه إن في الكلام أنك تراها تبيء التكرة لأن تكون مبتدأ كقولها :

إِنَّ شَوْلًا وَنُشُوءَ وَحَبِيبَ الْبَازِلِ الْأُمُونِ^(٢)

وإن كانت التكرة مؤسوفة تراها مع أن أحسن كقولها :

إِنَّ دَهْرًا يَنْتَفِخُ بِسَعْدِي لَوْ مَنَنْتَ بِهِمُ بِالْإِحْسَانِ

ومن تأثير إن في الجملة أنها تفني عن الخبر نحو :

إِنَّ تَحَلًّا وَإِنَّ مَرْتَحَلًا وَإِنَّ فِي النَّفْسِ إِنْ مَضَوْا مَهَلًا

فلو أسقط إن لم يحسن الحذف أو لم يسغ (وهكذا اعتبارات النقي) فيستغنى عن التأكيد في الابتدائي ويحسن تأكيد في الطائي ، ويجب تأكيد في بحسب الإسكار في الإنكارى ويخرج الكلام فيه على خلاف مقتضى الظاهر والمثل ظاهرة (نعم الإسناد منه الخ) اعلم أن سبب تسمية الإسناد في هذين القسمين من الكلام عقليا هو استناده إلى العقل دون الوضع ، لأن إسناد الكلمة إلى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضح اللفظ ، فلا يصير

(١) : انما جمع نمد : وهو الماء القليل :

(٢) : المطية الموثقة الخلق المأمونة العثار .

إِسْنَادُ الْعَمَلِ أَوْ مَعْنَاهُ إِلَى مَا هُوَ لَهُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الظَّاهِرِ كَقَوْلِ الْمُؤْمِنِ :
أَنْبَتَ اللَّهُ الْبَقْلَ ، وَقَوْلِ الْجَاهِلِ : أَنْبَتَ الرِّبْعُ الْبَقْلَ ، وَكَقَوْلِكَ :
تَجَارَ لَدَوَاتٌ قَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَجِيءْ بِهِ مِنْهُ تَجَارٌ عَقْلِيٌّ وَهُوَ إِسْنَادُهُ إِلَى

ضرب خبراً عن زيد بواضع اللغة بل من قصد إثبات الضرب فعلا له وإنما
الذي يعود إلى واضع اللغة إن ضرب لإثبات الضرب لا لإثبات الخروج وأنه
لإثباته في زمان ماض وليس لإثباته في زمان مستقبل ، فأما تعيين من ثبت له
فإنما سعى من أراد ذلك من المخبرين ولو كان لغويا لكان حكما بأنه مجاز
في مثل قولنا خط أحسن مما وشى الربيع من جهة أن الفعل لا يصبح إلا من الحى
القادر حكماً بأن اللغة هي التي أوجبت أن يختص الفعل بالحى القادر دون الجاد
في ذلك مما لا شك في بطلانه (أو معناه) المراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم
الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظرف (في الظاهر) متعلق
بقوله له وإنما قال في الظاهر ليشمل ما لا يطابق اعتقاد المتكلم بما يطابق الواقع
وما لا يطابقه ، فأقسام الحقيقة العقلية أربعة مثل ثلاثة منها وهي ما يطابق الواقع
والاعتقاد جميعاً ، وما يطابق الاعتقاد فقط ، وما لا يطابق الواقع والاعتقاد .
أما مثال ما يطابق الواقع فقط فقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه :
خَلَقَ اللَّهُ الْأَعْمَالَ كُلَّهَا (أَنْبَتَ الرِّبْعُ الْبَقْلَ) مثله قول الكفار : وما يهلكنا
إلا الدهر ، فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنه متأول بل أطلقه بجهله
وعماه إطلاقاً من يضع الصفة في موضعها لا يوصف بالمجاز ، ولكن يقال عند
قائله إنه حقيقة وهو كذب وباطل (مجاز عقلي) ويسمى مجازاً حكماً ومجازاً
في الإثبات وإسناداً مجازياً (إسناده) أى الفعل أو معناه (بتأول) متصل

مُلَاسِي لَهُ غَيْرَ مَا هُوَ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ؛ وَلَهُ مُلَاسَتَاتُ شَيْءٍ ، يُلَاسِي الْفَاعِلُ
وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، وَالْمَصْدَرُ ، وَالزَّمَانُ وَالْمَكَانُ ، وَالسَّبَبُ : فَيُسَادَهُ إِلَى الْمَفْعُولِ
وَالْمَفْعُولِ بِهِ ، إِذَا كَانَ مَبْنًى لَهُ ، حَقِيقَةً ، كَمَا مَرَّ ، وَإِلَى غَيْرِهَا لِلدَّلَالَةِ

بإسناده ، والتأول من آل إلى كذا رجع إليه ومعناه تطب المسأل من الحقيقة
أوالوضع الذي إليه من العقل وحاصل . ذلك أن تنصب قرينة صارفة للإسناد
على أن يكون إلى ما هو (وله) أى للفعل . . واعلم ، أن هذا الضرب من المجاز
على حدته كثر من كنوز البلاغة وذخر يعمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المنطق
والخطيب المصقع ، وربما يدور بخلدك أن الإبداع فيه أمر يستطيعه كل الناس
وينجم هذا الظن من أنك ترى الرجل يقول آتى في الشوق إلى لفائفك ، وسار في
الحنين إلى رؤيتك ، وأشياء ذلك مما تجده لشهرته يجرى مجرى الحقيقة التي
لا يشكك أمرها ، وهو عمرك الله على خلاف ما ترضى فإنك لتراد يدن ويلطف
حتى يتمتع . ثم على الفحول البزل ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأتق
لها . . وهذا ، وليس كل شيء يصلح لأن تنعاطى فيه إيجاز العقلي بسهولة بل
تجدك في كثير من الأمر وأنت تحتاج إلى أن تهيب الشيء وتضاه له بشيء
تتوخاه في النظر كقول من يصف جبلا :

تَنَاسَ طِلَابَ الْعَامِرِيَّةِ إِذْ نَأَتْ بِأَنْسَجَحٍ مِرْقَالِ الضُّحَى قَلْبُ الصَّغِيرِ^(١)

(١) الأبيح : الرقيق المشفر . ومِرْقَال الضحى : أى يسرع السير في الضحى
وهو وقت الحر . والضفر : حزم الرجل .

بحار . كَقَوْلِهِمْ عَيْشَةُ رَاضِيَةٌ ، وَسَيِّلُ مُنْعَمٌ ، وَشِعْرٌ شَاعِرٌ ، وَنَهَارُهُ
حَسَنٌ ، وَنَهْرٌ جَدْرٌ ، وَبَقِيَ الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ : وَقَوْلُنَا بَتَأْوِيلٍ يُخْرِجُ مَا مَرَّ
مِنْ قَوْلِ الْجَاهِلِ ، وَلِهَذَا لَمْ يُحْمَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ :

إِذَا مَا أَحْسَنُهُ الْأَفَاعِي تَحَبَّرَتْ شَوَاةُ الْأَفَاعِي مِنْ مُثَلَّةٍ مُنْمَرٍ (١)
تَجُوبُ لَهُ الظَّلَاءُ عَيْنٌ كَأَنَّهَا رُبَّاجَةٌ شَرِبَ غَيْرُ مَالَى وَلَا صِفَرٍ
يريد أن يبتدى بنور عينه في الظلمات ويمكنه بها أن يخرقها ويمضي فيها
ولو لاها لكانت الظلاء كالسد الذي لا يجد السائر شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه
فيها سديلاً ، فلو لا أنه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما صلحت العين لأن يستند
«تجوب» إليها ولكان لاثنين جهة التجوز في جماع تجوب فعلا العين كما ينبغي ،
وكذلك لو قال تجوب له الظلاء عينه لم يكن له هذا الموقع ولا اضطرب عليه
معناه . واقطع السالك من حيث كان يعبه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به
الآن (منم) أي غلوه ، سامحة ، قال الشيخ عبد القاهر : وبما طريق المجاز فيه
الحكم قول الحنفية :

تَرَعَتْ مَا رَعَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ
وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإقبال غير معناهما فتكون قد تجاوزت في نفس
الكلمة وإنما المجاز في أن جعلتها لكثرة ما تدبر وتقبل كأنها تجسمت من الإقبال
والإدبار ، وليس أيضاً على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ولأن
كانوا يذكرونه منه ، إذ لو قلنا أريد إنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر

(١) يقول إذا سار ليلاً وأحسّت به الافاعي وهي بعيدة عن جحورها
تخبرت : أي تلتوت ، شواتها : أي أطرافها أو انقبضت جلدها وتنتحت ، والمثلية :
السر . يريد أخفاها التي تلها للسير على الحجازة .

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ كَرَّ الْقَدَاةَ وَمَرَّ النَّشِيءِ
 عَلَى الْمَجَازِ ، مَا لَمْ يُعْلَمْ أَوْ يُظَنَّ أَنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَرِدْ ظَاهِرُهُ ، كَمَا اسْتَدْرَكَ
 عَلَى أَنْ إِسْنَادَ مِيزَ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجَّارِ :

مِيزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعٍ جَذَبَ اللَّيَالِي أَبْطَغَى أَوْ أَسْرَعَ
 مَجَازُ بِقَوْلِهِ عَفِيبُهُ : * أَفْنَاهُ قِيلَ لِلَّهِ لِلشَّمْسِ أَطْعَمِي * (وَأَقْسَمَهُ

على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مفصول وإلى كلام عاى مردول لا مساغ له عند
 من هو صحيح الذوق ، صحيح المعرفة ، ناسبة للبيان (نحو قوله أشاب) وقول
 أبي الإصبع :

أَهْلَكْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِمَّا وَالذَّهْرُ يَفْدُو مَصْمَعًا جَدَا
 (أشاب) هو للصلتان العبدى الشاعر الحامى وبعده :

إِذَا لَيْسَ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَنِي
 تَرُوحُ وَتَفْدُو لِعَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُصِي
 تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةُ مَا بَقِيَ
 (ميز) قبله :

قَدْ أَصْبَحْتَ أُمَّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبَا كُلِّهِ لَوْ أَصْنَعُ
 مِنْ أَنْ رَأَيْتُ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَصْنَعِ

ميز : أى فصل عنه أى عن رأسه ، والقنزع : الشعر المتجمع فى نواحي الرأس .
 وجذب الليالى : مضيا وتعاقبا ، وقوله أبطغى أو أسرعى : حال من الليالى على
 تقدير القول أى مقولا فيها ويصور أن يكون الأمر بمعنى الخبر (أفناه) تمامه

أربعة (لأن طرفيه إما حقيقتان . نحو : أنبت الزرع البقل ، أو مجازان
نحو : أحيا الأرض شباب الزمان ، أو مختلفان ، نحو : أنبت البقل شباب
الزمان ، وأحيا الأرض الزرع : وهو في القرأين كثير : وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيماناً ، يذبح أبناءهم . ينزع عنهم لباسهما ، يوماً يجعل

* حتى إذا وازاك أفق فارجمي *

(لأن طرفيه) وهما المسند والمسند إليه (حقيقتان) لغويان (نحو أنبت
الربيع البقل) مثله قوله :

* وشيبت أيام الفراق مفارقي *

وقول جرير :

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناهم
(مجازان) لغويان (نحو أحيا الأرض شباب الزمان) فإن المراد بالحياة
الأرض لإحداث النضرة والحضرة الناشئة عن تهييج القوى المنمية فيها ،
والإحياء في اللغة : إعطاء الحياة ، وهي صفة تقتضي الحس والحركة الإرادية .
والمراد بشباب الزمان : زمان ازدياد قواها المنمية ، والشباب في اللغة : كون
الحيوان في زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة (وأحيا الأرض الربيع)
مثله قول أبي الطيب :

ونحيي له الدال الصوارم والقند ويقتل ما ينحي التيسم والجنداً

جمل الزيادة والوفور حياة للسال . وتفريقه في العطاء قتلاً له . ثم أنبت
الإحياء فعلاً للصوارم ، والقتل فعلاً للتيسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما ، ونحوه
قولهم : أهلك الناس الدينار والدرهم ، جعلت الفتنة إهلاكاً ثم أنبت الإهلاك
فعلاً للدينار والدرهم (وإذا تليت الخ) فأنت القمل في جميع ذلك لما لا يثبت له .

الرَّيْثَانِ شَيْبًا ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَغَيْرَ مُخْتَصِرٍ بِطَلَبِ بَانَ
يُخْرِى فِي الْإِنشَاءِ نَحْوُ : يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا . وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَوْنِيَّةٍ
لَفْظِيَّةٍ ، كَامَرٍ ، أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ ، كَأَسْتَحَالَةَ قِيَامِ الْمُسْتَدِّ بِالْمَذْكُورِ عَقْلًا
كَقَوْلِكَ : حَبَّبْتُكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ ، أَوْ عِدَّةَ نَحْوُ : هَزَمَ الْأَمِيرُ الْجُنْدَ ،
وَصَدَّوْهُ عَنِ الْمُوَحِّدِ فِي مِثْلِ : أَشَابَ الصَّغِيرَ . وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ إِمَّا

فَعْلٌ . إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْمَقُولِ ، عَلَى مَعْنَى السَّبَبِ (أَثْقَالَهَا) مَا كُنْزَ فِيهَا وَأَوْدَعَ
جَوْفَهَا (نَحْوُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي صَرْحًا) فَأَثْبَتَ الْبِنَاءَ لِهَامَانَ وَإِنَّمَا هُوَ الْعَمَلَةُ
وَهَامَانَ أَمْرٌ (كَامَرٌ) يَرِيدُ قَوْلَ أَبِي النُّجُمِ : أَفْنَاهُ قِيلَ اللَّهُ : (بِالْمَذْكُورِ) أَيْ
بِالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ الْمَذْكُورُ مَعَ الْمُسْتَدِّ (وَمَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ) قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ :
اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ فِي هَذَا الْمَجَازِ أَنْ يَكُونَ لِلْفِعْلِ فَاعِلٌ فِي التَّقْدِيرِ إِذَا أَنْتَ
أَسَدَدْتَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ عَدَتْ بِهِ إِلَى الْحَقِيقَةِ ، مِثْلُ أَنَّكَ تَقُولُ فِي رِجْلِ تِجَارَتِهِمْ :
وَبِحَوْأٍ فِي تِجَارَتِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَتَأَنَّى فِي كُلِّ شَيْءٍ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ
أَنْ تُثَبِّتَ الْفِعْلَ فِي قَوْلِكَ أَقْدَمَنِي بِذَلِكَ حَقٌّ لِي فَاعِلًا سِوَى الْحَقِّ ، وَكَذَا
لَا نَسْتَطِيعُ فِي قَوْلِهِ

وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

وقوله يزيدك وجهه ، ألبيت ، أن تزعم أن له فاعلاً قد نقل عنه الفعل لجعل
للهمي ولوجهه ؛ فالاعتبار إذن بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً
في الكلام على حقيقته . معنى ذلك أن القدوم متواجد على الحقيقة ، وكذلك
الصيرورة والزيادة موجودتان على الحقيقة . وإذا كان معنى اللفظ موجوداً

ذَهِرَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فَدَرَيْخَتْ تَحْرُسُهُمْ ، أَيْ هَذَا رَجُلًا فِي تَجَارِسِهِمْ ،
وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ ، كَمَا فِي قَوْلِكَ : سَرَّتَنِي رُؤْيَاكَ ، أَيْ سَرَّتَنِي اللَّهُ عِنْدَ رُؤْيَاكَ
وَقَوْلِهِ : يَزِيدُكَ وَجْهًا حَسَنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم . قال الرازي : فيه نظر
لأن الفعل لابد من أن يكون له فاعل حقيقة لا امتناع صدور الفعل لا عن
فاعل . وهو إن كان ما أسند إليه الفعل فلا مجاز ولا فيمكن تقديره . فزعم
السكاكيني أن الخلق في جانب الرازي ، وأن فاعل هذه الأفعال هو الله تعالى
، نعمه المصنف في ذلك ، قال التفتازاني : وفي ظني أن هذا تكلف والحق ما ذكره
الإمام . وهذا صحيح لأن تقدير الفاعل الموجود ، وهو الله تعالى ، في مثل هذه
الأفعال تقدير آلم لا يقصد في الاستعمال . ولا يتعلق به الغرض في التراكيب
(يزيدك) مؤلفي نواس من قصيدة يهجو فيها الأعراب لتعتقه النساء
دون الغلمان . ومثله قول حاجز بن عوف :

أَبِي عَبْرَ الْفَوَارِسَ يَوْمَ دَاجِمٍ وَغَمِّي مَالِكٌ وَضَعَنِي سِيَهَا مًا^(١)
فَوَيْ صَاحِبَتِنَا لَرَضِيَّتْ عَنَّا إِذَا لَمْ تَعْبُقِ الْمَائَةُ الْعُلَامَا^(٢)

يريد إذا كان العام عام جذب ، وجفت ضروع الإبل ، حتى إن حلب منها
مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد . فالفعل هو الذي غبق

-
- (١) عبر الفوارس : وزنها وعرف عددها وقوتها ، واحتمال بعد ذلك
بالهزيمة عندما عرفه العدو حتى رجع إلى قومه وكانوا كامنين ، فثاروا على
أعدائهم وقتلهم . ويوم داجم : أي يوماً داجياً ، أي مطلقاً بالسحاب .
(٢) أي إذا لم يكف لبن مائة ناقة لغبوق غلام واحد ، أي عند الجذب .

أَيَّ بَرِيدِكَ اللَّهُ حُسْنًا فِي وَجْهِهِ : وَأَنْكَرَهُ السَّكَائِيُّ ذَاهِبًا إِلَى أَنَّ
مَأْمَرًا وَنَعْوَةً اسْتِعَارَةً بِالسَّكْنَاءِ ، عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالرَّبِّيعِ الْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ
يَقْرِينَهُ نِسْبَةً الْإِنْبَاتِ إِلَيْهِ ، وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ غَيْرُهُ . وَفِيهِ نَظَرٌ : لِأَنَّهُ
يَسْتَلْزِمُ أَنَّ يَكُونَ الْمَرَادُ بِعَيْشَةٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ، صَاحِبُهَا
كَاسِيًا يَتَى . وَأَنَّ لَا تَصِحَّ الْإِضَافَةُ فِي مَحْوِ نَهَارِهِ صَائِمٌ ، لِطِلَافِ الْإِضَافَةِ
الشَّيْءُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَأَنَّ لَا يَكُونَ الْأَمْرُ بِالْبِنَاءِ لِهَاطَمَانَ ، وَأَنَّ يَتَوَقَّفَ نَعْوَةُ :

مستعمل في نفسه على حقيقته ، والمجاز في إسناده إلى الإبل وجعله فعلا لها
(وَأَنْكَرَهُ السَّكَائِيُّ) وهاك ما قاله : الذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك
الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي ،
بوساطة المبالغة في التشبيه وجعل نسبة الإنبات إليه قرينة للاستعارة ، ويجعل
الأمير المذمر لأسباب هزيمة العدو ، استعارة بالكناية عن الجند المهزوم
وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة (وفيه نظر) إن ما أورده المصنف
على مذهب السكاكي لا يتم إلا إذا كان المراد بالمشبه نفس المشبه به حقيقة
والسكاكي صرح بأن المراد المشبه به ادعاء فاعرف هذا حتى تكون على بصيرة
من الأمر ، نعم قد ردوا مذهب في الاستعارة بالكناية بما يصعب دفعه
وسير بك في محله (أن يكون المراد بعيشة صاحبها) وهو باطل إذ لا معنى
لقولنا فهو صاحب عيشة (كاسيائي) يريد تفسير الاستعارة بالكناية
على مذهب السكاكي (وأن لا تصح الإضافة) لأن المراد بالنهار حينئذ فلان
نفسه . يعني وقد وقعت هذه الإضافة في البليغ من الكلام : فادرجت بحارهم
(وأن لا يكون الأمر بالبناء لهامن) لأن المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم
والملازم باطل ، لأن النداء له والخطاب معه (وأن يتوقف) لأن أسماء الله

أَبَتَ الرَّيِّحُ الْبَقْلَ عَلَى السَّمْعِ : وَالْوَاوُ كُتْلًا مُنْتَفِيَةً ؛ وَلَا تَأْتِي بِنَقْصٍ
يَحْوِي : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، لَا شَيْئَالَهُ عَلَى ذِكْرِ طَرَفِي التَّشْبِيهِ .

في أحوال المسند إليه

أما حذفه : فَلِلْإِحْتِرَازِ عَنِ الْعَيْثِ بِنَاءً عَلَى الظَّاهِرِ ، أَوْ تَخْيِيلِ
الْعُدْوِي إِلَى أَقْوَى الدَّلِيلَيْنِ مِنَ الْعَقْلِ وَاللِّفْظِ كَقَوْلِهِ :

توقيفية ، بمعنى وليس كذلك ، لأن مثل هذا التركيب صحيح شائع ، سمع من
الشارع أو لم يسمع (لا شئاله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة
كما صرح به السكاكي ، لكن أجابوا عن هذا بأن ذلك إنما يكون مانعاً إذا كان
ذكرهما على وجه يفهم عن التشبيه مثل زيد أسد ، وبعد ، فقط اعتاد السكاكي
أن يخالف أئمة البلاغة فيما لا غناء في مخالفتهم فيه ، وما كان أغنانا عن معرفة
مذهبه هذا . وحبذا عمل المصنف لو أنه جعله دبر أذنه (أما حذفه) قال
عبد القادر يصف الحذف : إنه لعجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فأنك ترى به
ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجسّدك
فإنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين (فللاحتراز الخ)
يقول : إن المسند إليه — بعد أن تدل عليه القرينة — تختلف مقاصد البلغاء
من حذفه ، فإذرة يكون الغرض التحريز عن العيب ، لأن ذكره يمد عبثاً
لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به ، وأخرى يكون لتخييل أن في تركه تمويلاً
على شهادة العقل ، وفي ذكره تمويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وكثيرين
الشهادتين ، إلى آخر ما ذكره . هذا . وإنما قال تخييل لأن الدال حقيقة

« قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيٌّ » أَوْ اخْتِيارَ تَنْبُهُ السَّامِعِ عِنْدَ الْقَرِيْبَةِ ، أَوْ مَقْدَارِ تَنْبُهُ ، أَوْ إِيهَامِ صَوْتِهِ عَنْ لِسَانِكَ ، أَوْ عَكْسِهِ ، أَوْ تَأْتِي الْإِنْكَارَ لَدَى الْحَاجَةِ ، أَوْ تَعْيِيْنِهِ ، أَوْ ادْعَاءِ التَّعْيِيْنِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ،

عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرائن (قال لي) تمامه :

« سهر دائم وحزن طويل » فلم يقل أنا علي للاحتراز أو التخييل . وربما يكون الحذف لغير ذلك لأن لكل امرئ في باب البلاغة مانوى (أَوْ إِيهَامِ صَوْتِهِ عَنْ لِسَانِكَ) تعظيماً له (أَوْ عَكْسِهِ) أى إِيهَامِ صَوْنِ لِسَانِكَ عَنْهُ تحقيراً له (أَوْ تَأْتِي) أى تيسر الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار ، نحو نذل لثيم ، عند قيام القرينة على أن المراد زيد ، ليتأتى لك أن تقول ما أردت زيداً بل غيره (أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رام وشفشة (١) أعرفها من أخزم ، أو على ترك نظائره كما في الرفع على المدح أو الذم أو الترحم ، فإنهم لا يكادون يذكرون فيه المبتدأ ، قال :

مُحَمَّدٌ حَلَوٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمُقَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيْرَةِ حَيْثُ شَاؤَا
بُنَاءٌ مَبْكَارٍ وَأُسَاءٌ كَلَمٌ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ

وقال الحماسي :

رَأَى عَلَى مَابَى عُجَيْلَةً فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسَهَ سَكَا - دَرَّ

(١) هو لاني أخزم الطائي وكان له ابن عاق يقال له أخزم . فمات وترك

بنين ، فوثبوا يوماً على جدهم أبي أخزم فأدموه فقال :

لَنْ يَبْنَى ضَرْجُونٌ بِاللَّمِّ شَفْشَشَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

يعنى أن هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق ، والشفشة : الطيبة والعادة .

وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلْيَكُونِ الْأَصْلَ وَلَا مُتَقَنِّيَ لِّلْعُدُولِ عَنْهُ ، أَوْ لِلِإِحْتِيَاطِ

عَلَامَةً رَمَاهُ اللَّهُ بِالتَّخِيرِ بِأَفْعَاءَ لَهُ سَمِيَاءَ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ
وقال الأفيشر في ابن عم له موسر سأله فذمه ، فشكاه إلى القوم وذمه ،
فوثب إليه ابن عمه ولطمه :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ
حَرِيعٌ عَلَى الدُّنْيَا مُضِيعٌ لِلدِّينِ وَلَيْسَ لِمَا فِي يَمِينِهِ بِمُضِيعٍ
ومنه قولهم — بعد أن يذكروا الرجل — فقي من شأه كذا وكذا ، وأغر
من صفته كيت وكيت كقوله :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَأَخْتُ مَنِيْقِي أَيَادِي لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَقِي عَيْدٌ بِحُجُوبِ الْفَقِي عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرُ الشُّكُوَى إِذَا النُّعْلُ رَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنَيْهِ حَقٌّ تَجَلَّتِ
وقوله :

فَقِي كَانَ يُدْنِيهِ الْفَقِي مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَفْتَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
فَقِي لَا يَبْدُو لِلَّالِ رَبًّا وَلَا تُرَى بِهِ جَفْوَةٌ إِنْ نَالَ مَا لَا وَلَا كِبَرُ
فَقِي كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقًّا إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجَزُرُ
وقول جميل :

وَهَلْ لُنَيْنَةٌ يَا لِلنَّاسِ قَاصِدِي دَنِي وَفَاعِلَةٌ خَيْرًا فَأَجْزِيهَا
تَرَوْنُو بَعِيْنِي مَهَا أَفْصَدْتُ بِهِمَا قَلْبِي عَشِيَّةً تَرْمِي وَأَزْمِيهَا

لِصَفِّ التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى غَبَاوَةِ السَّامِعِ ، أَوْ زِيَادَةِ
الِإِبْضَاحِ وَالتَّقْرِيرِ ، أَوْ إظهارِ تَعْظِيمِهِ ، أَوْ إِهَانَتِهِ ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِذِكْرِهِ ، أَوْ
اسْتِغْلَازِهِ ، أَوْ بَسْطِ الْكَلَامِ حَيْثُ الْإِصْنَاءُ مَطْلُوبٌ ، نَحْوُ : هِيَ عَصَا .

هَيْفَاهُ مُقْبِلَةٌ عَجَزَاهُ مُدْبِرَةٌ رَبِّا الْعِظَامِ بِلَيْنِ الْمَيْشِ غَاضِبِيهَا
وبعد أن يذكروا الديار والمنازل : ربيع كذا وكذا ، قال :

اعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ وَهَاجَ أَهْوَاؤُكَ لِلْكُنْهَةِ الطَّلُلُ
رَبْعٌ قَوَاهُ أَدَاعٍ لِلْمَعْصِرَاتِ بِهِ وَكَلَّ حَيْرَانَ سَارِمَاؤُهُ حُضِلُ (١)

وهذه طريقة مستمرة عندهم . وهذا ، ومن لطيف الحذف قول بكر
ابن النطاح :

الْمَيْنُ مُبْدِيَ الْحُبِّ وَالْبُقْصَا وَتُظْهِرُ الْإِبْرَامَ وَالنَّفْصَا
دُرَّةٌ مَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْهَوَى وَلَا رَحِمْتَ الْجَسَدَ الْمُنْفَى
غَضَنِي وَلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَطْعَمُ الْبَارِدَ أَوْ تَرْضَى

التقدير هي غضي . وهذا شعر يمزج بأجزاء النفوس ، ويصل إلى القلوب
بلا آذان (أو إظهار تعظيمه أو إهانتة) كما في بعض الأسماء المحمودة أو المذمومة
(حيث الإصغاء مطلوب) أي في مقام يكون إصغاء السامع مطلوباً للتكلم

(١) أذاع المعصرات : أنزلت ماها بكثرة . والحيران الساري : هو
المرن يجرى ليلاً .

وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ فَيَا لِمَقَامٍ : لِأَنَّ الْمَقَامَ لِلتَّكْلِيمِ أَوْ الْخُطَابِ أَوِ الْعَبِيَّةِ . وَأَصْلُ
الْخُطَابِ أَنْ يَكُونَ لِمَعْنَيْنِ ، وَقَدْ يُتْرَكُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَعْمَ كُلَّ مُخَاطَبٍ نَحْوُ :
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، أَى تَنَاهَتْ حَالُهُمْ
فِي الظُّهُورِ ، فَلَا يَخْتَصُّ بِهَا مُخَاطَبٌ . وَبِالْعَلَمِيَّةِ لِإِحْصَايِهِ بَعِيْنَهُ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ .

لشرفه ، ولذلك يطال الكلام مع الأحبا . (للتكلم) كقول بشار :
أَنَا أَمْرُعْتُ لَا أَحْقَى عَلَى أَحَدٍ ذَرْتُ فِي الشَّمْسِ لِلْقَاصِي وَلِلدَّائِي (١)
(أَوِ الْخُطَابِ) كقول الحماسي :

وَأَنْتَ الَّذِي أَحْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي . وَأَثَمْتُ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
(أَرِ النِّبْيَةَ) لَكُونِ السَّنَدُ إِلَيْهِ مَذْكُورًا ، أَوْ فِي حَكْمِ الْمَذْكُورِ لِقَرِينَةٍ ،
كقول أبي تمام :

بِمَنْ أَمِي إِسْحَاقُ طَالَتْ يَدُ الْمَلِكِ . وَقَامَتْ قَنَاطَةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ
هُوَ الْبَعْرُ مِنْ أَى النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
وقوله تعالى : وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ . أَى وَلَا بُوَيْهِ الْمَيْتِ (لِمَعْنَيْنِ)
وَاحِدًا أَوْ كَثِيرًا (لِيَعْمَ كُلَّ مُخَاطَبٍ) عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ لِأَعْلَى سَبِيلِ التَّنَاقُلِ دَفْعَةً
وَاحِدَةً (نَحْوُ : وَلَوْ تَرَى) وَكَأَيُّ قَوْلٍ : فَلَانِ لَيْمَ إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ ، وَإِنْ
أَحْسَنْتَ لِمَالِهِ أَسَاءَ لِمَالِكَ ، فَلَا تَرِيدُ مُخَاطَبًا بَعِيْنَهُ بَلْ تَرِيدُ إِنْ أَكْرَمَ أَوْ أَحْسَنَ لِمَالِهِ
قَصْدًا إِلَى أَنْ سَوَّاهُ مَعَامَلَتَهُ لَا يَخْتَصُّ بِوَاحِدٍ دُونَ وَاحِدٍ (نَاكِسُوا رُءُوسَهُمْ)
مِنْ خِيَابِ وَالْخُرَى (بِهَا) أَى بِرُؤْيَا حَالِهِمْ (وَبِالْعَلَمِيَّةِ) أَى تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ لِمَالِهِ

(١) كَانَ بشار يلقب بِالْمُرْعَثِ لِرُعْتِهِ كَانَتْ لَهُ فِي صَفَرِهِ ، وَالرُعْتَةُ : الْقِرْطُ
الْبَنِي يَدْعُو فِي شَهْمَةِ الْأُذُنِ . وَذَرْتُ الشَّمْسُ : طَامَتْ .

ابتدأه بِاسْمٍ مُخْتَصٍ بِهِ ، نحو : قل هو الله أحد ؛ أو تعظيم أو إهانة أو
كناية ، أو إيهام استلذاذه ، أو التبرُّك به أو نحو ذلك . وبالمَوْصُولِيَّةِ
لِعَدَمِ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِالأَحْوَالِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ نِسْوَى الصَّلَاةِ ، كَقَوْلِكَ : الَّذِي
كَانَ مَعْنَى أَبْنَى رَجُلٍ عَالِمٌ . أو استهجان التصريح بالاسم ، أو زيادة

بإيراده علماً (نحو : قل هو الله أحد) هو ضمير الثان مبتدأ أول والله مبتدأ
ثان والجملة خبره ، فقد ورد المسند إليه علماً لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً
بجميع مشخصاته التي قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها ، باسم خاص به تعالى ،
ونحوه قول الشاعر :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ قَفْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيمٌ غَنَاهُ
وقول الآخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ مَرِيدٍ
(أو تعظيم أو إهانة) كافي الكنى والألقاب المحمودة والمذمومة (أو كناية)
حيث الاسم صالح لها ، وما ورد صالحاً للكناية من غير باب المسند إليه
قوله تعالى : تَبْتَ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ، كناية عن كونه جهنمياً (أو إيهام استلذاذه) .
نحو قوله :

يَا اللَّهُ يَا ظُلُمَاتِ الْقَاعِ قُلْنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
(أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره في الإعلام كالتفاؤل والتطهير ،
(أو استهجان التصريح بالاسم) قال السكاكي : والعدول عن التصريح
باب من البلاغة يصار إليه كثيراً ، وإن أورث تطويلاً . يحكى عن
شريح أن عدى بن أرطاة أتاه معه امرأة له من أهل الكوفة يخاضعها ،

التقرير نحو : وَرَأَوْنَاهُ الَّذِي هُوَ فِي بَيْتِنَا عَنْ نَفْسِهِ ، أَوْ التَّغْصِيمِ نَحْوُ :
فَعَسَيْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ مَا تَسْهَبُونَ ، أَوْ تَنْبِيهِ الْمُخَاطَبِ عَلَى خَطَايَا نَحْوُ :

فلما جلس بين يدي شريح قال عدى : أين أنت ؟ قال بينك وبين الحائط . قال : إني
أمرؤ من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال وأنى قدمت العراق ، قال : خير
مقدم ، قال : وتزوجت هذه ؟ قال : بالرفاء والبنين ، قال : وإنها ولدت
غلاماً ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وأردت أن أتقها لى دارى ، قال : المرء
أحق بأهله ، قال : قد كنت شرطت لها وكرها ، قال الشرط أملك . قال :
أقض بيننا ، قال : فعات ، قال : فملى من قضيت ؟ قال : على ابن أملك : عدل
شريح عن لفظ عليك لثلا يواجه بالصرح على ما يشق على المخاض من القضاء
عليه (نحو وروادته) فالكلام مسوق لزيادة طهارة ذيله والمذكور
أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا . وعما هو نص في زيادة تقرير الغرض
المسوق له الكلام في غير المسند إليه بيت السقط :

أَعْبَادُ الْمَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عِبِيدُ مَنْ خَلَقَ الْمَسِيحَا

فإنه أدل على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله (نحو :
فهمشيم) وقوله تعالى : وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَفَتْ إِكْرَاسُهَا مَا أَغْنَى : ومثله قوله :

مَقَى بِهَا مَا مَقَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا وَفِي الرَّجَاجَةِ بَاقِي بَطْلُ الْبَاقِي

ومنه في غير هذا الباب بيت الحماسة :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعِدْ

فإن ما مفعول ، وقول أبي نواس :

وَلَقَدْ تَهَرَّتْ مَعَ الثَّوَالِيقِ يَدَايُيْ وَأَسْمَتْ سَرَحَ النَّهْوَ حَيْثُ أَسْمَاوُ

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ ۖ يَشْفِي غَيْبًا ضَدُّورِهِمْ أَنَّ تَضَرَّعُوا
أَوِ الْإِيمَاءَ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَيْرِ نَحْوُ : إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَذَخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۖ ثُمَّ إِنَّهُ رَبَّمَا جَعَلَ ذُرِّيَّةَ إِلَى الْقَرِيبِ بِالْمَعْظِمِ
لشأنه نحو :

وَبَلَّغْتُ مَا بَلَغَ أُمُرُو بِشَبَابِهِ فَإِذَا غَضَبَةٌ كُلُّ ذَلِكَ أَنَّهُ (١)

(نحو : إن الذين) فيه من التنبيه على خطئهم في هذا الظن ما ليس في
قولك إن القوم الغفلا . والبيت لعبدة بن الطيب من قصيدة يعظ فيها بنيه
(أو الإيماء إلى وجهه ببناء الخير) يقول : قد يعرف المسند إليه بالموصولية لما
في صلته من الإشارة إلى نوع الخير من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم مثلا .
وحاصله أن يؤتى بالفاصلة على وجه يذهب الغفان على الخاتمة نحو : إن الذين
يستكبرون الآية ، ففي مضمون الصلة الذي هو الاستكبار إيماء إلى أن الخير
أمر من جنس الإذلال والعقوبة : قال السكاكي : ثم يتفرع على هذا اعتبارات
لطيفة ، ربما جعل ذريعة إلى التمريض بالتعظيم كقولك : الذي يرافئك يستحق
الإجلال والرفع والذي يرافئك يستحق الإذلال والصفع ، ومنه قولهم جاء (٢)
بعد التيسار التي ، أو بالإهانة كما إذا قايت الخير في صورتين ، وربما جعل

(١) أئام : كلام ، جزاء الإيماء .

(٢) قال السكاكي في فصل الإيجاز : وقول العرب جاء بعد التيسار والتي
بترك صلة الموصول لا يثاراً للإيجاز تنبيهاً على أن المشار إليهما بالتيسار والتي وهي
الحقنة ، والتدائد بلغت من شدتها وفضاعة شأنها ، مبلغاً يهت الواصف معها
حتى لا يحير بلبت شفة .

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَكَ سِتًّا دَعَائِمَهُ أَعْرَ وَأَصُولُ
أَوْ شَأْنٍ غَيْرِهِ نَحْوُ : الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ
وَبِالْإِشَارَةِ لَتَمَيِّزِهِ أَكْمَلَ تَمَيِّيزِ نَحْوِ قَوْلِهِ :
* هَذَا أَبُو الصَّقَرِ قَرَدًا فِي مَحَابِسِهِ *

ذريعة إلى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق : إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ : البيت
فإن فيه إيماء إلى أن الخبر المبني عليه أمر من جنس الرفعة والبناء : ثم في هذا
الإيماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث أنه فعل من رفع السماء ، أو تعظيم
شأن غير الخبر نحو : الذين كذبوا شعبيًّا كانوا هم الخاسرين ، ففيه إيماء إلى أن
الخبر المبني عليه أمر من جنس الحسران ، وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب .
وفي هذه الاعتبار كثرة ، فلم لها حول ذكائك . وهذا ، وقد يقصد بالموصول
الحث على التعظيم نحو : جاء الذي عليك ، أو التحقير نحو : جاء الذي سألك
أو النهك كقوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ . ولطائف هذا
الباب لا تكاد تضبط (لتمييزه أكبر تمييز) لفرض من الأغراض كأن يكون
في مقام المدح وفي حال لإجراء أو صاف الرفعة ونعوت الأثرة (نحو هذا
أبو الصقر) مثله قوله :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ شَخْصَ صَيْفٍ مُقْبِلٍ مُقَسَّرِي سِرِّ بَلِّ لَيْلٍ أُغْبِرِ
أَوْ مَا إِلَى الْكُرْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ تَحَوَّرَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تَحَوَّرِي
وقول المتنبي :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَوَّأُوا أَحْسَنُوا لَنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَدَدُوا شَدُّوا

أَوْ التَّعْرِيسِ بِمِثْلِهِ السَّامِعِ كَقَوْلِهِ :

أُولَئِكَ آبَائِي فَحِثِّي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا بِأَجْرٍ الْجَامِعِ

أَوْ بَيَانِ حَالِهِ فِي الْقُرْبِ أَوْ الْبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ : كَقَوْلِكَ : هَذَا أَوْ ذَلِكَ أَوْ ذَاكَ زَيْدٌ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ بِالْقُرْبِ نَحْوُ : أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ أَهْتَكُمُ ؛ أَوْ تَعْلِيلِهِ بِالْبُعْدِ نَحْوُ : أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ أَوْ تَحْقِيرِهِ كَمَا يُقَالُ : ذَلِكَ اللَّعِينُ فَعَلَّ كَذَا ، أَوْ لِلتَّنْبِيهِ عِنْدَ تَعْقِيبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى أَنَّهُ جَدِيرٌ بِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ أَجْلِ نَحْوُ : أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمْ .

والبيت لابن الرومي وتماهه من نسل شيخان بين الضال والسلم هو الضال : هو السدر ، والسلم : شجر ذو شوك ، وهما من شجر البوادي ، وأشار بذلك إلى ما تتبادر به العرب من سكنى البادية لأن العز مفقود في الحضر (أو التعريض بعبادة السامع) وأنه لا يتميز الشيء عنده إلا بالחס (أولئك آبائي) هو للفرزدق من قصيدة يفخر فيها على جرير (نحو هذا أو ذلك أو ذاك) فهذا زيد في حال القرب وذلك في حال البعد وذاك في حال التوسط ، وإنما أخر لأنه إنما يتحقق بعد تحقيق الطرفين (أهذا الذي يذكر أهلكم) مثله قوله تعالى : وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وقوله تعالى ، وهو من غير باب المسند إليه : ماذا أراد الله بهذا مثلا . وقول الشاعر :

تَقُولُ وَدَقَّتْ صَدْرَهَا بِنَمِيمِهَا أَبْشَلِي هَذَا بِالرَّحَا لِمَتَّقَاعِ^(١)

(نحو ذلك الكتاب) ذهاباً إلى بعد درجته ، ونحوه : فذلكم الذي لمنقني فيه ، لم نقل فهذا — وهو حاضر — رفعا لمزلته في الحسن وتمهيدا للعذر في الافتتان به (نحو : أولئك على هدى) فقد عقب المشار إليه وهو المتقين (١) المتقاعس : الذي يخرج صدره ويدخل ظهره .

أَشْفِئُونَ . وَيَاللَّهِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَقْهُودٍ ، نَحْوُ : وَلَيْسَ الَّذِي كَرِهْنَا نَحْنُ

بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ، ثم عرف المسند إليه بالإشارة تنبيهاً على أن الإشارة إليهم أحقاه بما يرد بعد أولئك وهو كونهم على الهدى عاجلاً والفوز والفلاح آجلاً من أجل اتصافهم بالأوصاف المذكورة...
ومثل ذلك قول عروة بن الورد :

لَمَّا اللَّهُ صَمُّوْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافٍ لِلْمَشَاشِ^(١) أَلَيْلًا كُلَّ مَحْزَرٍ
يَسَامُ ثَقِيلًا ثُمَّ يَصْبِيحُ قَاعِدًا يَحْتَ الْخَصَى عَنْ جَنبِهِ التَّعَمُّرُ
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ فَيُضْحِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ
وَلَكِنْ صَمُّوْكَ صَفِيحَةً وَجْهِهِ كَصَوْنِ سِرَاجِ الْقَابِسِ التَّنَوُّرِ
مُطِلًّا بَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجَرُ الْمُنِيحِ الْمَشْهُرِ
وَإِنْ بَعْدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفُ أَهْلِ الْقَائِبِ الْمُتَنَظَّرِ
فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمُنِيَّةَ يَلْقَاهَا حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَفِنِ يَوْمًا فَاجْذَرِ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله ، فذلك فأفاد أنه حري بما ذكر بعده لأجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقديم ذكره صريحا أو كناية كافي الآية ، أو لعلم المخاطب به نحو : إذ هما في الغار

(١) المشاش جمع مشاشة : قيل هي رهوس المفاصل مثل الركبتين ، وفي إضافة مصاف إلى المشاش من التكم ما لا يخفى . والمحزر : موضع جزر الإبل . والمتعمر : المترب . والبعير المحسر : هو المعنى . وقوله وإن يبدوا الخ : على التقديم والتأخير ، أراد لا يأمنون اقترابه وإن بعدوا .

أَيَّ لَيْسَ الَّذِي طَلَبْتَ كَأَنِّي وَهَبْتُ لَهَا ، أَوْ إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ كَقَوْلِكَ :
الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ؛ وَقَدْ يَأْتِي لِوَاحِدٍ بِإِعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ كَقَوْلِكَ :
أَدْخُلِ السُّوقَ حَيْثُ لَا عَهْدَ ؛ وَهَذَا فِي اللَّغَى كَالنَّسْكَرَةِ ، وَقَدْ يُفِيدُ

وَنَحْوُ : إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَكَقَوْلِكَ لِمَنْ فَوْقَ سَهْمَا : الْقِرَاطَسُ .
أَوْ لِحُضُورِهِ نَحْوُ هَذَا الرَّجُلِ ، يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ (أَيَّ لَيْسَ الَّذِي الْخ) أَيْ لَيْسَ الذَّكْرُ
الَّذِي طَلَبْتَهُ امْرَأَةٌ عِمْرَانُ كَالْأُنْثَى الَّتِي وَهَبْتُ لَهَا ، أَيْ بِاللَّامِ فِي الْأُنْثَى لِإِشَارَةِ إِلَى
مَعْبُودِ تَقْدِمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَدًّا إِلَيْهِ
لأنَّهُ مَجْرُورٌ بِالْكَافِ ، وَاللَّامُ فِي الذَّكْرِ لِإِشَارَةِ إِلَى مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ كَنَائِبَةٍ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى : رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ، فَإِنْ لَفْظُ مَا وَإِنْ كَانَ يَعْنِي الذَّكُورَ
وَالْإِنَاثَ إِلَّا أَنَّ التَّجْرِيرَ ، وَهُوَ أَنْ يَمْتَقِ الْوَلَدَ لِحُدُومَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، لِأَنَّمَا كَانَ
لِلذَّكُورِ دُونَ الْإِنَاثِ (إِلَى نَفْسِ الْحَقِيقَةِ) بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عُمُومِهَا وَخُصُوصِهَا
(الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ) مِثْلُهُ الدِّينَارُ خَيْرٌ مِنَ الدِّرْهِمِ وَقَوْلُ الْمُعَرِّي :

وَأَدْخُلِ كَلَامَهُ يُبْدِي لِي تَهْمَانِيَّةً مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخَفِّفُهَا مَعَ السَّكَدَرِ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى ، وَهُوَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ : وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ .
أُنْثَى جَعَلْنَا مُبْدَأَ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ هَذَا الْجِنْسَ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ (يَأْتِي) أَيْ الْمَعْرِفَ
بِلَامِ الْحَقِيقَةِ (بِإِعْتِبَارِ عَهْدِيَّتِهِ فِي الذَّهْنِ) لِطَبَاقَتِهِ الْحَقِيقَةِ (أَدْخُلِ السُّوقَ)
فَأَشِيرَ بِاللَّامِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَكِنْ فِي ضَمْنِ بَعْضِ الْإِفْرَادِ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى ذَلِكَ
وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَأَعَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ (فِي الْمَعْنَى) وَأَمَّا فِي اللَّفْظِ فَتَجَرَّى
عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمَعَارِفِ مِنْ وَقُوعِهِ مُبْتَدَأً وَذَا حَالٍ وَوَصْفًا لِلْعَرَفَةِ وَمَوْصُوفًا بِهَا
وَنَحْوُ ذَلِكَ (كَالنَّسْكَرَةِ) فَيُعَامَلُ بِمَا مِلَتْهَا وَيُوصَفُ بِأَجْلَةٍ كَقَوْلِهِ :

* وَقَدْ أَمَرَ عَلَى النَّاسِ يَسْتَنِي *

الاستفراق ، نحو : « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » وَهُوَ ضَرْبَانِ : حَقِيقٌ ، نحو :

• وإنما لم يقل نكرة لما بينهما من تفاوت ما ، وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفراد الحقيقة وهذا معناها نفس الحقيقة ، وإنما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والاكل فيما مر (نحو إن الإنسان) فأشير باللام إلى الإنسانية في ضمن كل فرد من أفرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لأن شرطه دخول المستثنى منه لو لم يذكر هذا . والحاصل أن المراد باسم الجنس المعروف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه من الافراد وهو تعريف الجنس والحقيقة ، ونحوه علم الجنس كأسمية ، وإما فرد معين وهو العهد الخارجي . ونحوه العلم الخاص كزبد ، وإما فرد غير معين وهو العهد الذهني ونحوه النكرة كرجل ، وإما كل الافراد وهو الاستفراق . ونحوه لفظ كل مضافاً إلى النكرة كقولنا كل رجل . (وبعد) فقد قال أستاذنا الشيخ محمد عبده في تفسير سورة والعصر : إن الاستفراق بأل في لسان العرب ليس كالاستفراق بلفظ كل وإيست أل مساوية لكل التي تضاف إلى النكرة ويراد بها تعميم الحكم في جميع أفراد الجنس ، وإنما يراعى في أل استفراق المعهود عند المخاطبين ، لأنها في لسانهم للعهد . وتعريف الجنس إما في فرد أو أفراد ولن تضارق العهد أبداً وكذلك التي يسميها النحاة العهد الذهني ويتحيزون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم إن الفرق في اللفظ وإجراء أحكامه أما المعنى فلا فرق فيه ، وهو وهم فاسد . وهذا كلام من قتل اللغة علماً وأحاط بأسرارها خيراً (وهو) أي الاستفراق (حقيق) وهو أن يراد كل فرد عما يتناوله اللفظ لغة .

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَيْ كُلُّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ : وَعُرِفَتْ كَقَوْلِنَا : جَمَعَ الْأَمِيرُ الصَّاعَةَ ، أَيْ صَاعَةً بَلَدِهِ أَوْ مَمْلَكَتِهِ . وَاسْتَفْرَاقُ الْمَفْرَدِ أَشْمَلُ : بِدَلِيلِ حُجَّةٍ لِأَرْجَالٍ فِي الدَّارِ ، إِذَا كَانَ فِيهَا رَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ ، ذُوهُنَ لَرَجُلٍ . وَلَا تَنَافِي بَيْنَ الْإِسْتَفْرَاقِ وَإِفْرَادِ الْأَسْمِ ، لِأَنَّ الْحَرْفَ إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مُجَرَّدًا عَنْ مَعْنَى الْوَحْدَةِ ، لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كُلِّ فَرْدٍ لَا بِمَجْمُوعِ الْأَفْرَادِ ، وَهَذَا

(وعرف) وهو أن يراد كل فرد مما يتناول به اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى صاعقة بلده أو مملكته) لاصافة الدنيا (واستفراق المفرد أشمل) هذه العبارة قد أشار إلى مغزاها جارا الله الزمخشري في كشافه ، ومعناها أن اسم الجنس المفرد إذا دخلت عليه أداة الاستفراق كحرف التعريف أو النفي كانت شموله للأفراد أكثر من شمول المثني والجمع الداخل عليهما تلك الأداة وذلك أن المفرد يتناول كل واحد من الأفراد ، والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين ، ولا ينافيه خروج الواحد ، والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة ، ولا ينافيه خروج الواحد والاثنين . ودليل ذلك حجة : لأرجال في الدار إذا كان فيها رجل أو رجلان وعدم حجة لأرجل إذا كان فيها رجل أو رجلان . وهذا ، وقد قالوا إن كلام المصنف ، مسلم في التكررة النافية دون المعرفة باللام ، لأن الجمع المعرفة باللام الاستفراق يتناول كل واحد من الأفراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد (ولانتافي) هذا جواب عن سؤال أورده السكاكي وهو أن إفراد الاسم يناق أن تكون الأداة الداخلة عليه للاستفراق ، لأن الإفراد يدل على الوحدة . والاستفراق على التعدد (الحرف) الدال على الاستفراق كحرف النفي ولاء التعريف (عليه) أى على الاسم المفرد .

امتنع وصفه بنعت الجمع . وبالإضافة لأنها أخصر طريق نحو :

* هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ * أَوْ تَصْمِيهَا تَعْظِيمًا لِشَأْنِ
تُضَافِ إِلَيْهِ ، أَوْ اللَّضَائِبِ أَوْ غَيْرِهِمَا ، كَقَوْلِكَ عَبْدِي حَفَرَ ، وَعَبْدُ
الْخَلِيفَةِ رَكِبَ ، وَعَبْدُ السُّلْطَانِ عِنْدِي ؛ أَوْ تَخْفِيرًا نَحْوُ : وَلَهُ الْحِجَامُ حَاضِرٌ .

(امتنع وصفه بنعت الجمع) ولا اكتراث بما حكاه الأَخفش في الدينار الصفر
والدرهم البيض (لأنها الخ) أو لإغنائها عن تفصيل متعذر كقوله :

نَمُو مَطَرُ يَوْمِ الْفَقَاءِ كَأَنَّهُمْ اسْوَدَّ لَهَا فِي غَيْبِ حَفَّانٍ أَشْبَلُ
أَوْ لتضمنها اعتباراً لطيفاً مجازياً كقوله :

إِذَا كَرَّ كَرْبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُجْرَةٍ سَهِيلٍ أَذَاعَتْ غَزَلَهَا فِي الْقَرَائِبِ

(لأنها أخصر طريق) والمقام مقام اختصار (هَوَايَ) هو لجعفر بن عتبة
الحارثي من أبيات قالها وتماه :

* جَنِيبٌ وَجْهَانِي بِسَكَّةٍ مُوْتِقٌ *

ولهذه :

خَجِيبٌ لِسَرَاهَا زَأْنِي تَخَلَّصْتُ إِلَى وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقُ
أَلَمْتُ فَصَيْتُ ثُمَّ قَامْتُ فَوَدَّعْتُ فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتِ النَّفْسُ تَرْهَقُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَغَشَّيْتُ بَعْدَ سَمٍّ لِحْيِي وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَا أَنِّي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ
وَلَكِنْ عَرَّيْتَنِي مِنْ هَوَاكِ ضَالَّةُ كَأَنَّكَ أَلْتِي مِنِّي إِذَا أَنَا مُطْلَقُ

وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ فَلِلْإِفْرَادِ نَحْوُ : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى . أَوْ
النَّوْصِيَّةِ نَحْوُ : وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ . أَوْ التَّعْظِيمِ أَوْ التَّخْفِيرِ كَقَوْلِهِ :
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَائِلِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

والضمانه الحب والعشق ، بهوائى بمعنى مهوى ، فهو أخصر من الذى أهواه ،
ونحوه ، ومبعد ذاهب فى الأرض .

(فللافراد) وقد يتكرر لكون المقام غير صالح للتعريف إما لآنك لا تعلم
جهة من التعريف حقيقة أو تتجاهل ، وباب التجاهل فى البلاغة عريق ، وإن
شئت فانظر لفظ كان فى قول الخارجية :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالَتْ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
ماذا ترى ؟ ولما لانه يمنع من التعريف مانع كقوله :

إِذَا سَمِيتَ مِنْهُدَةً يَمِينٍ لِيَطُورِ الْخَمَلِ بِذَلِكَ شَمَالًا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السامة إلى يمين المندوح (رجل)
أى فرد من أشخاص الرجال (غشاة) أى نوع من الأغشية غير مايتعارفه الناس
وهو غطاء النعاس عن آيات الله ، ورأى السكاكى أن التذكير للتعظيم أى غشاة
عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الإدراك ، وهذا أليق
(له حاجب) أى له حاجب أى حاجب وليس له حاجب ما ومثله قوله :

وَلِلَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لَا أَضِيقُهُ وَلِللَّهِ مِنِّي وَأَتَخَلَّاهُ جَانِبٌ

والبيت لابن أبى السمط من آيات منها :

فَقَى لَا يَبَالِي الدُّلِيلُونَ بِنُورِهِ إِلَى أَبِيهِ أَنْ لَا تُغْنِيَ السَّوَاكِبُ
يَعْمُ عَنْ الْفَحْشَاءِ حَتَّى صُكَّاهُ إِذَا ذَكَرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ

أَوِ التَّكْثِيرِ كَقَوْلِهِمْ : إِنْ لَهُ لَا يَلَا وَإِنْ لَهُ كَذَنَّا . أَوِ التَّقْيِيلِ نَحْوُ :
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ؛ وَقَدْ جَاءَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّكْثِيرِ نَحْوُ : وَإِنْ
يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ ، أَيْ ذُوو عَدَدٍ كَثِيرٍ وَأَيَّاتٍ عَظِيمٍ .
وَمِنْ تَنْكِيرٍ غَيْرِهِ لِلْأَفْرَادِ أَوِ النُّوعِ نَحْوُ : وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ
مَاءٍ ، وَلِلتَّعْظِيمِ نَحْوُ : فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلِلتَّخْفِيرِ نَحْوُ : إِنْ
نَفَخْتُ إِلَّا ظَنًّا * وَأَمَّا وَصْفُهُ : فَلِكُونِهِ مُبَيَّنًّا لَهُ كَاشِفًا عَنْ مَعْنَاهُ ،

(ورضوان من الله أكبر) أى وشيء من رضوانه أكبر مما ذكر قبل من
الجنة ونعيمها لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه
من النعم ، وإنما تنها له برضاه ، كما إذا علم بسخطه تنفصت عليه ولم يجد لها لذة
وإن عظمت (للتعظيم والتكثير) معاً (غيره) أى غير المسند إليه (كل دابة
من ماء) أى كل فرد من أفراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع
الدواب أو كل من نوع من أنواع المياه . وهذا ، ومن تنكير غير المسند إليه للنكارة
وعدم التعيين قوله تعالى : أو اطرحوه أرضاً ، وللتقيل قول المتنبي :

فَيَوْمًا يَخِيلُ تَطَرُّدُ الْيَوْمِ عَنْهُمْ وَيَوْمًا يَجُودُ تَطَرُّدُ الْفَقْرِ وَالْجَدْبَا

أى بعدد نور من خيولك وشيء يسير من فيضان جودك . واعلم ، أنه
كما أن التنكير لإبهامه يفيد التعظيم والتخفيف والتقليل ، كذلك لمعنى البعض
كما فى قوله :

تَرَاكِ أُنْكِكَنَّةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ رَتَبْتُ بَعْضَ الثَّمُوسِ حَامِهَا

كقولك : الحُسْنُ الطَّوِيلُ العَرِيضُ العمِيقُ ، يَحْتَاجُ إِلَى قَرَارٍ يَشْمَلُهُ
وَنَحْوُهُ فِي الْكَشْفِ قَوْلُهُ :

الْأَلْمَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
أَوْ تَحَقَّقَا نَحْوُ : زَيْدُ النَّاجِرِ عِنْدَنَا ، أَوْ مَدْحًا أَوْ ذَمًّا نَحْوُ : جَاءَنِي
زَيْدُ الْعَالِمِ أَوْ الْجَاهِلِ حَيْثُ يَتَمَعَّنُ الْمُوصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ . أَوْ تَأْكِيدًا

أَرَادَ نَفْسَهُ ، وَنَحْوُ هَذَا كَلَامُ ذَكَرَهُ بَعْضُ النَّاسِ . وَنَحْوُ قَوْلِهِ : كَفَى هَذَا
الْأَمْرَ بَعْضَ اهْتِمَامِهِ (فِي الْكَشْفِ) وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْفًا لِلشَّيْءِ إِلَيْهِ (الْأَلْمَى)
فَالْأَلْمَى الْحَدِيدُ اللَّسَانُ وَالْقَلْبُ وَقَدْ أَبَاهُ بِقَوْلِهِ : الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ . حَكَى أَنَّ
الْأَصْمَعِي سَثَلَ عَنِ الْأَلْمَى فَأَثْبَتَ الْبَيْتَ وَلَمْ يَزِدْ : وَهُوَ لَاوُسُ بْنُ حَجَرٍ الْقَيْمِيُّ
مِنْ قَبِيلَةِ بَرْثَى بِهَا فَضَالَةٌ بِنُكْدَةٍ وَأَوَّلُهَا :

أَيْتَبَا النَّفْسَ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنْ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَفَّعَا
إِنْ الَّذِي جَمَعَ السَّجَاعَةَ وَالذَّجْجَدَةَ وَالْبَرَّ وَالنَّقَى جَمَعَا
أَوْ ذَى مَا تَنَفَّعَ الْإِشَاحَةَ مِنْ شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ يُخَاوِلُ الْمِدْعَا

الْإِشَاحَةُ : الْحَذَرُ ، وَالْبَدْعُ : الْأُمُورُ الْغَرِيبَةُ وَمِثْلُ الْبَيْتِ قَوْلُهُ : إِنْ الْإِنْسَانُ
خَلَقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ حَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . قَالَ الزَّخَشَرِيُّ : الْمَلْعُ :
سُرْعَةُ الْجُرْعِ عِنْدَ مَنْ الْمَكْرُوهُ ، وَسُرْعَةُ الْمَنَعِ عِنْدَ مَنْ الْخَيْرُ . مِنْ قَوْلِهِ نَاقَةٌ
هَلُوعٌ : سُرْعَةُ السَّيْرِ . وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :
مَا الْمَلْعُ ؟ قُلْتُ قَدْ فَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى (حَيْثُ يَتَمَعَّنُ الْخ) وَإِلَّا صَارَ الْوَصْفُ مُخَصَّصًا
وَهَذَا . وَقَدْ يَكُونُ الْوَصْفُ لِبَيَانِ الْمَقْصُودِ وَتَفْسِيرِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ دَانَةٍ

نحو: أَمْسِ الدَّائِرَ كَانَ يَوْمًا عَظِيمًا . وَأَمَّا تَوْكِيدُهُ : فَلِلتَّقْرِيرِ أَوْ دَفْعِ
تَوْهِمِ التَّجَوُّزِ أَوِ السَّهْوِ ، أَوْ عَدَمِ الشُّمُولِ * وَأَمَّا بَيَانُهُ : فَلِإِضَاحِهِ بِاسْمِهِ

في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . قال في الكشف : فإن قلت هلا قيل
وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم ، وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير
بجناحيه ؟ قلت : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط
في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها ، وللتقرير ، أى جعل المسند إليه
مستقراً محققاً ثابتاً بحيث لا يظن به غيره نجو جاءنى زيد زيد إذا ظن المتكلم
غفلة السامع عن سماع لفظ المسند إليه أو عن حمله على معناه (التجوز) أى التكلم
بالمحجاز (أو عدم الشمول) أى أو لدفع توهم عدم الشمول ، فأنت إنما تقول
جاء القوم كلهم ، لأنك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز أن يتوهم السامع
أنه قد تخلف بعضهم إلا أنك لم تعتد به ، أو أنك جعلت الفعل الواقع من
البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة :
فعامن وصنتم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل وأجمعين
بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، بناء على كثرة
الملائكة واستبعاد مجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يرداد
التعبير والتقريع على إبليس . واعلم أنهم لم يعنوا بقولهم التوكيد فييد الشمول
أنه يوجب من أصله وأنه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ وإلا لم يسم توكيداً
ولأنما المأمى أنه يمتنع أن يكون اللفظ المتضمن للشمول مستعملاً على خلاف
ظاهراً ومتجوزاً فيه (بيانه) أى تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه) وقد يجىء

مُخْتَصَرٌ بِهِ نَحْوُ : قَدِمَ صَدِيقُكَ خَالِدٌ . وَأَمَّا الْإِبْدَالُ مِنْهُ :
فَلِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ أَخُوكَ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ أَكْثَرُهُمْ ،
وَسَلِبَ عَمَرُو تَوْبَهُ . وَأَمَّا الْعَطْفُ : فَتَفْصِيلُ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ مَعَ
اِخْتِصَارٍ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَعَمَرُو . أَوِ الْمُسْتَدِّ كَذَلِكَ نَحْوُ : جَاءَنِي زَيْدٌ

عطف البيان لغير الإيضاح كما في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام
قياماً للناس . فقد ذكر الزمخشري أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به
للدح لا للإيضاح ، كما جيء الصفة لذلك . وذكر في قوله تعالى : ألا بعداً لعاد
قوم هود ، إنه عطف بيان لعاد ، وفائدته — وإن كان البيان حاصلًا بدونه —
أن يؤسوا بهذه الدعوة وسماً ، وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من
الوجوه (فلزيادة التقرير) إنما عبر بذلك إيماء إلى أن البديل هو المقصود بالنسبة
والتقرير زيادة تحصل تبعاً وضمناً ، أما التوكيد فإن الفرض منه نفس التقرير
(نحو جاءني زيد أخوك) مثال لبديل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير
ومثله — وهو من غير المستند إليه — قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم . قال في الكشف : وفائدة البديل التوكيد لما فيه من
التكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء
القوم أكثرهم) مثال لبديل البعض ، وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل
عليه الأول بالدلالة الكلية ، فإن الأكثر بعض القوم (وسلب زيد توبه)
مثال لبديل الاشتغال ، وبيان التقرير فيه أن المبدل منه يشعر به في الجملة ،
فالنفس قبل ذكره تتشوف لشيء يطلبه المبدل منه ، فإذا ذكر كان
تشكراً (كذلك) أي مع اختصار (نحو جاءني زيد فعمرو الخ)

فَعَمَرُوا أَوْ نَمَّ عَمَرُوا، أَوْ جَاءَنِي الْقَوْمُ حَتَّى خَالِدٍ: أَوْ رَدَّ السَّامِعُ إِلَى الصَّوَابِ
نَحْوُ: جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو، أَوْ صَرَفَ الْحَكَمَ إِلَى آخَرٍ نَحْوُ: جَاءَنِي زَيْدٌ
بَلْ عَمَرُوا، وَمَا جَاءَنِي عَمَرُوا بَلْ زَيْدٌ: أَوِ الشَّكُّ، أَوِ التَّشْكِيكُ لِلْسَّامِعِ
نَحْوُ: جَاءَنِي زَيْدٌ أَوْ عَمْرُو * وَأَمَّا فَصْلُهُ: فَتَنْخِصُّ بِهِ بِالسَّنَدِ .

فالفاء وثم وحتى تشترك في تفصيل المسند وتختلف من جهة أن الفاء
تدل على أن ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للتبوع بلا مهلة، وثم كذلك مع
مهلة وحتى مثل ثم إلا أن فيها دلالة على أن ما قبلها بما ينقض شيئاً فشيئاً إلى
أن يبلغ ما بعدها (جاءني زيد لا عمرو) تقول ذلك لمن زعم أن عمراً جاءك دون
زيد أو أنهما جاءك جميعاً . ومثل أن تقول: ما جاءني زيد لكن عمرو، فإنك
تخاطب به من يعتقد أن زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أي محكوم عليه آخر
(نحو جاءني زيد بل عمرو) . اعلم أن بل إذا تقدمها لإيجاب جاءت ما قبلها
كالمسكوت عنه عند الجمهور أو مقطوعاً بنفي الحكم عنه عند ابن الحاجب وأثبتت
الحكم لما بعدها عند الجميع، وإن تقدمها نفي أو نهي فنهى لثبوت ما قبلها على
حاله وجعل ضده لما بعدها . وعند المبرد أنها تنقل معنى النفي والنهي لما بعدها
(أو الشك) أي شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) إلى إيقاعه في الشك . بنى
الإيهام كقوله تعالى: وإنا أو لإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين . والإباحة
والتخيير مثل قولك: ليدخل الدار زيد أو عمرو، والفرق بينهما واضح، فإن
الإباحة لا تمنع من الإتيان بالشئين أو الأشياء جميعاً (فصله) أي تعقبه بضمير
الفعل (فلتنخصيه بالمسند) أي لقصر المسند على المسند إليه: وقد يكون الفصل
للتاكيد لحسب وذلك إذا كان التخصيص حاصلًا بدونه بأن يكون في الكلام

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَكَوْنُ ذِكْرِهِ أَهَمُّ ، إِمَّا لِأَنَّهُ الْأَصْلُ وَلَا مُتَقَصٍّ
لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، وَإِمَّا لِإِتِّمَاقِ الْخَبَرِ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ ، لِأَنَّ فِي الْمُبْتَدَأِ
تَشْوِيقًا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

وَالَّذِي حَارَتِ الْبِرَّةُ فِيهِ حَيَوَانَ مُسْتَحْدَثٍ مِنْ جَمَادٍ
وَإِمَّا لِتَمْجِيلِ الْمَسْرَةِ أَوِ الْمَسَادَةِ لِلتَّفَاوُلِ أَوْ التَّطَلُّعِ ، نَحْوُ : سَعْدٌ فِي دَارِكَ ،
وَالشَّعَاحُ فِي دَارِ صَدِيقِكَ ، وَإِمَّا لِإِيْهِامِ أَنَّهُ لَا يَزُولُ عَنْ الْخَطِّاطِ أَوْ

ما يفيد قصر المسند على المسند إليه نحو : إن الله هو الرزاق ، أو قصر المسند
إليه على المسند كقول أبي الطيب :

إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هُمَا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ

« واعلم ، أن مثل هذه المباحث المذكورة في العطف والفصل ولو بينت
في النحو فلأنها تذكر في البيان باعتبار استعماها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما
ماثلها في ذلك (تقديمه) اعلم أن التقديم في باب البلاغة الضدح المعلن فإنه
لا يزال يفتزل عن بدعية ، ويفضى بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً
بروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعة ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف
عندك أن يقدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان (والذي) البيت
لأبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري ، من أبيات يرقى بها فقهياً
جنفياً والمقصود بالحيوان في البيت هو الإنسان كما لا يخفى ، والحيرة الواقعة فيه
من وجهة نياط النفس بالجسم « هذا ، وقد جعل السكاكي البيت شاهداً لكون

أَنَّهُ يُسْتَلْذَبُ بِهِ ؟ وَإِنَّمَا لِنَحْوِ ذَلِكَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ : وَقَدْ يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تَخْصِيصَهُ
بِالْخَبَرِ الْفِعْلِيِّ إِنِّ وَلِيَّ حَرْفِ النَّفْيِ نَحْوُ : مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا ، أَيْ لَمْ أَقُلْهُ مَعَ
أَنَّهُ مَقُولٌ لِيُغَيِّرِي ، وَلِهَذَا لَمْ يَصَحَّ مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا وَلَا غَيْرِي ، وَلَا : مَا أَنَا

المسند إليه موصولا وهو أحسن (وإما لنحو ذلك) مثل الدلالة على أن المطلوب
إنما هو اتصافه بالخبر لا نفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول :
الزاهد يشرب ويطرب ، ومثل لإفادة زيادة تخصيص كقوله :

مَتَى تَهَيَّأْزُ بَنِي قَطَنَ تَحْدُثُهُمْ سُبُوفٌ فِي عَوَاتِقِهِمْ سُبُوفٌ
: جُنُوسٌ فِي تَجَالِسِهِمْ رِزَافٌ وَإِنْ ضَيَّفُتْ أَلَمْ قَبْلَهُمْ خُفُوفٌ

قاله السكاكي (وقد يقدم الخ) هذا ، غزى كلام عبد القاهر لا لفظه .
(تخصيصه بالخبر الفعلي) أي قصر الخبر الفعلي عليه (ول حرف النفي) أي وقع
بعد حرف النفي بلا فصل (أي لم أقله الخ) فأفاد التقديم نفي الفعل عنك وثبوته
لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك
قائلا له ، ومن ذلك قوله :

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

المعنى على أن السقم ثابت موجود وليس الفصد بالنفي إليه ولكن إلى أن
يكون هو الجالب له ويكون قد جرح إلى نفسه ، ومثله قوله :

« وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرَ كُلَّهُ »

الشعر مقول على القطع والنفي لأن يكون هو وحده القائل له (لم يصح
ما أنا قلت هذا ولا غيري) لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الأول ، والذي يصح
عند قصد هذا المعنى أن يقال : ما قلت أنا ولا أحد غيري (ولا ما أنا رأيت

رَأَيْتُ أَحَدًا، وَلَا : مَا أَنَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَإِلَّا فَقَدْ يَأْتِي لِلتَّخْصِصِ رَدًّا
حَتَّى مَنْ زَعَمَ انْفِرَادَ غَيْرِهِ بِهِ، أَوْ مُشَارَكَتَهُ فِيهِ نَحْوُ : أَنَا سَعَيْتُ فِي حَاجَتِكَ
وَيُؤَكِّدُ عَلَى الْأَوَّلِ بِنَحْوِ لَا غَيْرِي، وَعَلَى الثَّانِي بِنَحْوِ وَحْدِي ؛ وَقَدْ يَأْتِي

أحداً) لأنه يقتضى المحال وهو أن يكون لإنسان غير المتكلم قد رأى كل أحد
من الناس لأنه قد نفي عن المتكلم الرؤية على جهة العموم في المفعول لأن النكرة
في سياق النفي تعم فيجب أن تثبت انفراده على جهة العموم في المفعول (ولا ما أنا
ضربت إلا زيدا) لأن نقض النفي بإلا يقتضى أن يكون الفاعل له قد ضرب
زيداً وإبلاء الضمير حرف النفي يقتضى أن لا يكون ضربه وذلك تناقض .
(ولاً) قد علمت أن المسند إليه المقدم إن ول حرف النفي فهو يفيد التخصيص
اللبتة وإن لم يل حرف النفي بأن لا يكون ثم نفي أصلاً أو يكون حرف النفي
متأخراً عن المسند إليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) أى غير
المسند إليه (به) أى بالخبر الفعلي (ويؤكد على الأول) وهو أن يكون الكلام
للرد على من زعم انفراد الغير . (وعلى الثاني) وهو أن يكون للرد على من زعم
المشاركة ، فإن قلت أنا فعلت كذا وحدي في قوة أنا فعلته لا غيري فلم اخضع
كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه ؟ فلأنا نقول لأن جدوى التوكيد لما كانت
إماطة شبهة خالجت قلب السامع وكانت في الأول أن الفعل صدر من غيرك
وفي الثاني أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأعطت الشبهة في الأول بقولك
لا غيري والثاني بقولك وحدي لأنه يحزه ولو عكست أحلت . وهذا ، ومن البين
نفي ذلك قولهم في المثل :

لِقَتْوَةِ الْحَكْمِ نَحْوُ : هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ . وكذا إذا كَانَ الْفِعْلُ مَسْفِيًا

« أَتَدْرِي » يَصْبِ أَنَا حَرِشْتُ *

(نَحْوُ هُوَ يُعْطَى الْجَزِيلَ) فَأَنْتَ لَا تَرِيدُ أَنْ غَيْرَهُ لَا يُعْطَى الْجَزِيلَ وَلَا أَنْ تَعْرِضَ لِلْإِنْسَانِ وَلَكِنْ تَرِيدُ أَنْ تَقَرَّرَ فِي ذَهْنِ السَّامِعِ وَتَحَقِّقَ أَنَّهُ يَفْعَلُ إِعْطَاءَ الْجَزِيلِ . وَسَلْبُ النُّقْوَى عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَاهِرِ هُوَ أَنَّ الْاسْمَ لَا يُؤْتَى بِهِ مَعْرَى مِنَ الْوَأَمَلِ إِلَّا لِحَدِيثِ قَدَنَوَى إِسْنَادَهُ إِلَيْهِ فَإِذَا قُلْتَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَدْ أَشْعَرْتَ قَلْبَ السَّامِعِ بِذَلِكَ أَنَّكَ تَرِيدُ الْحَدِيثَ عَنْهُ فَهَذَا تَوَطُّعٌ لَهُ وَتَقَدُّمَةٌ لِلْإِعْلَامِ بِهِ ، فَإِذَا جِئْتَ بِالْحَدِيثِ قُلْتَ : قَامَ مِثْلًا دَخَلَ عَلَى الْقَلْبِ دُخُولُ الْمَأْنُوسِ بِهِ وَذَلِكَ لَا حَالَةَ أَشَدَّ لثَبُوتِهِ وَأَنْفَى لِلشَّكِّهِ وَأَمْنَعُ لِلشَّكِّ . وَجِلَّةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِعْلَامِكَ بِالشَّيْءِ بِقِفَّةٍ مِثْلَ الْإِعْلَامِ بِهِ بِإِدِّ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَجْرِي بِجَرَى تَكْرِيرِ الْإِعْلَامِ فِي التَّأَكِيدِ وَالْأَحْكَامِ . قَالَ : وَيَشْهَدُ لِمَا قُلْنَا أَنَّا إِذَا تَأَمَّلْنَا وَجَدْنَا هَذَا الضَّرْبَ مِنَ السِّكَاكِمِ يَجِيءُ فِيمَا سَبَقَ فِيهِ إِذْكَارٌ مِنْ مَنكَرٍ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِالَّذِي تَقُولُ ، فَتَقُولُ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا أَقُولُ وَلَكِنَّكَ تَمِيلُ إِلَى تَخْصَمِي ، وَجِيءَ فِيمَا اعْتَرَضَ فِيهِ شَكُّ نَحْوِ أَنْ يَقُولَ لِلرَّجُلِ : كَأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَا صَنَعَ فُلَانٌ وَلَمْ يَبْلُغْكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ وَلَكِنِّي أَدَارِيهِ ، وَفِي تَسْكَذِيبِ مَدْعٍ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَإِذَا جَاءَكَ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُمْ آمَنَّا دَعَوَى مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا بِالْكَفَرِ كَمَا دَخَلُوا بِهِ

(١) الْمَثَلُ يَقُولُهُ السَّامِعُ بِالشَّيْءِ لِمَنْ يَرِيدُ تَعْلِيمَهُ لِيَأْخُذَ ، وَحَرِشَ الْعُصْبَ وَاحْتَرَشَهُ : صَادَهُ بِالْحِيلَةِ الْمَعْرُوفَةِ . وَهِيَ أَنْ يَحْرَكُ يَدُهُ عَلَى بَابِ جَعْرِهِ لِيُظَنَّهُ حِيلَةً فَيُخْرِجَ ذَنْبَهُ لِيُضْرِبَهُ فَيَأْخُذَهُ .

فالبرضع موضع تكذيب ، وفيما القياس في مثله أن لا يكون كقولہ تعالیٰ : والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . وذلك أن عبادتهم لها تقتضي أن لا تكون مخلوقة ، وفيما يستغرب من الأمر نحو أن تقول : ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعني باليسير ويرغم أنه شجاع وهو يفرع من أدنى شيء . وفي الوعد والضمان كقول الرجل : أنا أعطيك أنا أكفيك ، وذلك أن من شأن من تعده وتضمن له أن يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء إلى التأكيد ، وفي المدح والافتخار كقول الحماسي :

مُمٌّ يَفْرُسُونَ^(١) اللَّبْدَ كُلَّ طَيْرَةٍ وَأَجْرَدَ سَبَاحٍ يَبْدُ الْمَالِيَا
وقوله :

مُهَا يَلْبَسَانِ الْمَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَجِيحَانِ مَا سَطَاعَا عَلَيْهِ كَلَامُهَا
وقوله :

مُمٌّ يَضْرِبُونَ الْكَكْبَشَ يَرْقُ بَيْضُهُ

عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ مَسْبَاتِبٌ^(٢)

وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويعدهم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر كقول طرفة :

- (١) اللبد : الصوف . وفيه جرت العادة بوضع قطعة منه على ظهر الفرس تحت السرج للينة . والطمرة : الفرس الجواد . والأجرد : الفرس القصير الشعر . والسباح : الذي يشبه عدوه السباحة ويبد : يغاب .
(٢) الككبش : رئيس الجيش يتركونه قنبلاً . والسباتب جمع سببية : الثوب ، يشبهون بها طراقت الدم .

نحو: أَنْتَ لَا تَكْذِبُ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ لِنَفْسِ الْكَذِبِ مِنْ لَا تَكْذِبُ، وَكَذَا مِنْ لَا تَكْذِبُ أَنْتَ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَيْدٌ لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ لَا الْحُكْمُ؛ وَإِنْ بَنَى الْفِعْلَ عَلَى مَنْكِرٍ أَفَادَ تَخْصِصَ الْجِنْسِ أَوْ الْوَاحِدِ بِهِ، نَحْوُ رَجُلٍ

* نَحْنُ فِي الْمَشَاءِ نَدْعُو الْجَفْلَى *

المشاة: مكان الشتاء أو زمانه. والجفلى: الدعوة العامة إلى الطعام (نحو أنت لا تكذب) مثله قوله تعالى: والذين هم بربهم لا يشركون، فإنه يفيد من التأكيد في نفي الإشراك مالا يفيدُه قولنا والذين لا يشركون بربهم ولا قولنا والذين بربهم لا يشركون (لأنه) أى لفظ أنت في لا تكذب أنت (لتأكيد المحكوم عليه) لئلا يتوهم أنه غير ضمير المخاطب وأسد الحكم للضمير يجوزاً أو سهواً أو نسياناً (وإن بنى الفعل على منكر) يعنى إن أخبر بالفعل عن منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحد به نحو، رجل جاءنى أى لا امرأة أو لا رجلان، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط. كما إذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ولم يدر جنسه أرجل هو أم امرأة، أو اعتقد أنه امرأة. وتارة إلى الواحد فقط، كما إذا عرف أن قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر أرجل هو أم رجلان أو اعتقد أنه رجلان. وبعد هذا فالحاصل كلام عبد القاهر أن الاسم إذا قدم على الفعل فإن ولى حرف النفي أفاد التقديم أن نفي الفعل مخصوص بهذا الاسم، وإن لم يل حرف النفي اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين: أحدهما ما يفيد تخصيص نحوى الفعل بالاسم الرد على من زعم أنفراد غيره به أو مشاركته فيه، الثانى ما لا يفيد إلا تقوى

جاءني ، أي لامرأة أو لا رجلا . ووافقته السكاكي على ذلك ، إلا أنه قال : التقديم يفيد الاختصاص ، إن جاز تقدير كونه في الأصل مؤخراً على أنه فاعل معنى فقط نحو : أنا قت ، وقدر ، وإلا فلا يفيد إلا تقوى الحكم ، سواء جاز كما مر ولم يقدر ، أو لم يجز مجوزيد قام ؛ واستثنى المنكر بمفعله من باب : وأسروا النجوى الذين ظلموا ، أي على القول

الحكم وتقريره في ذهن السامع وهكذا أيضاً الفعل المنفي فإذا قلت أنت لا تحسن هذا كان أشد لني إحسان ذلك عنه من أن تقول لا تحسن هذا حتى لو أتيت بأنت فيما بعد تحسن فقلت لا تحسن أنت لم يكن له تلك القوة هذا كله إذا بنى الفعل على معرف ، فإن بنى على منكر أفاد التقديم تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل كما علت (على ذلك) أي على أن التقديم يفيد التخصيص والتقوى (إلا أنه قال) حاصل مذهبه أن المستند إليه المقدم إن كان نكرة فهو للتخصيص إن لم يمنع منه مانع وإن كان معرفة فإن كان مظهراً فلا يكون للتخصيص ألبة وإن كان مضمرأ فإن قدر كونه في الأصل مؤخراً فهو للتخصيص وإلا فالتقوى (نحو أنا قت) فإنه يجوز أن تقدر أصله قت أنا ، على أن أنا تأكيد للماعل الذي هو التاء في قت فيكون فاعلاً في المعنى وإن كان تأكيداً في اللفظ (وقدر) معطوف على جاز يقول إن إفادة التخصيص تتوقف على شيئين أحدهما جواز التقديم ، والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم (نحو زيد قام) فإنه لا يجوز أن يقدر أن أصله قام زيد فقدم ، لأنه يلزم عليه تقديم الماعل اللفظي وهو لا يجوز (واستثنى الخ) لما كان مفزى كلامه قبل أن لا يكون نحو رجل

بِالْإِتِّدَالِ مِنَ الضَّمِيرِ لِثَلَاثَتَيْنِ التَّخْصِيسُ إِذْ لَا سَبَبَ لَهُ سِوَاهُ ، بِخِلَافِ
الْمَعْرِفِ ؛ ثُمَّ قَالَ : وَشَرْطُهُ أَنْ لَا يَجْتَمِعَ مِنَ التَّخْصِيسِ مَانِعٌ ، كَقَوْلِنَا
رَجُلٌ جَاءَنِي ، عَلَى مَا مَرَّ ، دُونَ قَوْلِهِمْ : شَرُّ أَهْرَ ذَا نَابٍ ، أَمَّا عَلَى التَّقْدِيرِ
الْأَوَّلِ فَلَا مِتْنَجَ أَنْ يُرَادَ الْمَهْرُ شَرٌّ لَا خَيْرَ ، وَأَمَّا عَلَى الثَّانِي فَلْيَنْبُوهُ عَنْ
مَقْلَبِ اسْتِثْنَائِهِ ؛ إِذْ قَدْ صَرَّحَ الْأُئِمَّةُ بِتَخْصِيسِهِ حَيْثُ تَأَوَّلُوهُ بِمَا أَهْرَ
ذَا نَابٍ إِلَّا شَرٌّ ، فَاتَّوَجَّهَ نَفْطِيعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ . وَفِيهِ نَظَرٌ ، إِذِ الْفَاعِلُ

جَاءَنِي مُفِيدٌ لِلتَّخْصِيسِ لِأَنَّهُ إِذَا أُخِرَ فَهُوَ فَاعِلٌ لِفِعْلٍ لَا مَعْنَى اسْتِثْنَاءَ بِأَنْ قَدَرُ
أَصْلُهُ جَاءَنِي رَجُلٌ ، لَا عَلَى أَنْ رَجُلٌ فَاعِلٌ جَاءَنِي بَلْ عَلَى أَنَّهُ بَدَلَ مِنَ الْفَاعِلِ
الَّذِي هُوَ الضَّمِيرُ الْمُسْتَرَفِي جَاءَنِي ، فَيَكُونُ فَاعِلًا مَعْنَى ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
وَأَسْرَوْا النُّجُومَ الَّذِينَ ظَلَمُوا : إِنْ الَّذِينَ ظَلَمُوا بَدَلَ مِنَ الْوَاوِ فِي أَسْرَوْا ، وَفَرَقَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرِفِ بِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقْدِرْ ذَلِكَ فِيهِ اتَّفَقَ تَخْصِيسُهُ إِذْ لَا سَبَبَ لِلتَّخْصِيسِ
سِوَاهُ ، وَلَوْ اتَّفَقَ تَخْصِيسُهُ لَمْ يَقَعْ مَبْتَدَأُ بِخِلَافِ الْمَعْرِفِ لَوْجُودِ شَرْطِ الْإِتِّدَاءِ
فِيهِ وَهُوَ التَّعْرِيفُ (وَشَرْطُهُ) أَيْ شَرْطُ جَعْلِ الْمُنْكَرِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَاعْتِبَارِ
التَّعْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِيهِ (عَلَى مَا مَرَّ) مِنْ أَنْ مَعْنَاهُ رَجُلٌ جَاءَنِي لَا امْرَأَةٌ أَوْ لَا
رَجُلَانِ (شَرُّ أَهْرَ ذَا نَابٍ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ فِي ظُهُورِ أَمَارَاتِ الشَّرِّ وَمَحَالِهِ ،
وَأَمْرُهُ : حَمَلُهُ عَلَى الْهَرِيرِ وَهُوَ التَّصْوِيتُ ، وَذُو النَّابِ : السَّبْعُ (الْأَوَّلُ) يَعْنِي
تَخْصِيسَ الْجَنَسِ (الثَّانِي) يَعْنِي الْوَاحِدَ (فَلْيَنْبُوهُ) لِأَنَّهُ لَا يَقْصَدُ بِهِ أَنَّ الْمَهْرَ شَرٌّ
لَا شِرَانِ (نَفْطِيعُ شَأْنِ الشَّرِّ بِتَنْكِيرِهِ) لِأَنَّ التَّنْكِيرَ كَمَا يَخْفَى بِقِيْدِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ
فَيَكُونُ الْمَعْنَى شَرٌّ عَظِيمٌ أَهْرَ ذَا نَابٍ لَا شَرَّ حَقِيرٍ ، فَيَكُونُ تَخْصِيسًا نَوْعِيًّا وَهَذَا

اللفظي والمعنوي سواء في امتناع التقديم ما بقياً على حالها ، فتحوير
تقديم المعنوي دون اللفظي تحكّم ؛ ثم لا نسلم انتفاء التخصيص لولا
تقدير التقديم ، لحصوله بغيره كما ذكره ؛ ثم لا نسلم امتناع أن يراد
المهر شرّاً لآخر . ثم قال : ويقرب من هو قام ، زيد قائم ، في التقوى
لتضمنه الضمير ؛ وشبهه بالخالي عنه من جهة عدم تأثيره في التكلم .

ولمّا لا عجب من السكاكي عفا الله عنه حيث أسمع جمعة ولا أرى طحناً .
وليت شمرى ما الذي حدا به إلى مخالفة الإمام عبد القاهر حتى وقع في ذلك
الحبط الظاهر ، وبعد ، فاذل على المصنف لو أنه ثبت مذهبه هذا بين سطور
كتابه (والمعنوي) كالتأكيد والبدل (ما بقيا على حالها) أى مادام الفاعل فاعلاً
والتابع تابعاً (تحكّم) أى حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعنى في نحو
رجل جامد (كما ذكره) أى السكاكي في بيان وجه الخصوص في قولهم شرّ أهر
ذا ناب من التهويل والتفطيع (ثم لا نسلم امتناع أن يراد المهر شرّاً لآخر) قال
الشيخ عبد القاهر إنما قدم شر لأن المراد أن يعلم أن الذى أهر ذا ناب هو من
جنس الشر لا من الخير ، لجرى مجرى أن تقول رجل جامد ، تريد أنه رجل
لا امرأة ، وقول العلاء إنه إنما صلح لأنه بدنى ما أهر ذاناب إلا شر بيان
لذلك ، وهذا صريح في خلاف ما ذكره السكاكي . (ثم قال) هاك ما قاله
السكاكي في مفتاحه بعد تقرير التقوى في نحو هو قام لما فيه من الإسناد مرتين .
ويقرب من قبيل أنا عرفت وأنت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوى الحكم
زيد عارف ؛ وإنما قلت يقرب دون لأن أقول نظيره لأنه لما لم يتفاوت في التكلم

وَالْخَطَابِ وَالْعِيَةِ : ولهذا لم ينعكم بأنه جملة ، ولا عومل بمعاملتها في البناء .
وَمِنْ بَرَى تَقْدِيمَهُ كَاللَّارِمِ ، لَفْظُ مِثْلُ وَغَيْرُ ، فِي نَحْوِ : مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ ، وَغَيْرُكَ
لَا يَجُودُ ، يَتَعَنَّى أَنْتَ لَا تَبْخُلُ وَأَنْتَ جُودُ ، مِنْ غَيْرِ بِإِرَادَةِ تَعْرِيضٍ لِفَعْلِ

وَالْخَطَابِ وَالْعِيَةِ فِي أَنَا عَارِفٌ وَأَنْتَ عَارِفٌ وَهَذَا عَارِفٌ أَشْبَهَ الْحَالِي عَنْ
الضَّمِيرِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْكَمْ عَلَى عَارِفٍ بِأَنَّهُ جَمْلَةٌ وَلَا عُمِلَ مَعَامَلَتَهَا فِي الْبِنَاءِ . حَيْثُ
أَعْرَبَ فِي نَحْوِ رَجُلٍ عَارِفٍ رَجُلًا عَارِفًا رَجُلٌ عَارِفٌ (مِثْلُ وَغَيْرِ) إِذَا اسْتَعْمَلَا
عَلَى سَبِيلِ السَّكَنَةِ (فِي نَحْوِ مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ) مِمَّا لَا يَرَادُ بِلَفْظِ مِثْلُ إِنْسَانٍ غَيْرِ
مَا أَضِيفَ إِلَيْهِ وَلَكِنْ أُرِيدَ أَنْ مَنْ كَانَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا كَانَ مِنْ مَقْنَضِي
الْقِيَاسِ أَنْ يَفْعَلَ مَا ذَكَرَ أَوْ أَنْ لَا يَفْعَلَ وَلَكُونَ الْمَعْنَى هَذَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَغْنِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا فِي مَحَاسِنِهِ
وَعَالِيَهُ قَوْلُ الْمُتَنَبِّي :

مِثْلُكَ يَبْنِي الْمَرْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرَبِهِ
(وغيرك لا يجود) مثله قول المتنبّي :

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ *

فإنه معلوم أنه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد
أنه ليس من ينخدع ، وكذا قول أبي تمام :

وَعَيْرِي يَا كُلَّ الْمَعْرُوفِ سُحْتًا وَتَشَحَّبُ عِنْدَهُ الْيَأَدِي

فإنه لم يرد أن يعرض بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي عرف به عند المدوح
من أنه هجاء كان من ذلك الشاعر لا منه بل أراد أن ينفي عن نفسه أن يكون

المخاطب ، لِكَوْنِهِ أَعُوْنَ عَلَى الْمُرَادِ بِهِمَا « قِيلَ » وَقَدْ يَقْدُمُ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى الْعُمُومِ نَحْوُ : كُلُّ إِنْسَانٍ لَمْ يَقُمْ ، بخِلَافِ مَا لَوْ أُخِّرَ نَحْوُ : لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ ، فَإِنَّهُ يُفِيدُ نَفْيَ الْحُكْمِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ ، لَا عَنْ كُلِّ فَرْدٍ ، وَذَلِكَ لِثَلَاثٍ يَأْزِمُ تَرْجِيحَ التَّأْكِيدِ عَلَى التَّأْسِيسِ ، لِأَنَّ الْمَوْجِبَةَ الْمُهِمَّةَ الْمَعْدُولَةَ

من يكفر بالنعمة ، ويلوم ، وهذا ، واستعمال مثل وغير هكذا مركوز في الطباع وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبداً على الفعل إذا نحى بهما نحو . ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يقدم ، والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية في مثل قولنا مثلك لا يخل وغيرك لا يوجد هو الحكم ، وأن الكناية أبلغ من التصريح فيما قصد بها ، فكان تقديمهما أعون للمعنى الذى جلبنا لأجله (قيل) القائل ابن مالك وجماعة (نحو كل إنسان لم يقم) فتقديم كل إنسان على لم يقم يفيد نفي القيام عن كل الناس (وذلك لثلاث يلزم الخ) يقول هذا القائل . إنه لو لم يكن التقديم مفيداً لعموم النفي والتأخير مفيداً لنفي العموم للزم ترجيح التأکید على التأسيس . ومعلوم أن التأسيس الذى هو إنشاء معنى لم يكن حاصلًا قبل أرجح من التأکید الذى هو إفادة ما قد حصل ، لأن الإفادة خير من الإعادة . وبإسان اللزوم في التقديم ، أن قولنا لإنسان لم يقم ، موجبة مهمة معدولة المحمول ، أما أنها موجبة فلأنه حكم فيها بثبوت عدم القيام لإنسان . وأما أنها مهمة فلأنه أهمل فيها بيان كيفية أفراد المحكوم عليه ، وأما أنها معدولة المحمول فلأن حرف السلب قد جعل جزءاً من المحمول ، وإذا كانت كذلك كان معناها السلب عن جملة الأفراد من غير تعرض لكليتها ولاجزئيتها والمحقق منها السلب عن البعض .

المحمول في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفى الحكم عن الجملة دون كل فرد ، والسالبة المهمة في قوة السالبة الكلية المقتضية للنفي عن كل فرد ، لورود موضوعها في سياق النفي ، وفيه نظر ، لأن النفي عن الجملة في العادة الأولى وعن كل فرد في الثانية ، إنما أفادة الإنسان

فهو في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن الجملة البتة ، لأن مفهومها سلب الحكم عن بعض الأفراد ، كقولنا ليس بعض الإنسان يقاوم . وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الأفراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفي عن جملة الأفراد أى عن مجموعها على طريق السلب المساط على الإثبات الكلي وإذا كان ذلك كذلك كانت المهمة والجزئية متلازمين لأنه كلما صدق الساب عن البعض الذي هو مفاد الجزئية صدق ثبوت الساب للمصدق في الجملة الذي هو مفاد المهمة ، وكلما صدق ثبوت السلب المصدق في الجملة صدق الساب عن البعض .

فيمتحقق بهذا أن الموجبة المهمة المعدولة المحمول للساب عن الجملة لا عن كل فرد . فلو كان إنسان لم يقم بعد دخول كل أيضاً معناه كذلك كان كل مفيداً للمعنى الحاصل قبله ، فيجب أن يحمل على نفي الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحاً للتأخير على التأكيد . وبيان اللزوم في التأخير ، أن مولنا لم يقم إنسان سالبة مهمة والسالبة في قوة السالبة الكلية المقتضية للنفي عن كل فرد مثل لا شيء من الإنسان يقاوم وإنما كانت تلك في قوة هذه لورود موضوعها وهو تنكرة في سياق النفي ، والتنكرة في سياق النفي نعم . فعنى لم يقم لإنسان نفي الحكم عن كل فرد ، فلو كان بعد دخول كل أيضاً كذلك كان كل

إِلَى مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلُّ ، وَقَدْ زَالَ ذَلِكَ بِالِاسْتِدْإِلِهِ فَيَكُونُ تَأْسِيسًا
لَا تَأْكِيدًا ، وَلِأَنَّ الثَّانِيَةَ إِذَا أَقَادَتِ النَّقْيَ عَنْ كُلِّ فَرْدٍ فَقَدْ آوَدَتِ
النَّقْيَ عَنِ الْجُمْلَةِ ، فَإِذَا مُحِلَّتْ عَلَى الثَّانِي لَا يَكُونُ كَمَا تَأْسِيسًا ، وَلِأَنَّ
النَّكَرَةَ الْمُنْفِيَةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَ قَوْلُنَا : لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ ، سَالِيَةً كَمِيَّةً
لَا مُهْمَلَةً . . عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَتْ كُلُّ دَاخِلَةٍ فِي حَيْثُ النَّقْيُ بِأَنَّ أُخْرَتْ

لِتَأْكِيدٍ مَعْنَى حَصَلَ قَبْلَ فَيَجِبُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى نَقْيِ الْقِيَامِ عَنْ جُمْلَةِ الْأَفْرَادِ لِيَكُونَ
كُلُّ لَتَأْسِيسٍ مَعْنَى آخَرَ ، إِذِ التَّأْسِيسُ أَرْجَحُ مِنَ التَّأْكِيدِ (وَفِيهِ) أَى فِيمَا اسْتَدَلَّ
بِهِ هَذَا الْفَائِلُ أَمَا أَصْلُ قَوْلِهِ فَصَحِيحٌ (الْأَوَّلَى) يَعْنِى الْمَوْجِبَةُ الْمَهْمَلَةُ الْمَعْدُولَةُ
الْمَحْمُولُ كَقَوْلِنَا إِنْسَانٌ لَمْ يَقُمْ (الثَّانِيَةَ) يَعْنِى السَّالِبَةُ الْمَهْمَلَةُ كَقَوْلِنَا لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ
(مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ كُلِّ) وَهُوَ لَفْظُ إِنْسَانٍ (فَيَكُونُ تَأْسِيسًا لَا تَأْكِيدًا) لِأَنَّ
التَّأْكِيدَ لَفْظٌ يَفِيدُ تَقْوِيَةً مَا يَفِيدُهُ لَفْظُ آخَرَ وَمَا نَحْنُ فِيهِ لَيْسَ كَذَلِكَ . وَبَعْدُ ،
فَقَدْ قَالُوا إِنْ هَذَا الْمَنْعُ لَا يَصِحُّ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ التَّأْكِيدُ الْإِصْطِلَاحِيّ ، أَمَا
لَوْ أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ لِفَادَةٍ مَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ فَاَنْدِفَاعُ الْمَنْعِ ظَاهِرٌ
(الثَّانِيَةَ) يَعْنِى السَّالِبَةُ الْمَهْمَلَةُ (حَمَلَتْ) أَى كُلُّ (الثَّانِي) وَهُوَ النَّقْيُ عَنْ جُمْلَةِ
الْأَفْرَادِ (لَا يَكُونُ تَأْسِيسًا) بَلْ تَأْكِيدٌ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى كَانَ حَاصِلًا بِدُونِهِ وَحِينَئِذٍ
فَلَوْ جَعَلْنَاهُ لَمْ يَقُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ لِعُمُومِ النَّقْيِ مِثْلُ لَمْ يَقُمْ إِنْسَانٌ لَمْ يَلْزَمْ تَرْجِيْعُ التَّأْكِيدِ
عَلَى التَّأْسِيسِ إِذْ لَا تَأْسِيسَ أَصْلًا بَلْ يَلْزِمُ تَرْجِيْعُ أَحَدِ التَّأْكِيدِ عَلَى الْآخَرِ
(وَلِأَنَّ النَّكَرَةَ) هَذَا بَحْثٌ فِي التَّسْمِيَةِ يَقُولُ إِنَّ النَّكَرَةَ الْمُنْفِيَةَ إِذَا عَمَّتْ كَانَتْ
لِقَضِيَّةٍ مَحْتَوِيَةٍ عَلَيْهَا سَالِبَةٌ كَلِمَةً لَا مَهْمَلَةً ، فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ الْقَائِلِ لَهَا بِالْمَهْمَلَةِ
لَا يَصِحُّ (وَعَبْدُ الْقَاهِرِ) كَلَامُهُ هُوَ مِفَادَةُ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ وَجَسَاعَتِهِ وَلَكِنْ أَيْ

عَنْ آدَاتِهِ نَحْوُ * مَا كُلُّ مَا يَتَمَتَّى الْمَرْءُ يَذَرُكَ * أَوْ مَعْمُولَةً لِلْفِعْلِ
الْبَنِي نَحْوُ : مَا جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، أَوْ مَا جَاءَ كُلُّ الْقَوْمِ ، وَلَمْ أَخَذْ كُلَّ

الماء من السماء بموقع السيل من مطلع سهيل ، ثم إن ما ذكره المصنف هو مغزى
كلام عبد القاهر ، لا لفظه (نحو ما كل) مثله قول الآخر :

* مَا سَكُنَ رَأْيِي الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ *

والبيت للبتني وتماه :

* تَجْرَى الرِّيَاحُ بَمَا لَا تَشْتَهِي الشُّفَى *

(أو معمولة للفعل المنفي) الذي يظهر أن ذلك معمول لفعل مقدر معطوف
على أخرت أى أو جعلت معمولة . وهالك عبارة الشيخ عبد القاهر مع تصرف ما :
واعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديرًا ،
يعنى كما إذا قدمته على الفعل المنفي العامل فيه فإنه مؤخر تقديرًا لأن مرتبة
المعمول التأخر عن العامل ، فالملغى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف
نفسه . والسبب في ذلك أنك إذا قلت أتاني القوم مجتمعين ، فقال قائل لم يأتك
القوم مجتمعين ، كان نفيه ذلك متوجهًا إلى الاجتماع الذي هو تقييد في الإتيان
من أصله كان من سيده أن يقول إنهم لم يأتوك أصلاً ، فامعنى قولك مجتمعين ،
وإذا كان هذا حكم النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد ، فإن التأكيد ضرب من
التقييد فتى نفيت كلاماً فيه تأكيد فإن نفيك ذلك بتوجه إلى التأكيد خصوصاً .
فإذا قلت لم أر كل القوم كنت عدت بنفيك إلى معنى كل خاصة ، وإذن يجب
أن يكون قد أتاك بعض القوم . وإذا أخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله فيه
لا لفظاً ولا تقديرًا كان المعنى على أنك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها

الدَّاهِمِ ، أَوْ كَلَّ الدَّاهِمِ لَمْ أَخْذْ ، تَوَجَّهَ النَّفْيُ إِلَى الشُّمُولِ خَاصَّةً وَأَفَادَ ثُبُوتَ الْفِعْلِ أَوْ الْوَصْفِ لِبَعْضٍ ، أَوْ تَعَلُّقَهُ بِهِ ، وَإِلَّا عَمَّ ، كَقَوْلِ

واحدًا وواحدًا ، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي وأعملتها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشذ شيء عن النفي فاعرفه (توجه النفي إلى الشمول خاصة) فإن قلت فما تصنع في قوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، والله لا يحب كل كفار أثيم ، فإننا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده فأجاب - حفظه الله - بما يشرح الصدر ويملا النفس ارتياحاً ، قال : قد يدل عما يدل على عموم السلب إلى ما يفيد سلب العموم ، والسلب عام على الحقيقة ، للتعريض بالمخاطب والإيماء إلى أنه شر صنفه ، مثلاً إذا قلت لسفيه ، تعرض بأنه شر السفهاء : أنا لا أحب كل سفيه ، فالعنى أنه لو فرض أن محبتي تتعاقب بسفيه لكنت غير موضع لها ، وكذلك الذي جاء في الآية الكريمة أريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وأنهم شر أصنافهم ، فقوله تعالى : والله لا يحب كل مختال فخور ، معناه أن محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فكله سبحانه يقول لو أن محبتنا تعاقبت بمختال فخور لما تعلقت بأولئك لأن مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور ، وهكذا يقال في سائر الآيات وما يكون ظاهره أنه من سلب العموم وحقيقته أنه من عموم السلب (وأفاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به) أما إفادته ثبوت الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت كل فاعلاً معنى أو لفظاً للفعل أو الوصف ، وأما إفادته تعلق الفعل أو الوصف ففياً إذا كانت مفعولاً لفظاً أو معنى لها وإطلاق الثبوت على نسبة أحدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول اصطلاح شائع (وإلا)

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا قَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ : أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ
سَيِّئَتْ : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ :

قَدْ أَصْبَحْتَ أَمْ انْخِيَارَ تَدْعِي * عَلَى ذَنْبَا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعْ
وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ فَلَا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ . . هَذَا كُلُّهُ مُفْتَضَى

أى وإن لم تكن داخلة في حيز النفي بأن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل
المنفي (كل ذلك لم يكن) فالمعنى لا محاولة على نفي الأمرين جميعاً وعلى أنه عليه
السلام أراد أنه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان . والدليل على ذلك
وجهاً : أحدهما أن السؤال بأمر عن أحد الأمرين لطلب التعمين بعد ثبوت
أحدهما عند المتكلم على الإيهام ، لجوابه إما بالتعمين أو بنفي كل واحد منهما ؛
وثانيهما ما روى أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ،
قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان ، والإيهام الجزئي نقيضه السلب الكلي
(وعليه قوله) أى قول أبى النجم وقد تقدم ، ومثله قول دعلج :

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي بِأَيِّ سِهَامِيَا رَمَتْنِي وَكُلُّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمَكْدِيِّ^(١)
أَبِ الْجِيدِ أَمْ تَجْرَى الْوِشَاحُ وَإِنِّي لَا تُنِيمُ عَيْنِيهَا مَعَ النَّاجِحِ الْجُنْدِ
المعنى على نفي أن يكون في سهامها مكمل على وجه من الوجوه ، ومن البين
في ذلك قوله :

فَكَيْفَ وَكُلُّ لَيْسَ يَمْدُو حِمَامَةً وَلَا لِأَمْرِي عَمَّا قَتَى اللَّهُ مَزْحَلُ
(كله لم أصنع) برقع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه على من الذنوب
ولهذا عدل عن النصف (فلا قِتْضَاءَ الْمَقَامِ تَقْدِيمَ الْمُسْنَدِ) وسيأتي بيان ذلك

(١) المكدي : الذى يحفر ولا يجد الماء ، أى وليس من سهامها ما يخطئ .

الظاهر ، وقد نخرج الكلام على خلافه ، فيوضع المضمرة موضع المضمرة
كقولهم : نعم رجلاً زيد . مكان نعم الرجل ، في أحد القوانين .
وقولهم هو أو هي زيد عالم . مكان الشئ أو القصة ، لتمكن ما يعقبه
في ذهن السامع . لأنه إذا لم يثبت منه معنى انتظروا وقد يمكن ،
فإن كان اسم إشارة فيمكن العناية بتمييزه ، لاختصاصه بضمك
بدام كقوله :

إن شاء الله (كقولهم) ابتداء من غير جري ذكر أو فريضة حال (في أحد القوانين)
وهو القول بأن المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، وأما من يجعل المخصوص مبتدأ
ونعم رجلاً خبره فيحتمل عنده أن يكون الضمير عائداً إلى المخصوص وهو
متقدم تقديرا (وقولهم هو أو هي زيد عالم) ويختار تأنيث هذا الضمير إذا
كان في الكلام مؤنث غير فضلة نحو : هي هند مائة ، وقوله جل شأنه : فإنها
لا تعنى الأبصار ، قصداً إلى المطابقة لأنه راجع إلى ذلك المؤنث . ولم يسمع
نحو : هي زيد عالم ، وإن كان القياس يقتضي قياسه هدا ، ومن ذلك وإن كان
من غير باب المسند إليه قولهم : ياله رجلاً ، ويأها قصة ، وربه رجلاً . وقوله
تعالى : فقضاهن سبع سموات (ليمكن) تعليل لوضع المضمرة موضع المظهر
ه هذا ، وقد يكون وضع المضمرة موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل
قوله تعالى : إنا أنزلناه أو لادعاء أن الذهن لا يلتفت إلى غيره كقوله في المطلع :

« زَارَتْ عَلَيْهَا لِلظَّلَامِ رَوَاقٌ »

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد (يعكس) فيوضع المظهر موضع

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُعْيِتَ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرْزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَنَّنَ الْأَوْهَامَ حَاثِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيرَ زِنْدِيقًا

المضمر (كقوله كم عاقل الخ) فقوله في أول البيت الثاني هذا إشارة إلى حكم سابق غير محسوس وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ، فكان القياس فيه الإضمار بأن يقال هما مثلاً ، فعدل إلى اسم الإشارة لسكال العناية بتمييزه ليرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي له الحكم العجيب ، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم التحرير زنديقاً ، فالحكم البديع هو الذي أسند للسند إليه المهر عنه باسم الإشارة ، والبيتان لأحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى وعاقل الثاني صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل متناه فيه ، وأعيت مذاهبه : أعجزته وصعبت عليه طرق معاشته ، والتحرير : الحاذق الماهر الخفن ، كأنه ينحر العلم نحرأ ، والزنديق : الذي لا يؤمن بالربوبية ولا باليوم الآخر . وكلام ابن الراوندى هذا إحدى حماقاته وهو بالجهال أليق ، وما أبداع ما يقول أبو تمام :

بَنَى النَّفْسَ مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيَسْكَدِي النَّفْسَ فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَابِ هَلَسَكُنْ إِذَنْ مِنْ جِبَاهِنَ الْبَهَائِمِ
وما أجل قول الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَدُهُنَّ
فَلَا تَتَفَقَّدَ مِنْهُمَا غَيْرُ مَا جَرَتْ بِهِ لِهَمَّا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفْرُقُ
فَحَيْثُ يَسْكُونُ الْجَاهِلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَسْكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ
وأنت إذا أردت فلسفة هذا الباب فعليك بكتاب الفلاكة والمفلوكين

أَوْ التَّهَكُّمِ بِالسَّامِعِ ، كما إذا كانَ فَقِدَ الْبَصَرِ ، أَوْ الْبَدَأَ عَلَى كَالِ
بِلَادَتِهِ ، أَوْ فُطَاتَتِهِ ، أَوْ ادَّعَاهُ كَالِ ظُهُورِهِ : وَعَنِيهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ
تَعَلَّتْ كَيْ شَجَى وَمَا بِكَ عَائَةً * تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتُ بِذَلِكَ
وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ فَتَزِيدُ الْتَمَكَّنِ ، نَحْوُ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ

(كما إذا كان فائد البصر) ولم يكن ثم مشار إليه أصلا (والنداء على كمال بلادته)
لأن في اسم الإشارة إيماء إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس (أو فطانتة)
ففي استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى النامض إيماء إلى أن
السمع لذاته صارت المقولات لديه كالمحسوسات (تعالت) أى أظهرت العلة
ومعنى أنجى : أحزن ، فأنت تراه عمد إلى اسم الإشارة مع أن المشار إليه غير
محسوس ، وذلك لادعائه ظهور القتل وأنه كالمحسوس ، والبيت لعبد الله بن
الدمينة من قصيدة مطلقيا :

ففي قبل وشك البين يابنت مالك ولا تحرمين نظرة من جمالك
(وإن كان غيره) أى وإن كان المظهر الذى وضع موضع المضمض غير اسم
الإشارة (فلزيادة التمكن) ومن هنا كان لإعادة اللفظ في مثل قوله :
وَإِنْ طَرَفَةٌ رَأَيْتُكَ فَاغْضُرْ قَرِينًا أَمَرَ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أُخْضِرُ
وقول المتن :

بَيْنَ تَغْرِيبِ الْأَمْثَالِ أَمْ مِنْ شَيْبَةِ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَاللَّهْرُ

وبيت الحماسة : شَدَّ دُونَكَ شِدَّةَ اللَّيْلِ شَدًّا وَاللَّيْلُ غَضْبَانٌ
من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبيل ما لا يخفى موضعه ، وكان لو ترك
فيها الإظهار إلى الإختصار لعدمت الذى أنت واجده الآن (نحو قل هو الآية)

وَنَظِيرُهُ مِنْ غَيْرِهِ : وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ، أَوْ إِذْ خَالَ الرُّوحُ
فِي صَمِيرٍ السَّامِعِ وَتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ ، أَوْ تَقْوِيَةِ دَاعِي الْمَأْمُورِ : مِثْلَهُمَا قَوْلُ
الْخَلَفَاءِ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا ، وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِهِ : فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، أَوْ اإِسْتَعِظْ بِكَتَوْنِهِ : « إِنْ أَخَى عَسْرَتِ الْعَاصِي أَنْ كَذَبَ »

فلم يقل هو الصمد لزيادة التمسك (الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج ولا يقضى
فيها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عتبة :

« إِنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نَعُطْ سَائِلَهُ » (داعى المأمور) أى ما يكون داعياً لمن -
أمرته بشئ إلى الامتثال والإتيان به (أمير المؤمنين يأمر بكذا) مكان أنا
أمرك (وعليه) أى على وضع النظير موضع المضمر لتقوية داعى المأمور (من
غيره) أى من غير اب المسند إليه (فتوكل على الله) فلم يقل فتوكل على لما
فى لفظ الجلالة من تقوية الداعى إلى التوكل لدلالته على ذات موصوفة
بالأوصاف الكاملة من القدرة وما إليها (كقوله: إِنْ أَخَى عَبْدُكَ الْعَاصِي أَوْ كَذَا)
فلم يقل أنا العاصي أنتك ، لأن فى لفظ عبدك من الخضوع الموجب للمغضب
والشفقة ما ليس فى لفظ أنا ، وفيه مع ذلك تمسك من وصفه للعاصي ، ونظير
هذا قوله تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً - إلى قوله - فَأَمَّا نُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَأْمَنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ، لم يقل فَأَمَّا نُوا بِلِئَامِهِ وَبِى لِيَتِمَّ كُنْ
من إجراء الصفات المذكورة عليه ، ويشعر بأن الذى وجب الإيمان به بعد
الإيمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائناً من كان أنا أو غيره
إظهاراً للشفقة وبعداً عن التعصب لنفسه وتأم البيت :

« مُقِرّاً بِالذَّنُوبِ وَقَدْ دَعَا كَا »

السكاكي : هَذَا غَيْرُ مُخْتَصِنٍ بِالمُسْتَدِرِّ إِلَيْهِ ، وَلَا يَهْدِي الْقَدْرَ ، بَلْ كُلُّ مَنِ
التَّكَلَّمَ وَالْخُطَبَ وَالْقُبَيْعَ مُطْلَقًا يُنْقَلُ إِلَى الْآخِرِ : وَيُسَمَّى هَذَا النُّقْلُ
التَّفَانًا كَقَوْلِهِ : * تَطْلُو لَيْلِكَ نَالًا مُنْدً *

وبعده :

فَالنُّ تَقْفِرُ فَتَنْتَ إِذَاكَ أَهْلُ فَإِنْ تَصَدَّقْتَ بِرَحْمٍ سَوَاكَ
(السكاكي) عبارته : واعلم أن هذا النوع أعنى نقل الكلام عن الحكاية
إلى الغيبة لا يختص المستند إليه ولا هذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغبية
ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر ، بل هذا النقل التفاناً عند علماء المعاني
والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل
في القبول عند السامع ، وأحسن طريقة لنشاطه ، وأمثلاً باستدرار إصفائه وهم
أحرى به بذلك ، أليس قرى الأضياف جيتهم ، ونحو العشار للضيف دأبهم
وهجيراتهم (١) ، لا مزقت أيدي الأدوار له أديماً ، ولا اباحت له حرماً ، أفرامهم
يحسنون قرى الأشباح ، فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون
قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد (كقوله تطاول)
لامرء القيس السكندى الصحابي من قصيدة يرثي بها أباه وتماه : . نام الخلى ولم
يرقه الأثمد : اسم مكان ، والخطاب في ليلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي ، فهو
التفات على مذهب السكاكي ، وعند الجمهور تجريد ومثله قول ديبعة بن عقروم :

بَانتَ سَعَادٌ فَأَمْسَى الْقَنْبُ مَمْعُودًا وَأَخَافَتِكَ إِنَّهُ الْخُرُّ الْمَوَاعِيدَا

(١) عاداتهم .

وَالْمَشْهُورُ أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ هُوَ التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنَى بِطَرِيقٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِأَخَرٍ مِنْهَا وَهَذَا أَحْصَتْ . مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ التَّسْكُمِ إِلَى الْخُطَابِ :
وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ؟ وَإِلَى الْغَيْبَةِ : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
السُّكُوتَ فَتَرَفَعْتَ لِرَبِّكَ وَانْتَعَزَ . وَمِنْ الْخُطَابِ إِلَى التَّسْكُمِ :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّيْبِ عَصْرٌ حَانَ مَشِيبٌ
يُكَلِّفُنِي نَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَا وَخُصُوبٌ

فَالْتَفَتَ كَمَا تَرَى حَيْثُ لَمْ يَقُلْ وَأَخْلَفْتَنِي (والمشهور) هذا من كلام المصنف (وهذا أحصت) من تفسير السكاكي ، لأن السكاكي أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره من فكل التعمات عندهم التفات عنده من غير عكس (ومالي الآية) أي ، والسكاكي لا يمدون الذي فطرهم ، تاطف في الإرشاد بإبرازه في معرض المناصحة لتف وإباحض النصيح حيث أراد لهم ما أرادوا لها . وإذ عمد إلى التسكيم لذلك كن مقتضى الظاهر أن يجري الكلام على طريقه ويقول وإليه أرجع ، فلما قصد إلى الخطاب حيث قال وإليه ترجعون كان التفاتاً (طحا بك) البينان لمواقفه من عدة الفعل ، طحا بك : ذهب بك كل مذهب ، وضروب : له طرب في طلب الحسن والنشاط في مراودتهن ، وبعيد الشيب : يعني حين ولي وكاد ينضرم ، ومعنى عصر حان مشيب : زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم ، وفاعل يكلفني : ضمير يعود إلى القلب ، وشط : بعد ، والولي : القرب ، والعوادي : الصوارف ، وعوادي الدهر : عواقبه ، والخطوب : الأمور الشديدة تنزل ، فالتفت كما ترى في قوله يكلفني عن قوله بك ، وبعد ، فقد اشترطوا في الالتفات أن يكون

وَأَيُّ النَّبِيِّ : حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ، وَمِنَ النَّبِيِّ إِلَى
التَّكَلُّمِ : وَاللَّهُ الَّذِي أَوْسَعَ الرِّيَاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَمَسْنَاهُ ، وَإِلَى الْخُطَابِ :
مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَوَجْهَهُ أَنَّ الْكَلَامَ إِذَا نُقِلَ مِنْ أُنْثَى
إِلَى أُنْثَى كَانَ أَحْسَنَ طَرِيقَةً لِنَشَاطِ السَّامِعِ وَأَكْثَرَ إِفْطَاحًا لِلْإِصْفَاءِ
إِلَيْهِ : وَقَدْ تَخْتَصِرُ مَوَاقِعُهُ بِطَوَائِفِ كَمَا فِي الْفَاتِحَةِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ذَكَرَ
الْحَقِيقَ بِالْجِدِّ عَنْ قَسْبِ حَاضِرٍ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ نَحْرًا كَمَا لِلْإِقْبَالِ عَلَيْهِ
وَكَلَّمَ . أُجْرَى عَلَيْهِ صَفَةٌ مِنْ ثَلَاثِ انْتِفَاتِ الْعِظَمِ قُوَى ذَلِكَ الْمَعْنَى .
إِلَى أَنْ يَبُوءَ الْأَمْرَ إِلَى خَاتَمِهِ مُبِيدَةً ، أَنَّهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كَمَا

المخاطب بالكلام في الحالين واحداً ومن هناك قول جرير :

أَغْنِي يَا فِدَائِي أَبِي وَأُمِّي بِسَيْبِ مَنْكَ إِنْكَ ذُو رِيحٍ
ثِقَى بِإِنِّهِ نَبِيَّ لَهُ نَمْرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْحَقِيقَةِ بِالْإِنْفِاحِ

ليس من الانتفات في شيء لأن المخاطب بالبيت الأول امرأته ، والمخاطب
بالبيت الثاني هو الخليفة كما لا يخفى (ووجهه) أى وجه حسن الانتفات (نظرية)
تجديداً (كما في الفاتحة) وكما في قوله تعالى : وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ
فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ ، وَعَدَّلَ عَنْهُ إِلَى
طَرِيقَةِ الْإِنْتِفَاتِ تَفْخِيماً لِثَبَاتِ الرِّسُولِ وَقَعْظِيماً لَاسْتِغْفَارِهِ وَتَنْبِيْهاً عَلَى أَنَّ شَفَاعَةَ
مَنْ اسْمُهُ الرِّسُولُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ (مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ) الدَّالُّ أَوْهَا عَلَى أَنَّهُ الْمُتَوَلَّى
تَدْبِيرِ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، وَثَابِتِهَا عَلَى أَنَّهُ الْمَنْعَمُ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ جَلَّالِهَا وَدَقَائِقِهَا .
(خَاتَمَتِهَا) وَهِيَ قَوْلُهُ مَالِكُ يَوْمَ الدِّينِ ، تَكَلَّمَ ، قَدْ يُطْلَقُ الْإِنْتِفَاتُ عَلَى مَعْنَيْنِ

في يوم الجزاء : فحينئذ يوجب الإقبال عليه ، والخطاب بتخصيصه بغاية
الخصوع والإستعانة في المَوَات . وَمِنْ خِلَافِ الْقَتَصِي تَلَقَّى الْخَاطَبُ بِغَيْرِ
مَا يَرْقُبُ ، بِحَمَلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلَى

آخرين ، فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوز
يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به قال تعالى : وزعم الباطل إن الباطل
كان زهوقاً ، وقال جل شأنه : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ، وقال جرير :
حَلَبَ الْحَمَامَةُ بِذِي الْأَرَاكِ فَشَاقَنِي لَا زِلْتَ فِي عَلَيٍّ وَأَيْكَ نَافِيزِ
وقال :

مَتَى كَانَ الْخَلِيْدُ بِدِيْ خُلُوجِ سَقِيَتِ الْفَيْثُ أَيُّهَا الْبَلِيْغُ
أَبْذُكْرُ يَوْمَ تَصْقَلُ عَرِيضِيْ بِفَرَعِ بِشَامَةِ سَقَى الْبِشَامِ

والثاني أن تذكر معنى فترهم أن السامع اختلجه شيء فتلقت إلى كلام يزيل
اختلاجه ثم ترجع إلى مقصودك كقول ابن ميادة

فَلَا صَرْمُهُ يَبْذُو وَفِي الْيَتْسِ رَاحَةً وَلَا وَصْلُهُ يَصْفُو لَنَا فَتُكَارِمُهُ
(تلقى المخاطب) هذا هو الذي سماه السكاكي الأسلوب الحكيم وقال فيه :

إن هذا الأسلوب لربما صادف المقام غرك من نشاط السامع ما سلبه حكم
الوقور ، وأبرزه في معرض المسحور وهل الآن شكيمة الجذاج لذلك الخارجى
وسل سحيمة (١) حتى آثر أن يحسن على أن يسمى غير أن يحمر بهذا الأسلوب ؟
وسماه الشيخ عبد الناهر مغالطة : وعن سلوك هذه الطريقة في جواب المخاطب
عبر من قال مفتخراً :

بِالْقَصْدِ ، كَقَوْلِ الْقَبْعَمَرَى لِلْحَجَّاجِ - وَقَدْ قَاتَ لَهُ مُتَوَعِّدًا لِأَحْمَلِكَ عَلَى
الْأَذْمِ - مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْمِ وَالْأَشْهَبِ ، أَيْ مَنْ كَانَ مِثْلَ
الْأَمِيرِ فِي السُّلْطَانِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُصْفَدَ لِأَنْ يَعْصِدَ ، أَوِ السَّائِلِ
بِفَيْرٍ مَا يَتَطَلَّبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةً غَيْرَهُ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِحَالِهِ
أَوِ الْمَهْمُ لَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ
وَالْحَجِّ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَأَلَوْ لِلدِّينِ

أَنْتَ تَشْتَرِكِي عِنْدِي مَزَاقَةَ الْفَرَى وَقَدْ رَأَتْ الضِّيْقَانِ يَنْحَوْنَ مَنْزِلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا هُمْ الصَّيْفُ يَهْدِي فِي قِرَاهِمُ وَعَجَلِي
(لاحلتك على الأدم) والحجاج يريد القيد (مثل الأمير الخ) فأنت ترى
القبعمرى أبرز وعيد الحجاج في معرض الوعد وتلقاه بنير ما يترقب بمحمل الأدم
في كلامه على الفرس الأدم ، وأكد ذلك بذكر الأشهب تنبيها على أن ذلك هو
الأولى أن يقصده الأمير (يصفد) أى يعطى (لا أن يصفد) يقيد (أو السائل)
أى أو تلقى السائل الخ (يسألونك عن الأهله الآية) روى أن ثلثة من الصحابة
قالوا ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الحيط ثم يتراد قليلاً قليلاً حتى يتملى
ويستوى ثم لا يراى ينقص حتى يعود كما بدأ . وهذا سؤال عن السهب فأجيبوا
ببيان الحكمة تنبيهاً على أن الأولى أن يسألوا عن ذلك . وبعد ، فالمتحققون من
المفسرين على أنه سؤال عن الحكمة والكلام أتت على مقضى الظاهر (يسألونك
ماذا ينفقون الآن) سألوها عن بيان ما ينفقون ، فأجيبوا ببيان المصرف قال

الْحَوْضِ ، وَقَبِيلَةُ السَّكَاكِي مُطْلَقًا ، وَرَدَّه غَيْرُهُ مُطْلَقًا ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِنْ
تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لَطِيفًا قَبْلَ ، كَقَوْلِهِ
وَمَهْمَةٍ مُغْبِرَةٍ أَرْجَاؤُهُ * كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ
أَي لَوْنُهَا ، وَإِلَّا رَدَّ ، كَقَوْلِهِ * كَأَطِئْتُ بِالْقَدَنِ السَّيَّعَا *

الحوض فاعتبر ذلك ، فزل أحدهما منزلة الآخر (ومهمه) البيت لرؤية بن
الغجاج . المهمه : المفارقة ، ومغبرة : مملوءة بالغبرة ، والأرجاء : الأطراف ، وقوله
كَأَنَّ الخ : أي كأن لون سمانه لغبرتها لون أرضه فهو من القلب والاعتبار اللطيف
هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة ، ومثله قول أبي تمام يصف قلم المدوح :
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ أَمَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ
(أي لونها) يريد أن الكلام على حذف مضاف والتقدير كأن لون أرضه
لون سمانه (كاطيئت) ضدره :

* فَلَمَّا أَنْ جَرَى سَمْنٌ عَلَيْهَا *

وهو للقطا من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث السكابي وقد أنفذه من
أعدائه وأعطاه مائة ناقة وقيله :

أَسْكُرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَانِكَ لِمِائَةِ الرَّثَعَا
وبعده :

أَمَرْتُ بِهِ الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَتَجِنُّ نَجْنِي أَنْ لَنْ تُسْقَطَا

فقد شبه النسابة في سمنها بالقدن ، وهو القصر المطين بالسياع . وهو الطين
بالتين . وقد عكس فجعل المطين هو للسياع . والمطير به هو القدن ، وأيس فيه

﴿أحوال المسند﴾

أَمَا تَرَ كُهُ قُلُومًا مَرَّ كَقَوْلِهِ * فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبٌ * وقوله :

اعتبار لطيف وفيه نظر لأن القلب هنا يدل على آفة السباع حتى صار كأنه الأصل وسمن النسافة مشبه به ، فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم أكثرته بالنسبة للعظم كأنه الأصل ، وما هو مردود لعدم تضمينه اعتباراً لطيفاً .
قول حسان :

يَسْكُونُ مِنْ أَجْلِهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ *

وقول عروة بن الورد :

* هَدَيْتُ نَفْسَهُ نَفْسِي وَمَالِي *

وقول القطامي :

* وَلَا يَأْتِ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعُ *

، حتى الاستعمال يكون مزاجها عسلاً وماء . فدبت بنفسى نفسه وماله .
ولا يك موقفاً منك الوداع (فلما مر) في حذف المسند إليه ، وما يقتضى تركه
سباع الاستعمال كقولهم ضربي زيداً قائماً وأكثر شربي السويق ملتوتاً وأخطب
ما يكرن الأمير قائماً ، وما لهم بكل رجل وضعته وقولهم لولا زيد لسكان كذا
(كقوله فإني وقيار) فإنه حذف المسند إلى قيار كما ترى ، وتقدير الكلام فإني
لغريب وقيار كذلك ، وما هذا إلا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع
ضيق المقام بسبب التبريع والمحافظة على الوزن والسر في تقديم قيار على خبر لأن
قصد التسوية بينهما في التحسر على الاعتراب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول
أيضاً . ومن هنا قال الزحشرى عند قوله تعالى : إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون الآية الصابئون : مستأ وهو مع خبره الخذف في حالة معطوفة على

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُحْتَمٍ
وَقَوْلِكَ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ وَعَمْرُو ، وَقَوْلِكَ : حَرَجْتُ فَإِذَا زَيْدٌ ، وَقَوْلِهِ

جملة إن الذين آمنوا إلى آخره لاجل لها من الإعراب وفائدة تقديم الصابئون
التنبيه على أنهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالاً وأشدّهم غيأً يتاب عليهم إن
صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بشيرهم ، هذا ، وقد أشد البيت
صاحب السكامل الخاني وقياراً بالنصب ثم قال ولو رفع لسكان جيداً تقول إن
زيداً منطلق وعمرأ وعمرؤ فن قال عمرأ فلما رده على زيد ومن قال عمرو فنه
وجهان : جيد وهو أن تحمل عمراً على الموضع ، وجائر وهو أن يعطف على المضمرة
في الخبر ، والبيت لضاني بن الحارث البرهمي من أبيات قالها وهو محبوس في
المدينة أيام الخليفة الثالث وصدره .

١٠ : وَمَنْ يَلْبِ أُنْسِي بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ .

الرحل : المنزل ، وقيار : اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر وهو معناه
التوجه من القرية (. قوله نحن بما عندنا) أي نحن بما عندنا راضون فالمسند إلى
نحن محذوف كما ترى للاختراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل وبما حذف
فيه المسند للاختراز عن العبث قوله تعالى : والله ورسوله أحق أن يرضوه . أي
والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك . يجبني أن يكون جملة واحدة وتوسيد التوسير
لأنه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضى واحد . والبيت
لقيس بن الخطيم من خول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرؤ ومن هذا
الباب قوله تعالى : واللاتي يئسن من المحض من نساءكم إن كنتم تعدن ثلاثة أشهر
واللاتي لم يحضن أي واللاتي لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فإذا زيد) حذف

* إِنَّ حَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا * أَيْ إِنَّ لَنَا فِي الدُّنْيَا ، وَلَنَا عَنْهَا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَصَبِّرْ حَبِيلًا ،

المستند إلى زيد الاحتراز عن العبث مع اتباع الاستعمال وإلما كان ذكره ههنا
عيباً لأن إذا المجائية تدل على مطلق الوجود وقد انضم إليها ما يدل على الخبر
المخصوص وهو خرجت المشعر بانه الماد ، فإذا ريد بالباب أو موجود ههنا
(وقوله إن محلاً) إذ التقدير — كما في المصنف — إن لنا في الدنيا محلاً ولنا عنها
إلى الآخرة مرتحلاً ، فالمعند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال .
ومن هذا قول الرجل للرجل : هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم ، فقولي إن
زيداً وإن عمراً أى لنا وقد وضع سبويه في ذلك باباً فقال : هذا باب ما يحسن
عليه السكوت في هذه الاحرف الخمسة لإضمارك ما يكون مستقراً لها وهو مضمراً
لو أظهرته وليس هذا المضمهر بنفس المظهر . وذلك إن مالا وإن ولداً وإن
عددأ ، قال عبدالقاهر : لو أسقطت إن لم يحسن الحذف أو لم يجر لأنها الحاضنة
له والمتكفلة بشأنه المترجمة عنه . والبيت للأعشى وتماه :

* وَإِنَّ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا *

في الصحاح : السفر جمع سافر كصحب وصاحب ، وفي القاموس : السافر
المسافر لا فعل له (وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشف
وتقديره لو تملكون تملكون مكرراً لفائدة التأكيد فأضمر تملك الأول لإضماراً
على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو
أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر واملكون تفسيره
قال وهذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان فهو إن أنتم
تملكون فيه دلالة على الاختصاص ، وأن الناس هم المختصون بالشمع البالغ

يَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ ، أَى أَجَلٌ ، أَوْ فَأَمْرِي : وَلَا أَبْدَ مِنْ قَرِينَةٍ ، كَوْنُهُمْ
السَّكَّامُ جَوَابًا لِسُؤَالِهِ — مُحَقِّقٌ نَحْوُ : وَثِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، أَوْ مُقَدَّرٌ نَحْوُ : نَبَأَتْ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِيُخْصِمَةَ :

ونحوه قول حاتم :

« لَوْ ذَاتُ سَوَارٍ لَطَمْتَنِي »

وقول المتلبس :

« وَلَوْ غَيْرُ إِخْوَانِي أَرَادُوا نَقِصَتِي »

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ
والخبر (يحتمل الأمرين) يعنى حذف المسند إليه وحذف المسند ، والتقدير
فأمرى صبر جميل ، أو فصبر جميل أجل . وما يحتمل الأمرين قوله تعالى :
سورة أنزلناها ، وطاعة معروفة ، أى هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة ،
والمطلوب منكم طاعة معروفة ، معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخالص
من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا إيمان تقسمون بها بأفواهكم
وقلوبكم على خلافها ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل ،
أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة قاله الزمخشري ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : ولا تقولوا ثلاثة . أى ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة
أو ولا تقولوا لله وعيسى ومريم آلهة ثلاثة ، ففى الحذف تكثير فائدة الترسعة
بالاحتمال « تكله » قال صاحب المفتاح : وقد يكون حذف المسند بناء على أن
ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فأذك لو قلت
أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع (نحو
إليك يزيد) وتامه . ومختبط بما تطيح الطوايح . قالت ترى أنه لما قال

وَفَضْلُهُ عَلَى خِلَافِهِ بِتَكْثِيرِ الْإِسْنَادِ إِجْمَالًا ثُمَّ تَفْصِيلًا ، وَبِوُقُوعِ نَحْوِ :
يَزِيدُ غَيْرَ فَضْلَةٍ ، وَبِكَوْنِ مَعْرِفَةِ الْفَاعِلِ كَحُجُولِ نِعْمَةٍ غَيْرِ مُتَرَقِّبَةٍ

ليبك يزيد كان سائلا سأل من يكيه فقال ضارع أى يكيه ضارع ، وقد روى البيت بفتح ياء بك فيكون يزيد مفعولا وضارع فاعلا والعنارح المستكن الخاشع وقوله لخصومة أى لاجل خصومة نالته لانه كان ملجأ للعائدين ، والمختبط الذى يطلب المعروف من غير آصرة والطوائع جمع مطيحة وهى القوادف على غير قياس كواقح جمع ملحقة يقال طوحته الطوائع أى نزلت به الممالك والبيت لضرار بن نمثل يرئ أماء يزيد (وفعله) يعنى هذا التركيب وهو بناء لبيك للذم ول على الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى لبيك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد (إجمالا ثم تفصيلا) أى بأن أسند أولا إجمالا أى إسناد إجمال ثم أسند ثانيا تفصيلا أى إسناد تفصيل ، وبعد ، فقد قال السكاك. إن مثل هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة إلى حيث يساطح السامعين ويبارى الفرقدين وموقعه أن يصل من بليغ عالم بمجرات البلاغة بصير بمقتضيات الأحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى أفانين السحر إلى بليغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستبعاته . ومن هذا الأسلوب قوله تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن ، على وجه فإن لله شركاء إن جعلوا مفعولين جعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر أن يكون منصوبا بحذوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقا فيدخل اتخاذ الشرك من غير الجن فى الإنكار دخول اتخاذهم من الجن ، والثانى ما ذكره صاحب الكشف أن ينصب الجن بدلا من شركاء فيفيد إنكار الشرك مطلقا أيضا ، قال : وإن جعلت لله لغوا

لأنَّ أوَّل الكلام غير مُطْمَع في ذِكْرِهِ . وَأَمَّا ذِكْرُهُ فَلَمَّا مَرَّ ، أَوْ أَنَّ
يَتَعَيَّن كَوْنُهُ اسْمًا أَوْ فِعْلًا . وَأَمَّا إِفْرَادُهُ فَلِكَوْنِهِ غَيْرَ سَبَبِيٍّ مَعَ

كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ
لله شريك من كان ملكاً أو جنّاً أو غيرهما ، ولذلك قسم اسم الله على الشركاء
(فلما مر) في ذكر المسند إليه من أن الذكر هو الأصل ولا مقتضى للعدل
عنه ومن الاحتياط لضعف التحويل على القرينة ومن السريض بغاوة السامع
مثل قوله تعالى : بل فعله كبيرهم هذا بعد ، وقوله : أأت فعلت هذا بالهتينا بإبراهيم
وغير ذلك (أو أن يتعين كونه اسماً) فيستفاد منه الشيء (أو فعلاً) فيستفاد
منه التجدد (فلنكرته غير سببي إلى آخره) إليك جارية السكاك مع شيء من
التصرف قال : وأما الحالة المقتضية لأفراد الأسماء فهي إما أن تكون فعلياً ولم يكن
المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم المراد بالفعل إما أن يكون مفهوماً محكوماً
به بالثبوت المسند إليه أو بالانتفاء عنه كقولك أبو زيد مشطاً ، السكر من الربستين
ويضرب أخو عمرو ويشكر عمرو أن تعطه وفي الدار جالداً إذ تقديره واستقر
أو حصل في الدار على أقوى الاحتمالين تمام الصلة بالظرف ، بما يقتضي أن يكون
جملة أن يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) أناغ فد ، وأنت عرفت وهو

(١) بينا لك سبب التقوى في مثل هذه المثل عند الظلام على تقديم المسند
إليه على ما رآه الشيخ عبد القاهر ، أما على ما ذكره السكاك في سبب التقوى أن
المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فليأخذ جاء بعده ما بصاحب
أن يسند إليه صرفه إلى نفسه فيتعقد بينهما حكم سواء كان خالياً عن الضمير
أو متضمناً له ثم إذا كان متضمناً لضميره ثم هو ذلك الضمير إلى المبتدأ تانياً
فيكتسب الحكم قوة .

عَدَمَ إِفَادَةِ تَقْوَى الْحُكْمِ ، وَالْمَرَادُ بِالسَّبِيحِ نَحْوُ : زَيْدٌ أَبُوهُ مُنْطَلِقٌ ،
وَأَمَّا كَوْنُهُ فِعْلاً فَلِلتَّمْيِيدِ بِأَحَدِ الْأَزْمِنَةِ الثَّلَاثَةِ عَلَى أَحْصَرِ وَجْهِ ، مَعَ
إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كَقَوْلِهِ :

أَوْكَلْنَا وَرَدَتْ عُكَاظُ قَبِيلَةٍ * بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّسُ

عرف وزيد عرف أو أن يكون المسند سببياً وهو أن يكون مفهومه مع الحكم
عليه بالثبوت لما هو سببي عليه أو بالانتماء عنه المطلوب التعليق بغير ما هو مبنى
عليه تعليق لإثبات لذلك الغير بنوع ما أو نفي عنه بنوع ما أو يكون المسند فعلاً
يستدعي الاستناد إلى ما بعده بالإثبات أو بالنفي فيطلب تعليقه على ما قبله
بنوع لإثبات أو نفي ليكون ما بعده بسبب ما قبله ، فالأول نحو زيد أبوه منطلق
فإن مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته امتداده يعنى أبوه قد علق بزيد بالإثبات
له وزيد غير ما بنى منطلق عليه ، والثاني نحو عمرو ضرب أبوه ، فإن ضرب فعل
أسند إلى ما بعده وهو أخوه ثم علق على ما قبله وهو عمرو بالإثبات لأن الآخر
متعلق به ومضاف إلى ضميره (كقوله) أى قول طريف بن تميم العنبري من
أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما إلى آخره) فالمعنى على توهم وتأمل
ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً ، وقصص منه للوجود واحداً بعد
واحد ، ولو قيل متوَسَّساً لم يفد ذلك حق الإفادة . ومن البين في ذلك قوله
جل شأنه : هل من خالق غير الله يرزقكم ، إذ لو قيل هل من خالق غير الله
رازق لكم لكان المعنى غير ما أريد ، وقول الأعشى :

وَأَمَّا كَوْنُهُ اسْمًا فَلِإِفَادَةِ عَدَمِهَا كَقَوْلِهِ :
لَا يَأْتِ النَّزْهُمُ الْمَضْرُوبُ ضَرْبَتَنَا لَكِنْ يَرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
وَأَمَّا تَقْيِيدُ الْفِعْلِ بِمَفْعُولٍ وَنَحْوِهِ فَيَنْتَزِعُ الْفَائِدَةَ ، وَالْمَقْيَدُ فِي نَحْوِ

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحْرِقُ^(١)
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ بِصُطْلِحَانِيَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْحَلَقُ
المعنى على أن هناك موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالا لحالا ، وإذا
قيل إلى ضوء نار متحركة كان المعنى أن هناك ناراً قد تفتت لها وفيها هذه الصفة
وحسرى ذلك مجرى أن يقال إلى ضوء نار عظيمة في أنه لا يشيد فعلا يفعل
« هذا » وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتنشدون وينهاخرون . يقول
الشاعر : إن لكل قبيلة على جناية فني وردوا عكاظ طليبي الكافل بأمرهم ،
(فلإفادة عدمها) أى عدم التقيد المذكور وإفادة التجدد ، لأن الاسم واسع
لأجل أن ثبت به المعنى للشيء لحسب (كقوله) أى قول الضر بن جويته بتدح
بالغنى والكرم — فالمعنى أن الانطلاق من العرة ثابت لأمرهم دائماً ، عما هو
ظاهر في ذلك قوله تعالى : وكلمهم بأسط ذراعيه بالوصيد ، فإن أحداً لا يملك
في امتناع الفعل . وهنا كما لا يخفى (ونحوه) كالحال والقبيل (فلتقريب الفائدة)
لأن الحكم العارى عن القيود لا يزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للذات
عليه بل ربما كان ذلك الحكم معلوماً عند السامع ، فلا يحد فإذا زيد قيد كان

(١) لاحت : لمعت ، واليفاع : ما ارتفع من الأرض . وتشب : توفد ،
والمقور : المصاب بالقر وهو البرد ، والندي : الكرم ، والحلق : اسم رجل
كريم من ولد أبي بكر بن كلاب من بني عامر

كَانَ زَيْدٌ مُنْطَلِقًا هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَلِإِنِّهَا مِنْهَا . وَأَمَّا تَقْيِيدُهُ بِالشَّرْطِ ، فَلِإِعْتِبَارَاتٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَا بَيْنَ أَدَوَاتِهِ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكُ فِي عَمَلِ النَّحْوِ ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ هَهُنَا فِي إِنْ وَإِذَا وَنَوْ فَنُ وَإِذَا لِلشَّرْطِ فِي الِاسْتِقْبَالِ ، لَكِنْ أَصْلُ إِنْ عِنْدَ الْجَزْمِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ ، وَأَصْلُ إِذَا الْجَزْمُ بِوُقُوعِهِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَادَرُ مَوْقِعًا لِكِنْ ، وَغَابَ لَفْظُ الْمُنْطَلِقِ مَعَ إِذَا نَوْ : فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

فِيهِ فَائِدَةٌ غَرِيبَةٌ : وَثَمًا كَثُرَتْ فَوَائِدُهُ (هُوَ مُنْطَلِقًا لَا كَانَ) لِأَنَّهُ مُنْطَلِقًا هُوَ الْمُسْتَدُّ حَقِيقَةً وَكَانَ قَبْلَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى زَمَانٍ النِّسْبَةِ (تَرْكُهُ) أَنْ تَرَكَ تَهْيِيتَ الْمُسْتَدِّ (فَلِإِنِّهَا مِنْهَا) أَيْ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ كَعَدَمِ الْعِلْمِ بِالْمَقِيدَاتِ أَوْ عَدَمِ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ (تَقْيِيدُهُ) أَيْ الْعَمَلُ (أَدَوَاتُهُ) أَدَوَاتُ الشَّرْطِ (لِلشَّرْطِ فِي الِاسْتِقْبَالِ) أَيْ لِتَعْلِيقِ حَصُولِ الْجُزْأِ بِحَصُولِ الشَّرْطِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ (وَلِذَلِكَ كَانَ الْمَادَرُ مَوْقِعًا لِكِنْ) لِأَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ فِي نَاقِلِ الْأَمْرِ () وَغَابَ لَفْظُ الْمُنْطَلِقِ مَعَ إِذَا (لِأَنَّهُ أَغْرَبُ إِلَى الْقَطْعِ بِالْوُقُوعِ فَطُرَا إِلَى اللَّامِظَةِ وَوَعْدِهِ) فَلَا بُدَّ لِلْمُبْلَغِ مِنَ الْعِلْمِ بِمَوْجِعِ أَنْ وَإِذَا حَسْبِ تَكُونِ بِسُجُودِ مِنَ الْخَطَا وَمَعَارِزَةِ مِنَ الْوَلَمِ ، أَوْ مَا تَرَى كَيْفَ انْحَوَا بِالْإِثْمَةِ عَلَى عِبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ حَسْبِ إِنْ أَخْطَأَ هُمَا الْمَوْجِعُ فِي قَوْلِهِ يَخَاطَبُ بَعْضَ الْوَلَاةِ وَوَعْدَ سَأَلِهِ سَاعَةً فَلَمْ يَقْضِهَا ثُمَّ شَمِعَ لَهُ فِيهَا فَقَضَاهَا :

(١) قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ الْمَادَرُ - وَهُوَ مَا وَقَعَهُ قَلِيلٌ - قَدْ يَجْزِمُ بِوُقُوعِهِ كَمَا يَجْزِمُ بِوُقُوعِ الْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ نَدْوَرِ وَقُوعِهِ إِذْ لَا يَحْصُلُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً .

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ
الْحَسَنَةَ الْمَطْلُوقَةَ ، وَلِهَذَا عُرِفَتْ تَعْرِيفَ الْجِنْسِ ، وَالسَّيِّئَةُ نَادِرَةٌ بِالنِّسْبَةِ
إِلَيْهَا ، وَلِهَذَا نُسَكَّرَتْ ؛ وَقَدْ تُسَمَّعَلُ إِنْ فِي الْجَزْمِ تَجَاهُلًا أَوْ لِعَدَمِ جَزْمِ

ذُخِّمَتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأُذِرْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطَلَبَهَا
أَبَى لَكَ كَسَبَ الْحَمْدِ رَأَى مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَصَاقَ اللَّهُ بِاتِّخَاذِ بَاطِلِهَا
إِذَا مَيَّ حَبَّتُهُ عَلَى الْخُسْفَانِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرِّ أَطَاعَهَا

(جامعهم) قوم موسى (الحسنة) من الحسب والرخاء (لنا هذه) لأجلنا
ونحن مستحقوها (سيئة) جذب وبلاء (لأن المراد إلى آخره) أصل هذا
الكلام لصاحب الكشف غفر الله له وهاك عبارته : فإن قلت كيف قيل فإذا
جاءتهم الحسنة فإذا وتعريف الجنس وإن تصبهم سيئة بأن وتشكر السيئة ، قلت
لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه ، وأما السيئة فلا تقع
إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ، انتهى كلامه . أما قوله تعالى : إذا مس
الناس ضر ، بلفظ إذا مع الضر فلننظر إلى لفظ المس وإلى تشكر الضر المفيد
في المقام التوبيخى القصد إلى اليسير من الضر وإلى الناس المستحقين أن يلحقهم
كل ضرر والتنبية على أن مساس قدر يسير من الضر لا مشال هؤلاء حقه أن
يتكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله تعالى : وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ،
بعد قوله عز وجل : وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، أى أعرض
عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم ، فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون
الضمير في مسه للعرض المتكبر ، ويكون لفظ إذا للتنبية على أن مثله يحق أن
يكون اتلاؤه بالشر مقطوعاً به (تجاهلاً) لاستدعاء المقام إياه كما إذا استطاعت

فَالْخَطَّابِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُكَذِّبُكَ : إِنْ صَدَقْتُ فَإِذَا تَفَعَّلْتُ ، أَوْ تَنْزِيلِهِ
مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ لِحَالَتِهِ مُقْتَضَى الْعِلْمِ أَوِ التَّوْبِيخِ ، وَتَصْوِيرِ أَنَّ الْمَقَامَ لَاشْتِهَالِهِ
عَلَى مَا يَقْتَضِي الشَّرْطُ عَنْ أَحَدٍ لَا يَصْنَعُ إِلَّا لِقَرَضِهِ كَمَا يَفْرَضُ لِلْحَالِ نَحْوُ :
أَفَنْضِرْ عَنْكُمْ الَّذِي كَرَّرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ، فَيَمْنُ قَرَأَ إِنْ
بِالْكَاسِرِ ، أَوْ تَغْلِيْبِ غَيْرِ الْمُتَصِفِ بِهِ عَلَى الْمُتَصِفِ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ كُنْتُمْ

ليذلك فتقول إن يطلع الصبح وينقض الليل أفعل كذا فتجاهل تولها وتضجراً
(أو تنزيهه إلى آخره) كما يقول الآب لابن لا يراعي حقه ، افعل ما شئت إني
لم أكن لك أباً كيف تراعى حق (كما يفرض المحال) متى تعلق بفرضه
غرض من الأغراض نحو إرضاء العنان لإلزام الخصم والتبكيك كما ذكر الزمخشري
في قوله تعالى : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا ، أَنَّهُ مِنْ بَابِ التَّبَكُّيْتِ
لأن دين الحق واحد لا يوجد له مثل ، فقل فإن آمنوا بكلمة ذلك على سبيل
الفرض والتقدير ، أى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مساوياً له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا . وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه متغاير له
غير مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ، ونحو هذا قولك للرجل
نشير عليه هذا هو الرأي والصواب فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به
وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ، واكنك تريد تبكيك صاحبك وتوقيفه
على أن مارأيت لا رأى وراءه (نحو أفنضرب الآية) فأنت ترى أن الإسراف
مقطوع به لكن جىء باللفظ إن لقصد التأنيب والتجهيل في ارتكاب الإسراف ،
وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام — مقام ظهور الآيات ونزول
القرآن — حرى أن لا يكون مبهوته له إلا على مجرد الفرض والتقدير (به) أى

فِي رَسْبٍ مَّا تَزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ، يَحْتَمِلُهَا . وَالتَّغْلِبُ يُجْرَى فِي فُنُونٍ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ، وَمِنْهُ أَيْ بَوَانِ

بالشرط (يَحْتَمِلُهَا) أَيْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّوْبِخِ عَلَى الرِّبَا وَتَصَوُّرِ أَنَّ الرِّبَا
مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقْبَلَ لَهُ إِلَّا عَلَى الْفَرْضِ لِاسْتِحَالِ الْمَقَامِ عَلَى مَا يَرْبُهَا وَهِيَ الْآيَاتُ
وَأَنْ يَكُونَ لَتَغْلِبَ غَيْرَ الْمَرَاتِبِينَ مِنَ الْخَاطِبِينَ عَلَى الْمَرَاتِبِينَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلِئَمَّا يَسْكُرُ عُنَادًا (وَالتَّغْلِبُ) وَهُوَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الشَّيْءِ مَا لَمْ يَكُنْ
لِتَنَاسُبِ بَيْنِهِمَا أَوْ اخْتِلَافًا ، وَهُوَ أَمْرٌ يَجْرَى فِي كُلِّ مَتَنَاسِبِينَ وَمُخْتَلَطِينَ بِحَسَبِ
الْمَقَامَاتِ لَكِنْ غَالِبُ أَمْرِهِ دَاخِرٌ عَلَى الشَّرَفِ وَالْحَقِّقَةِ (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)
فَعَدَّتِ الْآيَاتُ مِنَ الذِّكُورِ بِحَكْمِ التَّغْلِبِ ، لِأَنَّ الْقُنُوتَ عَمَّا يَوْصَفُ بِهِ الذِّكُورُ
وَالْإِنَاثُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقِيلَ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتَاتِ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) فَكَانَ
الْقِيَاسُ يَجْهَلُونَ لِأَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى قَوْمٍ وَلَفْظُهُ لَمَطُ الْغَائِبِ لِكُونِهِ اسْمًا مُظْهِرًا
لَكُنْهُ فِي الْمَعْنَى عِبَارَةً عَنِ الْخَاطِبِينَ ، فَغَلَبَ جَانِبُ الْخُطَابِ عَلَى جَانِبِ الْغَيْبَةِ ،
(وَمِنْهُ أَوَانِ) وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : اخْرِجْكَ يَا شُعَيْبُ وَالْبَنِينَ آمِنًا مَعَكَ مِنْ
قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ، أَدْخَلَ شُعَيْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا بِحَكْمِ
التَّغْلِبِ إِذْ لَمْ يَكُنْ شُعَيْبٌ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : فَسَجِدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ، عَدَدَ
إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِحَكْمِ التَّغْلِبِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ الْخُطَابَ فِيهِ شَامِلٌ لِلْعُقُلَاءِ وَالْأَنْعَامِ فَغَلَبَ
فِيهِ الْخَاطِبُونَ عَلَى الْغَائِبِينَ وَالْعُقُلَاءِ عَلَى الْأَنْعَامِ ، وَقَوْلُهُ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ : أَيْ يَذْكُرُكُمْ
وَيَسْكُرُكُمْ فِي هَذَا التَّدْبِيرِ ، وَهُوَ أَنْ جَعَلَ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا حَتَّى كَانَ بَيْنَ
ذِكُورِهِمْ وَإِنَاثِهِمُ التَّوَالِدَ وَالنَّاسِلَ ، لِجَعْلِ هَذَا التَّدْبِيرِ كَالْمَعْدِنِ وَالْمَتَبَعِ لِلْبَيْتِ وَالتَّكْثِيرِ
وَلِذَلِكَ قِيلَ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ وَلَمْ يَقُلْ بِهِ كَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَلَكُمْ فِي الْفُصَاصِ حَيَاةٌ .

ونحوه ، وَلِكُونِهِنَّ لِتَعْلِيْقِ أَمْرِ بَغْيَرِهِ فِي الْإِسْتِقْبَالِ كَانَ كُلُّ
مِنْ جُمْلَتِي كُلِّهِ فَعِلِيَّةٌ اسْتِقْبَالِيَّةٌ ، وَلَا يُخَالَفُ ذَلِكَ لَفْظًا

(ونحوه) كالشرقيين للشرق والمغرب ، والقمرين ، للشمس والقمر ، والحسنين .
للحسن والحسين وما أشبه ذلك مما غلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر
بأن جعل متفصلاً في الاسم ، ثم أتى ذلك الاسم وقصد إليهما جميعاً (ولكونهما)
إن وإذا (لتعليق أمر) وهو حصول مضمون الجزاء (بغیره) وهو حصول
مضمون الشرط (في الاستقبال) مرتبط بلفظ غيره على معنى جعل حصول
الجزاء مترتباً على حصول الشرط في الاستقبال (كان كل من جملي كل فعالية
استقبالية) ذلك لأن الشرط كما لا يخفى مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع
ثبوته ومضيه ، والجزاء معلق حصوله على حصول الشرط في الاستقبال ، ويمتنع
كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل
(لفظاً) وأما معنى فلا يمكن التخالف بحال ، وقوله تعالى : وإن يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ، معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك ،
وقوله : إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ، ومعناه ينصره
من نصره قبل ذلك . وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام وهذا ، وقد تستعمل^(١)
إن في غير الاستقبال قياساً إذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى : وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية ، وفي غير ذلك قليلاً ، كقول أبي العلاء المعري :

(١) يكون ذلك إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي
ولا يقال إن هذا ينافي ما قدمناه آنفاً من أن الشرط مفروض الحصول في
الاستقبال لأننا نقول هذا حين استعمال إن لتعليق المستقبل كما هو غالب أمرها .

إِلَّا لِنَسَكْتِهِ ، كما يبرز غير الحاصل في معرض الحاصل ، لقوة الأسباب
أو كون ما هو للوقوع كالواقع أو التفاضل ، أو إظهار الرغبة في وقوعه

وإن ذهلت عما أجن صدورهما فقد ألهمت وجداً نفوس رجال^(١)
الظاهر أن المعنى على المعنى دون الاستقبال ، وقد تستعمل إذا للضی . مثل قوله
تعالى : حتى إذا بلغ بين السدين . حتى إذا ساءى بين الصديقين . حتى إذا جمعه
ثاراً ، وللاستمرار مثل قوله جى شأنه : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا .
(إلا لنسكته) فإن قلت فأى نسكته فى قوله تعالى : إن يثقوكم يكونوا لكم أعداء
ويسطروا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لوتكفرون ، وقد ذكر فى موضع
جزء هذا الشرط ثلاث جهل متعاطفة وعدل فى الثالثة إلى لفظ الماضى ، فإنما
تقول الفرض من ذلك كما قال الزمخشري الدلالة على أنهم وودوا قبل كل شيء
كفر المؤمنين وارتدادهم ، يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا
والدين جميعاً من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً ، وردكم كفاراً
تسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون
لها دونه والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه (لقوة الأسباب)
وذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الاشتراء إن اشترينا كذا كان كذا (أو كون
ما هو للوقوع كالواقع) هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الأسباب يعنى أنه يعبر
بالماضى عن المستقبل فى جملة الشرط لقصد إبراز غير الحاصل فى العرض الحاصل .
لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقع فى ترتب ثمرة الوقوع فى الجملة على كل
منهما وذلك مثل أن تقول إن مت كان كذا وكذا (فى وقوعه) أى وقوع الشرط أو

(١) يقول : إن هذه الإبل قد أحرقت بحثينها قلوب رجال ، يعنى
راكبها وإن خلت صدورها عن للوجد الذى أضمره .

نَحْوُ : إِنْ ظَفَرْتُ بِمُحْسِنِ الْعَاقِبَةِ فَهُوَ الْمَرَامُ ، فَإِنَّ الطَّالِبَ إِذَا عَقَلَتْ رَغْبَتُهُ
فِي حُصُولِ أَمْرٍ يَسْكُنُهُ تَصَوُّرُهُ لِيَأْتَهُ ، فَرُبَّمَا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ حَاصِلًا ، وَعَلَيْهِ :
إِنْ أُرْدَنْ تَحَصُّنًا . السَّكَائِي : أَوْ لِلتَّعْرِيزِ نَحْوُ : لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَتَجَبَّنَّ .

غير الحاصل (إن ظفرت إلى آخره) هو مثال للأمرين قبله (فرما يخيل إليه
حاصل) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى إذا وجد حكم المحسن بخلاف
حكمه غلظه تارة واستخرج له محلا أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري :

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطَلَبْتُ مِنْكَ بِصُحْبَتِي سُرِّي أُمَامِي وَتَأْوِيَا عَلَى أُنْبَرِي .

يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فأعدك بين يدي مغاطلا
للبصر بعملة الظلام إذا لم يدركك ليلا أُمَامِي وأعدك خلقا إذا لم يتيسر لي تغليط
حين لا يدركك بين يدي نهاراً (وعليه) أي على إظهار الرغبة في الوقوع قوله .
تعالى : ولا تتركوهما فتيا نكم على البغاء إن أردن تحصناً ، فلم يقل إن يردن
وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة في إرادتهن التحصن ، وإنما قال
وعليه لأن الله منزه عن الرغبة ، والمراد ههنا لاؤها وهو كال الرضا به ..
هـ هذا ، وفائدة قوله إن أردن تحصناً أن يبدشع عند المخاطب الوقوع في الإكراه
لكن يعرف أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة ، وإن لم يكن ثم زاجر
شرعي ، ذاك لأن مضمون الآية التذاه عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت
التحصن عن الفاحشة وهو يأتي بالإكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالمخاطب
لمحمد عليه السلام وعدم إشراكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي إبرازاً
للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضاً لمن صدر عنهم
الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم ، وبما هو بين في ذلك قوله تعالى : ولئن
اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم لئذا لمن الظالمين ، قال صاحب الكشف

عَمَلِكَ ، وَتَفْظِيرُهُ فِي التَّعْرِضِ : وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ؟ أَى وَمَالِكُمْ
لَا تَعْبُدُونَ الَّذِي فَطَرَكُمْ ، بِدَلِيلٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ؛ وَوَجْهٌ حُسْنُهُ إِسْتِمَاعُ
الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ ، وَهُوَ تَرْكُ التَّمَرُّجِ بِنِسْبَتِهِمْ
إِلَى الْبَاطِلِ ، وَيُعَيِّنُ عَلَى قَبُولِهِ لِيَكُونَهُ أَذْخَالٌ فِي إِمْحَاضِ النِّفْسِ ، حَيْثُ
لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ . وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ
الشَّرْطِ فَيَلْزَمُ عَدَمُ الثَّبُوتِ وَالْمَضَى فِي جَمَلَتَيْهَا ، فَدُخُولُهَا عَلَى الْمُضَارِعِ

هذا الكلام ورد على سبيل التقرير ، وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير
واحتفاظ لخال من يترك الدليل بعد إمارته بيمين الهوى (ونظيره في التعريض
ومالي لا أعبد الذي فطرنى) ومثل ذلك قوله تعالى : أَلَتُنْجِئُونَهُ مِنْ دُونِهِ إِنْ
يَرُدُّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّ لَاتٍ عَنْ شِفَاعَتِهِمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ إِنْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ :
إِذَا الْمُرَادُ أَنْتُمْ تَقْضُونَ مِنْ دُونِهِ آلهة إِنْ يَرُدُّكُمْ الرَّحْمَنُ بِضُرِّ لَاتٍ عَنْ شِفَاعَتِهِمْ
شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَكُمْ إِنْكُمْ إِذَا لَقِيَ ضَلَالٌ مُبِينٌ وَلِذَلِكَ قِيلَ أَمْنْتُ بِرَبِّكُمْ دُونَ بَرٍّ
وَأَتَّبَعْتُمْ فَاسِقِينَ (بدليل وإليه ترجعون) إِذْ لَوْلَا التَّعْرِضُ لَكَانَ الْمُنَاسِبُ وَإِلَيْهِ
أَرْجَعُ لِأَنَّهُ الْمَوَاقِفُ لِلْسِّيَاقِ (حَسَنُهُ) أَى التَّعْرِضِ (الْمُخَاطَبِينَ) الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ
الْمَلِكِ (وَيُعَيِّنُ) عَنَّفَ عَلَى قَوْلِهِ لَا يَزِيدُ أَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَجْهَ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ وَهُوَ
عَلَى ذَلِكَ يُعَيِّنُ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ (وَلَوْ لِلشَّرْطِ فِي الْمَاضِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ أَصْلُ
لَوْ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجُزْءَ كَانَ فِيمَا مَضَى بِحَسَبِ يَقَعِ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِ الشَّرْطِ
مَعَ الْقَطْعِ بِإِنْتِفَاءِ الشَّرْطِ الْمُقْتَضَى انْتِفَاءُ الْجُزْءِ فَأَمَّا إِذَا قُلْتَ لَوْ جُمُنَى لَا كَرَمَتِكَ
فَهْمُ أَنَّ الْجَمْعَ شَرْطٌ فِي الْإِكْرَامِ وَأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ وَقُوعِهِ يَقَعُ وَفَهْمُ مَعَ هَذَا
أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَقَعْ فَيَلْزَمُ — حَيْثُ كَانَ الْجَمْعُ شَرْطاً وَانْتَفَى — انْتِفَاءُ الْمَشْرُوطِ
الَّذِي هُوَ الْجُزْءُ ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ إِنْ لَوْ لَامْتِنَاعِ الشَّيْءِ لَامْتِنَاعُ غَيْرِهِ وَتَوْفِيهِ
ذَلِكَ حَقُّهُ مِنَ الْبَيَانِ أَمَّا يَلْمُ الْلُغَةَ (وَالْمَضَى) وَذَهَبَ الْمُرَدُّ إِلَى أَنَّهَا تَسْتَعْيِلُ

فِي نَحْوِ : لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ
فِيَا مَضَى وَقَفًا قَوِّمًا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ آمَنَّا : اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، وَفِي نَحْوِ :
وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّيْنَا عَلَى النَّارِ ، لِنُزِيلِ بِهِ مَنَازِلَ اللَّأَيِ لِيُصْذِرَهُ عَنَّا

فِي الْمُسْتَقْبَلِ اسْتِمَالُ إِنْ وَأَنْشُدْ قَوْلَ الْهَذَلِ :

وَلَوْ تَلْتَقَى أَصْدَاؤُنَا بِصَدِّ مَوْتِنَا

وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ سَبَبٌ^(١)

أَطْلَعَ صَدَى صَوْنِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لِيَصُوتَ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَهَارِبُ
(لعنتم) أى لوقعتم في العنت والحلاك ، يقال فلان يتعنث فلاناً : أى يطلب
ما يؤديه إلى الهلاك ، وقد أعنت الأنظم إذا هبض بعد الجبر (لقصد استمرار
العمل إلى آخره) قال الزمخشري : إنما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه
كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يتصورونه ، ولأنه كلما عن لهم رأى
في أمر كان معمولاً عليه بدليل قوله : في كثير من الأمر ، كقولك فلان يقرى
الضعيف ويحصى الحریم : تريد أنه ما اعتاده ووجد منه مستمراً (كما في قوله
الله يستهزئ بهم) قال في الكشف : فإن قلت هلا قيل الله يستهزئ بهم ليكون
طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤن ، قلت لأن يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء
وتجده وقتاً بعد وقت وهكذا كانت نكبات الله فيهم وبلاياه التازلة بهم
(وفي نحو ولو ترى إلى آخره) من هذا الباب قوله : ولو ترى إذ الظالمون
موقوفون عند ربهم ، وقوله : ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم . هذا

(١) الأصداء جمع صدى : ظل الصوت يرجع مثله في الجبل ونحوه ،
والرمس : القبر ، والسبب : المغارة ، ويهش : يرفاح ويميل .

لَا خِلَافَ فِي إِخْبَارِهِ ، كَمَا فِي : رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ! أَوْ لَا اسْتِحْضَارِ
الصُّورَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : فَتَثِيرُ سَحَابًا ، اسْتِحْضَارًا لِتِلْكَ الصُّورَةِ الْبَدِيعَةِ
الذَّالَّةِ عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ . وَأَمَّا تَنْكِيرُهُ : فَلِإِرَادَةِ عَدَمِ الْخَصْرِ وَالْعَهْدِ ،
مَكْتُولِكَ : زَيْدٌ كَاتِبٌ وَغَمْرٌ شَاعِرٌ ، أَوْ لِلتَّنْجِيهِ ، نَحْوُ : هَذِي

ويجوز أن تكون لو في هذه الآيات للتمنى ، كأنه قال وليتك ترى ، وحينئذ
لا استشهاده لأن التي للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي (كما
في ربما يود) قال صاحب الكشف : فإن قلت لم دخلت ربما على المضارع
وقد أبوا دخولها إلا على الماضي ؟ قلت لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة
الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل ربما ود (أو لاستحضار الصورة)
هو معطوف على قوله لتزيله يعني صورة رؤية الكافرين موقوفين على التنازل
قائلين يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ، وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين
عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقاولين بتلك المقالات وصورة وذادجة
الكافرين لو أسلوا (كما في قوله تعالى فتثير سحاباً) وكما في قول تأبط شراً :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ فِتْيَانٌ قَهْمٌ بِمَا لَأَقِيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَّانٍ
بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْقَوْلَ تَهْوِي يَسْتَبُ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ
فَقُلْتُ لَهَا كِلَانًا نِضْوُ أَرْضِي أَخُو سَقَرٍ فَخَنَّى لِي مَكَانِي
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَعْوَى فَأَهْوَتْ هَا كَفَى بِتَصْقُولٍ يَتَانِي
فَانْتَرَبَهَا بِلَا دَهْشٍ فَخَرَّتْ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَلِلْجِرَانِ
إِذْ قَالَ فَأَضْرِبْهَا لِيَصُورَ لِقَوْمِهِ لِحَالَةً الَّتِي تَشْجَعُ لَهَا شَيْءٌ ضَرْبِ الْقَوْلِ كَأَنَّهُ

مَحْتَقِينَ ، أَوْ لِلتَّخْفِيرِ . وَأَمَّا تَخْصِيصُهُ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ : فَلِتَكُونَ
الْفَائِدَةُ أَتَمَّ كَأَمَرٍ . وَأَمَّا تَرْكُهُ فَعَلَيْهِمْ مِمَّا سَبَقَ . وَأَمَّا تَعَرُّفُهُ : فَلِلْفَائِدَةِ
السَّامِعِ حَكْمًا عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُ بِإِحْدَى طَرِيقِ التَّعْرِيفِ بِآخَرٍ مِثْلِهِ ،

يُبَصِّرُهُم بِأَنَّهُمْ يَطْلُبُ مِنْهُمْ مَشَاهِدَتَهَا تَعَجُّبًا مِنْ جَرَاءَتِهِ عَلَى كُلِّ هَوْلٍ وَثَبَاتِهِ
عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ ، تَكَلُّمُهُ ، قَدْ يَكُونُ دُخُولُ لَوْ عَلَى الْمُضَارَعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ
مِنَ الْمُطَاعَةِ بَحِثٌ يَحْتَزُّ عَنْ أَنْ يُعْبَرُ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي لِكُونِهِ عَمَّا يَذَلُّ عَلَى
الْوُقُوعِ فِي الْجُمْلَةِ ، كَمَا تَقُولُ : لَقَدْ أَصَابَتْنِي حَوَادِثٌ لَوْ تَبَقَّى إِلَى الْآنَ مَا بَقِيَ مِنْهُ
أُثْرٌ . وَقَدْ يَبْعُدُ عَنْ عَدَمِ الثَّبُوتِ إِلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ اسْمِيَّةً مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَوْ
أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ، دَلَالَةٌ عَلَى ثُبُوتِ الثُّبُوتِ وَاسْتِقْرَآهَا
أَمَّا الْجُمْلَةُ الْأُولَى فَلَا تَقَعُ إِلَّا فَعْلِيَّةً أَلْبَنَةً (نَحْوُ هَدَى لِلتَّقِينِ) عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَوْ خَبَرٌ ذَلِكَ الْكِتَابُ ، أَيْ هَدَى لَا يَكُنْ كُنْهُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ
اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ : إِنْ زُلْزِلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ عَظِيمٌ (أَوْ لِلتَّخْفِيرِ) كَمَا تَقُولُ الْحَاصِلُ لِي
مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ أَيْ خَفِيرٌ (كَأَمْرٍ) مِنْ أَنْ زِيَادَةَ الْخُصُوصِ تَوْجِبُ اتِّمَّةَ
الْعَائِدَةِ (تَرْكُهُ) أَيْ تَرْكُ تَخْصِيصِ الْمُسْنَدِ بِالْإِضَافَةِ أَوْ الْوَصْفِ (مِمَّا سَبَقَ) فِي تَرْكِ
تَقْيِيدِ الْمُسْنَدِ لِمَانِعٍ مِنْ تَرْبِيَةِ الْفَائِدَةِ (فَلِلْفَائِدَةِ السَّامِعِ إِلَى آخِرِهِ) قَالَ فِي الْإِبْطِاحِ
تَفْسِيرُ هَذَا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِلشَّيْءِ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ التَّعْرِيفِ وَيَكُونُ السَّامِعُ عَالِمًا
بِاتِّصَافِهِ بِإِحْدَاهُمَا دُونَ الْآخَرِ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُخْبِرَهُ بِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالْآخَرِ فَإِنَّكَ
تَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الْأُولَى وَتَجْمَلُهُ مَبْتَدَأً وَتَعْمَدُ إِلَى اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَى الثَّانِيَةِ
وَتَجْمَعُهُ جَبْرًا ، فَتَقْدِرُ السَّامِعَ مَا كَانَ يَجْمَلُهُ مِنَ اتِّصَافِهِ بِالثَّانِيَةِ ، كَمَا إِذَا كَانَ السَّامِعُ
أَخٌ يُسَمَّى زَيْدًا وَهُوَ يَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ أَخُوهُ ،
وَأَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ أَنَّهُ أَخُوهُ فَتَقُولُ لَهُ : زَيْدٌ أَخُوكَ ، سِوَاكَ عَرَفَ أَنَّ لَهُ

أَوْ لَا زِمَ حُكْمِهِ كَذَلِكَ ، نَحْوُ : زَيْدٌ أَخُوكَ وَخَيْرُكَ الْمُنْطَلِقُ ،
باعتبارِ تَعْرِيفِ التَّهْدِ أَوْ الْجِنْسِ وَعَكْسِيَّهَا ، وَالثَّانِي قَدْ يُفِيدُ قَصْرَ

أَخَا ، وَلَمْ يَعْرِفْ أَنْ زَيْدًا أَخُوهُ أَوْ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ لَهُ أَخًا أَصْلًا ، وَإِنْ عَرَفَ أَنْ
لَهُ أَخًا فِي الْجُمْلَةِ وَأَرَدَتْ أَنْ تُعَيِّنَ عِنْدَهُ قُلْتُ : أَخُوكَ زَيْدٌ ، أَمَا إِذَا لَمْ يَعْرِفْ أَنْ
لَهُ أَخًا أَصْلًا فَلَا يُقَالُ ذَلِكَ لِامْتِنَاعِ الْحُكْمِ بِالتَّعْيِينِ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْمُخَاطَبُ
أَصْلًا ، فَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَقَوْلِنَا أَخُوكَ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا
عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ
إِنْطِلَاقٍ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ كَانَ مِنْ زَيْدٍ أَوْ غَيْرِهِ . فَأَرَدْتُ أَنْ تُعْرِفَهُ أَنْ زَيْدًا هُوَ
ذَلِكَ الْمُنْطَلِقُ ، فَتَقُولُ زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعْرِفَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْمُنْطَلِقَ هُوَ
زَيْدٌ ، قُلْتُ الْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ ، وَكَذَا إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ إِنْسَانًا يُسَمَّى زَيْدًا بِعَيْنِهِ
وَاسْمِهِ وَهُوَ يَعْرِفُ مَعْنَى جِنْسِ الْمُنْطَلِقِ . وَأَرَدْتُ أَنْ تُعْرِفَهُ أَنَّ زَيْدًا مُتَّصِفٌ
بِهِ فَتَقُولُ زَيْدٌ الْمُنْطَلِقُ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعَيِّنَ عِنْدَهُ جِنْسَ الْمُنْطَلِقِ ، قُلْتُ
الْمُنْطَلِقُ زَيْدٌ ، انْتَهَى . فَقَوْلُهُ هُنَا بآخر مثله مرتبط بقوله حكما أي لإفادة
السامع حكما على أمر معلوم بأمر آخر ، مثل ذلك الأمر المحكوم عليه في أنه
معلوم للسامع بإحدى طرق التعريف ، وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف
على حكما أي أو لإفادة السامع لازم حكم على أمر معلوم بإحدى طرق التعريف
بأمر آخر مثله ، وفي هذا إشارة إلى أن كون المبتدأ والخبر معلومين لا ينافي
كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة ، لأن ما يستفيد السامع من الكلام هو
انتساب الخبر إلى المبتدأ ، أو كون المتكلم عالما به ، والعلم بنفس المبتدأ والخبر
لا يوجب العلم بانتساب أحدهما إلى الآخر ، وقوله باعتبار متعلق بمحذوف
حال من المنطلق (والثاني) أي اعتبار تعريف الجنس (قد يفيد) وقد لا يفيد
القصر كقول الخنساء .

الجنس على شيء، تحقيقاً نحو: زَيْدٌ أَمِيرٌ، أَوْ مُبَالَغَةً لِكَمَالِهِ فِيهِ؛ نَحْوُ:
عَمَرُو الشُّجَاعُ، وَقِيلَ: الْأَسْمُ مُتَعَيِّنٌ لِلْإِبْتِدَاءِ لِذِلَالَتِهِ عَلَى الذَّاتِ وَالصَّنَةِ
لِلْخَبَرِيَّةِ لِذِلَالَتِهَا عَلَى أَمْرِ نِسْبَةٍ؛ وَرُدَّ بِأَنَّ اللَّغَى الشَّخْصُ الَّذِي

إِذَا قُبِحَ الْبُكَاءُ عَلَى قَتِيلٍ * رَأَيْتُ بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجِيلَا
لم ترد أن ما عدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل، ولكنها أرادت أن
تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره أحد ومثله قول الآخر:
أَسْوَدُ إِذَا مَا أَبْدَتْ الْحَرْبُ نَابَهَا وَفِي سَائِرِ الدَّهْرِ الثُّبُوثُ الذَّرَاطِرُ
وقول حسان:

وَإِنْ سَنَامُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ حُزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
أراد أن يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها معروفاً بها (نحو
زيد الأمير) لذا لم يكن أمير سواء (لكماله فيه) أى لكمال ذلك الجنس
في المقصور عليه أو لكمال المقصور عليه في الجنس (نحو عمرو الشجاع)
أى الكامل في الشجاعة، فتخرج الكلام في صورة نوم أن الشجاعة لم توجد
لأفیه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال . . . وبعد،
فالمقصود قد يكون نفس الجنس مطلقاً، أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما
في الأمثلة المذكورة قبل، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره،
كقولك هو الوفى حين لا تظن نفس بنفس خيراً، ومثله قول الأعشى:

هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةَ لِلْعُقْطَةِ إِذَا مَخَاضًا وَإِنَّا عِشَارَا

فإنه قصر عليه هبة المائة من الإبل حال كونها مخاضاً أو عشاراً لا هبة
للمائة بأى حال كانت، ولا الهبة مطلقاً، سواء كانت هبة الإبل أو غيرها، هذا،

لَهُ الصِّفَةُ صَاحِبُ الْأَسْمَاءِ. وَأَمَّا كَوْنُهُ مُجْمَلَةٌ : فَلْتَقَوَى أَوْ لِيَكُونِهِ سَبَبِيًّا

وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز الخبر المعروف باللام معنى غير ما ذكر دقيقاً ، وذلك مثل قولك : هو البطل المحامى ، لا تريد أنه البطل المجهود ولا قصر جنس البطل عليه بمالفة ونحو ذلك ، بل تريد أن تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحامى ، وهل حصلت معنى هذه الصفة ، وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه ؟ فإن كنت قتلتَه عدواً وتصورته حتى تصوره ففليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بنيتك ، وطريقه كطريق قولك ، هل سمعت بالأسد ، وهل تعرف ماهو ؟ فإن كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه . ويزداد هذا المعنى ظهوراً بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مجرأة على موصوف ، وإن أردت أن تسمع في ذلك ما تسكن للنفس إليه ستكون الصادى إلى برد الماء فاسمع قول ابن الرومي :

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلٍّ مَالِهِ وَلَسِكِنَّهُ بِالْجَدِّ وَالْحَمْدِ مُفْرَدٌ
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَغْلَبَ عَلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الذِّى ، فإنه يحصى كثيراً على أنك تقدر شيئاً في وهلك ثم تعبر عنه بالذى ، ومثال ذلك قوله :
أَخُوكَ الَّذِي إِن تَدْعُهُ لِمِلَّةٍ يَجْعَلُكَ وَإِنْ تَقْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَنْقَضِبَ
وقول الآخر :

أَخُوكَ الَّذِي إِن رَبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَأَن جَانِبُهُ
وهذا فن عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبيل ، وهو من بحر البيان الذى تقصر العبارة عن تأدية حقه (وقيل إلى آخره) ذهب الإمام الرازى إلى أن الاسم في نحو زيد المنطلق وللنطلق زيد ، لما كان دالاً على الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر ، والصفة لما كانت دالة على أمر نسبي تعينت

لِإِمْرَةٍ ، وَاسْمِهَا وَفِعْلُهَا وَشَرْطُهَا لِإِمْرَةٍ ، وَطَرَفُهَا لِإِحْتِصَارِ الْفِعْلِ

للتخزينية قدمت أو أخرت ، فأجاب المصنف بأن المطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذى له الانطلاق ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبراً ، وزيد لا يجعل خبراً إلا بمعنى صاحب اسم زيد ، وأنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ (فللقوى) أى تقرى الحكم الذى هو ثبوت المسند للسند إليه أو سلبه ، كزيد قام وما زيد قام (أو لكونه سلباً) نحو زيد أبوه قائم (لما مر) أن أفراده يكون لكونه غير سلبى مع عدم إفادة القوى ، هذا وسبب القوى فى مثل زيد قام على ما ذكره السكاكى هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يسند إلى ذلك المبتدأ ، صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه سواء كان خالياً عن الضمير أو متضمناً له فيعقد بينهما حكم ، ثم إذا كان متضمناً للضمير المعتد به بأن لا يكون مشابهاً للخالى عن الضمير كما فى زيد قائم صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً فيكتسب الحكم قوة ، فعلى هذا يختص القوى بما يكون مسنداً إلى ضمير المبتدأ ويخرج عنه نحو : زيد ضربته ، ويجب أن يجعل سلبياً . وأما على ما ذكره عبد القاهر فى دلائل الإعجاز وهو أن الاسم لا يؤتى به معرى عن العوامل إلا للحديث قد نوى إسناده إليه ، فإذا قلت زيد فقد أشهرت قلب السامع بأنك تريد الإخبار عنه ، فهذا توطئة له وهدية الإعلام به ، فإذا قلت قام دخل فى قلبه دخول المأنوس وهذا أشد للثبوت ، أمتع من الشبهة والشك . وبالمجلة ليس الإعلام بالشئ بفتح مثل الإعلام به بعد التنبيه عليه والتقدمة ، فإن ذلك يجرى مجرى تأكيد الإعلام فى القوى ، فيدخل فيه نحو زيد ضربته وزيد مررت به (لما مر) فتسكون اسمية لإفادة الثبوت وفعلية لإفادة التجدد ، قال السكاكى : وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والإسمية تجدداً وموتاً هو يطلعك على أنه حين ادعى المناقون الإيمان

إِذْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْأَصَحِّ . وَأَمَّا تَأْخِيرُهُ : فَلِإِنَّ ذِكْرَ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِمْ
أَهَمُّ كَأَمَرٍ . وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ : فَلِتَخْصِيصِهِ بِالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ نَحْوُ : لَا فِيهَا غَوْلٌ ؛
أَيُّ بِخِلَافِ خُورِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا أَمَّ يُقَدَّمُ الظَّرْفُ فِي نَحْوِ : لَا رَيْبَ فِيهِ ،
لِثَلَا بِفَيْدِ ثُبُوتِ الرَّيْبِ فِي سَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوَّلِ التَّنْذِيرِ مِنْ أَوَّلِ
الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ لَا نَفْتَ كَقَوْلِهِ :

بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جائين به جملة فعلية ، على معنى أحدثنا الدخول
في الإيمان ، وأعرضنا عن الكفر ليرجع ذلك عنهم كيف طبق المفضل في رد
دعواهم النكاذبة فوله تعالى : وما هم بمؤمنين ، حيث جرى به جملة اسمية ومع الباء
وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم
وهو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ،
تفاوتاً إلى جملة فعلية وهي آمنا ، وإلى اسمية ومع إن وهي إنا معكم ، كيف أصاب
شاكلة الرمي ، وعلى أن إبراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاماً بالنصب
بقوله لهم سلام بالرفع ، كيف كان عاملاً بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد : وإذا
حييتهم بنحية لحيا بأحسن منها . وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة
من أدوات الشرط (إذ هي إلى آخره) يعني إنما قلنا إن الظرفية يثبت بها
اختصار الفعلية لأن الظرف في قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الأصح فصار
في تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف في تأويل المفرد (فلتخصيصه بالمسند
إليه) أي أنصر المسند إليه على المسند (نحو لا فيها غول) مثله قوله عز وعلا :
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ، وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيرده بين القيام
والقعود من غير أن يخصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خور الدنيا) فإنها تقتال
المعقول (أو للتنبيه إلى آخره) قال السكاكيني وإنما يصار إلى هذا التنبيه لأن الظرف

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّعْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
أَوْ النَّفَاوِلِ ، أَوْ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ :
ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الْدُّنْيَا بَيْنَهُمَا تَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَنْبِيهِ ۞ كَثِيرٌ مِمَّا ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَابِ وَالَّذِي قَبْلَهُ غَيْرُ مُخْتَصَرٍ
بِهِمَا ، كَالَّذِ كُتِبَ ، وَالْحَذْفِ وَغَيْرِهِمَا ؛ وَالْقَطْعُ إِذَا اتَّحَقَّ اعْتِبَارُ ذَلِكَ فِيهِمَا
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ اعْتِبَارُهُ فِي غَيْرِهَا .

بتأخره عن المنكر يكون بالحل على الوصف أول منه بالحل على الخبر لا مبرين
بتعاضدان في ذلك ، استدعاء المنكر في مقام الابتداء أن يوصف ليتنوى بذلك
فائدة الحكم ، وصلاحيه الطرف أن يكون من صفاته ، ولذلك لا يجب تقديم
الطرف على المنكر إذا كان موصوفاً ، قال الله تعالى : وأجل مسمى عنده ،
(كنوله له همم) وقوله تعالى : ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ،
وقوله الشاعر :

يَسْكُنُ جَدِيدٌ لَدَّةً غَيْرَ أَنْفَى وَجَدْتُ جَدِيدَ اللَّوْتِ غَيْرَ لَذِيذِ
والبیت الحسان من ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم (أَرِ النَّفَاوِلِ) نحو :

• سَمِعْتُ بِرَّةَ وَجْهَكَ الْأَيَّامُ •

(أَرِ التَّشْوِيقِ إِلَى ذِكْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ) قَالَ الْمَكَائِي : وَحَقُّ هَذَا الْاِعْتِبَارِ تَطَوُّلُ
الْكَلَامِ فِي الْمُسْنَدِ وَإِلَّا لَمْ يَحْنِ ذَلِكَ الْحَسَنُ (كَقَوْلِهِ ثَلَاثَةٌ) وَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَكَاثِلَارِ الْحَيَاةِ فَبَيْنَ رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دُخَانُ

﴿ أَحْوَالُ مُتَعَلِّقَاتِ الْفِعْلِ ﴾

الْفِعْلُ مَعَ الْمَفْعُولِ كَالْفِعْلِ مَعَ الْفَاعِلِ ، فِي أَنَّ الْفَرْضَ مِنْ ذِكْرِهِ مَعَهُ
إِفَادَةُ تَلَبُّسِهِ بِهِ ، لَا إِفَادَةُ وَقُوعِهِ مُطْلَقًا ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ مَعَهُ فَالْفَرْضُ
إِنْ كَانَ إِنْبَاتُهُ لِفَاعِلِهِ ، أَوْ نَهْيُهُ عَنْهُ مُطْلَقًا ، نُزِّلَ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ ، وَلَمْ
يُقَدَّرْ لَهُ مَفْعُولٌ ، لِأَنَّ الْقَدَّرَ كَالَّذِ سَكُورٌ ؛ وَهُوَ ضَرْبَانِ : لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُجْعَلَ
الْفِعْلُ مُطْلَقًا كِنَبَاةٍ عَنْهُ مُتَعَلِّقًا مَفْعُولٍ مُخْصُوصٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ
أَوْ لَا ، الثَّانِي كَقَوْلِهِ تَعَالَى : قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟

والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المصنف بالله (الفعل مع المفعول كالنعل مع الفاعل)
أصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز جعله تمهيداً للكلام على
حذف المفعول والعبارة الواضحة أن يقال : إن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى
إليه حاله مع الفاعل . فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل ، كان غرضك أن
تفيد وقوعه منه ، لأن نفي وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول
كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، وقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل
فيهما لما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة
وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه ، أما إذا
أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم عن وقع أو على من وقع
فالعبارة عنه أنه يقال كان ضرب أو وقع ضرب أو وجد أو نحو ذلك من
ألفاظ تفيد الوجود المجرد . . . وإذ قد عرفت هذا فاعلم أن الفعل المنعدي إذا
أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول ، فإما أن يكون الفرض لإنبات المعنى نفسه

السَّكَاكِي : ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ خِطَابِيًّا لَا اسْتِدْلَالِيًّا أَفَادَ ذَلِكَ مَعَ التَّعْمِيمِ ، دَفْعًا لِلتَّحَكُّمِ ، وَالْأَوَّلُ كَقَوْلِ الْبُحْتَرِيِّ فِي الْمُعْتَرِ بِاللَّهِ :

للفاعل من غير اعتبار عمومته وخصوصه ، ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه . وأما أن لا يكون كذلك ، فإن كان الأول كان المتعدي بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول ، لأن ذكره ينقض الغرض ، ألا ترى أنك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ما تناوله الإعطاء نفسه ، لا بيان كونه معطياً ، ولا يقدر أيضاً لأن المقدر في حكم المذكور ، وهذا النوع قسمان : قسم هو مثل قوله تعالى : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . المعنى : هل يستوى من له علم ومن لا علم له من غير أن يقصد النص على مفعول ، وقوله تعالى : وأنه هو أغنى وأقنى ، وقوله : وأنه هو أمات وأحيا ، على معنى أنه الذى منه الإغناء والإقناء والإحياء والإماتة . وهنا قال السكاكي : إذا كان المقام خطابياً يكتفى فيه بمجرد الظن لاستدلالياً يطلب فيه اليقين البرهاني ، أفاد ذلك مع العموم في أفراد الفعل بعملة إجماع أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيها تحكّم ، ثم جعل قولهم في المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملاً لذلك ولتعميم المفعول ، وعنه الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير إشعار بشئ من ذلك . وقسم هو أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه ، إما جرى ذكر ، أو دليل حال ، إلا أنك تنسبه نفسك وتخفيه ، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلا لأن ثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شئ ، أو تعرض فيه لمفعول ، وهذا هو ما أراده المصنف بقوله أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عنه متولفاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة . ومثاله قول البحتري يمدح المعتز بالله ويعرض المستعين بالله :

شَجُّوْ حُسَّادِهِ وَغَيَظُ عِدَائِهِ * أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ
أَيُّ أَنْ يَكُونَ ذُو رُؤْيَا وَذُو سَمْعٍ ، فَيُدْرِكُهُ مَحَاسِنُهُ وَأَخْبَارُهُ الظَّاهِرَةُ
الدَّالَّةُ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ الْإِمَامَةَ دُونَ غَيْرِهِ فَلَا يَجِدُوا إِلَى مُنَازَعَتِهِ سَبِيلًا ،
وَالْأَوْجَبُ التَّقْدِيرُ بِحَسَبِ الْقَرَأَيْنِ . ثُمَّ اخْتُذْ إِمَّا لِلْبَيِّنَاتِ بَعْدَ

شجر حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع
المعنى لاحالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واع أخباره ، بيد أنه تغافل
عن ذلك ، لأنه أراد أن يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصير
لكثرتها واشهارها ، ويمكن في معرفة أنها سبب لاستحقاقه الإمامة دون
غيره ، أن يقع عليها بصر ويعنيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد ،
لحساده وأعدائه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع
بها كي يخفى استحقاقه للإمامة ، فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها ، ومن
هذا قول طيفل الغنوي لبني جعفر بن كلاب :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أُرْزِلَتْ بِنَا نَعْمُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَتْ
أَبْوَا أَنْ يَمْلُوكَا وَلَوْ أَنَّ أَمَنَا تَلَاقَى الَّذِي لَأَقْوَهُ مِنَّا لَمَكَّتْ
هُمْ حَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَالْجَنُودِ إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْمَلَتْ وَأَطْلَلَتْ
فقد حذف المفعول في أربعة مواضع ، لأن الأصل لما نتنا والجونا وأدملنا
وأطللنا ، إلا أنه كالتناسى حتى كأنى لا قصد إلى منفعول وكان الفعل أهم أمره
فلم يقصد به شيء يقع عليه ، وإن كان الثاني وهو أن يكون الفرض إعادة
تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ، ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد
الإيهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة ، كقولك لو شئت
حنت أو لم أجب . أي لو شئت . الحى أو عده المحى . فإنك متى قلت لو

الإنهم كافي فِئَلِ الشَّيْئَةِ ، مَا لَمْ يَكُنْ تَعْلَقُهُ بِهِ غَرِيبًا ، نَحْوُ : فَلَوْ شَاءَ
لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ ، بِخِلَافِ نَحْوِ : * وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ *
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

شِئْتُ عِلْمَ السَّامِعِ أَنَّكَ عُلِقْتَ الْمَشِئَةِ بِشَيْءٍ فَيَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنْ هُنَاكَ شَيْئًا تَعْلَقُ
بِهِ مَشِئَتَكَ بِأَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِذَا قُلْتَ جِئْتُ أَوْ لَمْ أَجِ عَرَفَ ، ذَلِكَ
الشَّيْءَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَجْمَعِينَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : مَنْ يَشَأْ اللَّهُ
يُضِلَّهُ ، وَقَوْلُهُ طَرَفَةٌ :

فَإِنْ شِئْتُ لَمْ تُرْقِإْ وَإِنْ شِئْتُ أُرْقِلَتْ
خِجَافَةٌ تَلْوِي مِنَ الْقَدِّ مُحْصَدٌ^(١)
وقول البحترى :

لَوْ شِئْتُ عُدْتُ بِإِلَادٍ تَجِدُ عَوْدَةً . فَحَلَلْتُ بَيْنَ عَفِيقِهِ وَزُرُودِهِ
وقوله أيضاً :

لَوْ شِئْتُ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ
فَإِنْ كَانَ فِي تَعْلُقِ الْفِعْلِ بِهِ غَرَابَةٌ ، ذَكَرْتُ الْمَفْعُولَ لِتَقَرُّرِهِ فِي نَفْسِ السَّامِعِ
وَتَوَظُّرِهِ بِهِ ، يَقُولُ الرَّجُلُ يَخْبِرُ عَنْ عِزِّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُرِدَ عَلَى الْأَمِيرِ رَدْدَتِ ،
وَإِنْ شِئْتُ أَنْ أُلْقَى الْخَلِيفَةُ كُلُّ يَوْمٍ لَقِيتُهُ ، وَعَلَيْهِ قَوْلُ الْحَزْرَمِيِّ يَرِثُ أَبَا الْهَيْذَلِ :
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

(١) الإِرْقَالُ : سُرْعَةُ السَّيْرِ ، وَنَاقَةٌ مِرْقَالٌ وَمِرْقَلَةٌ : سُرْعَةٌ ، وَالْقَدُّ :
السُّوْطُ مِنَ الْجُلْدِ ، وَالْمُحْصَدُ : كَالْمَلْوَى الْمَقْتُولِ .

وَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوْقُ غَيْرَ تَفْكَرِي فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ بِكَيْتِ تَفْكَرَا
فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ الْبُكَاءَ الْحَقِيقِيَّ ، وَإِلْمًا لِدَفْعِ تَوْهُمِ إِرَادَةِ
غَيْرِ الْمُرَادِ ابْتِدَاءً كَقَوْلِهِ :

وَكَمْ ذُدَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ نَحَاثَةٍ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَنَ إِلَى الْعَظَمِ
إِذْ لَوْ ذُكِرَ اللَّحْمُ لَرُبَّمَا تَوَهُمَ قَبْلَ ذِكْرِهِ مَا بَعْدَهُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَنْتَهِ

فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دماً بدءاً عجيباً ، صرح بذكره ليقرره
في نفس السامع ويؤنسه ، فأما قول أبي الحسين على بن أحمد الجوهري أحد
شعراء الصاحب بن عباد :

ولم يبق مني الشوق غير تفكري فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا
فليس منه لأنه لم يرد أ - يقول فلو شئت أن أبكي تفكراً بكيت تفكراً ،
ولكنه أراد أن يقول أفناني النحول فلم يبق مني وفي غير خوارق تجول ، حتى
لو شئت البكاء فريت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده ويخرج
بدل الدمع التفكر . فالمراد بالبكاء في الأول الحقيقي ، وفي الثاني غير الحقيقي ،
فالثاني لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول ، ولما لدفع أن يتوهم السامع في أول
الامر إرادة شيء غير المزايا . كقول البحرى في قصيدته التي أولها :

هـ أعن سفه يوم الأبرق أم حلمه

وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيائنه له ، ردفعه نوائب الزمان عنه

وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزن إلى العظم
إذ لو قال حزن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحزن
كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليرى السامع من
هذا الوهم ويعمله بحيث يقع المبنى منه في أنف الذم ويصور في نفسه من أول

إِلَى الْعَظَمِ . وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ أُريدَ ذِكْرُهُ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ
عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورَةِ دَدَ وَلِلْجِدِّ وَاللِّكَارِمِ مِثْلًا
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ تَرْكُ مُوَاجَهَةِ الْمَدْمُوحِ بِطَلَبِ مِثْلِ لَهُ ؛ وَإِنَّمَا
الْمُتَعَمِّمُ مَعَ الْإِخْتِصَارِ كَقَوْلِكَ : قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤْلِمُ ، أَيْ كُلُّ أَحَدٍ ،
وَعَلَيْهِ : وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَلِيلِ السَّلَامِ . وَإِنَّمَا لِمَجَرَّدِ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ قِيَامِ

الامر أن الجزء معنى في اللحم حتى لم يردده إلا العظام ، وإما لانه أُريدَ ذكره
ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ يَتَضَمَّنُ إِيقَاعَ الْفِعْلِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِهِ ، إظهاراً لِكَمَالِ الْعِنَايَةِ
بِوُقُوعِهِ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِ الْبَحْرِيِّ أَيْضاً :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّورَةِ دَدَ وَالْمَجْدُ وَالْمَكَارِمُ مِثْلًا .
المعنى قَدْ طَلَبْنَا لَكَ مِثْلًا ثُمَّ حَذَفَ الْمَثَلُ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ أَنْ يَوْقَعَ نَفْيُ
الْوُجُودِ عَلَى صَرِيحِ لَفْظِ الْمَثَلِ ، وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى بَعِيثُهُ عَكْسُ ذُو الرِّمَةِ فِي قَوْلِهِ :

وَلَمْ أُمْدِخْ لِأَرْضِيَّةٍ بِشَعْرِي لَتِيْمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا
فِيهِ أَعْمَلُ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ أَهْلَحُ فِي صَرِيحِ لَفْظِ اللَّتِيْمِ ، وَالثَّانِي الَّذِي
هُوَ أَرْضِيَّةٌ فِي خِيَمِهِ ، إِذْ كَانَ غَرَضُهُ إِيقَاعُ نَفْيِ الْمَدْحِ عَلَى اللَّتِيْمِ صَرِيحاً دُونَ
الْإِرْضَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ الْحَذْفِ فِي بَيْتِ الْبَحْرِيِّ قَصْدُ الْمُبَالَغَةِ فِي
التَّأْدِيبِ مَعَ الْمَدْمُوحِ بِتَرْكِ مُوَاجَهَتِهِ بِالصَّرِيحِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى تَجَوُّزِ أَنْ يَكُونَ لَهُ
مِثْلُ ، فَإِنَّ الْعَادِلَ لَا يَطْلُبُ إِلَّا مَا يَجُوزُ وَجُودُهُ .

قَرِينَةٍ ، نَحْوُ : أَصَغَيْتُ إِلَيْهِ ، أَيْ أَذْنِي ، وَعَلَيْهِ : أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ، أَيْ ذَاتَكَ ، وَإِمَّا لِلرَّغَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ ، نَحْوُ : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ، وَإِمَّا لِاسْتِهْجَانِ ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِ عَالِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . مَا رَأَيْتُ مِنْهُ وَلَا رَأَى مِثِّي ، أَيْ الْعَوْرَةِ ، إِمَّا لِلسُّكْنَةِ أُخْرَى . وَتَقْدِيمُ مَفْعُولِهِ وَنَحْوِهِ عَلَيْهِ ، لِرَدِّ الْخَطَأِ فِي التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِكَ : زَيْدًا عَرَفْتُ ، لَعِنَ اعْتَقَدَ أَنَّكَ عَرَفْتَ إِنْسَانًا ، وَأَنَّهُ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَتَقُولُ لِمَا كِيدِهِ لَا غَيْرَهُ . وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ : مَا زَيْدًا

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله وإما للتعميم إلى آخره (نحو ماودعك ربك وما قلى) أى ما قلاك . وقال صاحب الكشف : حذف المفعول فى مثل هذا اختصار لفظى للعلم به . وقال بعضهم : إن الحذف هنا لترك مواجته عليه السلام بإيقاع لفظ القلى على ضميره ولو كان متصفاً ولم يفعل ذلك فى ودع لأن لفظ ودع ليس كلفظ قلى (وإما لسكنة أخرى) كالتكسب من إنكاره إن مست الحاجة إليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك ، قال الله جل شأنه : لينذر بأساً شديداً ، أى لينذر الذين كفروا الحذف لتعينه ، ولأن الغرض هو ذكر المنذر به (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المفعولات (عليه) أى على الفعل (رد الخطأ فى التعيين) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين . وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول ، فتقوا زَيْدًا عَرَفْتُ ، لمن اعتقد أنك عرفت زَيْدًا وعمراً (ولهذا لا يقال ما زَيْدًا ضربت ولا غيره) لاقضية دلالة الأول والثانى . وهذا كما هو ظاهر عند إرادتك أن ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد ، أما إذا لم ترد ذلك فإنه يجوز لك أن تقول : ما زَيْدًا ضربت ولا غيره .

ضَرَبْتُ وَلَا غَيْرُهُ ، وَلَا مَا زِيدًا ضَرَبْتُ وَلَكِنْ أَكْرَمْتُهُ ، وَأَمَّا نَحْوُ زَيْدًا
عَرَفْتُهُ فَتَأْكِيدٌ ، إِنْ قُدِّرَ الْمُسَرُّ قَبْلَ الْمَنْصُوبِ ، وَإِلَّا فَتَخْصِيسٌ . وَأَمَّا
نَحْوُ : وَأَمَّا ثُمُودُ فَبَيْدِنَاكُمْ ، فَلَا بُيُودُ إِلَّا التَّخْصِيسُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ يَزِيدُ

(ولا ما زيدا ضربت ولكن أكرمته) لأن معنى الكلام ليس على أن الخطأ واقع في الفعل بأنه الضرب فترده إلى الصواب بأنه الإكرام وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد فردّه إلى الصواب أن تقول ولكن عمراً (إن بسدر المفسر قبل المضروب) فكان الأصل عرفت زيدا عرفته (وإلا) أى وإن لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل يقدر بعده فكان الأصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لأن المقدّر كالذكر فكأن تقدّم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقدّمه على المقدّر . . وبعد ، فقد علمت أن نحو زيدا عرفته يحتمل التخصيص وبمجرد التأكيّد والقربة هي المعلوم عنها في إفادة أحدهما ، وإذا دلت على التخصيص كان في هذا التركيب أبلغ منه في نحو : زيدا عرفت . لما فيه من التكرير المفيد للتأكيّد . ومعلوم أن ليس للتخصيص إلا تأكيّداً على تأكيّد ، فيتقوى بازدياد التأكيّد لاجتماعه ، ومن هنا قال صاحب الكشف في قوله جل شأنه : وإلّا يافرهون ، أنه من باب زيدا ودحيته وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد (فلا يفيد إلا التخصيص) لامتناع تقدير ، أما فهدينا ثمود لالترامهم وجود فاصل بين أمّا والفاء . . وبعد ، فالظاهر أن مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لأنه ليس الغرض إغاثتنا ثمود دون غيرهم رداً على من زعم الاشتراك أو انفرد الغير بالهداية ، وإنما الغرض إثبات أصل الهداية لهم ثم الإخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك يزيد مروّت) فإنه يفيد أن سامعك كان يعتقد مروك

مبرزت. والتخصيص لازم للتقديم غالباً لهذا يقال في : إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِلَيْكَ
تَسْتَعِينُ ، معناه تختصك بالعبادة والاستعانة ، وفي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْسُرُونَ ،
معناه إِلَيْهِ تَحْسُرُونَ لَا إِلَى غَيْرِهِ ؛ ويفيد في الجميع وراء التخصيص اهتماماً

بغير زيد فأزلت عنه الخطأ محضاً مرورك بزيد دون غيره (غالباً) يريد أن
التقديم قد لا يكون للاختصاص بأن يكون لمراعاة نظم الكلام مثلاً وذلك أن
يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم مثل قوله جل وعلا : خذوه قفلوه ثم الجميع
صلوه ثم في سلسلة ذرعهما سمعون ذراعاً فاسلكوه ؛ وقوله جل شأنه : وَإِلَى
عَلَيْكُمْ لِحَافُظِينَ . إلى ربهما ناظرة . فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما
بنعمة ربك فحدث . إلى غير ذلك من المواضع التي لا يحسن فيها اعتبار التخصيص
لنحو المقام عنه ، كما نبه على ذلك صاحب المثل السائر (ويفيد في الجميع
وراء التخصيص اهتماماً بالمقدم) قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل
والمفعول : — كأنهم يقدمون الذي شأنهم أهم وهم بليانه أغنى و وهدد . فقد
قال الشيخ الإمام في دلائل الإيجاز : اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيئاً
يجرى مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ، لكن ينبغي أن يعسر وجه العناية
بشيء ويعرف له معنى ، وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم
للعناية . ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان
أهم ، ومن الخطأ أيضاً أن يجعل التقديم مفيداً في كلام فائدة وغير مفيد في
آخر ، وأن يعلل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ،
حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذلك يجمعه ، ذلك لأن من البعيد أن يكون في جملة

بِالْمَقْدَمِ ، وَلِهَذَا يُقَدَّرُ فِي بِسْمِ اللَّهِ مُؤَخَّرًا ، وَأُورِدَ : اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ
وَأَجِيبْ بَأَنِّ الْأَهَمِّ فِيهِ الْقِرَاءَةُ ، وَبَأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِاقْرَأِ الثَّانِي ، وَبِمَعْنَى الْأَوَّلِ
أَوْجِدِ الْقِرَاءَةَ . وَتَقْدِيمُ بَعْضِ مَعْمُولَاتِهِ عَلَى بَعْضٍ لِأَنَّ أَصْلَهُ التَّقْدِيمُ
وَلَا مُقْتَضَى لِلْعُدُولِ عَنْهُ ، كَالْفَاعِلِ فِي نَحْوِ : ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَالْمَفْعُولِ
الْأَوَّلِ فِي نَحْوِ : أُعْطِيتُ زَيْدًا دِرْهَمًا ، أَوْ لِأَنَّ ذِكْرَهُ أَهَمُّ كَقَوْلِكَ :

النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرًا) ليفيد
مع الاختصاص الاهتمام ، لأن المشركين كانوا يبدؤن بأسماء آلهتهم قصد
الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (وأورد اقرأ باسم)
فإن الفعل فيه مقدم (وأجيب بأن الأهم فيه القراءة) لأنها أول سورة
نزلت ، فكان الأمر بالقراءة أهم من الأمر باختصاص القراءة باسم الله ، إذ
لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشف . (وبأنه إلى آخره) هذا
ما أجاب به السكاكي وإليك عبارته . الوجه عندي أن يحمل اقرأ على معنى
افعل القراءة وأوجدتها ، على نحو ما تقدم في قولهم فلا يعطى ويمنع في أحد
الوجهين غير معدى إلى مقروء به ، وأن يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى
بعده . ولا يذهب عليك أن ما لارتأه الزحشرى هو بالبلاغة ألصق وبنظم القرآن
أليق (أو لأن ذكره أهم) قال فى الإيضاح : فيقدم المفعول على الفاعل
إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه من وقع
منه كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الأذى والقتل ،
وأردت أن تخبر بقتله فتقول قتل الخارجى فلان بتقديم الخارجى ، إذ ليس للناس
فائدة فى أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا
من شره . ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل من

قَتَلَ الْمُتَلَجِّجِيَّ فَلَانَ ، أَوْ لَأَنَّ فِي التَّأْخِيرِ إِخْلَافًا بَيِّنًا لِّلْعَنَى ، نَحْوُ :
وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَإِنَّهُ لَوْ أَخْرَجْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ عَنْ قَوْلِهِ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ لَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ مِنْ صِلَةِ يَكْتُمُ ، فَلَمْ يُنْمِهِمْ
أَنَّهُ مِنْهُمْ ، أَوْ بِالتَّنَاسُبِ كَرِيعَةِ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ : فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُّوسَى .

وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر
فيه أن يقتل فقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلاً بتقديم
القاتل ، لأن الذي يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ،
ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل
من حيث كان واقعاً بمن وقع منه ، وعليه قوله تعالى : ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، وقوله جل شأنه : ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق
نحن نرزقهم وإياكم . قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية لأن الخطاب في الأولى
للغفراء بدليل قوله تعالى : من . إملاق ، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق
أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية
للاغنياء بدليل قوله خشية إملاق ، فإن الخشية إنما تكون بما لم يقع فكان
رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم ، لأنه حاصل فكان أهم ، فقدم الوعد
برزق أولادهم على الوعد برزقهم (أو بالتناسب) أى أولان في التأخير
لإخلاقاً بالتناسب (نحو فأوجس) الآية ، فقدم خيفة على موسى مع أنه فاعل
لرعاية ما بعده وما قبله من الفواصل المختومة بالالف إذ لو أخر خيفة لقات ذلك

﴿ القصر ﴾

القَصْرُ حَقِيقٌ ، وَغَيْرُ حَقِيقٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ : قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ ، وَقَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ ؛ وَلِإِرَادِ الْمَعْنَوِيَّةِ لَا النَّعْتِ ؛ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْحَقِيقِيِّ نَحْوُ : مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ إِذَا أُرِيدَ أَنَّهُ لَا يَتَصِفُ بِغَيْرِهَا وَهُوَ لَا يَكْذِبُ يَوْجَدُ لِقَعْرِزِ الْإِحَاطَةِ بِحِينَاتِ الشَّيْءِ ، وَالثَّانِي كَثِيرٌ نَحْوُ : مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ ، وَقَدْ يُقْصَدُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ ، لَعَدَمِ الْإِعْتِدَاءِ بِغَيْرِ الْمَذْكُورِ ، وَالْأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ الْحَقِيقِيِّ تَخْصِيسُ أَمْرٍ بِصِفَةٍ دُونَ أُخْرَى أَوْ مَكَانَهَا ، وَالثَّانِي تَخْصِيسُ صِفَةٍ بِأَمْرٍ دُونَ أُخْرٍ أَوْ مَكَانَهُ ؛ فَكُلٌّ مِنْهُمَا

(القصر) في اصطلاح البيانين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقي) بأن يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزهُ أصلاً (وغير حقيقي) وهو الإضافي بأن يكون بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول : إن الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوي وهو التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول (بغيرها) أي بغير الكتابة (لتعذر الإحاطة بصمات الشيء) وإذن فلا يمكن إثبات شيء منها ونبي ما عداه (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا ما في الدار إلا زيد ، أن جميع من في الدار من عدا زيدا في حكم المدحوم (فكل منهما) أي كل قسم من قسمي الإضافي وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة

حَرْبَانِ ، وَلِلْمُخَاطَبِ بِالْأَوَّلِ مِنْ ضَرْبَيْنِ كُلٌّ مِنْ يَعْتَقِدُ الشَّرَكَةَ
وَيُسَمَّى قَصْرَ إِفْرَادٍ لِقَطْعِ الشَّرَكَةِ ، وَبِالثَّانِي مَنْ يَعْتَقِدُ الْعَكْسَ وَيُسَمَّى
قَصْرَ قَلْبٍ ، لِقَلْبِ حُكْمِ الْمُخَاطَبِ ، أَوْ تَسَاوِيَا عِنْدَهُ وَيُسَمَّى قَصْرَ تَعْيِينِ

على الموصوف (ضربان) الأول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص
صفة بأمر دون آخر والثاني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة
بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة
وغيرها جميعاً في الأول واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني
فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا كاتب من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر ونقولنا ما
شاعر إلا زيد من يعتقد أن زيدا شاعر لكن يدعى أن عمرأ أيضاً شاعر (من
يعتقد العكس) أى عكس الحكم الذى أثبتته المتكلم فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا
قائم من يعتقد اتصافه بالقعود دون القيام . ونقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد
أن الشاعر عمرو ولا زيد (أو تساويا عنده) هو معلوف علم فوله يعتقد العكس
يقول : إن المخاطب بالثاني إما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الأمران
أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة ، واتصافه بغيرها في الأمر واتصافه بها
واتصاف غيره بها في الثاني ، فالمخاطب بقولنا ما زيد إلا قائم من يعتقد اتصافه
بالقيام أو القعود من غير علم بالتعيين ، ونقولنا ما شاعر إلا زيد من يعتقد أن
الشاعر زيد أو عمرو من غير أن يعلم على التعيين . والحاصل ، أن تخصيص
شئ بشئ دون آخر قصر لإفراد وتخصيص شئ بشئ مكان آخر إن اعتقد
المخاطب فيه العكس قصر قلب ، وإن تساويا عنده قصر تعيين ، والذي نشعر به
عبارة السكاكي أن القسمة ثنائية وأر ما جعله المصنف قسماً ثالثاً وسماه قصر
تعيين مظلوم في سلك قصر الأفراد ، ونوع منه وهاك عبارته : حاصل معنى

وَشَرَطَ قَصْرَ الْمُوصُوفِ عَلَى الصَّمَةِ إِفْرَادًا عَدَمُ تَنَاقِيِ الْوَصْفَيْنِ ، وَقَلْبًا تَحَقُّقُ تَنَاقِيهِمَا ، وَقَصْرُ التَّعْيِينِ أَعْمُ ؛ وَلِلْقَصْرِ طُرُقٌ : مِنْهَا الْمَطْلُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ إِفْرَادًا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ ، أَوْ مَا زَيْدٌ كَاتِبًا بَلْ شَاعِرٌ ، وَقَلْبًا : زَيْدٌ قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ ، وَمَا زَيْدٌ قَاعِدًا بَلْ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا عَمْرُو ، أَوْ مَا عَمْرُو شَاعِرًا بَلْ زَيْدٌ . وَمِنْهَا النَّقْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ ، كَقَوْلِكَ

القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعراً ومنجماً ، أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر إفراد أو بوصف مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجماً لاشاعراً ما زيد منجم بل شاعر ، أو زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب ، أو إلى تخصيص الوصف بموصوف قصر إفراد أو قصر قلب والمثل ظاهره وهو كلام متين وتقسيم قريب (عدم تنافي الوصفين) ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما ، فتكون المنفية في قولنا ما زيد شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفجعاً لا يقول الشعر (وقلبا بتحقيق تنافيهما) ليكون إثبات الصفة مشعراً بانتفاء غيرها فتكون المنفية في قولنا : ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك لا كونه أسود أو أبيض (وقصر التعيين أعم) وإذن فكل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس . وبعد ، فقد أهمل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعيين في قصر الأفراد كما علمت ، فلم يشترط في قصر الموصوف إفراداً عديم تنافي الصفتين ، ولا في قصره قلباً بتحقيق تنافيهما وحيداً صليحاً ، وكان أمس بالمصنف أن يحذر في ذلك كما لا يخفى على طبع الذكي وقلب الفطن (كقولك في قصره

فِي قَصْرِهِ : مَا زَيْدٌ إِلَّا شَاعِرٌ ، وَمَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : مَا شَاعِرٌ إِلَّا زَيْدٌ ؛ وَمِنْهَا إِنَّمَا كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِ : إِنَّمَا زَيْدٌ كَاتِبٌ وَإِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَفِي قَصْرِهَا : إِنَّمَا قَائِمٌ زَيْدٌ ، تَتَضَمَّنُهَا مَعْنَى مَا وَإِلَّا ، لِقَوْلِ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، بِالنِّصْفِ ، مَعْنَاهُ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا الْمَيْتَةَ وَهُوَ الْمُنَاطِقُ

حازيد إلا شاعر إلى آخره) قال الساكبي : وتحقيق وجه القصر في الأول أنه متى قيل ما زيد توجه النبي إلى صفته لأذاته . لأن أنفس الذوات يتمتع فيها وإنما تنفي صفاتها كما بين ذلك في غير هذا العلم وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النبي . فإذا قيل إلا شاعر جاء القصر ، وفي الثاني أنه متى قيل ما شاعر فأدخل النبي على الوصف المسلم ثبوته ، أعني الشعر الغير من الكلام فيهما كزيد وعمر و مثلاً توجه النبي إليهما ، فإذا قيل إلا زيد جاء القصر (لتضمنها معنى ما وإلا) يقول : إن السبب في إفادة إنما معنى القصر هو تضمنها معنى ما وإلا . والدليل على ذلك ثلاثة أوجه : أولها قول المفسرين في قوله تعالى : إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ، نصب الميئة إن المعنى ما حرم عليكم إلا الميئة ، وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميئة المقترضة لانحصار التحريم على الميئة ، بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولاً صلته حرم عليكم واقعاً اسماً لأن يكون المعنى إن المحرم عليكم الميئة وقد سبق أن المتطابق زيد وزيد المطلق ، كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد ؛ الثاني أنك ترى أنه النحو يقولون إنما تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها وبهاً للمساواة ، الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك إنما يضرب أنا مثله في ما يضرب إلا أنا . قال الفرزدق : أنا الرائد . . . البيت ، كما قال عمرو بن معد يكرب

لِقِرَاءَةِ الرَّفْعِ ، لِيَأْمُرَ ، وَلِقَوْلِ النُّحَاةِ : إِنَّمَا لِإثْبَاتِ مَا يُذَكَّرُ بَعْدَهَا ،
وَنَفْيِ مَا سِوَاهُ ، وَلِصِحَّةِ انْفِصَالِ الضَّمِيرِ مَعَهَا ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَنَا الذَّائِدُ الْحَامِي الذَّمَّارَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِنِّي
وَمِنْهَا التَّغْلِيظُ ، كَقَوْلِكَ فِي قَصْرِهِ : تَمَيَّزَ أَنَا ، وَفِي قَصْرِهَا : أَمَا كَفَيْتُ

قَدْ بَقِلْتُ سَلَمَى وَجَارَاتِهَا مَا قَطَّرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أن الذي صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه لم
يصح له المعنى ، ذلك لأن غرضه أن يخص المدافع لا المدافع عنه ، وأنه يزعم
أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم لا عن أحساب غيرهم كما يكون إذا قال
وما أدافع إلا عن أحسابهم ، وليس ذلك معناه ، إنما معناه أن يزعم أن المدافع
هو لا غيره ، قال : ولا يجوز أن ينسب فيه إلى الضرورة فيجعل مثلاً نظير
قول الآخر :

كأنا يوم قُرى إنما نقتل إيانا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك من حيث أن أدافع ويدافع واحد في
الوزن . وهذا ، وقد نقل في تضمنها معنى ما وإلا مناسبة عن علي بن عيسى
الربيعي وهي أنه لما كانت كلمة إن لتأكيد إثبات المسند للسند إليه ثم اتصلت
بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو . ناسب أن
تضمن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد ، فإن قولك زيد
جاء لاعتراؤه لمن يردد الجيء الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً
وفي الآخر ضمناً (أنا كفيت مهمك) بمعنى وحدي إذا كنت تتخاطب به من
يعتقد أنك وغيرك كفيتمهم ، وبمعنى لا غيره إذا كان المخاطب يعتقد

مُهْمَكٌ وَهَذِهِ الطَّرُقُ تَحْتَفِئُ مِنْ وُجُوهِ قَدَالَةِ الرَّابِعِ بِالْفَحْوَى ، وَالْبَاقِيَةُ
بِالْوَضْعِ وَالْأَصْلِ فِي الْأَوَّلِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ وَالْمُنْفَى كَمَا مَرَّ ، فَلَا يَبْرُكُ
إِلَّا كَرَاهَةً الْإِطْنَابِ ، كَمَا إِذَا قِيلَ : زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالْعُرُوضَ ،
أَوْ زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمَرُوٌّ بِكَرٍّ ، فَتَقُولُ فِيهِمَا زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لِأَخْبَرُ
أَوْ نَحْوَهُ ، وَفِي الدَّلَالَةِ الْبَاقِيَةِ النَّصُّ عَلَى الْمُثَبَّتِ فَقَطْ ، وَالتَّنْفِي لَا يَجْمَعُ

أَنْ غَيْرَ كَفَى مِهْمَهُ دُونَكَ (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم
الكلام ، بمعنى أنه إذا تأمل من له الذوق السليم في مفهوم الكلام الذى فيه
التقديم فهم منه القصر وإن لم يعرف أنه في اصطلاح البلفاء كذلك (والأصل
إلى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الأول) وهو
طريق العطف (كما مر) من الأمثلة ، فإن المعطوف عليه فى لا هو المَثْبُت
والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لا غير) أما فى الأول
فمعناه لا غير النحو وهو قائم مقام لا التصريف ولا العروض ، وأما فى
الثانى فمعناه لا غير زيد وهو قائم مقام لا عمرو ولا بكر (أو نحوه) أى
أو نحو لا غير مثل ليس إلا (والتنفى إلى آخره) يقول الوجه الثالث من
وجوه الاختلاف أن التنفى بلا العاطفة لا يجمع التنفى والاستثناء ، فلا يصح
ما زيد إلا قائم لا قاعد ، لأن شرط جواز التنفى بلا ، أن لا يكون ما قبلها
منفياً بغيرها من أدوات التنفى ، لأنها موضوعة لأن ينفى بها ما أوجبته للمتبوع .
ولا لأن نفيد بها شيئاً قد تنفى أولاً أو تنفى بها نفياً فتعود لإيجاباً ، وإذا كان
ذلك كذلك فمعذر أن ينفى بها بعد التنفى والاستثناء . لأنك إذا قلت ما زيد
إلا قائم ، فالغرض تنفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفها بلا بعد
هذا يجب أن تسكن ما وقع فيها النزاع ، وإلا خرجت عما يراد فى خطاب

الثَّانِي ، لِأَنَّ شَرْطَ النَّفْيِ بِلَا أَنْ لَا يَكُونَ مُنْفِيًّا قَبْلَهَا بَعْدَهَا ، وَجَمَاعُ
الْأَخِيرَيْنِ ، فَيَقَالُ : إِنَّمَا أَنَا تَمِيمِي لَا قَيْسِي ، وَهُوَ يَأْتِنِي لَا عَمْرُو ، لِأَنَّ
النَّفْيَ فِيهِمَا غَيْرُ مُصَرَّحٍ بِهِ ، كَمَا يَقَالُ امْتَنَعَ زَيْدٌ عَنِ الْمَجَى لَا عَمْرُو .
السَّكَاكِيُّ : شَرْطُ مُجَامَعَتِهِ لِلثَّلَاثِ أَنْ لَا يَكُونَ الْوَصْفُ نَحْتَصًّا .

العطف بها من إفادة الحصر أو تأكيد ، فإذا قلت مثلاً لا أعاد فقد نفيت بها شيئاً
هو منفي قبلها بما النافية فلا يصح الإتيان بها بعد النفي والاستثناء ، ويصح الإتيان
بها مع إنما والتقديم ، فنقول إنما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتيني لاعمرؤ لأن النفي
فيهما غير مصرح به وإنما صرح فيهما بالإثبات فلم يقبح تأكيد ما تضمنناه والنفي
بلا بخلاف ما ، وإلا فقد صرح فيهما بالنفي وحيلت فالتنفي الصريح ليس كالضمي
يدل على ذلك أنه يقال امتنع زيد عن المجيء لاعمرؤ فيعطف على فاعل امتنع بلا ،
فيفيد الكلام حصر الامتناع في زيد بواسطة العطف بلا ، وصح ذلك لأن
صرح امتنع زيد لإثبات الامتناع ، فلفظ لا يفيد نفي ذلك الإثبات ، وأما نفي
المجيء فهو ضمني لجواز العطف بلا لكون النفي في امتنع ضمياً ولو صرح به
وقيل لم يجيء زيد لم يصح أن يقال لاعمرؤ لأنه نفي للنفي فيكون إنشائاً ووضع
لا للنفي لا للإثبات (السكاكي إلى آخره) وإليك عبارته : إذا جمعت
لا العاطفة إنما جامعتهما بشرط وهو أن لا يكون الوصف بعد إنما يستجيب الذي
يسمعون ، فإن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابة إلا لمن يسمع ويعقل وقوله :
إنما أنت منذر من يخشاها ، فلا يخفى على أحد من به مسكة أن الإنذار إنما
يكون إنداراً ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة
وأهوالها ويخشى عقابها ، وقولهم : إنما يجعل من يخشى القوت ، فركوز في العقول

بالمؤصوف ، نحو : إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ . عَبْدُ الْقَاهِرِ . لَا تَحْسُنْ
فِي الْمُخْتَصَرِّ كَمَا تَحْسُنُ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا أَقْرَبُ . وَأَصْلُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ
مَا اسْتُغْمِلَ تَمَامًا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُنْكَرُهُ ، بخلافِ الثَّالِثِ ، كَقَوْلِكَ
لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَيْعًا مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ ، إِذَا اعْتَقَدَهُ غَيْرُهُ

أَنْ مَنْ لَمْ يَخْشِ الْقُوَّةَ لَمْ يَعْمَلْ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ اخْتِصَاصٌ لَمْ يَصَحَّ فِيهِ اسْتِعْمَالُ
لَا الْعَاطِفَةِ ، فَلَا تَقُلْ إِنَّمَا يَعْمَلُ مَنْ يَخْشَى الْقُوَّةَ لَا مِنْ بَأْسِهِ (وَهَذَا أَقْرَبُ)
يَقُولُ إِنْ كَلَّمَ عَبْدُ الْقَاهِرِ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ عِبَارَةِ السَّكَكِيِّ . وَبَعْدُ ،
فَإِنْ مِنَ الظَّاهِرِ أَنَّ السَّكَكِيَّ إِنَّمَا جَعَلَ ذَلِكَ شَرْطًا فِي الْحَسَنِ فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ
يَقُلْ شَيْئًا غَيْرَ مَا قَالَهُ عَبْدُ الْقَاهِرِ وَغَرِيبَ ذَهولِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مِثْلِ هَذَا
(وَأَصْلُ الثَّانِي إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ مِنْ وَجُوهِ الْاِخْتِلَافِ أَنَّ
أَصْلَ النَّبِيِّ وَالْاِسْتِثْنَاءِ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الَّذِي اسْتَعْمَلَ هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي
يَجْهَلُهَا الْمُخَاطَبُ وَيُنْكَرُهَا ، بخلافِ إِنَّمَا ، فَإِنْ أَصْلُهُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ الْمُسْتَعْمَلُ هُوَ
فِيهِ مَا يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَنْكَرُهُ . وَأَصْلُ هَذَا السَّكَّامِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ رَحِمَهُ
اللَّهُ . وَلِإِلَيْكَ عِبَارَتُهُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ النَّصْرِ : إِنْ مَوْضُوعٌ مَا وَإِلَّا عَلَى أَنْ يَكُونَ
لِلْأَمْرِ يَنْكَرُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُشْكِي فِيهِ ، أَوْ مَا يَنْزِلُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ فَلَا يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهَا
فِي الْأَمْرِ الظَّاهِرِ ، فَلَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ تَرْفَقْ عَلَى أَخِيهِ وَتَنْبِهِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ
صَلَةِ الرَّحِمِ : مَا هُوَ إِلَّا أَخُوكَ مِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُكَ لِصَاحِبِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ شَيْعًا
مِنْ بَعِيدٍ : مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ إِذَا وَجَدْتَهُ يَعْتَقِدُهُ غَيْرَ زَيْدٍ وَيَصْرُخُ الْإِنْكَارَ ، وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ . وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا
رَسُولٌ ، أَيْ لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَتَعَدَّى الرِّسَالَةَ إِلَى الْبَرِّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ
اسْتِعْظَامُهُمْ هَلَاكَ مَنْزِلَةَ الْإِنْكَارِ بِإِيَّاهُ ، وَمِثْلُهُ : وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ

مُصِرًّا ، وَقَدْ يُرْسَلُ الْمَعْلُومُ مَنْزِلَةً الْمَجْهُولِ ، لِاعْتِبَارِ مَنَاسِبِ ، فَيُسْتَقْبَلُ لَهُ
الْثَّانِي إِفْرَادًا ، نَحْوُ : وَمَا نَحْنُ إِلَّا رَسُولٌ : أَيْ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَتَعَدَّاهَا
إِلَى التَّبَرُّيِّ مِنَ الْهَلَاكِ ، نَزَلَ اسْتِغْفَانُهُمْ هَلَاكُهُ مَنْزِلَةً إِنْكَارِهِمْ
إِيَّاهُ ، أَوْ قَلْبًا ، نَحْوُ : إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِاعْتِقَادِ الْقَائِلِينَ أَنَّ
الرَّسُولَ لَا يَكُونُ بَشَرًا ، مَعَ إِعْرَازِ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى دَعْوَى الرِّسَالَةِ

أَنْتَ لَا نَذِيرُ ، فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ لشدّة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة
المستمعين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في معرض من ظن أنه يملك
مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه ، ومن هذا قوله تعالى : إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ، لِأَن الْكُفَّارَ جَعَلُوا الرِّسَالَ كَأَنَّهُمْ بِادْعَانِهِمُ النَّبُوَّةَ قَدْ أَخْرَجُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنْ أَنْ يَكُونُوا بَشَرًا مِثْلَهُمْ ، وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ أُخْرِجَ اللَّفْظُ مُخْرَجَهُ
حَيْثُ يَرَادُ لِبَيِّنَاتٍ أَمْرٌ يَدْفَعُهُ الْمُخَاطَبُ وَيُدْعَى خِلَافَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ
الرَّسُولِ لِيُذَيِّقَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، كَذَلِكَ بَيَّنَّ وَلَا
لَا نَ مِنْ حُكْمٍ مِمَّا ادَّعَى عَلَيْهِ خُصْمُهُ الْخِلَافَ فِي أَمْرٍ هُوَ لَا يَخَالَفُ فِيهِ أَنْ
يَعِيدَ كَلَامَ الْخُصْمِ عَلَى وَجْهِهِ وَيُجِيبَهُ بِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَيَحْكِيهِ كَمَا هُوَ ، فَإِذَا قُلْتَ الرَّجُلُ
أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، قَالَ نَعَمْ أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَلَكِنْ
لَا ضَيْرَ عَلَى وَلَا يُلْزَمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُلْزَمُ ، فَالرَّسُولُ كَأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنْ مَا ظَنَنْتُمْ مِنْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كَمَا قَاتَمَ لِسَانُنَا نَسْكُرُ ذَلِكَ وَلَا نَجْهَلُهُ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ
لَا يَمْتَنِعُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مَنَّا عَلَيْنَا رَأْسًا كَرَمْنَا بِالرِّسَالَةِ ... وَأَمَّا إِذَا
فِي مَوْضِعٍ عَلَى أَنْ تَجِيءَ لِحُجْرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صَحَّتَهُ ، أَوْ لَمَّا نَزَلَ

وَقَوْلُهُمْ : إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، مِنْ بَابِ مُجَارَاةِ انْتِظَمٍ لِيَمْتَرِ
حَيْثُ يُرَادُ تَبْنِيكَيْتُهُ ، لَا لِقَسْلِيمِ انْتِفَاءِ الرِّسَالَةِ ، وَكَقَوْلِكَ إِنَّمَا
هُوَ أَخُوكَ ، لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَيُقِرُّ بِهِ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُرَقِّقَهُ
عَلَيْهِ وَقَدْ يَعْرِضُ الْمُنْجِبُونَ مَنْزِلَةَ الْمَعْلُومِ ، لِادِّعَاءِ ظُهُورِهِ ، فَيَسْتَعْمَلُ
لَهُ الثَّالِثَ ، نَحْوُ : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، وَلِلَّذَلِكَ جَاءَ : إِلَّا إِنَّهُمْ نِفْمُ
الْمُنْشِدُونَ ، لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مُؤَكَّدًا مَا تَرَى ، وَمَرْيَّةٌ إِنَّمَا عَلَى التَّصْلُفِ

هذه المنزلة ، مثال الأول قولك للرجل : إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك
القديم ، لاقوله لمن يحمل ذلك ويدفع محنته ، ولكن لمن يعلمه ويقره إلا أنك
تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ، ومثله قول المتنبي :

إِنَّمَا أَنْتَ وَالَّذِ وَالْأَبُ أَلْقَا طَلْعَ أَخِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ،
ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم لينبئ عليه استدعاء ما يوجه كونه
بمنزلة الوالد . ومثاله من التنزيل قوله تعالى : إِنَّمَا تَنْذَرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ
الرَّحْمَنَ الْغَلِيبَ ، وقوله عز وجل : إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ اخْشَاهَا ، كل ذلك تذكير
بأمر ثابت معلوم ، ومثال الثاني قول فيس الرقيات :

إِنَّمَا مُصْتَبٌ شَيْهَابٌ مِنَ اللَّيْلِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ

ادعى في كون المدحج بهذه الصفة أنه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء
إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها المدحجين أنها ثابتة لهم ،
وأنهم قد شهبوا بها ، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد
كما قال الحطية :

أَنَّهُ يُعَقِّلُ مِنْهَا الْحُكَمَانَ مَعًا ، وَأَحْسَنُ مَوَاقِعِهَا التَّعْرِيضُ ، نَحْوُ :

وَتَعَذَّلْتُ أَفْنَاهُ سَقْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَقْدُ^(١)

وكما قال البحرى :

لَا أَدْعِي لِأَبَى الْعَلَاءِ فَضِيلَةً حَتَّى يَسْلُبَهَا إِلَيْهِ عِدَاهُ

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود : وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، المعنى أنهم يدعون أن كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ، ولذلك أكد الأمر فى تكذيبهم والرد عليهم بجمع بين إلا التى للتنبيه وإن التى هى للتأكيد ، فقال ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (الحكمان) أى الإنبات للذكور والننى عما سواه (وأحسن مواقفها التعريض) قال الشيخ عبد القاهر : اعلم أنك إذا استقربت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ماترى بالقلب إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو إننا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى : إنما يتذكر أولوا الألباب ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن أن يذم الكفار ، وأن يقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل . وأنكم إذا ضمعتهم منهم فى أن ينظروا ويتذكروا كنتم كن طمع فى ذلك من غير أولى الألباب ، ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَنَا لَمْ أَرْزُقْ مَحَبَّتَهَا إِنَّمَا يُلْعَبُ مَا رَزَقَ

الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون منها إسعاف ، ومن ذلك قوله :

(١) الإفناء : الفناء والسقاط من الناس .

لَمَّا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَعْرِيفٌ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مِنْ قَرَضٍ جَهَنَّمِ
كَالْبَهَائِمِ ، فَطَمَعُ النَّظَرِ مِنْهُمْ كَطَمَعِهِ مِنْهَا . ثُمَّ الْقَصْرُ كَمَا يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ
وَالْخَبَرِ عَلَى مَا مَرَّ ، يَقَعُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ وَغَيْرِهِمَا . فَبَيْنَ الْإِسْتِثْنَاءِ يُؤَخَّرُ
الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ مَعَ أَدَاةِ الْإِسْتِثْنَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيْنَهُمَا نَحْوُهُمَا ، نَحْوُ : مَا ضَرَبَ إِلَّا

* وَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ الْعَاشِقُ مِنْ عَشِقَتِهِ *

يقول إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يلومه في عشقه ، وأنه ينبغي أن
لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلى به لعرف ما هو
فيه فمذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول والمفعولين وكنى الحال
والحال تقول في قصر الفاعل على المفعول أفراداً أو قلباً بحسب المقام : ما
ضرب زيد إلا عمراً ، ومن الوارد على قصر الفاعل قوله تعالى حكاية عن السيد
المسيح عليه السلام : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله له لأنه قاله في
مقام اشتمل على معنى أنك يا عيسى لم تقل للناس ما أمرتك لأني أمرتك أن
تدعوا الناس إلى أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن يعبدوا من هو دوني
ألا ترى إلى ما قبله : وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني
وأولي إلهين من دون الله وفي قصر المفعول على الفاعل ما ضرب عمراً إلا
زيد وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو كسوت وظننت ما كسوت زيدا
إلا جبة وما ظننت زيدا إلا منطلقاً وفي قصر الثاني على الأول ما كسوت جبة
إلا زيدا وما ظننت منطلقاً إلا زيدا ، وفي قصر ذي الحال على الحال ما جاء
زيد إلا راكباً ، وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكباً إلا زيدا (وقيل
تقديمهما محالهما) أي جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بمحالهما
على المقصور ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

عَمْرًا زَيْدًا ، وَمَا ضَرَبَ إِلَّا زَيْدًا عَمْرًا ، لَا يَسْتَلْزِمُهُ قَصْرُ الصِّفَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا ؛
وَوَجْهُ الْجَمِيعِ أَنَّ النَّبِيَّ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْمَفْرَغِ بِتَوَجُّهِهِ إِلَى مُقَدَّرِ هُوَ
مُسْتَقْتَنِي مِنْهُ عَامٌ مُنَاسِبٌ لِلْمُسْتَقْتَنَى فِي جِنْسِهِ وَصِفَتِهِ ، فَإِذَا أُوجِبَ

لَا أَشْتَرِي يَا قَوْمُ إِلَّا كَارِهَا بَابُ الْأَمِيرِ وَالْإِدْفَاعِ الْحَاجِبِ

وقول الآخر :

كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَسْأَلَ وَلَمْ يَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَنَيْكَ التَّوَانِجُ

وَأَنشَدَ سَيُوبَةَ :

النَّاسُ أَلْبَعَيْنَا فِيكَ لَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفُ وَأَطْرَافُ الْقَنَازِيدِ

وقوله بجملهما ، احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن
المقصود عليه ، كقولك في ما ضرب زيد إلا عمراً ما ضرب عمراً إلا زيد ، فإنه
يختل المعنى (لا يستلزامه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد
في ما ضرب زيد إلا عمراً والضرب الواقع على عمرو في ما ضرب عمراً إلا زيد
(ووجه الجميع) أي وجه إفادة النفي والاستثناء المحصر في جميع ما ذكر مما بين
المبتدأ والخبر والفاعل والمفعول والخال وصاحبها والمفعول الأول والثاني
وغير ذلك (يتوجه إلى مقدر إلى آخره) أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه
فلم يكون إلا للإخراج واستدعاء الإخراج محزباً منه ، وأما عمومه فليستحقق
الإخراج ولئلا يلزم التخصيص من غير مخصص . قال صاحب المفتاح ولذلك
ترانا في علم النحو نقول تأنيث الضمير في كانت في فراهم أبي جعفر : إن كانت
إلا صيغة . بالرفع وفي ترى المبني للمفعول في قراءة الحسن : فأصبحوا لا ترى
إلا مبسكونهم ، نرفع مبسكونهم ، وفي بقيت في بيت ذي الرمة :

مِنْهُ شَيْءٌ ، إِلَّا جَاءَ الْقَصْرُ ، وَفِي إِنَّمَا يُؤَخَّرُ الْقَصْرُ عَلَيْهِ ، تَقُولُ :
إِنَّمَا ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ عَلَى غَيْرِهِ لِلْإِلْبَاسِ . وَغَيْرُ

* وَمَا بَقِيََتْ إِلَّا الصُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ *

النظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من
الاشياء ، وأما مناسبتها في جنسه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بجنسه أن يكون
في نحو : ما ضرب زيد إلا عمراً أحداً ، وفي نحو قولك : ما كسوت زيدا إلا جبة
لباساً ، وفي نحو : ما جاء زيد إلا راكباً ، كأننا على حال من الأحوال . وفي
نحو : ما اخترت رفيقاً إلا منكم من جماعة من الجماعات . ومنه قول السيد الحميري :

لَوْ خَيْرَ الْمُنِيرِ فُرْسَانُهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا

لأن أصله ما اختار فارساً إلا منكم . والمراد بصفته كونه فاعلاً أو مفعولاً
أو ذا حال أو حالا برعى هذا التماس (وفي إنما) . هو معطوف على قوله
ففي الاستثناء (وفي إنما يؤخر المقصود عليه) حيث يستفاد القصر منها فقط ،
فخرج مثل قول أبي الطيب :

أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

لأن المفيد للقصر فيه هو التقديم (ولا يجوز تقديمه على غيره) بخلاف
إلا لعدم إفضائه إلى الإلباس ، وهما مفضل إلى الإلباس كما قال ، لأنك لو
قلت إنما ضرب زيد عمراً لكان في المعنى عكس قولك إنما ضرب عمراً زيد .
قال السكاكي : ومن ذكر تفرق على الفرق بين : إنما يخشى الله من عباده
العلماء ، وبين إنما يخشى العلماء من عباده الله ، بتقديم المرفوع على المنصوب ،
فالأول يقتضي انحصار خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضي انحصار خشية

كَيْ لَا فِي إِفَادَةِ الْقَصْرَيْنِ ، وَامْتِنَاعِ مُجَامَعَةٍ لَا .

﴿ الْإِنْشَاء ﴾

• الْإِنْشَاءُ إِنْ كَانَ طَلَبًا اسْتَدْعَى مَطْلُوبًا غَيْرَ حَاصِلٍ وَقَدْ طَلَبَ ؛
وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : الْتَمَنَّى ، وَاللَّفْظُ الْمَوْضُوعُ لَهُ لَيْتَ ، وَلَا يَشْتَرِطُ
إِسْكَانَ التَّمَنَّى يَقُولُ : لَيْتَ الشَّبَابَ يَمُودُ ، وَقَدْ يَتَمَنَّى سَهْلًا نَحْوُ : هَلْ لِي

العلماء على الله (في إفادة القصرين) قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة
على الموصوف ، تقول في قصره : ما زيد غير شاعر . [فرداً . وما زيد غير
قائم . قلباً . وفي قصرها : ما شاعر غير زيد ، بالأعتبارين بحسب المقام
(وامتناع جماعة لا) . فلا تقول : ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا ما شاعر
غير زيد لا عمرو (الْإِنْشَاء) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنفسه خارج
قطابه أو لا ، كذلك يطلق على فعل المتكلم أعنى إلقاء الكلام الإنشائي
كالإخبار ، والمراد هنا هو الثاني ، ثم هو نوعان : طلب وغيره ، والمنصف لم
يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به ، وذلك كبعض أفعال
المقاربة ، وأفعال المدح والذم . وصيغ العقود ، والقسم ، ولعل . على أن كثيراً
منها نقل من الخبر إلى الإنشاء فيستغنى بأجائه الخبرية عن الإنشائية (امتدعى
مطلوباً غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل . قال التفتازاني : فإذا وردت
صيغة الطلب في الحاصل حملت على ما يتناسب المقام كما في قول الله جل شأنه :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، الْمُعْتَمِدُ عَلَى التَّقْوَى (التَمَنَّى) هو طلب حصول الشيء
بشرط المحبة ونفي الطماعة (ولا يشترط إمكان التمنى) لأن الإنسان
كثيراً ما يحب المحال ويطلبه . لكن إذا كان التمنى ممكناً يحب ألا يكون

مِنْ شَفِيعٍ ، حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ لَا شَفِيعَ ، وَبَلَوْ نَحْنُ : لَوْ تَأْتَيْنِي فَتَحْدِثْنِي ،
بِالنَّصْبِ ، السَّكَاتِي : كَانَ حُرُوفُ التَّنْذِيمِ وَالتَّخْصِيفِ - وَهِيَ هَلَا وَأَلَا
يَقْلِبُ الْهَاءَ هَمْزَةً ، وَلَوْلَا وَلَوْ مَا - تَأْخُذَةُ مِنْهُمَا مُرَكَّبَتَيْنِ مَعَ لَا وَمَا
الْمُرِيدَتَيْنِ لِتَضْمِينِهِمَا مَعْنَى التَّمَنَّى لِيَتَوَلَّدَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي التَّنْذِيمُ ، نَحْوُ : هَلَا
أَكْرَمْتَ زَيْدًا ، زَيْ فِي الْمَضَارِعِ التَّخْصِيفُ ، نَحْوُ : هَلَا تَقُومُ : وَقَدْ يَتَمَنَّى

لك توقع وطامعة في وقوعه ، وإلا لصار ترجياً يستعمل فيه لعل أو عسى ،
(حيث يعلم أن لا شافع) لأنه إذا كان يتمتع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول
الاجزم بانتفاء هذا الحكم ، واستدعاء الاستفهام الجمل بثبوته وانتفائه هذا .
والسر في العسودول عن ليت والتمنى بيل ، هو إبراز التمنى لكمال العناية به
في صورة الممكن انتهى لا اجزم بانتفائه (ولولا) ولعل السر في ذلك هو
الإشعار بعزة متمناه حيث أبرزه في صورة مالا يوجد ، لأن لو بحسب أصلها
حرف امتناع لا امتناع (منها) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما
إلى آخره) يقول إن الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو
متضمنتين معنى التمنى ، وذلك ليتولد منه مع الماضى التنديم ومع المستقبل
التخصيص ، فنقول : هلا أكرمت زيداً ، ولولا أكرمت زيداً ، ولوما
أكرمته . على معنى ليتك أكرمته قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ،
وتقول : هلا تقوم ، ولوما تقوم ، على معنى ليتك تقوم قصداً إلى حثه
على القيام . ومع هذا فلا يغلو من ضرب من التوبيخ والوم على ما كان

يُعلم ، فتعطي حكمَ لَيْتَ ، نحو : آتَى أَخِي فَأُزَوِّجُ ، بالنَّسَبِ ، لِيُعَدَّ
المرجُو عَنِ الْحُصُولِ . وَمِنْهَا الْإِسْتِفْهَامُ ، وَالْفَاعِلُ الْمَوْضُوعَةُ لَهُ الْهَمْزَةُ ،
وَهَلْ . وَمَا ، وَمَنْ ، وَأَيُّ ، وَكَيْفَ ، وَأَيْنَ ، وَأَنَّى ، وَمَتَى ، وَأَيَّانَ ، فَالْهَمْزَةُ

يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتعطي حكم لَيْتَ) فينصب المضارع
بعدها على تقدير أن (ليعد المرجو عن الحصول) فصار يشبه المحالات التي
لا طمع فيها ، فاستعملت فيه اهل كاستعمال لَيْتَ لمشابهة هذا المعنى لمعناها
(ومنها الاستفهام) وحقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة . والمطلوب فهمه
إن كان حكماً بشيء على شيء إثباتاً أو نفيّاً فهو التصديق لإلغائه التصور (وأيان)
قال السكاكي بفتح الهمزة وبكسر ها ، وهذه اللفظة أعنى كسر همزتها تقوى
أباه أن يكون أصلاً أى وإن (فالهمزة لطلب التصديق إلى آخره) اعلم أن
هذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص طلب التصديق وهو هل ، وثانيها
يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية ، وثالثها مشترك بينهما
وهو الهمزة فإنها تجيء لطلب التصور والتصديق لمراقبتها في الاستفهام ، ولهذا
يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة ، قال الله جل شأنه :
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ، وقال : أَمْ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُ لَكُمْ .
وقال : أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وقال التغلبي :

أَيُّ جَزَؤَا عَابِرَا سَوَا يَفْعَلُونِ

أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ السَّوْأَى مِنَ الْحَسَنِ

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا نَعطِي نَعْمَوْقُ بِهِ رِيْمَانِي أَنُفِ إِذَا مَا ضُنُّ بِاللَّيْلِ^(١)

(١) العلوي بفتح العين المهملة : الناقة تعطف على غير ولدها ولا تراه
وإنما تسمه بأنفها وتمنعه لبنها . والبيت ينشد لمن يعد بالجيل ولا يفعله لالغوا
قلبه على ضده .

لِطَلَبِ التَّصَدِيقِ كَقَوْلِكَ : أَقَامَ زَيْدٌ ، وَ : أَرَيْدُ قَائِمٌ ، أَوِ التَّصَوُّرِ كَقَوْلِكَ :
أَدْبَسَ فِي الْإِنَاءِ أَمُ عَسَلٌ ، وَ : أَفَى الْخَاطِيَةِ دِبْسُكَ أَمْ فِي الزُّقِّ ، وَلِهَذَا لَمْ

وَأَم ههنا بمعنى بل التي تكون للانتقال . من كلام إلى آخر من غير اعتبار
استفهام هذا . والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور
يكاد يكون ظاهراً ، ذاك لأن الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد
الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها . والاستفهام عن التصور يكون عند التردد في تعيين
الشيئين (كقولك أقام زيد) في طلب التصديق بمضمون الجملة الفعلية (وأريد
قائم) في طلب التصديق بمضمون الجملة الاسمية ، فقد تصورت القيام وزيداً
والنسبة بينهما ، وسألت عن وقوع تلك النسبة هل هو محقق خارجاً أو لا ، فإذا
فيل قام أو هو قائم حصل التصديق . والحاصل أن السائل عالم بأن بينهما نسبة
ملتزمة بالوقوع أو الالاقوع ويطلب تعيين ذلك (كقولك) في طلب تصور
المسند إليه (أدبس في الإناء أم عسل) فأنت تعلم أن في الإناء شيئاً والمطلوب
هو تعيينه (وأفى الخاطية إلى آخره) أي وكقولك في طلب تصور المسند
أفَى الخاطية دبسك أَمْ في الزق ، فأنت تعلم أن الدبس يحكوم عليه بأنه في أحدهما
والمطلوب هو التعيين . . . هذا ، وإننا إذا أنعمنا النظر وألطفنا الفكر
وجدنا المهمة لا تكون إلا لطلب التصديق في سائر أحوالها لأنه إذا قصد
تعيين المسند إليه ، فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة ، فإذا قلت أريد قام أم عمرو
فإنما تسأل عن تعيين النسبة في أحدهما ، أما زيد وعمرو فكلاهما معلوم وكذلك
استناد القيام لأحدهما فاعرف هذا ولا تكن رهين التقليد (ولهذا إلى آخره)
يقول لما كانت المهمة تكون لطلب التصور وهل يختصة بالتصديق لا تتجاوز
كان قولك : أريد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً ، وقولك : هل زيد قام وهل

يَقْبَحُ أَزِيدُ قَامَ ، وَأَعْمَرَا عَرَفْتَ ، وَالْمَسْئُولُ عَنْهُ بِهَا هُوَ مَا يَكْبَحُهَا كَالْفَعْلِ
فِي أَضْرَبْتَ زَيْدًا ، وَالْفَاعِلُ فِي : أَنْتَ ضَرَبْتَ ، وَالْمَفْعُولُ فِي : أَزِيدًا ضَرَبْتَ
وَهَلْ لَطَلَبِ التَّصْدِيقِ فَحَسَبُ نَحْوُ : هَلْ قَامَ زَيْدٌ ، وَهَلْ عَمَرُو قَاعِدٌ ، وَهَذَا
امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُو ، وَقَبِيحٌ هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ ، لِأَنَّ التَّقْدِيمَ

عَمَرَا عَرَفْتَ قَبِيحًا مُرْذُولًا ، ذَاكَ لِأَنَّ التَّقْدِيمَ كَمَا عَلَتْ يَسْتَدْعِي حَصُولَ
التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْفِعْلِ فَتَكُونُ هَلْ لَطَلَبِ حَصُولِ الْحَاصِلِ وَهُوَ مَحَالٌ ، بِخِلَافِ
الْهَمْزَةِ فَإِنَّهَا تَكُونُ لَطَلَبِ التَّصَوُّرِ وَتَعْيِينِ الْفَاعِلِ أَوِ الْمَفْعُولِ (وَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ
بِهَا إِلَى آخِرِهِ) يَقُولُ إِنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ بِالْهَمْزَةِ هُوَ مَا يَلْبَسُ فَنَقُولُ : أَضْرَبْتَ زَيْدًا ،
إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي الْفِعْلِ نَفْسَهُ وَكَانَ غَرَضُكَ مِنْ اسْتِفْهَامِكَ أَنْ نَعْلَمَ وَجُودَهُ
وَنَقُولُ : أَنْتَ ضَرَبْتَ إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي الْفَاعِلِ مِنْ هُوَ مَعَ الْعِلْمِ بِوُقُوعِ الْفِعْلِ
وَنَقُولُ : أَزِيدًا ضَرَبْتَ إِذَا كَانَ الشُّكُّ فِي الْمَفْعُولِ مِنْ هُوَ مَعَ الْجُزْمِ بِوُقُوعِ
ضَرْبٍ مِنَ الْمُخَاطَبِ . قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْقَادِرِ : وَمَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّكَ بَيَّوْلُ : أَفَلْتَ
شَعْرًا قَطْ ، أَرَأَيْتَ الْيَوْمَ إِنْسَانًا ، فَيَكُونُ كَلَامًا مُسْتَقِيمًا ، وَلَوْ قُلْتَ : أَنْتَ قُلْتَ شَعْرًا
فَطُ ، أَنْتَ رَأَيْتَ إِنْسَانًا أَحَلْتَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَامَعْنَى لِلسُّؤَالِ عَنِ الْفَاعِلِ مِنْ
هُوَ فِي مِثْلِ هَذَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ إِذَا كَانَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى فِعْلِ مُخْصِصٍ
نَحْوُ أَنْ يَقُولَ : مَنْ قَالَ هَذَا الشَّعْرُ ، وَمَنْ بَنَى هَذِهِ الدَّارَ : وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ بِمَا يُمْكِنُ
أَنْ يَنْصَ فِيهِ عَلَى مَعِينٍ ، فَأَمَّا قِيلَ شَعْرٌ عَلَى الْجُمْلَةِ وَرُؤْيَا لِنَاسٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ
فَحَالُ ذَلِكَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَا يَخْتَصُّ بِهَذَا دُونَ ذَلِكَ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَيْنِ فَاعِلِهِ
(وَهَذَا امْتَنَعَ هَلْ زَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمَرُو) لِأَنَّ وَقُوعَ الْمَقْدَرِ بَعْدَ أَمٍّ دَلِيلٌ عَلَى
أَنَّهَا مُتَصِلَةٌ وَأَمُّ الْمُتَصِلَةِ لَطَلَبُ تَعْيِينِ الْأَمْرَيْنِ مَعَ الْعِلْمِ بِثَبُوتِ أَصْلِ الْحُكْمِ فِيهِ
لَا تَكُونُ إِلَّا لَطَلَبِ التَّصَوُّرِ بَعْدَ حَصُولِ التَّصْدِيقِ بِنَفْسِ الْحُكْمِ وَهُوَ لَيْسَ

يَسْتَدْعِي حُصُولَ التَّصَدِيقِ نَفْسَ الْفِعْلِ ، ذُونِ : هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَهُ ، إِجْوَازِ
تَقْدِيرِ الْمُفَسِّرِ قَبْلَ زَيْدًا ، وَجَعَلَ السَّكَاكِي قُبْحَ : هَلْ رَجُلٌ عَرَفَ لِدَلِكْ ،
وَيُلْزِمُهُ أَنْ لَا يَقْبَحَ هَلْ زَيْدٌ عَرَفَ ، وَعَالِلَ غَيْرُهُ قُبْحُهُمَا بِأَنْ هَلْ بَعَثَ
قَدْ فِي الْأَصْلِ ، وَتَرَكَ الْمَعْرُوفَ قَبْلَهَا لِكثَرَةِ وَفُوعِهَا فِي الْإِسْتِفْهَامِ ،

إلا لطلب التصديق فبينهما تدافع فيمتنع . بخلاف ما إذا لم يذكر أم عمرو ،
وقيل هل زيد قام فإنه يقبح ولا يمتنع لما سيجيء . وبعد ، فإذا علمت هذا
علمت أنه لا يجوز استعمال أم بعد هل إلا أن تريد المنقطة كقوله :

الْأَلَيْتَ شِمْرِي هَلْ تَنَزَّيْتِ الرَّحَى * رَحَى الْحَرْبِ أَمْ أَتَيْتِ بِنَاحِ كِهِيَا
ولذلك قال سيبويه هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيدا) بل هذا
أرجح لأن الأصل تقدم العامل على المفعول وحيث فلا يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل فتكون هل لطلب التصديق فيحسن (لذلك) أي لما قبح له هل زيدا
ضربت . وهو أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، ولأنه جعله لذلك
لأن مذهبه كما تقدم أن الأصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير
في عرف قدم للتخصيص . وإنما لم يجعله متمما لاحتمال أن يكون رجل فاعل
فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف) لأن تقديم المظهر
المعروف ليس للتخصيص حتى يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل على
ما سبق . مع أن هذا التركيب قبيح بالإجماع ، وما ذكره الزحمرى في الفصل
من أن نحو : هل زيد خرج ، على تقدير الفعل فتصحيح الوجه القبيح لا أنه
شائع حسن (غيره) أي غير السكاكي (قبيحا) أي قبح هل رجل عرف
وهل زيد عرف (بأن هل بمعنى قد في الأصل) يعني وقد من لوازم الأفعال

وَهِيَ تَخْصُصُ الْمُضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ ، فَلَا يَصِحُّ : هَلْ تَضْرِبُ رَيْدًا

فكذا ما هي بمعناها . وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه الزغشري أن هل بمعنى قد أبداً ، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة معها . قال في المغسل : وعند سيبويه أن هل بمعنى قد إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لا تقع إلا في استفهام ، وقد جاء دخولها عليها في قول زيد الخيل :

سَائِلٌ فَوَارِسَ رَبُّوعٍ يَشِدُّتِنَا أَهْلُ رَأْوَنَاسَفَحِ الْقَاعِ ذِي الْأَكْمَرِ^(١)
وقال الراجز :

أَهْلُ عَرَفَتِ الدَّارَ بِالْقَرِيْبَيْنِ^(٢) :

قال النبتازاني : فإن قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسمية التي طرفاها اسمان نحو هل عمرو قاعد ، وإلا فالفرق بينه وبين ما إذا كان الخبر فعلاً ، قلت : المرق أنها إذا رأيت الفعل في حيزها تذكرت عوداً بالخبر وحننت إلى الإلف المألوف وعانقته ، ولم ترض بافتراق الاسم بينهما ، بخلاف ما لو رأيت تراه في حيزها فإنها تسكت عنه ذاهلة (وهي تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلاً في الاستفهام تفاصرت عن الهمزة فاختص المضارع بمدها بالاستقبال . فلا يصح استعمالها في التوبيخ على الفعل الواقع في الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه ، فلا تقول هل تضرب

(١) بروج : أبو حنن من تميم ، والأكم جمع أكمة : وهي الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .

(٢) النريان : هما بنا آن طوبلان ، يقال هما قبرا مالك وعقيل نديعي الأبرش ، وسميا غريين لأن النعيان بن المنذر كان يفرهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم يؤسه .

وَهُوَ أَخُوكَ ، وَلَا خِصَامَ التَّصَدِيقِ بِهَا وَتَخْصِيصِهَا الْمَضَارِعَ بِالِاسْتِقْبَالِ
كَانَ لَهَا مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِمَا كَوْنُهُ زَمَانِيًّا أَظْهَرَ كَالْفِعْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ :
فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، أَدَلَّ عَلَى طَلَبِ الشُّكْرِ مِنْ : فَهَلْ تَشْكُرُونَ ،
و : فَهَلْ أَنْتُمْ تَشْكُرُونَ ، لِأَنَّ إِبْرَارَ مَا سَيَجِدُّ فِي مَعْرِضِ الثَّابِتِ أَدَلَّ
عَلَى كَمَالِ الْعِنَايَةِ بِمَحْذُولِهِ ، وَمِنْ : أَفَأَنْتُمْ شَاكِرُونَ ، وَإِنْ كَانَ لِلثَّبُوتِ ،
لِأَنَّ هَلْ أَدْعَى لِلْفِعْلِ مِنَ الْحُرَّةِ ، فَتَرْكُهُ مَعَهَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا

زيداً وهو أخوك ، على نحو أنضرب زيداً وهو أخوك في أن يكون الضرب
واقفاً في الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) إليك قول السكاكي في ذلك
فإنه أوضح وأتم قال : ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء
وقد نهت على أن الإنبات والنفي لا يتوجهاً إلى الذوات وإنما يتوجهاً
إلى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك ، وأنت تعلم
أن احتمال الاستقبال إنما يكون لصفات الذوات لا لأنفس الذوات ، لأن
الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال وفي الاستقبال استلزم
ذلك مزيد اختصاص هل دون الهمزة بما سيكون كونه زمانياً أظهر كالأفعال
(أدل على كمال العناية بمحصوله) من إبقائه على أصله في هل تشكرون .
لأنها داخلة على الفعل حقيقة ، وفي هل أنت تشكرون لأنها داخلة على الفعل
تقديرًا ، لأن أنت فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر (على ذلك) أي على
كمال العناية بمحصول ما سيجدد (ولهذا) أي لكون هل أَدْعَى للفعل من

لَا يَحْسُنُ : زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ إِلَّا مِنَ الْبَلِيغِ ، وَهِيَ قَيْنَانٍ ، بَسِيطَةٌ وَهِيَ
الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ مَوْجُودَةٌ وَمَرْكَبَةٌ
وَهِيَ الَّتِي يُطْلَبُ بِهَا وُجُودُ شَيْءٍ لَشَيْءٍ ، كَقَوْلِنَا : هَلِ الْحَرَكَةُ دَائِمَةٌ .
وَالْبَاقِيَةُ لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ فَقَطُّ ، قِيلَ : فَيُطْلَبُ بِمَا تُرْخِ الْأَسْمَاءُ كَقَوْلِنَا :
مَا الْعَنْقَاءُ ، أَوْ مَا هِيَ الْمُسَمَّى . كَقَوْلِنَا : مَا الْحَرَكَةُ ، وَتَقَعُ هَلِ

الهمزة (لا يحسن هل زيد منطلق إلا من البليغ) لأنه الذي يقصد به الدلالة
على الثبوت وإبراز ما يستجدد في معرض الموجود . قال السكاكي . كما لا يحسن
نظير قوله :

* لِيُبَيِّنَكَ يَزِيدُ صَارِعَ لِحُصُومَةٍ *

من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لا يخفى بالنظر لما تدخل
عليه ، فطوبى هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب ، ومطلوب المركبة
هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له . وبعده فلا يذهب عليك أن مثل
هذا التقسيم قليل الجداء له البلاغة (والباقية) أى من أعاظ الاستفهام
(شرح الاسم) أى بيان مدلول الاسم لغة ، فنقول ما العنقاء ، وأنت تطلب
مدلوله ، والمعنى الذى وضع له فى اللغة (أو ماهية المسمى) قال التفتازانى :
والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة ، وبين الماهية التى تعهم من الحد بالتفصيل
غير قليل . فإن كل من خوطب باسم فهم فهماً ما ، ووقف على الشيء الذى يدل
عليه الاسم إذا كان عالماً باللغة ، وأما الحد فلا ينفك عليه إلا المرتاض بصناعة
المنطق ، فالوجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم

الْبَسِيطَةُ فِي التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا . وَبَيْنَ الدَّارِضِ الشَّخْصِ الَّذِي الْعِلْمُ
كَقَوْلِنَا : مَنْ فِي الدَّارِ ؛ وَقَالَ السَّكَكِيُّ : يُسْتَلْ بِمَا عَنِ الْخَدِيسِ قَوْلُ :
مَا عِنْدَكَ ، أَيْ أَيْ أَجَدْتَ الْأَشْيَاءَ ، وَجَوَابُهُ : كِتَابٌ وَنَحْوُهُ ، أَوْ عَنِ

وبحسب الحقيقة ، وأما المدعومات فلما لم يكن لها إلا المفومات لم يكن لها حدود
إلا بحسب الاسم لأن الحد بحسب الذات لا يكون إلا بعد أن يعرف أن الذات
موجودة ، حتى أن ما يوضع في أول التعاليم من حدود الأشياء التي يبرهن على
وجودها في أثناء العلم إنما هي حدود بحسب شرح الاسم . ثم لما أثبت وجودها
وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدوداً بحسب الذات والحقيقة ، ثم قال :
فلم أن الجواب الواحد جاز أن يكون حدّاً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس
إلى شخصين . وبالقياس إلى شخص واحد في وقتين (وتقع هل البسيطة في الترتيب
بينهما) يعني أن مقتضى الترتيب الطبيعي أن يطلب أولاً شرح الاسم ثم وجود
المفهوم في نفسه ثم ماهيته وحقيقته ، لأن من لا يعرف مفهوم اللفظ استحالة
منه طلب وجود ذلك المفهوم ، ومن لا يعرف أنه موجود استحالة منه
طلب ماهيته وحقيقته ، إذ لا حقيقة للمدوم ولا ماهية له (وبين الخ)
أي يطلب بمن الأمر الذي يعرض لذى العلم فيفيد تشخصه وتعيينه ، فإذا قلت
من في الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخصه . قال التفناني : وأما الجواب
بنحو رجل فاضل من قبلة كذا ، ونحو : ابن فلان وأخو فلان ، وما أشبه
ذلك ، فلما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه الشخص بحسب انحصار
الأوصاف في الخارج في شخص ، وإن كانت تلك الأوصاف نظراً إلى مفوماتها
كليات (تقول ما عندك) قال السككي . وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام

الْمَوْصِفِ : مَا يَنْبَغُ وَأَجْوَابُهُ : الْكَرِيمُ ، وَمَحْوُهُ : وَيَرْبِّنَ عَنِ الْجَنَسِ

وفي التنزيل : فَاخْطِبْكُمْ أَيُّ أَجْنَاسِ الْخُطُوبِ خُطِبْكُمْ ، وفيه : مَا تَعْبُدُونَ
من بعدى ، أَيُّ أَيُّ من في الوجود تَتَوَثَّرُونَهُ فِي الْعِبَادَةِ . قَالَ : وَأَمَّا سُؤَالُ فِرْعَوْنَ :
وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَبِهِ إِمَّا الْجَنَسَ لِاعْتِقَادِهِ لِهَيْلِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّ لَوْ مَوْجُودٌ
مُسْتَقِلًا بِنَفْسِهِ سِوَى الْأَجْسَامِ ، لَأَدَّ عَلَى جَاهِلٍ لَانْظَرُ لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ أَجْنَاسِ
الْأَجْسَامِ هُوَ ، وَعَلَى هَذَا جَوَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَصْفِ تَنْبِيْهًا عَلَى
النَّظَرِ الْمُؤَدَّى إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، لَكِنِّ لَمَّا لَمْ يَطَابِقِ السُّؤَالُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ بِعَجْبٍ مِنْ حَوْلِهِ
مَنْ جَمَاعَةُ الْجَهْلَةِ فَقَالَ لَهُمْ : أَلَا تَسْتَمْعُونَ ، ثُمَّ لَمَّا وَجَدَهُ مَصْرًا عَلَى الْجَوَابِ بِالْوَصْفِ
إِذْ قَالَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ : رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ، اسْتَهْزَأَ بِهِ وَجَنَنَهُ بِقَوْلِهِ :
إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَيَجْنُونَ ، وَحِينَ رَأَى مُوسَى غَايَةَ السَّلَامِ لَمْ يَقْنَطُوا
لِذَلِكَ فِي الْمَرَّتَيْنِ غَاظَ عَلَيْهِمْ فِي الثَّالِثَةِ فَقَالَ : إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . وَإِمَّا عَنِ الْوَصْفِ
طَمَعًا فِي أَنْ يَسْلُكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَوَابِ مَعَهُ مَسْلَكَ الْخَاطِرَيْنِ لَوْ
كَانُوا هُمُ الْمُسْأَلِينَ مَكَانَهُ لَمَّا هَرَبَتْ بِهِنَّ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى دَرَجَةٍ دَعَتْ السَّحَرَةَ لِذَلِكَ
عَرَفُوا الْحَقَّ أَنَّ عُنْبِيَا قَوْلِهِمْ : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ يَقُولُهُمْ : رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ ،
نَفِيًّا لِاتِّهَامِهِمْ أَنَّهُمْ عُنُوهُ وَجَهْلُهُ بِحَالِ مُوسَى وَعُلُوُّ شَأْنِهِ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ جَمْعُهُمَا قَبْلَ
ذَلِكَ بِمَجْلِسٍ بِدَلِيلٍ مَا جَرَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ مِنْ قَوْلِهِ : أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ
قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، لَحِينَ سَمِعَ الْجَوَابَ تَعَدَّاهُ عَجْبًا وَاسْتَهْزَأَ
وَجَنَنَ وَتَفَهَّقَ بِمَا تَفَهَّقَ مِنْ قَوْلِهِ . ائْتِنَا نَتَخَذَتْ لَهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ .
مَعَالِ الزَّخَرِيِّ : وَالَّذِي يَلِيْقُ بِحَالِ فِرْعَوْنَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ أَنَّ بَكْرًا سَأَلَهُ

مِنْ ذَوِي الْعِلْمِ ، تَقُولُ : مَنْ جِبْرِيلُ ؟ أَيْ : أَبَشَرُهُ هُوَ أَمْ مَلَكَ أَمْ جَنِّي . وَفِيهِ
نَظَرٌ ، وَ يُسْتَلُّ بِأَيِّ عَمَّا يُمَيِّزُ أَحَدَ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْمَهُمَا ، نَحْوُ : أَيْ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا ؟ أَيْ : أَنَحْنُ أَمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ . وَ يَكْتُمُ عَنِ الْعَدَدِ :

هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية (تقول من جبريل
إلى آخره) قال السكاكي : ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون : فن
ربكما يا موسى . أي أملك هو أم بشر أم جني منكراً لأن يكون لها رب سواه
لادعائه الربوبية . نفسه ذاهباً في سؤاله هذا إلى معنى ألكا رب سواي ، فأجاب
موسى عليه السلام بقوله : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، كأنه قال
نعم لنا رب سواك هو الصانع الذي إذا سلكت الطريق الذي بين يديه
لما أوجده ، وتقديره إياه على ما قدر ، واتبعت فيه الخريت الماهر ، وهو العقل
الهادي من الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه ، وأن العبادة
له مني ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيه نظر) قال في الإيضاح :
لأنه إذا قيل من فلان يحاج بزيد ونحوه ، مما يفيد التشخيص ، ولا يصح الجواب
بنحو بشر أو جني . وبعد ، فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه إلى السماع وربما
يؤيد رأي السكاكي بيت الكتاب وهو :

أَنْتَوَا نَارِي فَقُلْتُ مَتَوْنَ أَتَمُّ فَقَالُوا الْجَنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامَا

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس (ويستل بأي الخ) قال السكاكي وأما
أي فليسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما ، يقول القائل عندي ثياب هـ
فتقول أي الثياب هي ، فتطالب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية
قال تعالى حكاية عن ساجان : أَيْكُم يَأْتِنِي بِهَرَشِمَا ؟ أي الإنسي أم الجنى ، وقال
حكاية عن الكفاز : أي الفريقين خير مقاماً ، أي أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد)

نَحْنُ: سَلَّ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ . وَيَكْتَفِ عَنِ الْحَالِ ،
وَبِأَيُّ عَنِ الْمَكَانِ . وَيَتَمَتَّى عَنِ الزَّمَانِ ، وَبِأَيَّانَ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . قِيلَ :
وَتُسْتَعْمَلُ فِي مَوَاضِعِ التَّفْخِيمِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
وَأَنِّي نَسْتَعْمَلُ تَارَةً يَتَمَتَّى كَيْفَ ، نَحْنُ : فَأَتُوا حَرِّكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ ، وَآخَرَى

قال في المفتاح : فإذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فسألك قلت عشرة و
أم ثلاثون أم كذا أم كذا ، ونقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقا وكم ديناراً
وكم ثوبك أي كم شبراً وكم ذراعاً وكم زبد ماكت أي كم يوماً أو كم شهراً وكم
رأيتك أي كم مرة وكم سرت أي كم فرسخاً أو كم يوماً ، قال الفردق :

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَاتُ فِدَاءٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِي

فيم (١) روى بنصب المميز (عن الحال) فإذا قيل كيف زيد لجوابه
صحيح أو سقيم أو شج أو جزلان وما أشبه ذلك (عن المكان) فإذا قيل
أين زيد ، فالجواب في الدار أو السوق مثلاً (عن الزمان) ماضياً كان أو
مستقبلاً ، فنقول متى حلت ، والجواب سحراً مثلاً ، ونقول متى تأتى ، والجواب
بعد شهر (عن المستقبل) فنقول أيان بثمر هذا الفرس ، والجواب بعد سنة
مثلاً (قيل) القائل هو علي بن عيسى الربعي إمام أئمة بغداد في علم النحو
(نحو فاتوا حرركم أني شئتم) أي من أي شئ أردتم بعد أن يكون المأني

(١) ويكون الاستفهام على هذا التكم ، أي أخبرني بعدد عماتك وخالاتك
اللاتي كن يتحدثنني فقد نسبته . والذي يظهر أن المراد الخبرية ، وهي قد
كنصبه المميز .

يَعْنَى مِنْ أَيْنَ، نَحْوُ: أُنَى لَكَ هَذَا. ثُمَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كَثِيرًا مَا تَنْتَعَمَلُ فِي غَيْرِ الْاسْتِفْهَامِ، كَالِاسْتِبْطَاءِ نَحْوُ: كَمْ دَعَوْتُكَ، وَالنَّجْبِ نَحْوُ: مَا لِي لَا أَرَى الْبُهْدَ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الضَّلَالِ، نَحْوُ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَالْوَعْدِ كَقَوْلِكَ لِمَنْ يُسِيءُ الْأَدَبَ: أَلَمْ أَدَبْ فَلَانًا، إِذَا عَلِمَ ذَلِكَ، وَالتَّقْرِيرِ

موضع الحرث، قال النفاذاني: ولم يحىء أنى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام) على سبيل المجاز. قال النفاذاني وتخفيق كيفية هذا المجاز وبيان أنه من أى نوع من أنواعه مما لم يحىء حوله أحد (نحو كم دعوتك) ومنه بيت السقط:

إِلَى مَ وَفِيمَ تَنْقَلُبُنَا رِكَابَ وَنَأْتِلُ أَنْ يَنْكُونَ لَنَا أَقْوَمَ

(والتقرير) أى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه (بذلاله إلى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (١) كما مر أن المستفهم عنه هو ما بلى الهمزة فنقول: أفعلت، إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه: ونقول: أنت فعلت، إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل، ونقول: أزيداً مضربت إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد وما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن قول نمرود: أنت فعلت هذا بأخطأ إبراهيم، قال الشيخ في دلائل الإعجاز: لاشبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام

(١) أى إذا كان التقرير بالهمزة فإنها هى التى تجىء للتقرير بالفعل والفاعل والمفعول بخلاف البواقى فإن هل تكون التقرير بنفس الحسب نحو: هل ثوب نكتفأ ما كانوا يفعلون، والأسماء الاستفهامية للتقرير مما يسأل بها عنه نحو: كم آتيتهم من آية بيته، ومن الذى صرته وهكذا.

بِإِبْلَاءِ الْمُقَرَّرِ بِهِ الْهَمْزَةُ ، كَمَا مَرَّ : وَالْإِنْكَارُ كَذَلِكَ ، مَحْوٌ : أَعْتَبَرَ اللَّهُ

وهم يريدون أن يقر لهم بأن كسر الأصنام قد كان ، ولكن أن يقر بأنه منه كان كيف ، وقد أشاروا إلى الفعل في قولهم : أنت فعلت هذا ، وقال هو عليه السلام في جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب : فعلت أو لم أفعل (والإنكار كذلك) فيشترط أن يلي المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس :

* أَيْقَنْتُنِي وَالْشَّرِيفُ مُضَاجِجِي *

فهذا لإنكار الفعل ، لأنه قال والمشرقي مضاججي ، فذكر ما يكون مانعاً من الفعل ، والمانع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه ، وقال الله جل شأنه : أم يقسمون رحمة ربك ، فهذا لإنكار الفاعل ، أي ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لا يتولاها إلا هو بباطن قدرته وبالغ حكمته ، وعد الزمخشري قوله : فأنت تسكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وقوله : أفأنت تسمع الصم أو تهذي العمى ، من هذا تضرب ، على أن المعنى أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان ، وأفأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والإلجاء ، أي إنما يقدر على ذلك الله لا أنت ، وحمل السكاكي تقديم الاسم في هذه الآيات على البناء

(١) يعني إذا كان الإنكار بالهمزة ، وأما غيرها وإن صح بحيته للإنكار لكن لا يجري فيه هذا التفضيل ، وهو مثل قولك : فإذا يضرك لو فعلت كذا ، وكيف تؤذي أباك وقوله :

* مِنْ أَيْنَ تَذَرِي مَا الْعَرَارُ مِنَ الرَّندِ *

العرار : نبات طيب الرائحة ، والرند : شجر كذلك .

تَدْعُونَ ، وَمِنْهُ : أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، أَيُّ اللَّهِ كَافٍ عَبْدَهُ ، لِأَنَّ الْإِنْكَارَ
النَّفْيَ نَفْيَ لَهُ ، وَنَفْيَ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ، وَهَذَا مُرَادٌ مَنْ قَالَ إِنَّ الْهَمَزَ فِيهِ لِلتَّقْوِيرِ ،
أَيُّ بِمَا دَخَلَهُ النَّفْيُ لَا بِالنَّفْيِ ، وَلِلْإِنْكَارِ الْإِعْلَالِ صُورَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ نَحْوُ :
أَزِيدًا ضَرَبْتَ أُمَّ عَمْرًا ، لَمَنْ يُرَدِّدُ الضَّرْبَ بَيْنَهُمَا . وَالْإِنْكَارُ إِمَّا لِلتَّوْبِيخِ

على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر في نحو : أنا ضربت ، فلا يفيد
إلا تقوى الإنكار . وقال تعالى : أغبر الله اتخذ ولياً ، فهذا لإنكار المفعول ،
فإن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً ، وأما قوله عز وجل : ألتخذ أصناماً آلهة ،
فالمُنْكَرُ هو نفس اتخاذ الآلهة فلماذا ولي الفعل (ومنه) أى من بجى الهمة
للإنكار (أليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك ،
وَألم يجدك يتيماً فآوى ، وقول جرير في عبد الملك :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ

ولهذا كان مدحاً بل قيل إنه أمدح بيت قالته العرب (من قال) هو
الزخشرى (أى بما دخله النفي) وحيدٌ يحسن أن يقال إن الهمة للتقوير
كما يحسن أنه يقال إنها للإنكار (لمن يردد الضرب بينهما) أى لمن يدعى أنه
ضرب إما زيدا وإما عمراً دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما
والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة . ومن هذا الباب
قوله تعالى : قل ألتذكرين حرم أم الأثيمين أما اشتهمت عليه أرحام الأثيمين ،
أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تجريم في أحد الأشياء ، ثم أريد
معرفة عين المحرم ، مع أن المراد بإنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله :
أَلله أذن لكم ، إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى

أَيُّ مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَحْوُ : أَعْصَيْتَ رَبَّكَ ، أَوْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
نَحْوُ : أَلْتَعْصَى رَبَّكَ ؛ أَوْ لِلتَّكْذِيبِ ، أَيُّ لَمْ يَكُنْ ، نَحْوُ : أَفَأَصْنَعُكُمْ
رَبُّكُمْ بِالْبَيِّنِ ، أَوْ لَا يَكُونُ نَحْوُ : أَنْزَلُكُمْ هَا ، وَالتَّهْكُمُ نَحْوُ :
أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَقُولَ مَا يَبْذُ آبَاؤُنَا ، وَالتَّحْقِيرُ نَحْوُ : مَنْ هَذَا ، وَالتَّهْوِيلُ
كَتِّيرَاءِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَاقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُبِينِ

إِذَنْ فَمَا قَالُوهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِذْنَ قَدْ كَانَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ، فَأَضَافُوهُ إِلَى
اللَّهِ ، إِلَّا أَنْ اللَّفْظَ أَخْرَجَ مَخْرَجَهُ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَيْسَ أَشَدُّ لَنِي ذَلِكَ
وَلِإِطَالَةِ ، فَإِنَّهُ إِذَا نَفَى الْفِعْلَ عَمَّا جَعَلَ فَاعِلًا لَهُ فِي الْكَلَامِ وَلَا فَاعِلَ لَهُ غَيْرُهُ
لَزِمَ نَفْيُهُ مِنْ أَصْلِهِ (نَحْوُ أَعْصَيْتَ رَبَّكَ) أَيُّ لَمْ كَانَ الْعَصِيَانِ وَمَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ يَقَعَ (نَحْوُ أَلْتَعْصَى رَبَّكَ) مِثْلُهُ قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ يَضِيعُ الْحَقُّ : أَتَنْفِي قَدِيمَ
إِحْسَانِ فُلَانٍ ، أَتَتْرُكُ صَحْبَتَهُ وَتَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِكَ مَعَهُ ، لِأَنَّ تَغْيِيرَ الزَّمَانِ . وَقَوْلُكَ
لِلرَّجُلِ يَرْكَبُ الْخَطَرَ : أَتَخْرُجُ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، أَتَذْهَبُ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ ، أَتَغْرُرُ
بِنَفْسِكَ (نَحْوُ أَنْزَلُكُمْ هَا) أَيُّ أَسْكُرْهُمْ عَلَى قَبُولِ الْبَيِّنَةِ وَتَقَرُّكُمْ عَلَى الْإِهْتِدَامِ
بِهَا وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَهَا لَا يَكُونُ ذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَتَرُكُ أَنْ قُلْتُ دَرَاهِمُ خَالِدٍ زِيَارَتُهُ إِنِّي إِذَا لَلَّيْتُ

هَذَا ، وَقَدْ يَكُونُ اسْتِفْهَامُ الْإِنْكَارِ الَّذِي يَعْصِي النَّفْيَ التَّوْبِيخَ أَيْضًا مِثْلَ
قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ ، الْمَعْنَى أَيُّ تَبِعُوا عَلَيْهِمْ فِي الْإِيمَانِ
وَتَرَكَ الْفِتْنَةَ ، وَهَذَا اللَّزْمُ وَالتَّوْبِيخُ وَإِلَّا فَلِكُلِّ مَصْلَحَةٍ فِيهِ (وَالتَّهْكُمُ)
مَعْطُوفٌ عَلَى الْإِسْتِطْمَاءِ (كَتِّيرَاءِ ابْنِ عَبَّاسٍ) فَإِنَّ الْمَعْنَى عَلَيْهَا أَنَّهُ لَمَّا وَصَفَ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مَبِينٌ لشدته وفضاحة شأنه ، أَرَادَ أَنْ يَصُورَ كُنْهَهُ فَقَالَ :

مَنْ فِرْعَوْنُ ، يَلْفَظُ الْإِسْتِفْهَامَ وَرَفَعَ فِرْعَوْنُ ، وَلِهَذَا قَالَ : إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا
مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، وَالْإِسْتِفْهَامُ نَحْوُ : أُنَى لَهُمُ اللَّهُ كَرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ
مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ . وَمِنْهَا الْأَمْرُ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ صِغَتَهُ مِنَ الْمُقْتَرَنَةِ
بِاللَّامِ ، نَحْوُ : لِيَحْضُرَ زَيْدٌ ، وَغَيْرُهَا ، نَحْوُ : أَكْرِمَ عَمْرًا ، وَزَوِّدَ بَكْرًا

من فرعون ، أنعر فون من هو في فرط عتوه وتكبره ونجبره ، ما ظنكم بعذاب
يكون هو المذهب به ، ثم عرف حاله بقوله : إنه كان عالياً من المسرفين تكتله
قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجب جميعاً مثل قوله تعالى : كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم الآية ، أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون
بهذه الفضة . أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال يبنى عن الانهماك في
الفغلة أو الجهل ، وأما التعجب فلأن هذه الحال تأبى أن لا يكون للعافل علم
بالصانع وعله به يابى أن يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ،
ونظيره : أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب .
والحاصل أن كلمة الاستفهام إذا امتنع حملها على حقيقته تولد منه بمعونة
القارئ ما يناسب المقام ، ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ، ولا
ينحصر أيضاً شيء منها في أداة دون أداة بل الحاك في ذلك هو سلامة الذوق
وتقبع التراكيب ، فلا ينبغي أن تقتصر في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته
من غير أن تتخطاه ، بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي (ومنها
الأمس) وهو في اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق
الاستعلاء (من المقترنة باللام إلى آخره) في هذا إشارة إلى أن أقسام صيغة
الامر ثلاثة : الأول : المقترنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للعامل المخاطب ،

وَمُشَوَّعَةً لَطَلَبَ الْفَعْلُ اسْتِعْلَاءً، لِتَبَادُرِ الْفَهْمِ عِنْدَ سَمَاعِهِ إِلَى ذَلِكَ لِلْمَقَى ،
وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ أَمِيرَهُ كَالْإِهَانَةِ نَحْوُ : جَالِسِ الْحَسَنِ أَوْ ابْنِ سِيرِينَ ، وَالتَّهْدِيدِ
نَحْوُ : ائْتَمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، وَالتَّعْجِيزِ نَحْوُ : فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَالتَّخْذِيرِ
نَحْوُ : تَكُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ، وَالْإِهَانَةِ نَحْوُ : كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ،
وَالتَّسْوِيَةِ نَحْوُ : اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا ، وَالتَّمْنَى نَحْوُ * أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ

والثاني : ما يصلح أن يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف
المضارعة ، والثالث : اسم دال على طلب الفعل ، وهو عند النحاة من أسماء
الأفعال ، والأولان لغلبة استعمالها في حقيقة الأمر ، أعني طلب الفعل على
سبيل الاستعلاء ، سبهما التحريز أمراً ، سواء استعملتا في حقيقة الأمر
أو في غيرها ، حتى إن لفظ اغفر في قولنا : اللهم اغفر لنا ، أمر عندهم .
وأما الثالث : فلما كان اسماً لم يسموه أمراً تمييزاً بين البابين (رويد بكرة) رويد
اسم فعل بمعنى امهل (وقد تستعمل لغيره) مما يناسب المقام بحسب القرائن
نحو : (جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكي : ومن أحسن ما جاء
فيه قول كثير :

أَسَى ، بِنَاؤُ أَحْبَبَنِي لَا مَلُوءَةَ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلَبَةَ إِنْ تَقَلَّبَ^(١)

أي لا أنت ملومة ولا مقالية ، ووجه حسنة لإظهار الرضا بوقوع الداخل
تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أي مهما اخترت في حق من الإساءة
والإحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فمأملني بهما ، وانظري هل تفاوتت حال
معك في الحالين (نحو ألا أيها الليل) وثمأمه :

أَلَا أُنْجِلِي * وَالذِّعَاءَ نَحْوُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَالْإِنْعَامَ كَقَوْلِكَ لَيْنَ يُسَاوِيكَ
رُتْبَةً : أَفْعَلْ ، يَدُونِ الْإِسْتِعْلَاءَ : ثُمَّ الْأَمْرُ : قَالَ السَّكَاكِيُّ : حَقَّهُ الْقَوْرُ ،
لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ مِنَ الطَّلَبِ ، وَالتَّبَادُلُ الْقِيمِ عِنْدَ الْأَمْرِ يَسْتَبْقَى . بَعْدَ الْأَمْرِ
يُخْلَافُهُ إِلَى تَغْيِيرِ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ دُونَ الْجَمْعِ وَإِرَادَةِ التَّرَاخِي ، وَفِيهِ نَفَرٌ .
وَمِنْهَا النُّهْيُ ، وَلَهُ حَرْفٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ لَا الْجَزِيمَةُ فِي نَحْوِ قَوْلِكَ : لَا تَفْعَلْ ،
وَهُوَ كَالْأَمْرِ فِي الْإِسْتِعْلَاءِ ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ طَلَبِ الْكَفِّ أَوِ التَّرَكِّ
كَالتَّهْدِيدِ ، كَقَوْلِكَ لِعَبْدٍ لَا يَتَمَثَّلُ أَمْرَكَ : لَا تَمَثِّلْ أَمْرِي : وَهَذِهِ

❖ يَصْنَعُ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ ❖

وهو لامرئ القيس . الانجلاء : الانكشاف ، والأمثل : الأفضل . يقول
ليزل ظلامك بصيص من النسيم ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندى لأني
أفاسي الموم نهاراً كما أعانيها ليلاً . أو لأن نهارى أظلم في عيني لازدحام
الموم على حتى حكى الليل . فلما كان الليل لا يضح أن يطلب منه الانجلاء
كانت هذه الصيغة للمنى ولم تجعل للترجى ، لأن التمنى لما بعد ، ومن شأن
الحب أن يستبعد الانجلاء الليل (إلى تغيير الأمر الأول الخ) قال السكاكبي :
فإن المولى إذا قال لعبيده قم ، ثم قال له قبل أن يقوم اضطجع حتى المساء ،
يتبادر الفهم إلى أنه غير الأمر بالقيام إلى الأمر بالاضطجاع ، لأنه أراد
الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى أحدهما (وفيه نظر) لأن ذلك غير
مسلم عند خلق المفاهم عن القرائن ، فليس مذهبهم الأمر إلا الطلب استعلاء ،
والقور والتراخي مفروض إلى القرينة (ومنها النهى) وهو طلب الكف
عن الفعل استعلاء (طلب الكف أو الترك) يشير بذلك إلى الخلاف الذي

الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها، كقولك: لَيْتَ لِي مَالاً أَنَفِقَهُ، أَيْ
إِنْ أَرَدَقَهُ أَنَفِقَهُ، وَأَنْ بَيْتَكَ أَرَدَكَ، أَيْ إِنْ أَعْرِفْنِيهِ أَرَدَكَ، وَأَكْرَمَنِي
أَكْرَمَكَ، أَيْ إِنْ تُكْرِمَنِي أَكْرَمَكَ، وَلَا تَشْتُمَنِي يَكُنْ خَيْرًا لَكَ،
أَيْ إِنْ لَا تَشْتُمَنِي يَكُنْ خَيْرًا لَكَ. وَأَمَّا الدُّرُضُ كَقَوْلِكَ: أَلَا تَنْزِلُ نُصِيبُ
خَيْرًا، فَمَوْلَاكَ مِنَ الْإِسْتِفْهَامِ، وَيَجُوزُ تَقْدِيرُ الشَّرْطِ فِي غَيْرِهَا بِقَرِيبَةٍ نَحْوُ:

قام بين الأشاعرة والمعتزلة، فإن الأشاعرة يزعمون أن مقتضى النهي كف
النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد أضداده، والآخرون ذهبوا إلى أنه ترك
الفعل. وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الأصول (الأربعة) يعني
القي والاستفهام والأمر والنهي (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفتازاني:
ووجهه ذلك أن كل كلام لا بد فيه من حامل للتكلم عليه، والحامل على
الكلام الخبري لإفادة المخاطب بمضمونه، وعلى الظاهري كون المطلوب مقصود
التكلم (ما لذاته أو لغيره) يعني يتوقف ذلك الغير على حصوله ونحوه: فغيره
على حصوله هو معنى الشرط. فإذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده ما يصاح
توقفه على المطلوب، يجوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصوداً لنفسه ولغيره
وإن ذكرت بعده ذلك غلب على ظنه كون المطلوب مقصوداً لذلك المذكور
لا لنفسه، فيكون إذن معنى الشرط في الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهراً
(فولد من الاستفهام) وليس به، لأن التقدير أنه لا ينزل بالاستفهام عن
عدم النزول طلب للحصول وهو محال (النداء) هو طلب لإقبال المدعو على
الداعي بأحد حروف مخصوصة كأي وأصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد
منزلة البعيد لكونه نائماً أو ساهياً حقيقة، أو بالنسبة إلى الأمر الذي تناديه

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ ذُوْنِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ، أَيْ إِنَّ أَرَادُوا أَوْلِيَاءَ يَحْقِقُ .
وَمِنْهَا النَّدَاءُ ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ صِيغَتَهُ فِي غَيْرِ مَوَاقِعَ ، كَالْإِغْرَاءِ فِي قَوْلِكَ لَيْتَ

له يعنى أنه بلغ من علو الشأن إلى حيث أن المخاطب لا يبق بها هو حقه من
السعى فيه وإن بذل وسعه واستفرغ جهده ، فكأنه غافل عنه بعيد منه ، وأى
والهمزة ، وأصابتها للقريب ، وقد يستعملان في البعيد تنبيهاً على أنه حاضر في
القلب لا يغيب عنه أصلاً كقول الشاعر :

أَسْبُكَّانَ نِعْمَانِ الْأَرْكَلِ تَتَقَنَّوْا بَأَنَّا كُمْ فِي رُبْعِ قَلْبِي سَكَّانَ

وأما يا فقال ابن الحاجب إنها حقيقة في القريب والبعيد ، لأنها تطالب
الإقبال مطلقاً ، وقال الزحشرى إنها لأبعد ، واستعملها في القريب إما لاستبعاد
الداعى نفسه عن مرتبة المدعو نحو يا الله ، وإما للتنبيه على معظم الأمر وعلو
شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو : يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل إليك ، وإما للحرص على إقباله كأنه أمر بعيد نحو :
يا موسى أقبل ، وإما لغير ذلك من الأغراض والمقاصد (كالإغراء) والاستغاثة
كقولك : يا الله من ألم الفراق ، والتمجيد نحو : يا لباء والعشب والتدله والتعجيز
والنضج كما في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله :

« يَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَمَاكِ »

قوله :

مَا نَقَى جِدِّي فَقَدْ أَفْنَتْ أَنَا نَكَبِي صَبْرِي وَنَهْمِي وَأَحْلَامِي وَأُنْسَايَ (١)

(١) الأناة : الثاني والأحلاس جميع جلس : وهو كساء يطرح على ظهر
البعير ، والأنساخ جمع نسع : وهو ما ينسج للتصدير أى للحزام في صدر البعير .

أَقْبَلَ بَتَّظَلَمَ : يَا مَقْلُومٌ ، وَالْإِخْتِصَاصُ فِي قَوْلِهِمْ : أَنَا أَفْعَلُ كَذَا أَيُّهَا

والتوجه والتحرر كقوله :

فَيَا قَبْرَ مَعْنَى كَيْفَ وَارْتَبَتْ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعَا
وأما هذه المدة في الكلام (والاختصاص) وهو إما في معرض
التفاخر نحو : أنا أكرم الضيف أيها الرجل ، أو التواضع نحو : أنا
المسكين أيها الرجل ، أو مجرد بيان المقصود بذلك الضمير ، فكل هذا صورته
صورة النداء وليس به ، لأن أبا وما جعل وصفاً له لم يرد به المخاطب بل هو
عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه إظهار حرف النداء لأنه
لم يبق فيه معنى النداء أصلاً فذكره التصريح بأداته ، فقوله أيها الرجل : فأى
مضموم والرجل مرفوع كما في النداء لكن مجموعته في محل النصب على الحال ،
ولذلك قال المصنف أى مختصاً من بين الرجال . وقد يقوم مقام أى اسم
منسوب إما معرف باللام نحو : نحن العرب أقرى الناس للضيف ، أو مضاف
نحو إنما معاشر الأنبياء لأنورث ، وربما يكون علماً كقولك :

بنا نعيمًا يُكشَفُ الضَّيَابُ ❦

قال ابن الحاجب المرفع ليس منقولاً عن النداء ، ونحو : أيها الرجل
منقول عنه قطعاً ، والمضاف يحتمل الأمرين النقل فيكون منصوباً بياء مقدزة ،
وكونه مثل المرفع فيكون منصوباً بتقدير أعنى أو أخص ، قال الإمام
المرزوقي في قول الحماسي :

إِنَّا بِي تَهْتَلُ لَا نُدْعَى لِأَبِ ❦

الفرق بين أن ينصب بى تهتل على الاختصاص ، وبين أن يرفع على

الرجل، أي مخصصاً من بين الرجال. ثم اتخبر قد يقع موقع الإنشاء
إما للتفاؤل، أو لإظهار الحرص في وقوعه، كما مر، والدعاء بصيغة الماضي
من البلغ يحتملها، أو للاحتراز عن صورة الأمر، أو لحمل المخاطب
على الطلب، بأن يكون ممن لا يجب أن يكذب الطالب.

تذنيه. الإنشاء كالتخبر في كثير مما ذكر في الأبواب الخمسة
السابقة، فليعتبره الناظر.

الخبرية هو أنه لو جعله خبراً لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب وكان
فعله لذلك لا يخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم، وإذا نصب
من ذلك (قد يقع موقع الإنشاء) مجازاً (للتفاؤل) كما إذا قيل لك في
مقام الدعاء: أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الخيرة، وجب إليك التثبت
وزين في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأودع صدرك برد اليقين
ليتفادى بلفظ الماضي على عدما من الأمور الحاصلة التي حقها الإخبار عنها
بأفعال ماضية (أو لإظهار الحرص في وقوعه) لما تقدم من أن الطالب إذا
عظمت رغبته في شيء تكثر قصوره إياه، فربما يخيل إليه حاصلاً فيورد باللفظ
الماضي (يحتملها) أي التفاؤل وإظهار الحرص (أو للاحتراز عن صورة الأمر)
كقول العبد للولي إذا حول عنه الوجه ينظر المولى إلى ساعة (أو لحمل
المخاطب الخ) فنقول لصاحبك الذي لا يجب أن تنسب إلى الكذب: تأمني
غداً، تحمله أبلغ حمى بالطف وجهه على الإيمان

﴿ الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ﴾

الْوَصْلُ عَطْفُ بَعْضِ الْجُمْلِ عَلَى بَعْضٍ ، وَالْفَصْلُ تَرْكُهُ ، فَإِذَا أَتَتْ جُمْلَةٌ بَعْدَ جُمْلَةٍ ، فَأَلَوْنِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ ، أَوْ لَا ، وَعَلَى الْأَوَّلِ ، إِنْ قَصِدَ تَشْرِيكَ الثَّانِيَةِ لَهَا فِي حُكْمِهِ عَصَفَتْ عَلَيْهَا كَالْمُفْرَدِ ، فَشَرَطُ كَوْنِهِ مَقْبُولًا بِالْوَاوِ وَنَحْوِهِ ^(١) أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ :

﴿ الفصل والوصل ﴾ قال الشيخ الإمام في دلائل الإعجاز : اعلم أن العلم بما يفيني أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها متوارة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ، وما لا يأتي بنظام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص ، والأقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد ، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل ، ذاك لغموضه ودقة مسلكه ، وأنه لا يسهل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلاكمل لمائر معاني البلاغة .

وأما بعد : فإن من سفتنا في هذا الترح أننا عد الكلام على البحث الذي نلتحم أجزاءه وتشديق كلماته ، نعمد إلى نظم شرحه في سمط واحد ، حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول :

ما يكاد يكون معروفاً أن فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإن من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر حسب وهو

(١) قول المصنف ، ونحوه : أى نحو الواو ، حشو فاسد ، لأن هذا الحكم يختص بالواو كما ستقف عليه .

نحو : زَيْدٌ يَكْتُبُ وَيَشْعُرُ ، أَوْ يُعْطَى وَيَمْتَنِعُ ، وَهَذَا عَيْبٌ عَلَى
أَبِي تَمَّامٍ قَوْلُهُ :

الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معاني مثل إن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ
وتم توجبه مع تراخ ، وأو تردد الفعل بين شيئين ويجعله لأحدهما لا يبيحه .
ثم العطف إما في المفردات وإما في الجمل . فالذي في المفردات يقتضي تشريك
الثاني في إعراب الأول وأنه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركه في حكم ذلك
الإعراب ، نحو إن المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف على
المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أو له شريك له في ذلك . والذي في الجمل ،
فالجل على ضربين : أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب
وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد ، إذ لا يكون للجملة موضع من
الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع
المفرد كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد ، فإذا قلت : مررت
برجل خلقه حسن وخلقه فيبع ، كنت قد أشركت الثانية في حكم الأولى وذلك
الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للشكرة . قال الشيخ الإمام : ونظائر ذلك
تكثر ، والأمر فيها يسهل . الثاني : أن تكون الجملة المعطوف عليها عارية
الموضع من الإعراب نحو : زيد قائم وعمر قاعد ، وهذا الضرب هو الذي
يدق مذهبه وينمض أمره ، وإنما تكون الدقة في الواو دون غيرها من حروف
العطف لأن تلك تفيد مع الإشراف معاني كما علمت ، فإذا عطفت بواحد منها
طهرت المائدة ، فإذا قلت : أعطاني فشكرته ، ظهر بالناء أن الشكر كان معقياً
على العطاء ومنسياً عنه ، وإذا قلت أخرجت ثم خرج زيد ، أفادت ثم إن خروجه
كان بعد خروجه وأن مهلة وقعت بينهما ، وإذا قلت : يعطيك أو يكسوك

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۚ أَشَدُّ حَتًّا وَنُجْوَىٰ ۚ أَنَا الْخَسِيُّ الْكَرِيمُ ۝
وَالَا فَصَلْتُ عَنْهَا ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِ
عَلَىٰ إِنَّا مَعَكُمْ لِأَنَّهُ سَمِعَ مَقُولَهُمْ ، وَعَلَى الْثَانِي إِنْ فَصِدَ رَبُّهَا بِهَا

دلت أو على أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه . أما الواو فليس لها معنى سوى
الإشراك ، فإذا قلت : جاءني زيد وعمرو . لم تعد بالواو شيئاً أكثر من اشتراك
عمرو في الجعي الذي أثبتته لزيد ولا بتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك
معنى يقع بغير ذلك الاشتراك فيه . وإذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنى في قولنا
زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت
الدقة وثبت أن التعمين ، فنقول :

هذا الضرب .. وهو ما تكون الجملة الأولى فيه عارية الموضع من الإعراب -
لا يخلو إما أن تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالأولى ومستغنية بربط
معناها لها عن حرف عطف - يربطها بأن كانت مؤكدة لها ومبينة ، وكانت إذا
حصلت لم تكن شيئاً سواها ، وهذا لا يجوز إدخال العاطف عليه .. وإما أن
لا تكون كذلك ، فلما أن يكون بين الثانية وبين الأولى مناسبة . وهنا يجب

(١) قبله :

رَعِمَتْ هَوَاكَ عَمَّا افْتَدَاكَ كَمَا عَمَّا جَلَّالًا بِاللَّوْىِ وَرُسُومٍ
وبعده :

مَا حَاجَتْ عَنْ سَتَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتْ قَدِّي عَلَى الْبَيْتِ سِوَاكَ تَهْمُومٍ

عَلَى مَعْنَى عَاطِفٍ سِوَى الْوَاوِ عَطِفَتْ بِهِ نَحْوُ : دَخَلَ زَيْدٌ فَيُخْرِجُ عَمْرُو ،
أَوْ : ثُمَّ خَرَجَ عَمْرُو ، إِذَا قَصِدَ التَّمَقُّبُ أَوْ الْمَلَقَةُ ، وَإِلَّا فَلَنْ كَانَ لِلْأَوَّلِ
حُكْمٌ لَمْ يَقْصَدْ إِعْطَاؤُهُ لِلثَّانِيَةِ فَالْفَصْلُ ، نَحْوُ : وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ،
الْآيَةُ ، لَمْ يُعْطَفَ اللَّهُ بِشَيْءٍ يَزِي بِهِ عَلَى مَا قَالُوا لِقَالِهِ^(١) يُشَارِكُهُ
فِي الْإِخْتِصَاصِ بِالْظَّرْفِ ، إِمَّا^(٢) مَرَّةً ، وَإِلَّا^(٣) فَلَنْ كَانَ بَيْنَهُمَا كَمَالُ
الْإِنْقِطَاعِ بِلَا إِيْنَاهُمْ ، أَوْ كَمَالُ الْإِتْصَالِ أَوْ شِبْهُ أَحَدِهِمَا ، فَكَذَلِكَ

ذكر العاطف ، أو لا يكون بينهما مناسبة رأساً ، وهنا لا يجوز ذكر العاطف .
تقرير لهذا المعنى بعبارة أخرى : إن كان بين الجملتين كمال الاتصال أو كمال
الانقطاع أو كانت الثانية بمنزلة المنصلة بالأول أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين
الفصل ، وإن كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل . . أما
كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه الأول أن تختلف
الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقولهم : لاتدن من الأسد يأكلك بالرفع
وقول الأخطل .

(١) فيلزم أن يكون استهزاء الله بهم وهو أن خذلهم وخرامهم وماسولت
لهم أنفسهم مستدرجاً إليهم من حيث لا يشعرون مختصاً بحال خلومهم إلى شياطينهم
وليس كذلك بل هو متصل لا انقطاع له بحال (٢) من كون تقديم الظرف
يفيد الاختصاص (٣) أى إن لم يكن للأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية
وذلك بأن لا يكون لها حكم زائد على مفهوم الجملة أو يكون ذلك ولكن
قصد إعطاؤه للثانية أيضاً .

وَأَلَّا فَالْمُؤْمِنُ الْمُتَعَيْنُ . أَمَّا كَالِ الْإِنِّطَاعِ فَلَا خِلَافَ فِيهِمَا خَبَرًا وَإِنشَاءً
لَفْظًا وَمَعْنَى ، نَحْوُ :

وَقَالَ رَأَيْدُهُمْ أَرْسُو نَزَاوِلَهَا * فَكُلُّ حَتَفٍ أَمْرِيهِ يَجْرِي بِمِقْدَارِ

وقال رأيدهم ارسو نزاولها فكل حتف امرىه يجرى بمقدار (١)
لما كان ارسو لإنشاء لفظاً ومعنى ، ونزاولها خبراً لفظاً ومعنى ، لم يعطف
عليه ، ولم يجعل أيضاً مجزوماً جواباً للأمر ، لأن الغرض تعليل الأمر بالإرساء
بالمزاولة والحال في الجزم بالعكس . أننى يصير الإرساء علة للمزاولة . . أو
معنى فقط ، كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكى مما نحن فيه
قول اليزيدى :

مَدَّكَتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ أَتَقَاهُ مِنْ زُهْدِي عَلَى غَارِبِي
وَقَالَ إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ انْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الْكَاذِبِ

رحله الإمام عبد القاهر على الاستئناف ، قال لأنه جعل نفسه كأنه يجيب
سائلاً قال له : فما تقول فيما اتهمك به من أنك كاذب ، فقال أقول : انتقم الله
من الكاذب ، وهو ظاهر . . . وأعلم ، أن الفصل إنما يجب في مثل هذا ما لم
يكن موهماً بخلاف المقصود ، وإلا وجب الوصل لتعارض المانع ، والمقتضى

(١) الرائد : الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء ، وأرسو : من رست
السفينة إذا وفقت على المرساة ، أو من رست أقدامهم في الحرب : أى ثبتت ،
ونزاولها من المزاولة : وهى المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للحرب
وقيل للسفينة . أما جعله للبحر فلا يناسب قوله بعد :

إِنَّمَا نَمُوتُ كِرَامًا أَوْ نَفُوزُ بِهَا فَوَاحِدُ الدَّهْرِ مِنْ كَدٍّ وَأَسْفَارِ

أَوْ مَعْنَى فَقَطْ ؛ نَحْوُ : مَاتَ فُلَانٌ رَحِمَهُ اللهُ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا
كَمَا سَيَأْتِي . وَأَمَّا كَالِ الْإِتِّصَالِ فَلْيَكُونِ الثَّانِيَّةُ مُؤَكِّدَةً لِلأُولَى لِذِيغ
تَوْحُمِ تَجْوِيزِ أَوْ غَلْطِ ، نَحْوُ : لَا رَيْبَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا بُوْلِغَ فِي وَصْفِهِ
بِبُلُوغِهِ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى فِي الْكَمَالِ جَعَلَ الْمُبْتَدَأَ ذَلِكَ وَاعْرِيفَ

إِذْنٍ وَلَيْسَ وَرَاءَ الْفَصْلِ إِلَّا الرِّصْلُ . يَحْكِي أَنَّ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ
بِأَعْرَابِيٍّ فِي يَدِهِ ثَوْبٌ ، فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ : أَتَبِيعُ هَذَا . فَقَالَ لَا يَرْحَمُكَ اللهُ . فَقَالَ
لَهُ الصَّدِيقُ : قَدْ قَوْمْتَ أَلَسْتُمْ لَوْ تَسْتَقِيمُونَ ، لَا تَقُلْ هَكَذَا ، قُلْ لَا يَرْحَمُكَ
اللهُ . وَيَحْكِي أَنَّ الصَّاحِبَ بْنَ عَبَّادٍ قَالَ حِينَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ : لَا وَأَيْدِكَ
اللهُ ، هَذِهِ الْوَاوُ أَحْسَنُ مِنْ وَاوَاتِ الْأَصْدَاغِ عَلَى خُدُودِ الْمَلَاةِ . الثَّانِي أَنَّ
لَا يَكُونُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ جَامِعٌ ، وَمِنْ هُنَا عَابُوا أَبَا تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ (١) :

بَلَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ كَرِيمِ أَبِي الْحُسَيْنِ وَمَرَارَةِ النَّوَى وَلَا تَعْلَاقَ لِأَحَدِهِمَا
بِالْآخَرِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْجَامِعِ . وَأَمَّا كَالِ الْإِتِّصَالِ فَيَكُونُ لِأَحَدِ أُمُورٍ
ثَلَاثَةٌ : الْأَوَّلُ : أَنَّ تَكُونِ الثَّانِيَّةُ مُؤَكِّدَةً لِلأُولَى وَالْمَقْتَضَى لِلتَّأَكِيدِ دَفْعُ تَوْحُمِ
التَّجْوِيزِ أَوْ الْغَلْطِ ، وَهَرُ قَسَمَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ تَنْزِلَ الثَّانِيَّةِ مِنَ الْأَوَّلَى مَنَزَلَةُ التَّأَكِيدِ

(١) وَقَدْ تَحَمَّلَ النَّاسُ لِتَصْحِيحِ الْوَصْلِ فِي الْبَيْتِ بِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّ مَرَارَةَ
النَّوَى سَبَبٌ يَقْتَضِي انْتِجَاعَ أَبِي الْحُسَيْنِ لِمَكَارِمِهِ الَّتِي تَزِيلُ شُظُفَ النَّوَى . وَقَدْ
بَالَغَ الطَّبِيبِيُّ فِي اسْتِحْدَافِهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ مُتَضَادِّينَ ، هُمَا مَرَارَةُ النَّوَى
وَحُلَاوَةُ كَرِيمِ أَبِي الْحُسَيْنِ ، فَأَبْرَزَهُمَا فِي مَعْرِضِ التَّوْحَى .

الْخُبْرِ بِاللَّامِ ، جَارِ أَنْ يَتَوَهَّم السَّامِعُ قَبْلَ التَّأَمُّلِ أَنَّهُ مِمَّا يُرْمَى بِهِ

المعنوى من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى مثل قوله تعالى (١) :
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، فإنه لما بولغ في وصف الكتاب بأنه بلغ
الدرجة القصوى من الكمال حيث (٢) جعل المبتدأ لفظة ذلك وأدخل على الخبر
حرف التعريف كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أن ينظمه في سلك ما قد
يرمى به على سبيل الجفاف من غير تحقيق وإيقان ، فأتبعه لا ريب فيه تأكيداً
لذلك ، وقد أصيب به المحض ، فوزانه وزان نفسه في قولك : جاءني زيد نفسه ،
ومثل هذا قوله جل شأنه : كأن لم يسعها كأن في أدنيه وقرأ . الثاني : مقرر لما أفاده
الاول ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى : ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ، فصل

(١) ذلك على تقدير أن يكون ألم جملة مستقلة ، وذلك الكتاب جملة ثانية ،
ولا ريب فيه جملة ثالثة ، وهناك وجوه آخر ذكرها المفسرون . هذا والذي ذكره
الشيخ في دلائل الإعجاز أن قوله لا ريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك
الكتاب وزيادة تثبيت له وبمؤلة أن تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب
فتعيده مرة ثانية تثبيته ، وإذن يكون التوكيد لفظياً .

(٢) وأنت تدعيت أن تعريف المسند إليه بالإشارة يدل على كمال العناية
بتمييزه وأنه ربما يجعل ذريعة إلى تعظيمه وبعدد رتبته ، وأن تعريف المسند إليه
باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة ؛ فعنى ذلك الكتاب : أنه الكتاب الكامل
كأن ما عدها من الكتب في مقابلته ناقص ، وأنه يستحق أن يسمى كتاباً كما تقول
هذا هو الرجل أى الكامل في الرجولية ، الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الحاصل ، وكما قال : هم القوم كل القوم بألم جملة .

جزأفا فأنبئة^(١) نفيًا لذلك التوهم ، فوزانته وِرْانُ نفسه في : جاء في زيد نفسه ، ونحو : هدى للمتقين ، فإن معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة ، وهذا معنى ذلك الكتاب ، لأن معناه - كما مر - الكتاب الكامل ، والمراد بكاله كأنه في الهداية ، لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات السكال : فوزانته وِرْانُ

إن هذا لسكوته مؤكداً للأول نفي أن يكون بشراً ، ولك^(٢) أن يقول الذي عليه العرف متى قيل في حق إنسان ما هذا بشراً ، ما هو بآدمي في حال التعظيم له والتعجب بما يشاهد منه من حسن الخلق ، والخلق هو أن يفهم منه أنه ملك فوق قوله إن هذا إلا ملك تأكيداً للسلكية ففصل ، وثانيها أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى ، مثل قوله تعالى : هدى للمتقين ، فإن معناه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة ، وهذا معنى قوله : ذلك الكتاب ، لأن معناه كما تقدم الكتاب الكامل ، والمراد بكاله كاله في الهداية ، لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت شأنها في درجات السكال . الثاني أن تكون الثانية بدلا من الأولى والمقتضى للإبدال أن تكون الأولى غير وافية بتمام المراد وإبراده ، أو كغير الوافية

(١) ولك أن تخرجه من التأكيد وتجعله من باب المبين قال الشيخ الإمام لأنه إذا نفي أن يكون بشراً فقد أثبت له جنس سواه ، إذ من المحال أن يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر ، وإذا كان كذلك كان إثباته ملكاً تمييزاً لذلك الجنس وتعييناً له

(٢) قول المصنف فأنبئة : أى أتبع لأريب فيه ذلك الكتاب ، أى جعل لأريب فيه تابعاً لذلك الكتاب .

زَيْدُ الثَّانِي فِي جَاءِ زَيْدُ زَيْدٌ ، أَوْ بَدَلًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا غَيْرُ وَاقِعَةٍ بِتَمَامِ
الْمُرَادِ أَوْ كَثِيرِ الْوَاقِعَةِ ، بِخِلَافِ الثَّانِيَةِ وَالْمَقَامُ يَقْتَضِي اعْتِنَاءَ بِشَأْنِهِ
لِلسَّكَنَةِ ، كَمَا كَوْنُهُ مَطْلُوبًا فِي نَفْسِهِ أَوْ فَطِيمًا أَوْ عَجِيمًا أَوْ لَطِيفًا ، نَحْوُ :
أَمَدَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَدَكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، فَإِنَّ الْمُرَادَ
الْتَفَتِيهِ عَلَى نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّانِي أَوْفَى بِتَأْدِيَتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهَا بِالتَّفْصِيلِ
مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ الْمَعَانِدِينَ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ وَجْهِهِ فِي :
أَعْجَبَنِي زَيْدٌ وَجْهَهُ لِدُخُولِ الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

والمقام مقام اعتناء بشأنه ، إما لكونه مطلوباً في نفسه ، أو لكونه فطيماً أو
عجيباً أو لطيفاً أو غير ذلك مما له وجه استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعيدده
المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد إلى المراد ، ليظهر بمجموع
القاصدين إليه في الأول ، والثاني أعنى المبدل منه والبديل مزيد الاعتناء بالشأن
وهذا ضرران أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه
مثل قوله تعالى : أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، فإنه مسوق
للتفتية على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله أمدكم بأنعام وبنين ، أوفى بتأديته
مما قبله لذلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعملون فوزانه وزان
وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه . قال السكاكي : ويحتمل الاستئناف . وثانيها :
أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتغال من متبوعه ، مثل قوله تعالى :
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ، فإن المراد به حمل
المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى : اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ،

أَقُولُ لَهُ اِرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا * وَإِلَّا فَسَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسَلِّماً
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ كَمَالُ إِظْهَارِ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ ، وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا
أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَيْهِ بِالْمُطَاقَةِ مَعَ التَّأَكِيدِ ، فَوَزَانُهُ وَزَانُ
حُسْنَتَانِي : أَعْجَبَنِي الدَّارُ حُسْنَهَا ، لِأَنَّ عَدَمَ الْإِقَامَةِ مَعَارِزَ لِلرَّزْخَالِ

أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ اتَّبَعُوا مَنْ لَا تَحْشُرُونَ مَعَهُمْ شَيْئاً مِنْ دُنْيَاكُمْ
وَتَرْجِعُونَ صَحَّةَ دِينِكُمْ ، فَيَنْتَظِمُ لَكُمْ خَيْرُ الدُّنْيَا وَخَيْرُ الْآخِرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
الْقَائِلِ :

أَقُولُ لَهُ اِرْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا * وَإِلَّا فَسَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسَلِّماً
فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا إِظْهَارُ الْكَرَاهَةِ لِإِقَامَتِهِ بِسَبَبِ خِلَافِ سِرِّ
الْعَلَنِ ؛ وَقَوْلُهُ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا أَوْفَى بِتَأْدِيتِهِ هَذَا الْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِ اِرْحَلْ لِدَلَالَةِ
ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالْتَّضَمُّنِ مَعَ التَّجَرُّدِ عَنِ التَّأَكِيدِ ، وَدَلَالَةِ هَذَا عَلَيْهِ بِالْمُطَاقَةِ مَعَ
التَّأَكِيدِ ، وَوَزَانُ الثَّانِيَةِ فِي الْآيَةِ وَالْمَثَلِ وَزَانُ حُسْنَتَانِي فِي قَوْلِكَ : أَعْجَبَنِي الدَّارُ
حُسْنَهَا ، لِأَنَّ مَعْنَاهَا مَغَارٍ لِمَعْنَى مَاقِبِلِهَا وَغَيْرِ دَاخِلٍ فِيهِ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُلَاقَبَةِ .
الثَّالِثُ : أَنَّ تَسْكُونَ الثَّانِيَةَ ^(١) بَيَاناً لِلأُولَى ، وَذَلِكَ بِأَن تَنْزُلَ مِنْهَا مَنْزِلَةُ عَطْفِ

(١) وَقَدْ تَعَطَّفَ الْجُمْلَةُ الَّتِي تَصْلُحُ بَيَاناً لِلأُولَى عَلَيْهَا فَنَبِّهَ عَلَى اسْتِقْلَالِهَا
وَمَغَايِرَتِهَا لَهَا ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَمَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ : يَسْأَلُونَكَ عَنْ عَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، مَعَ الْوَاوِ ، وَقَدْ قَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ يَذْبَحُونَ - غَيْرُ وَاوٍ خِفَتْ
طَرَحُ الْوَاوِ جَعَلَ التَّنْذِيحَ تَفْسِيراً لِلْعَذَابِ وَبَيَاناً لَهُ ، حَيْثُ أَثْبَتَ حُلَّ التَّنْذِيحِ
لِأَنَّهُ أَوْفَى عَلَى جَنْسِ الْعَذَابِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً ظَاهِرَةً كَأَنَّهُ جَنْسُ آخَرٍ .

وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة ، أو بياناً لها ، لِحَقَائِهَا ، مُحْوًى :
فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك
لا يبلى ، فإن وزاته وزان عمر في قوله :

« أقسم بالله أبو حفص عمر »

وأما ابنها كالمقطعة عنها فيكون عطفها عليها مؤهياً لعطفها
على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله :

وتظن سلمي أنني أبغى بها « بدلاً أراها في الضلال تهيم

البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى
نوع خفاء مع اقتضاء المقام لإزالته مثل قوله تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال
يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى ، فصل جملة قال عما قبلها لكونها
تفسيراً له وتبييناً ، فوزانه وزان عمر في قول الأعرابي : أقسم بالله أبو حفص
عمر ، أما كون الثانية بمنزلة المقطوعة عن الأولى ، فليكون عطفها عليه مؤهياً
لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظن سلمي أنني أبغى بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

لم يعطف أراها كي لا يحسب السامع العطف على أبغى ، وبعد أراها
في الضلال تهيم من مظهرات سلمي في حق الشاعر ، وليس هو بمراد ،
بل المراد أنها حكم للناسم عاجباً بذلك ، وليس بمستبعد أن يكون قد
قطع أراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف ، وإياك أن
تري الفصل لأجل الوزن فما هو هناك . . وأما كونها بمنزلة المتصلة بها
فليكونها جواباً عن سؤال امتنع الأولى ، فتزول منزلته ، فتفصل الثانية

وَيَحْتَمِلُ الِاسْتِثْنَاءُ . وَأَمَّا كَوْنُهَا كَالْمُتَّصِلَةِ بِهَا فَلَيْسَ كَوْنُهَا جَوَابًا
لِسُؤَالٍ اقْتَضَتْهُ الْأُولَى ، فَتَنْزِلُ مَنْزِلَتَهُ ، فَتُفْصَلُ عَنْهَا ، كَمَا يُفْصَلُ الْجَوَابُ
عَنِ السُّؤَالِ . السَّكَائِيُّ : فَيُنْزَلُ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الْوَاقِعِ ، لِئَسْكَتَهُ كَأَغْنَاهَا .
السَّامِعُ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ أَوْ أَنْ لَا يُسْمَعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَيُسَمَّى الْفَصْلُ لِذَلِكَ
اسْتِثْنَاءً ، وَكَذَا الثَّانِيَةُ ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ ، لِأَنَّ السُّؤَالَ إِنَّمَا عَنْ سَبَبِ
الْحُكْمِ مُطْلَقًا ، نَحْوُ :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ ؟ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحَزَنٌ طَوِيلٌ

عنها كما يفصل الجواب عن السؤال . قال السكاكي : النوع الثاني من الحالة المفتضية
للقطع أن يكون الكلام السابق بفحواه كالمراد للسؤال ، فينزل ذلك منزلة
الواقع ، ويطلب بهذا الثاني وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك
وتنزل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة ، إما لتنبيه
السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل : أو لئلا يسمع منه شيء ، أو لئلا يقطع
كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، ويسمى الفصل لذلك
استثناءً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استثناءً ، والاستثناء ثلثة أضرب
لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله :

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحَزَنٌ طَوِيلٌ

لأن كان في العادة إذا قيل فلان عليل ، أن يسأل عن سبب علته وموجب
مرضه ، فيقال ما به وما علته قدر كأنه قيل له ذلك فأنت بقوله سهر دائم جواباً
عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال ، وكذلك قول المعري :

أَيُّ مَا بَالُكَ عَيَالًا أَوْ مَا سَبَبَ عَيْتِكَ ، وَإِمَاءَ عَنْ سَبَبٍ خَاصٍ ، نَحْوُ :
وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَارَةٌ
بِالسُّوءِ ؟ فَقِيلَ إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ؛ وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ
الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ ، وَإِمَاءَ عَنْ غَيْرِهَا ، نَحْوُ : قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ، أَيُّ فَمَاذَا
قَالَ ، وَقَوْلِهِ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرْتَنِي لَا تَنْجَلِي

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا قَهْلَ زَوْجِي مُطْطِ حَيَاتِي لِغَيْرِ بَعْدُ مَا غَرَضًا (١)
جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا
لَمْ يَصِلْ جَرَبْتُ بِالْمَطَبِ عَلَى غَرَضْتُ بِنَاءً عَلَى سَوْالٍ يَنْسَاقُ إِلَيْهِ مَعْنَى الْبَيْتِ
الْأَوَّلِ وَهُوَ : لَمْ تَقُولِ وَيَحْكُ هَذَا ، وَمَا الَّذِي اقْتَضَاكَ أَنْ تَقُولِي كَسَحَكَ عَنْ
الْحَيَاةِ إِلَى هَذِهِ الْعَايَةِ ، وَإِمَاءَ عَنْ سَبَبٍ خَاصٍ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا أَبْرَى نَفْسِي
إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ هَلِ النَّفْسُ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ ، فَقِيلَ نَعَمْ
إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ ، وَهَذَا الضَّرْبُ يَقْتَضِي تَأْكِيدَ الْحُكْمِ كَمَا مَرَّ فِي بَابِ
أَحْوَالِ الْإِسْنَادِ أَنَّ لِحَاطَبِ إِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِي الْحُكْمِ طَالِبًا لَهُ حَسَنَ تَقْوِيَتِهِ
عُودُ كَذِبٍ . وَإِمَاءَ عَنْ غَيْرِهَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ * صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمَرْتَنِي لَا تَنْجَلِي
فَإِنَّهُ لَمَّا أَبْدَى التَّكَايَةَ مِنْ جَمَاعَاتِ الْعَدَالِ ، كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَحْرِكُ السَّمَاعَ
لِئْسَالِ أَصْدَقِيهِ فِي ذَلِكَ أَمْ كَذِبُوا ، فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ غَرَجَهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَدْ قِيلَ

وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَأْتِي بِإِعَادَةِ اسْمِهِ مَا اسْتَوْفَتْ عَنْهُ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ إِلَيَّ

له ففصل وطبق بذلك الفصل ، ومثله قول جندب بن عمار :

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ يَجُوبُ حَيْثُ عُرِيَتْ وَأُجِمَتْ
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاجِنَا بِالْقَادِسِيَّةِ قَنَّ لَجَّ وَذَلَّتْ

وقد زاد هنا أمر الاستثناء وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر ، فقال كذب العوازل ولم يقل كذبن ، وذلك أنه لما أعاد ذكر العوازل ظاهراً كان ذلك أبين وأقوى لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، أتى به متى ما ليس قبله كلام ، ومن الحسن البين في هذا الباب قول الوليد بن يزيد :

عَرَفْتُ لِلنَّزْلِ اخْتِلَالِي عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِي
عَفَا كُلَّ حَتَابٍ عَسُوفِ الْوَبْلِيِّ هَطَالٍ

لما قال عفا من بعد أحوال ، قدر كأنه قيل له فاعفاه ، فقال عفاه كل حَتَابٍ ، ومثله قول المتنبي :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ نَحْلًا عَفَا مِنْ حَدَا يِهِمْ وَسَاقًا

فإنه لما نفى أن يكون الذي يرى به من الدروس والعفا من الرياح ، وأن تكون التي فعلت ذلك ، كان مظنة أن يسأل عن الفاعل . قال الشيخ الإمام : واعلم أن الذي تراه في التنزيل من لفظ قال مفصلاً غير معطوف ، هذا هو التقدير منه والله أعلم ، أعني مثل قوله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال سلام قوم منكرون ، فراح إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة قالوا

زَيْدٌ زَيْدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ مَا يُبْنَى عَلَى صِفَتِهِ ، نَحْوُ : أَحْسَنْتَ
إِلَى زَيْدٍ صَدِيقُكَ الْقَدِيمُ أَهْلَ ذَلِكَ ، وَهَذَا أَبْلَغُ ، وَقَدْ يُحْذَفُ صَدْرُ
الِاسْتِثْنَاءِ ، نَحْوُ : يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ ، فَيَمْنُ قَرَأَهَا
مُغْتَوَّحَةً الْبَاءَ ، وَعَلَيْهِ : نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ ، عَلَى قَوْلٍ ، وَقَدْ يُحْذَفُ كُلُّهُ ،
إِتِمَاعٌ قِيَامٌ شَيْءٌ مَقَامُهُ ، نَحْوُ قَوْلِ الْحَمَامِيِّ :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ * لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا

لا تخف ، لما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم دخل قوم على
فلان فقالوا كذا أن يقولوا فما قال هو ، ويقول المجيب قال كذا أخرج الكلام
ذلك المخرج لأن الناس خاطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذي
يسلكونه ، وكذلك قوله : قال ألا أنا كلون ، وقوله : قالوا لا تخف ، تقسيم آخر
للاستثناء ، الاستثناء منه ما يأتي بإعادة اسم الاستثناء عنه كقوله : أحسنت
إلى زيد زيد حقيق بالإحسان ، ومنه ما يبنى على صفة كقولك : أحسنت إلى
زيد صديقك القديم أهل لذلك وهذا أبغ لانعوائه على بيان السبب
« تقسيم ثالث » الاستثناء قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى : يسبح له
فيها بالندو والأصالي رجال ، فيمن قرأ يسبح مبنياً للفعول ومنه قولهم : نعم
الرجل أو رجلاً زيد ، وبئس الرجل أو رجلاً عمرو على القول بأن المخصوص خبر
مبتدأ محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل جمعه معهوداً ذهنيّاً
مظهراً أو مضمراً ، سئل عن تفسيره : فقيل هو زيد ثم حذف المبتدأ . . . وقد
يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور بن هند يهجو بني أسد :

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا

أَوْ يَدُونِ ذَلِكَ ، نَحْوُ : فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيْ نَحْنُ ، عَلَى قَوْلِي . وَأَمَّا
الْوَصْلُ لِدَفْعِ الْإِبْهَامِ فَكَقَوْلِهِمْ : لَا وَأَيْدِكَ اللَّهُ . وَأَمَّا لِلتَّوَسُّطِ فَإِذَا
اتَّفَقْنَا خَبَرًا أَوْ إِنشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى أَوْ مَعْنَى فَقَطَّ بِجَامِعٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ نِعِيمًا وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ جَحِيمًا ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى :
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

أُولَئِكَ أَوْثَقُوا جُوعًا وَخَوْفًا * وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أُسْدٍ وَخَافُوا

التقدير أصنافنا أم كذبنا ، فقال تقديرًا كدبتهم والدليل على ذلك قوله
لهم إلف وليس لكم إلاف ، ويجوز أن يقدر لهم إلف جواب سؤال اقتضاء
الجواب المحذوف كأن المتكلم قال كذبتم ، فقالوا لم كذبنا ، فقال لهم إلف ،
وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه ^(١) كقوله تعالى : نِعْمَ الْمَاهِدُونَ ، أَيْ نَحْنُ
على قول من يجعل المخصوص خبر المبتدأ أَيْ هُمْ نَحْنُ . وَأَمَّا ، الوصل للتوسط
بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، فإذا اتفق الجملتان خبراً أو طلباً لفظاً
ومعنى أو معنى فقط مع جامع بينهما ، كقوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ نِعِيمًا وَإِنَّ
الْفُجَّارَ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ جَحِيمًا ، وقوله : يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، وقوله :
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، هَذَا فِي الْمُنْفَقَتَيْنِ خَبَرٌ أَمْطاً وَمَعْنَى ، وَقَوْلُهُ : كُلُوا
وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ، وَهَذَا فِي الْمُنْفَقَتَيْنِ إِنشَاءٌ لَفْظًا وَمَعْنَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِذْ

(١) لك أن تقول الفصل لا يعقل إلا بين كلامين منطوق بهما ، فإذا كانت
الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمى ذلك فصلاً ، إلا أن يقال إن المصنف
استطرد إلى أنواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلاً فليس من هذا الباب .

وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ، أَمْ لَا تَعْبُدُونَ
وَتُحْسِنُونَ ؛ بِمَعْنَى احْسِنُوا أَوْ وَأَحْسِنُوا . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
بِإِعْتِبَارِ الْمُسْتَدِ إِلَيْهِمَا وَالْمُسْتَدِّينَ جَمِيعًا ، نَحْوُ : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى
وَيَمْنَعُ ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ لِمُنَاسَبَةِ
بَيْنَهُمَا ، بِخِلَافِ زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ ، يَدُونَهَا ، وَزَيْدٌ شَاعِرٌ

أَخَذْنَا مِمَّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا عَلَىٰ قَوْلِهِ لَا تَعْبُدُونَ ، لِأَنَّهُ
بِمَعْنَى لَا تَعْبُدُوا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا فَتَقْدِيرُهُ إِمَّا ، وَتُحْسِنُونَ بِمَعْنَى
وَأَحْسِنُوا ، وَإِمَّا وَأَحْسِنُوا ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ صَرِيحِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِأَنَّهُ كَانَ
سُورِعَ إِلَى الْأَمْتِثَالِ وَالْإِنْتِهَاءِ فَهُوَ يُخْبِرُ عَنْهُ « وَالْجَامِعُ » بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ يَجِبُ
أَنْ يَكُونَ بِإِعْتِبَارِ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَالْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ وَبِإِعْتِبَارِ الْمُسْتَدِّ فِي
هَذِهِ وَالْمُسْتَدِّ فِي هَذِهِ جَمِيعًا كَقَوْلِنَا : يَشْعُرُ زَيْدٌ وَيَكْتُبُ وَيُعْطَى وَيَمْنَعُ ، وَقَوْلُكَ :
زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ وَزَيْدٌ طَوِيلٌ وَعَمْرٌو قَصِيرٌ ، إِذَا كَانَ عَمْرٌو بِسَبَبِ
مِنْ زَيْدٍ وَكَانَا كَالنَّظِيرَيْنِ وَالثَّرَيَكَيْنِ ، وَبِمَعْنَى إِذَا عَرَفَ السَّامِعُ حَالَ الْأَوَّلِ
عَنَاهُ أَنْ يَعْرِفَ حَالَ الثَّانِي ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا : زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو كَاتِبٌ إِذَا لَمْ
يَكُونَا كَذَلِكَ ، بِخِلَافِ قَوْلِنَا زَيْدٌ شَاعِرٌ وَعَمْرٌو طَوِيلٌ ، كَانَ كَذَلِكَ أَوْ لَا . قَالَ
الْمَشِخُ فِي دَلَالِ الْإِجْمَازِ : أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَحْدُثُ عَنْهُ فِي إِحْدَى
الْجَمْعَيْنِ بِسَبَبِ مَنْ الْمَحْدُثُ عَنْهُ فِي الْآخَرَى ، كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ عَنِ
الثَّانِي مِمَّا يَجْرِي بِجَرَى الثَّانِي وَالنَّظِيرِ أَوْ النَّقِیْضِ الْخَبَرُ عَنِ الْأَوَّلِ ، فَلَوْ قُلْتُ

وَعَمَرُو طَوِيلَ مُطْلَقًا . « السَّكَائِيُّ » الْجَامِعُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ : إِمَّا عَقْلِيٌّ
بَأَن يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ فِي التَّصَوُّرِ أَوْ تَمَازُلٌ ، فَإِنَّ التَّعَقُّلَ يَتَحَرَّيْهِ الْمِثْلَيْنِ
عَنِ التَّشْخِصِ فِي الْخَارِجِ يَرْفَعُ التَّمَدُّدَ ، أَوْ تَضَافُفَ كَمَا بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ
أَوِ الْأَقْلَ وَالْأَكْثَرِ ، أَوْ وَهْمِيٌّ بِأَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا شِبْهُ تَمَازُلٍ
كَلَوْنِي بَيَاضٍ وَصُفْرَةٍ ، فَإِنَّ الْوَهْمَ يُبْرِزُهُمَا فِي مَعْرِضِ الْمِثْلَيْنِ ، وَلِلذَلِكَ
حَسَنَ الْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ :

زيد طويل القامة وعمره شاعر كان خلفا . هـ هذا ، وقد قال السكاكي الجامع
بين الجلتين : إما عقل أو وهمي أو خيالي . فالعقل أن يكون بينهما اتحاد في
تصور مثل الاتحاد في الخبر عنه أوفي الخبر أوفي قيد من قيودهما ، أو تماثل ،
فإن العقل يتجرده المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد عن البين ،
أو تضاف كالذي بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، أو السفلى والعلو ،
والأقل والأكثر ، فالعقل يأتي أن لا يجتمعا في الذهن وأن العقل سلطان
مطلع . والوهمي هو أن يكون بين تصورهما شبه تماثل ، نحو أن يكون الخبر
عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة ، فإن الوهم يحتال في أن
يبرزهما في معرض المثلين ، وكـ الوهم من حيل وإلا فعليك بقوله :

(١) ربما تقول إن هذا يشعر بأنه يكفي للوصل أن يكون الجامع بين
الخبر عنها فقط أو الخبر بها فقط ، وأنت قد قلت آنفاً خلاف ذلك ، فإنه
تقبل كلام السكاكي هنا ليس إلا في بيان الجامع بين الجلتين ، وأما إن أرى
قدر من الجامع يجب لصحة الوصل ففوض إلى مكان آخر .

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا * شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
أَوْ تَضَادُّ ، كَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ ، وَمَا يَتَصِفُ بِهَا ،
كَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ، أَوْ شِبْهُ تَضَادِّ ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَوَّلِ وَالْثَانِي ، فَإِنَّهُ يُنَزِّلُهُمَا مَنَزِلَةَ التَّضَايُفِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الضِّدَّ
أَقْرَبَ خُطُورًا بِالْبَالِ مَعَ الضِّدِّ ، أَوْ خَيَالِيٍّ ، بَأَن يَكُونَ بَيْنَ تَصَوُّرَيْهِمَا
تَقَارُنٌ فِي الْخَيَالِ سَابِقٌ ، وَأَسْبَابُهُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلِذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الصُّوَرُ

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِهَيْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
وقل لي : ما الذي حسن الجمع بين الشمس وأبي إسحاق والقمر هذا التحسين
سواء أو بقوله :

إِذَا لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ فِي الْخَلْقِ مَطْمَعٌ فَذُو النَّجَّاحِ وَالسَّقَّاهِ وَالذَّرُّ وَاحِدٌ
أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن ، وكذلك في نحو :
والسكون ، والقيام والقعود ، والإيمان والكفر ، والملتصقات بذلك في نحو :
الأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر ، أو شبه تضاد كالذي بين نحو : السماء
والأرض ، والسهل والجبل ، والأول والثاني ، فإن الهم ينزل المتضادين
والشبهين بهما منزلة المتضادين فيجتمعا في الجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد
الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ، والخيال هو أن يكون بين تصوريهما
تقارن في الخيال سابق لأسباب مؤدية إلى ذلك ، فإن جميع ما ثبتت في الخيال
يسا يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه ،
ولذلك لما لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين البشر ، اختلفت الحال

الثَّابِتَةُ فِي الْخَيَالِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا ، وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ إِلَى مَبْرُوفَةِ الْجَامِعِ ، لَا سِيَّمَا انْتِلَاقِي ، فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ

فِي ثُبُوتِ الصُّورِ فِي الْخَيَالَاتِ تَرْتِيبًا وَوُضُوحًا فَكَمْ مِنْ صُورٍ تَتَعَانَقُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي آخِرِ لَيْسَتْ تَتَرَامَى ، وَكَمْ مِنْ صُورٍ لَا تَكَادُ تَلُوحُ فِي الْخَيَالِ وَهِيَ فِي غَيْرِهِ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ . يَحْكِي أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ ذَوِي الْحُرْفِ الْمُخْتَلِفَةِ وَصَفُوا الْكَلَامَ . فَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا نَقَبَتْهُ الْفُسْكَرَةُ وَنَظَّمَتْهُ الْفُطْنَةُ ، وَفَصَّلَ جَوْهَرُ مَعَانِيهِ فِي سِمْطٍ أَفَافَهُ لُجَمَاتُهُ نَحْوُ الرِّوَاةِ . وَقَالَ الصِّيرَفِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا نَفَقَتْهُ يَدُ الْبَصِيرَةِ ، وَجَلَّتْ عَيْنُ الرُّوِيَةِ ، وَوَزَنَهُ مَعْيَارُ الْفَصَاحَةِ ، فَلَا يَنْطِقُ فِيهِ بَزَائِفٌ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ بِبَهْرَجٍ . وَقَالَ الصَّائِنُغُ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا أَحْمَيْتُهُ بِكَبِيرِ الْفِكْرِ وَسَبَكْتُهُ بِمَشَاعِلِ النَّظَرِ وَخَلَصْتَهُ مِنْ خَبَثِ الْإِطْنَابِ ، فَبَرَزَ بَرُوزُ الْإِبْرِيرِ مُرَكَّبًا فِي مَعْنَى وَجِيزٍ . وَقَالَ الْحَبَّادُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا نَصَبْتَ عَلَيْهِ مَنَافِخَ الرُّوِيَةِ وَأَشْعَلْتَ فِيهِ نَارَ الْبَصِيرَةِ ، ثُمَّ أَخْرَجْتَهُ مِنْ غَمِّ الْإِخْفَامِ ، وَرَفَقْتَهُ بِغَطِيسِ الْأَفْهَامِ . وَقَالَ الْخَسَارُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا طَبَخْتَهُ مَرَاجِلَ الْعِلْمِ ، وَضَمَنْتَهُ دَنَانِ الْحِكْمَةِ وَصَفَّاهُ رَاوُوقَ الْقَهْمِ ، فَتَمَشَّتْ فِي الْمَفَاصِلِ عَذُوبَتُهُ وَفِي الْإِفْكَارِ رَفَّتُهُ ، وَسَرَتْ فِي نَجَاوِيفِ الْعَقْلِ سُورَتُهُ وَحَدَّتْهُ . وَقَالَ الْبَزَازُ : أَحْسَنَ الْكَلَامِ مَا صَدَقَ رَقْمُ أَلْفَاظِهِ وَحَسُنَ رَسْمُ مَعَانِيهِ ، فَلَمْ يَسْتَعِجْ عِنْدَ فُشْرِ ، وَلَمْ يَسْتَهْجِمْ عِنْدَ طَى . وَقَالَ السَّكْحَالُ : أَصَحُّ الْكَلَامِ مَا سَخَّجْتَهُ فِي مَنَاجِرِ الذِّكَاةِ ، وَنَخَّلْتَهُ بِحَرِيرِ التَّمْيِيزِ ، وَكَأَنَّ الرَّمْدَ قَدَى الْعَيْنِ ، كَذَا الشَّهْبَةَ قَدَى الْبَصَائِرِ ، فَاتَّحَلَّ عَيْنَ الْمَسْكَنَةِ بِمِيلِ الْبَلَاغَةِ ، وَأَجَلَّ رَمْدَ الْفَلَّةِ بِرُودِ الْيَقْظَةِ . وَلِصَاحِبِ عِلْمِ الْمَعَانِي فَضْلُ احْتِجَاجٍ فِي هَذَا الْقَنْ إِلَى التَّنْبِيهِ لِأَنْوَاعِ هَذَا الْجَامِعِ وَالتَّنِيقِ لَهَا ، لَا سِيَّمَا النُّوعِ الْخَيَالِ . فَإِنَّ جَمْعَهُ عَلَى مَجْرَى الْإِلْفِ وَالْعَادَةِ ، بِحَسَبِ مَا تَتَعَدَّدُ الْأَسْبَابُ فِي اسْتِنْدَاعِ

وَمِنْ مُحَسَّنَاتِ الْوَصْلِ تَنَاسُبُ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْأَمِّيةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَالْفِعْلِيَّتَيْنِ

الصور خزانة الخيال ، فقل لي إذ لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر ، أتى يستجلى كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم الدلائل ناسقاً كذلك النفس : أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها ، وكذا البواقي لكن إذا وفاه حقه بديقته لما عليه تقاعهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء ، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم ومشربهم ولباسهم من المواشى كانت عنايتهم مصروفة لاحتالة إلى أكثرها نفعاً وهي الإبل ، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرعى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يأويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لَمَّا جَبَلٌ يَحْتَنُّهُ مِنْ نَجِيرَةٍ مَنِيْعٍ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ

فما ظنك بالتهات خاطرهم إليها ، ثم إذا تعدد طول مكثهم في منزل — ومن لأصحاب مواشى بذلك — كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور ، فعند نظره هذا أيرى البدوى إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك ، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تموز بصورة الجبال بعدهما أو لا تنصاع إليه صورة الأرض بعدهن ؟ لا — وإنما الحضرى حيث لم تتأخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النفس بحبه ههنا . . هذا أذاذك الله حلوة العلم وأشعر قلبك برد اليقين هو لباب ما قالوه .

فِي الْمَفِيِّ وَالْمُضَارَعَةِ ، إِلَّا لِمَانِعٍ .

﴿ تَذْنِيبٌ ﴾

أَصْلُ الْحَالِ الْمُتَنَقِّلَةِ أَنْ تَكُونَ بِغَيْرِ رَاوٍ ، لِأَنَّهَا فِي الْمَفِيِّ حُكْمٌ

فِي بَابِ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ ، اسْتَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لِبَنَاءِ خَالِهَا سَائِغًا
لِلشَّارِبِينَ (إِلَّا لِمَانِعٍ) كَمَا إِذَا أُريدَ بِإِحْدَاهُمَا التَّجَدُّدُ ، وَبِالْآخَرَى الثَّبُوتُ كَمَا
إِذَا كَانَ زَيْدٌ وَعَمْرُو قَاعِدَيْنِ ، ثُمَّ قَامَ زَيْدٌ دُونَ عَمْرُو ، فَإِنَّكَ تَقُولُ قَامَ زَيْدٌ
وَعَمْرُو قَاعِدٌ . قَالَ السَّكَّاكِيُّ : وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ
أَنْتُمْ صَامِتُونَ ، الْمَعْنَى سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَحَدْتُمْ الدَّعْوَةَ لَهُمْ أَمْ اسْتَمَرَّ عَلَيْكُمْ صَمْتُكُمْ
عَنْ دَعَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا حَزَبَهُمْ أُخْرَ دَعَا اللَّهَ دُونَ أَصْنَائِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى :
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضَرُّ الْآيَةِ ، فَكَانَتْ حَالُهُمُ الْمُبْتِمَرَةُ أَنْ يَكُونُوا عَنْ دَعْوَتِهِمْ
صَامِتِينَ (تَذْنِيبٌ) لِمَا كَانَتْ الْحَالُ الْوَاقِعَةُ جُمْلَةً تَارَةً تَدْخُلُهَا الرَّاوُ ، وَأُخْرَى
لَا تَدْخُلُ ، صَارَ لَهَا فِي الصُّورَةِ حَالَتَانِ فَصْلٌ وَوَصْلٌ ، فَنَاسِبٌ أَنْ يَذْكَرَ ذَلِكَ
عَقِبَ السَّكَلَامِ عَلَى الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ . وَبَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مَنْ سَنَقَسَا
فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّنَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُبْحَثِ الَّذِي تَانَحُمُ أَجْزَاؤُهُ
وَتَشْتَبِكُ كَلِمَاتُهُ ، نَمُتُّ إِلَى نَظْمِ شَرْحِهِ فِي سِمَطٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَكُونَ هُنَا الْمُنْتَاوِلُ
سَهْلَ الْمَأْخُذِ ، فَتَقُولُ : الْفَرَضُ الْآنَ هُوَ بَيَانُ أَنَّ الْحَالَ إِذَا وَقَعَتْ جُمْلَةٌ تَحْتَمِلُ
تَارَةً مَعَ الرَّاوِ وَأُخْرَى بِغَيْرِ رَاوٍ ، وَالْكَلَامُ فِي ذَلِكَ مُسْتَدَعٌ تَهْيِيدُ قَاعِدَةٍ ،
وَهِيَ أَنَّ الْحَالَ نَوْعَانِ : حَالٌ بِالْإِطْلَاقِ ^(١) وَحَالٌ تَقْسَمُ مُؤَكَّدَةٌ ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنَ النَّوَاعِينَ أَصْلٌ فِي الْكَلَامِ ، وَلَهَا مَعًا نَتِجٌ فِي الْاسْتِمْعَالِ وَاحِدٌ ، فَأَصْلُ
الثَّانِي أَنْ يَكُونَ وَصْفًا مُبَاطِنًا نَحْوُ : هُوَ الْحَقُّ بَيْنًا ، وَزَيْدٌ أَبُوكَ شَفِيفًا ، وَفِي التَّنْزِيلِ :

(١) وَهِيَ الَّتِي تَقْسَمُ الْمُنْقَلَةُ

عَلَى صَاحِبِهَا كَاتَلَبِرَ ، وَوَصَفَتْ لَهُ كَالْتَعَتِ ، لَكِنْ خُوفَ هَذَا إِذَا

لَمَّا أَنْزَلْنَاهُ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا ، وَأَصْلُ الْأَوَّلِ أَنْ يَكُونَ وَصْفًا غَيْرَ ثَابِتٍ مِنَ الصِّفَاتِ
الْجَارِيَةِ كاسْمِ الْفَاعِلِ واسْمِ الْمَفْعُولِ نَحْوُ جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبَ الْأَصْلَ مَكْشُوفًا ،
وَيَمْتَنِعُ أَنْ يُقَالَ : جَاءَ زَيْدٌ طَوِيلًا أَوْ قَصِيرًا ، أَوْ أَسْوَدًا أَوْ أَيْضًا ، اللَّهُمَّ إِلَّا
بِتَأْوِيلٍ ، وَنَهَجُهُمَا فِي الْأَسْتِعْمَالِ أَنْ يَأْتِيَا عَرَبِيَّيْنِ عَنْ حَرْفِ النَّفْيِ كَمَا يُقَالُ
هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا دُونَ لَا خَفِيَا ، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا دُونَ لَا مَاشِيًا . وَالْأَصْلُ (١)
فِي النَّوْعَيْنِ أَنْ يَكُونَا بِغَيْرِ الْوَاوِ لَوْجُوهُ : الْأَوَّلُ : أَنْ يُعْرَبَ الْحَالُ أَصْلٌ
لَيْسَ يَتَّبَعُ وَلَا بِجَمْعِ الْوَاوِ فِي الْمَرْبِ بِالْإِصَالَةِ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ دَالٌّ عَلَى تَعَلُّقِ
مَعْنَى هُنَاكَ ، فَذَلِكَ التَّعَلُّقُ يَكُونُ مَعْنِيًّا عَنْ تَكْلُفٍ تَعَلُّقِ آخِرٍ . الثَّانِي : أَنْ
يُحْكَمَ الْحَالُ مَعَ ذِي الْحَالِ أَبَدًا نَظِيرَ حُكْمِ الْخَبَرِ مَعَ الْخَبَرِ عَنْهُ ، الْأَتْرَاكُ إِذَا
أَلْفِيتُ هُوَ ، فِي قَوْلِكَ هُوَ الْحَقُّ بَيْنَا ، بَقِيَ الْحَقُّ ، وَجَاءَ فِي قَوْلِكَ : جَاءَ زَيْدٌ
رَاكِبًا ، بَقِيَ زَيْدٌ رَاكِبًا ، وَضَرَبْتُ فِي قَوْلِكَ : ضَرَبْتُ الْأَصْلَ مَكْشُوفًا ، الْأَصْلُ
مَكْشُوفٌ ، هُنَاكَ الْحَالُ وَذَا الْحَالُ خَبَرًا وَخَبَرًا وَالْخَبَرُ لَيْسَ (٢) مَوْضِعًا لِلدُّخُولِ

(١) يُوْخَذُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَجْهَ لِلصَّنْفِ فِي أَنْ يَقْبِدَ الْحَالُ بِالْمُنْتَقِلَةِ لِأَنَّ
أَصْلَ الْحَالِ مُطْلَقًا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ وَجِبَ هَذَا الْأَصْلُ فِي الْمَوْكِدَةِ ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى
مَاقِبَلِهَا ، وَالْوَاوُ تَقْذِنُ بِالْمُقَابَرَةِ .

(٢) قَدْ تَخَدَّشُ فِي هَذَا أَنَّ الْأَخْفَشَ فِي طَائِفَةِ جَوَزِ دُخُولِ الْوَاوِ فِي خَبَرٍ
كَانَ وَأَخْوَانُهَا وَأَنْشَدُوا :

لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَفِيهَا إِذَا مَا قَابَلَتْهُ عَيْنُ الْبَصِيرِ اعْتِيَارُ
وَقَوْلُ الْخَامِسِ :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشُّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُزَيَّفٌ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ حَرْبٍ وَكُنْتُ وَقَلْبِي بَيْنَتْ مِنَ الدُّخُولِ

كَانَتْ جُمْلَةً ، فَإِنَّهَا مِنْ حَيْثُ هِيَ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بِالْإِفَادَةِ ، فَتَحْتَاجُ إِلَى مَا يَرْبُطُهَا بِصَاحِبِهَا ، وَكُلٌّ مِنَ الضَّمِيرِ وَالْوَاوِ صَالِحٌ لِلرَّبْطِ ، وَالْأَصْلُ هُوَ الضَّمِيرُ ، بِدَلِيلِ الْمَفْرَدَةِ وَالْخَبَرِ وَالنَّعْتِ . فَالْجُمْلَةُ إِنْ خَلَتْ عَنْ ضَمِيرٍ صَاحِبِيٍّ وَجَبَ فِيهَا الْوَاوُ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ضَمِيرٍ مَا يَحْجُوزُ أَنْ يَنْتَقِصَ عَنْهُ حَالٌ يَصِحُّ أَنْ تَقَعَ حَالًا عَنْهُ بِالْوَاوِ إِلَّا الْمَصْدَرَةُ بِالْمَضَارِعِ

وقد يجاب بأن أمثال ذلك مما ورد في على خلاف الأصل تشبيهاً بالحال . الثالث : أنها في الحقيقة وصف لذى الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ، فظهر لك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا يدخلها الواو ، ولكن النظر إليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبيط العذر في أن يدخلها ما يربطها بالاولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والأصل الضمير بدليل الاقتصار عليه في الحال المفردة والخبر والنعت . وإذا تمد هذا فاعلم أن الجملة التي تقع حالاً ضربان : خالية عن ضمير ما تقع حالاً عنه ، وغير خالية . أما الاولى فيجب أن تكون بالواو لثلاث تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يحوز (١) أن ينتصب عنه حال يصح أن تقع حالاً عنه إذا كانت مع الواو إلا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك : جاء زيد ويتكلم عمرو ، على أن يكون ويتكلم عمرو حالاً عن زيد ، لما سيأتى أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده . وأما الثانية : فتارة يجب أن تكون بالواو وتارة

(١) بأن تكون فاعلاً أو مفعولاً ، معروفاً أو منكراً مخصصاً . لا مستنداً وخبراً ، ولا نسكرة محضة .

للمثبت نحو: جاء زيدٌ ويتكلمُ عمرو لما سيأتي، وإلا فإن كانت فعليةً
والفعل مضارعٌ مثبتٌ امتنع دخولها، نحو: ولا تمنن تستكثر، لأن
الأصل المفردة، وهي تدلُّ على حصول صفةٍ غير ثابتةٍ مقارنٍ لها

يمنع ذلك، وتارة يرجع أحدهما، وتارة يستوى الأمران والواو غير منافٍ
للضمير في إفادة الربط، فتعين التنبيه على أسباب الاختلاف، فنقول الجملة
إما أن تكون فعالية والفعل مضارع مثبت غير منفي، وحينئذ تمنع الواو بل
تري الكلام على مجيئها عارية من الواو كقوله:
وقوله:

وَقَدْ غَلَبَتْ قَنُودُ الرَّحْلِ يَسْقَمَنِي يَوْمَ تَهْجِي بِهِ الْجُوزُ الْمَسْمُومُ^(١)
وقوله:

وَأَتَمَّدَ أَغْتَدِي يَدَافِعُ رُكْنِي أَحْوَذِي ذُو مِيعَةٍ إِضْرِيحُ^(٢)

وفي النزيل: ولا تمنن تستكثر — وسيجئها الاتق الذي يؤتى ماله
يتزكى — ويذرهم في طغيانهم يعمهون. قال المصنف: والسبب في ذلك هو أن
أصل الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن ذلك الحصول
لما جعلت قيدا له وهو العامل فيها والمضارع المثبت كذلك، أما دلالة على
حصول صفة غير ثابتة فلأنه فعل مثبت والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم

(١) القنود جمع قند: وهو خشب الرجل المعبود؛ ويسفحه اليوم: ياحقه
بحره فيغير لونه، وأصله تأثير النار وتعليلها بما تصبیه، والجوزاء: برج تنزله
الشمس في آخر الربيع، وحينئذ تهب الرياح الحارة واليوم مسموم ريحه حارة.
(٢) الأحوذى: الحاذق، وميعة الفرس: أول جريه وأنشطه،
والأضريح: الفرس الشديد العدو.

جُمِلَتْ قَيْدَالُهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَمَّا الْحُصُولُ فَلِكُونِهِ فِعْلاً مُتَّبِعًا ،
وَأَمَّا الْمُقَارَنَةُ فَلِكُونِهِ مُضَارِعًا ، وَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ نَحْوِ : قُمْتُ وَأَصُكُ
وَجَبِيْهُ ، وَقَوْلُهُ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافِيْهِمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيْكََا
فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ ، أَيْ وَأَنَا أَصُكُ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ ، وَقِيلَ
الْأَوَّلُ شَاذٌ وَالثَّانِي ضَرُورَةٌ ، وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : هِيَ فِيهِمَا لِلْعَطْفِ وَالْأَصْلُ
الْتِمُوتُ ، وَأَمَّا دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُقَارَنَةِ فَلِكُونُهُ مُضَارِعًا وَهُوَ يَصْلَحُ لِلْحَالِ . وَأَمَّا
قَوْلُ ابْنِ مِمَامِ السَّالُوتِ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْلَافِيْهِمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِيْكََا
« فِي رِوَايَةٍ مِنْ رِوَاةٍ وَأَرْهَنْتُهُمْ ، وَمَا شَبَّهَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ . قُمْتُ وَأَصُكُ
وَجَبِيْهُ ، فَقِيلَ عَلَى حَذْفِ الْمَبْتَدَأِ ، أَيْ وَأَنَا أَرْهَنْتُهُمْ وَأَنَا أَصُكُ ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ
اسْمِيَّةً ، وَقِيلَ الْأَوَّلُ ضَرُورَةٌ وَالثَّانِي شَاذٌ . وَقَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ : لَيْسَتْ الْوَائِدَةُ
فِيهِمَا لِلْحَالِ بَلْ هِيَ لِلْعَطْفِ ، وَأَرْهَنْتُ وَأَصُكُ بِمَعْنَى رَهَنْتُ وَصَكَّكْتُ ، وَعَدِلَ
إِلَى صِيغَةِ الْمُضَارَعِ لِحَاكِيَةِ الْحَالِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّشِيرِ بِسَبْئِيْ قَمَضَيْتُ قُمْتُ قُلْتُ لَا يَغْنِيْنِي
يَبِينُ ذَلِكَ أَنَّهُ تَرَى الْغَاءَ نَجْمِيْ مَكَانَ الْوَائِدَةِ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَذَلِكَ كَمَا جَاءَ مَا فِي
الْخَبَرِ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتِيكَ حِينَ دَخَلَ عَلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيَّ حَصْنَهُ قَالَ :
قَاتَنَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مَظْلَمٍ لَا أَدْرِي أَيْ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ
أَبَا رَافِعَ ، فَقَالَ مِنْ هَذَا ، فَأَجْهَوِيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ، وَأَنَا دَهْشُ ،
فَكَأَنَّ أَضْرِبُهُ مُضَارِعٌ قَدْ عَطَمَهُ بِالْفَاءِ عَلَى مَاضٍ لِأَنَّهُ فِي الْمَعْنَى مَاضٍ ،

وَصَغَّكْتُ وَرَهَنْتُ، غَدِلَ عَنْ لَفْظِ الْمَاضِي إِلَى الْمَضَارِعِ لِحِكَايَةِ الْحَالِ
وَإِنْ كَانَ مَذْنِيًّا فَالْأَمْرَانِ، كَقِرَاءَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ: فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ
بِالتَّخْفِيفِ وَنَحْوِ: وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى الْمُقَارَنَةِ لِكَوْنِهِ مُضَارِعًا

كذلك يكون أمرهم معطوفاً على الماضي قبله ، وكلا لا يشك في أن المعنى في
الخطب فأهويت فضربت ، كذلك يكون المعنى في البيت نجوت ورهنت . قلنا
إن الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، أما إن دخل
حرف تنفي على المضارع فإنه يجوز فيه الأمران ، وذلك مثل قراءة ابن ذكوان :
فاستقيا ولا تتبعان ، بتخفيف النون ^(١) ، وقولهم : كنت ولا أخشى بالذهب ،
وقول مسكين الدارمي :

أَكْسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَا وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يُدْعَى لِأَبٍ

وذكر مالك بن ربيع وكان جني جنابة فطلبه مصعب بن الزبير :

أَنَا فِي مُصْعَبٍ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيَّنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

أَفَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُنْهِنُنِي الْوَعِيدُ

كان في هذا كله نامة ، والجملة الداخلة عليها الواو في موضع الحال ولا معنى
لجعلها ناقصة ، وجعل الواو مزيدة وليس بجيء المضارع حالا على هذا الوجه
بمميز في الكلام ألا تراك تقول : جعلت أمشي ولا أدرى أين أضاع رجلي ،
وجعل يقول ولا يدري ، وقال أبو الأسود :

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُضْطَلِّي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكَ إِلَّا كَذَلِكَ

(١) فإنها تكون حادثة نون رفع وتكون لا للتني دون التني والواو للحال .

دُونَ الْحَصُولِ لِيَكُونَهُ مَنفِيًّا . وَكَذَا إِنْ كَانَتْ مَاضِيًّا لَفَتْهَا أَوْ مَعْنَى
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ، وَقَوْلُهُ : أَوْجَاؤُكُمْ

وهو شائع كثير . ومثال مجيء المضارع منفياً حالاً من غير واو قوله :
مَصَّوْا لَا يُرِيدُونَ الرِّمَاحَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرَيْنِ عَلَى قَدَرٍ
وقول أوطاة بن سبية وهو لطيف جداً :

إِنْ تَلَقَّنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِتَأْطِيرَةٍ تَنْسُ السِّلَاحَ وَتَمْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ
فقوله لا ترى في موضع حال ، ومثله في اللطف قول أعشى همدان وصحب
عباد بن ررقاء إلى أصحابان فلم يحمده فقال :

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَأْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجْهَلًا مَسِيرِي الْأَسِيرُ إِلَى حَجِيمٍ

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَا رِفَاعَ قَبِيلَتِهِ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلَتْهَا لَا أَحْجَبُ

وهو كثير إلا أنه لا يمتد إلى وضعه بالموضع المرضي إلا من كان
صحيح الطبع ، قال المصنف : والسبب في جواز الأمرين هو دلالة المضارع على
المقارنة لكونه مضارعاً دون الحصول لكونه منفياً ، أي والمقارنة يناسبها
ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها ، وأما ، إِنْ كَانَ الْفِعْلُ مَاضِيًّا لَفَتْهَا
أو معنى ، فكذلك مجيء بالواو وبغير الواو ، أما يجيشه بالواو فالكثير الشائع
كقولك : أَنَانِي وَقَدْ جَهْدَ السَّيْرِ ، وقال تعالى : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ
الْكِبَرُ ، وقال امرؤ القيس :

أَتَقْتَلِبُنِي وَقَدْ شَمَمْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَمَّتْ لِلْمَهْوَاةِ الرَّجُلُ الطَّالِي

حَصِرْتُ صُدُورُهُمْ، وَقَوْلِهِ : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ، وَقَوْلِهِ :
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ أُولَٰئِكَ فَيَقُولُ لَمْ يَغْنَمْ غَنَماً أَفَرَأَيْنَا كَبِيرًا

وقال :

فَجِئْتُ وَقَدْ نَفَسْتُ لِيَوْمٍ يُبَٰيِبُهُا لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
هذا في الماضي لفظاً ، وأما الماضي (١) معنى فثاله قوله تعالى : أو قال أوحى
إلى ولم يوح إليه شيء ، وقوله : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ، وقول كعب :
لَا تَأْخُذْ بِلِقَاءِ قَوْمِي يَجْنَوْنَ غَيْرَهُ يَهُودَ ثَمُودَ أَذُنِبَ وَإِنْ كَثُرْتُ فِي الْأَقَاوِيلِ
وقوله تعالى : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم وقول الشاعر :

بِأَنْتَ قَطَامٌ وَلَمَّا يَحْظُ ذُو مِقَّةٍ مِنْهَا بَوَصْلٌ وَلَا إِنْجَازٌ مِمَّعَادٍ
وأما بغير الواو فكقوله تعالى : أو جاءكم حصرت صدورهم وقول الشاعر :
يَتَشَوَّنُ قَدْ كَثُرُوا الْجَفُونَ إِلَى الْوَعَى مَتَّبِعِينَ وَفَيْرُكُمْ اسْتِشَارُ
وقوله :

فَأَبْنَوْا بِالرَّمَاكِ مُكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ ائْتَيْنَا
وقول الآخر :

مَتَى أَرَى السُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ حَيَّاهُ وَاللَّيْلَ قَدْ مَزَقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ
وكقوله تعالى : فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ أُولَٰئِكَ لَمْ يَغْنَمْ غَنَماً أَفَرَأَيْنَا كَبِيرًا
الله الذين كثروا يغيظهم لم ينالوا خيراً ، وقول امرئ القيس :

(١) المراد به المضارع المنقى ولم .

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ أَمَّا الْمَثَبُ
فَلِدَّلَاتِهِ عَلَى الْحُصُولِ ، لِيَكُونَ مَثَبًا ، دُونَ الْمَقَارِنَةِ ، لِيَكُونَ مَاضِيًا
وَلِهَذَا اشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ مَعَ قَدْ ظَاهِرَةً أَوْ مُقَدَّرَةً ، وَأَمَّا الْمَثَبُ فَلِدَّلَاتِهِ
عَلَى الْمَقَارِنَةِ دُونَ الْحُصُولِ ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِأَنَّ لَمَّا لِلِاسْتِنْرَاقِ ، وَغَيْرِهَا
لِإِتِّفَاقٍ مُتَقَدِّمٍ مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ اسْتِمْرَارُهُ ، فَتَحْصُلُ بِهِ الدَّلَالَةُ عَلَيْهَا

* فَأَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَنْبَغِ شَأْوُهُ *

وقول زهير :

كَانَ فِتَاةَ الْعِيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ النَّأْمِ يُحْمَلُ

وقول الآخر :

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعًا وَطَاعَةً وَحَدَرْنَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُشَقُّ

قال المصنف : والسبب في أن جاز الأسران فيه إذا كان مثبتاً دلالة على
حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلاً ، وعدم دلالة على المقارنة لكونه ماضياً ،
ولهذا اشترط أن يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى يقربه إلى الحال فيصح
وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضي وجوب الوام في المنق لا انتفاء المعنيين ،
لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما المنق بلها فلأنها للاستغراق ، وأما المنق
بغيرها فلأنه لما دل على انتفاء متقدم وكان الأصل استمرار ذلك حصلت

(١) يقول كان قطع الصوف المصوغ الذي زينت به الهوداج في كل

منزل نزله هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب في حال كونه غير محتم لأنه إذا
حفظ زابله لونه .

عِنْدَ الْأَخْلَاقِ ، بِخِلَافِ الْمُثَبَّتِ ، قَالَتْ وَضَعَ الْفِعْلُ عَلَى إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ
وَتَحْقِيقِهِ أَنَّ اسْتِمْرَارَ الْعَدَمِ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سَبَبٍ ؛ بِخِلَافِ اسْتِمْرَارِ
الْوُجُودِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلْيَكُونِ مَنفِيًّا . وَإِنْ كَانَتْ اسْمِيَّةً فَلِلْمَشْهُورِ
جَوَازُ تَرْكِهَا لَتَكْسِي مَا مَرَّ فِي الْأَخْصِي الْمُثَبَّتِ ، نَحْوُ : كَلِمَتُهُ قُوَّةٌ إِلَى فِيٍّ

الدلالة على المفارقة عند إطلاقه بخلاف المثبت ، فإن وضع الفعل على إفادة
التجدد ، وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يفتقر إلى سبب ، بخلاف استمرار
الوجود كما بين في غير هذا العلم ، وأما ، إِنْ كَانَتْ الْجُمْلَةُ اسْمِيَّةً فَلِلْمَشْهُورِ جَوَازُ
الْأَمْرِ ، وَأَنْ يَجِيءَ الْوَاوُ أَوَّلَى ، مِثَالُ وَجُودِ الْوَاوِ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَلَا تَعْجَلُوا بِهِ
هَاشِدًا ، وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

لِيَالِي بَدْعُوْنِي الْهَوَى وَأُجِيبْهُ وَأَعِزُّ مَنْ أَهْوَى إِلَى رَوَانٍ
وَمِثَالُ تَرْكِهَا مَا رَوَاهُ سَيُوبُ كَلِمَتُهُ قُوَّةٌ إِلَى فِيٍّ وَرَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْنِهِ ، فِي
قَوْلٍ مِنْ رَفْعٍ وَبَيْتٍ الْإِصْلَاحِ :

فَصَنَّفَ النَّهَارُ الْمَاءَ غَامِرَةً وَرَفِيقَهُ بِالْقَيْبِ لَا يَدْرِي (١)
وَمَا أَشَدَّهُ أَبْرَ عَلَى فِيٍّ الْإِغْثَالِ :

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَا آتَى تَامِرٌ إِلَى جَفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُمَزَّقْ
وَقَوْلُ الْآخَرِ :

* نَابِلٌ عَيْنِكَ دَمْعُهَا لَا يَرَقَا *

(١) يَصِفُ غَامِرًا عَلَى الْهَرِّ : يَقُولُ لَهُ بَقِيَ غَامِرًا تَحْتَ الْمَاءِ مِنَ الصَّبَاحِ
إِلَى الظُّهْرِ وَرَفِيقَهُ الْمَمْسُكَ الْحَبِيلَ عَلَى الْهَرِّ لَا يَدْرِي .

وَأَنَّ دُخُولَهَا أَوَّلَى ، لِعَدَمِ دَلَالَتِهَا عَلَى عَدَمِ الثَّبُوتِ ، مَعَ ظَهْرِ الْإِسْتِنَافِ فِيهَا ، فَحَسَنُ زِيَادَةِ رَابِطٍ ، نَحْوُ : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَدَاً وَأَنْتُمْ تَقْسِمُونَ : وَقَالَ عَبْدُ الْقَاهِرِ : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَتْ ، نَحْوُ : جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ

قال المصنف : أما جواز الأمرين فلم ينكس ماسر في الماضي المثبت يعنى دلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لا على حصول صفة غير ثابتة لدلائلها على الدوام والثبوت ، وأما أن يحىء الواو أولى فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط ، وقال الشيخ الإمام : إِنْ كَانَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرَ ذِي الْحَالِ وَجَبَ الْوَائِدُ ، كَقَوْلِكَ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرِعُ أَوْ وَهُوَ يَسْرِعُ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْجُمْلَةَ لَا تَتَرَكُّ فِيهَا الْوَائِدُ حَتَّى تَدْخُلَ فِي صِلَةِ الْهَامِلِ وَتَنْتَضِمَ إِلَيْهِ فِي الْإِثْبَاتِ . وَتَقْدِيرُ تَقْدِيرِ الْمَفْرُودِ أَنَّ لَا يَسْتَأْنَفُ لَهَا الْإِثْبَاتُ وَهَذَا يَمْتَنِعُ فِي نَحْوِ جَاءَ زَيْدٌ وَهُوَ يَسْرِعُ أَوْ وَهُوَ يَسْرِعُ ، لِأَنَّكَ إِذَا أَعْدَدْتَ ذَكَرَ زَيْدٍ وَجَبَتْ بِضَمِيرِهِ الْمُنْتَصِلِ الْمَرْفُوعِ كَانَ مَبْنًى لِعَادَةِ اسْمِهِ صَرِيحاً فِي أَنَّكَ لَا تَجِدُ سَبِيلاً إِلَى أَنْ تَدْخُلَ بِسُرْعٍ فِي صِلَةِ الْمَجْبُوءِ وَتَضُمَّهُ إِلَيْهِ فِي الْإِثْبَاتِ لِأَنَّ إِعَادَةَ ذِكْرِهِ لَا تَكُونُ حَتَّى تَقْصِدَ اسْتِنَافَ الْخَبَرِ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَسْرِعُ وَإِلَّا اسْكَنْتَ تَرَكْتَ الْمُبْتَدَأَ بِمَعْنِيَةٍ وَجَعَلْتَهُ لَفْظاً فِي الْبَيِّنِ ، وَجَرَى بِحَرِيِّ أَنْ تَقُولَ : جَاءَ فِي زَيْدٍ وَعَمْرٍو يَسْرِعُ أَمَامَهُ ، ثُمَّ تَزْعِمُ أَنَّكَ لَمْ تَسْتَأْنَفْ كَلَاماً وَلَمْ تَبْتَدِئْ بِالْمَرْعَةِ لِإِثْبَاتِهَا ، وَعَلَى هَذَا فَالْأَصْلُ وَالْقِيَاسُ أَنَّ لَا تَجْبَى الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ إِلَّا مَعَ الْوَائِدِ وَمَا جَاءَ بِدُونِهِ فَسَبِيلُ سَبِيلِ الشَّيْءِ الْخَارِجِ عَنْ قِيَاسِهِ وَأَصْلُهُ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ وَنَوْعٌ مِنَ التَّشْبِيهِ فَقَوْلُهُمْ : فَوَهْ إِلَى فِي ، مَعْنَاهُ مَشَافَهًا ، وَقَوْلُهُمْ : عَوْدَهُ عَلَى يَدَيْهِ ، مَعْنَاهُ ذَاهِبًا فِي طَرِيقِهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :

يسرع أو وهو تسرع، وإن جعل نحو: على كَيْفِهِ سَيْفٌ حالاً كثر

إذا أتيت أبا مروان تسأله وحجته طاهره الجود والكرم
فلامه بسبب تقديم الخبر قرب في المعنى من قولك وجدته حاضراً عنده
الجود والكرم، ونزول الشيء منزلة غيره ليس بعزير في كلامهم، ويجوز أن
يكون جميع ذلك على إرادة الواو كما جاء الماضي على إرادة قد. (وبعد) فقد
وجب عايننا الآن أن تتحفظ أيها القارئ بما قاله ذلك الإمام في بيان الحال
والأسباب التي أفتنت أن يختلف الأمر بالجل الواقعة حالا هذا الاختلاف
وأن يكون ههنا جملة لا تصلح إلا مع الواو، وأخرى لا تصلح فيها الواو،
وثالثة تصلح أن تحيى فيها بالواو وأن تدعى (قال) ما لحوا إن كل جملة
وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع
في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد، وكل جملة جاءت حالا
ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً، فإذا قلت جاءني زيد يسرع،
كان بمنزلة جاءني مسرعاً في أنك تثبت له بحيثاً فيه إسراع وتصل أحد المعنيين
بالآخر، وتجمل الكلام خبراً واحداً. كأنك قلت جاءني بهذه الهيئة، وإذا
قلت جاءني زيد وهو مسرع أو وغلame يسمى بين يديه أو وسيفه على كتفه
كان المسمى على أنك بدأت فأنبت المجيء ثم استأنفت خبراً وابتدأت إثباتاً
ثانياً لما هو مضمون الحال ولهذا احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى للمجيء
الواو كما جرى بهما في قولك العلم حسن والجهل فبيع، وتسميتي لها واو حال
لا تخرجها عن كونها مجتلية لضم جملة إلى جملة كالفاء في جواب الشرط،
فإنها بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها،
هالجملة في نحو: جاءني زيد يسرع، بمنزلة الجزلة المستغنى عن الفاء، لأن
من شأنه أن يربط بنفسه، والجملة في نحو جاءني زيد وهو مسرع أو وغلame

فِيهَا تَرَكُنَا ، نَحْوُ * خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ * وَتَحْسُنُ التَّرَكُّ تَارَةً
لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَصِّرَنِي كَأَنَّمَا بَنَى حَوَالِيَ الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدُ

يسعى بين يديه أو رسيفه على كفه بمنزلة الجراء الذي ليس من شأنه أن يرتبط
بنفسه (ثم) قال الشيخ : وإن جعل نحو على كفه سيف بتقديم الظرف حالاً عن
شيء كان قولنا جاعاً زيد على كفه سيف كثر فيها أن يحى بغير واو كقول بشار :
إِذَا أَنْكَرْتَنِي تَلَدَّةٌ أَوْ نَكْرَتُنَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَى سَوَادٍ
يعنى على بقية من الليل ، وقول أمية :

فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجَ مَرْتَفِعًا فِي رَأْسِ مُحَمَّدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلًّا
وقول الآخر :

لَقَدْ صَبَرْتُ لِلْأَنْفَالِ أَهْرَاقًا مَنِيْرًا تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبٌ

ثم قال : والوجه أن يقدر الاسم في الأمثلة مرتفعاً بالظرف فإنه جاور
باتفاق من صاحب الكتاب ، وأبى الحسن لاعتقاده على ما قبله . ثم ينبغي أن
يقدر ههنا خصوصاً أن الظرف في تقدير اسم الفاعل دون الفعل . اللهم إلا
أن يقدر فعلاً ماضياً مع قد (وهو) كلام الشيخ قوله : وما ينبغي أن يراعى
في هذا الباب أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بغير واو ويحسن ذلك ، ثم تنظر
فترى أنك إنما حسن من أجل حرف دخل عليها مثاله قول الفرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَصِّرَنِي كَأَنَّمَا بَنَى حَوَالِيَ الْأَسْوَدِ الْحَوَارِدُ (١)

فإنه لولا دخول كان عليه ، لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك عسى

(١) الحوارد : جمع حورد ، وهو المجتمع الخائف المريب الماظر يرى له وتره
كالغضببان .

وَأُخْرَى لِرُفُوعِ الْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ بِعَقِبِ مُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَاللَّهُ يُقَيِّدُ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

﴿ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ وَالْمُسَاوَاةُ ﴾

السَّاكِي : أَمَا الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ فَلِكَوْنُهُمَا نِسْبَتَيْنِ لَا يَتَسَرَّرُ
الْكَلَامُ فِيهِمَا إِلَّا بِتَرْكِ التَّحْقِيقِ وَالتَّعْيِينِ ، وَالْبِنَاءِ عَلَى أَمْرِ عُرْفِيٍّ ،
وَهُوَ مُتَعَارَفُ الْأَوْسَاطِ ، أَيْ كَلَامُهُمْ فِي تَجَرُّي عُرْفِهِمْ فِي تَأْدِيَةِ
الْعَامِي ، وَهُوَ لَا يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ وَلَا يَذْمُ ؛ فَالْإِيجَازُ أَدَاةُ الْمُقْصُودِ

أَنْ تَبْصُرَ بِنِ وَبَنَى حَوَالِي الْأَسْوَدِ . وَشَبِيهِ هَذَا أَنْ تَقَعَ حَالًا بِعَقِبِ مُفْرَدٍ حَالٍ
فِي طَلْفِ مَكَانٍ ، بخلاف ما لو أفردت ، كقول ابن الرومي :

وَاللَّهُ يُقَيِّدُ لَنَا سَالِمًا * بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ

فإنه لو قال : وَاللَّهُ يُقَيِّدُ لَنَا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا (الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ)
هُوَ بَابُ رَفِيعِ الْمَزَلَةِ شَامِخٍ فِي الشَّرَفِ بَلْ هُوَ أَفْ بِلَاغَةِ الَّذِي تَعْلُسُ مِنْهُ وَنَاهَا
الَّذِي تَفَرَّعَ عَنْهُ وَقَدِيمًا تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ وَأَفْرَدُوهُ بِالْقَوْلِ وَالْإِيضَاحِ وَلَقَدْ أَتَى الْمُصَنِّفُ
رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْهُ بِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ سَنَضَمُ إِلَيْهَا مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَيَنْتَاجُ مِنْهُ الْعُسْرُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ (نَسْبِيَّتَيْنِ) لِأَنَّ الْمَوْجِزَ إِنَّمَا يَكُونُ مُوجِزًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَلَامٍ أَزِيدُ مِنْهُ ،
وَكَذَا الْمَطْلَبُ إِنَّمَا يَكُونُ مَطْلَبًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا هُوَ أَنْقَصُ مِنْهُ (الْأَوْسَاطُ) أَيْ
الَّذِينَ لَمْ يَرْتَقُوا إِلَى ذُرُوءِ الْبَلَاغَةِ وَلَمْ يَتَدَلُّوا إِلَى حَضِيضِ الْعَمَى وَالْفَهَامَةِ (وَهُوَ)

يَأْتِي مِنْ عِبَارَةِ الْمُتَعَارِفِ ، وَالْإِطْنَابِ أَدَاوُهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ثُمَّ قَالَ :
الِاخْتِصَارُ لِكُونِهِ نَسْبِيًّا يُرْجِعُ فِيهِ نَازِعَةً إِلَى مَاسْبِقٍ ، وَآخَرَى إِلَى كَوْنِ
الْمَقَامِ خَلِيقًا بِأَبْسَطِ مَا ذَكَرَ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ نَسْبِيًّا
لَا يَقْتَضِي تَمَثُّرَ تَحْقِيقِ مَعْنَاهُ ، ثُمَّ الْبِنَاءُ عَلَى الْمُتَعَارِفِ وَالْبَسْطِ لِلْمَوْصُوفِ
رَدُّ إِلَى الْجُمْلَةِ ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يُقَالَ : الْقَبُولُ مِنْ طَرِيقِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُرَادِ
تَأْدِيَةُ أَصْلِهِ بِلَفْظٍ مُسَاوٍ لَهُ أَوْ يَقْصُ عَنْهُ وَاقِفٌ ، أَوْ زَائِدٌ عَلَيْهِ لِفَائِدَةٍ :
وَاحْتِزَازِ يَوَاقِفِ عَنِ الْإِخْلَالِ ، كَقَوْلِهِ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لَيْلِ التَّوَكُّلِ مِنْ عَاشِ كَدًّا

أى هذا الكلام الذى هو متعارف الأوساط (إلى ماسبق) أى إلى اعتبار
متعارف الأوساط (مما ذكر) أى مما ذكر فى المقام (ثم البناء على المتعارف
والبسطة الموصوف) بأن يقال الإيجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف ؛
وقد يكون لكون المقام خليقاً بكلام أبسط من الكلام المذكور ، وهذا ،
وقد نصر القوم صاحب المفتاح على المصنف بما لا يسهل شرحنا وليس بطالب
البلاغة حاجة وحيداً صريح المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بعد
وله عن كلام الحكاكي ، وقصده لأول وهلة إلى ما هو بالبلاغة أسس وبمصنفه
أليق (عن الإخلال) وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول
الحارث بن حنظلة البشكري :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ لَيْلِ التَّوَكُّلِ مِنْ عَاشِ كَدًّا

أراد والعيش الناعم خير فى ظلال النوم — بضم النون وقمتها الحق —

أَيُّ النَّاعِمِ فِي ظِلَالِ الثَّمَلِ ، وَبِقَائِدَةِ عَنِ التَّطْوِيلِ ، نَحْوُ :
 * وَالْقِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنَا * وَعَنِ الْحُشْرِ الْمُسَيِّدِ كَالنَّدَى فِي قَوْلِهِ :
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِشَجَاعَةِ وَالنَّدَى * وَصَبْرِ الْقِي لَوْلَا لِقَاءُ شَقِيبِ

من العيش الشاق في ظلال الثقل . وليس يدل لحن كلامه على هذا ، فهو من الإيجاز المقصر ، ومن ذلك قول الآخر :

'أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ مِنِّ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ'
 يريد عاجل ما أشتهى مع الفلة ، أحب إليه من رائته مع الكثرة ، ومثله قول عروة بن الورد

تَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَمَقْتُلُهُمْ عِنْدَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَرَا
 يعني إذ يقتلون نفوسهم في السلم (عن التطويل) وهو أن لا يتعين الزائد في الكلام كقول عدى بن زيد العبادي من قصيدته التي أولها :

أَبْدَلْتُ الْمَنَازِلُ أُمَّ عَيْنَنَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلَيْنَا
 وهو يذكر غدر الزباء بمجذبة الأبرش :

وَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ زَاهِيَتِي وَالْقِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنَا

فإن الكذب والمين واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة ، والتقدير : التقطيع ، والأديم : الجلد ، والرهشان : العرقان في باطن الذراع (في قوله) أي قول أبي الطيب المنفى (ولا فضل فيها) يقول : لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندي لولا الموت . وهذا الحنك صحيح في الشجاعة والصبر دون الندي ، لأن الشجاع إذا علم علماً ليس بالظن أنه يخلف في الدنيا ، فإن عليه اقتحام الحروب والمعارك لآمنه من الهلاك إذ ذاك فلم يكن هنا فضل ، وكذا الصابر

وَعَبْرِ الْمُسَدِّ ، كَقَوْلِهِ : * وَأَعْلَمُ عَلَى الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ * :

إِذَا بَقِيَ بَرُودُ الْمُسْكُورِ وَبَقَاءُ الْعَمْرِ هَانَ عَلَيْهِ صَبْرُهُ لَوْثُوقِهِ بِالْخِلَاصِ ، وَأَمَّا
النَّدَى فَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْبَازِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ هَانَ عَلَيْهِ بَذْلُهُ .
وَلِهَذَا يَقُولُ إِذَا عَوَّبَ فِيهِ كَيْفَ لَا أَبْذُلُ مَا لَا أَبْقِي لَهُ أَنْ أَتَى بِالْمَتَمِّعِ بِهَذَا
الْمَالِ . وَعَلَيْهِ قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ :

فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي قَدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَسَكْتَ يَدِي
وَقَوْلُ مِيسَارِ الدِّيلِيِّ :

فَكُلُّنَا إِنْ أَكْبَلَتْ وَأَطْمَحَتْ أَخَالَاتُ فَلَا إِزَادَ يَبْقَى وَلَا الْأَكْلُ

فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ يَمُوتُ ثُمَّ جَاءَ بِمَا لَهُ كَانَ جُودُهُ أَفْضَلَ وَعَلَى كَرَمِ الطَّبْعِ أَدْلُ ، وَقَدْ
يَحْمَلُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّدَى فِي الْبَيْتِ ، بَذْلُ النَّفْسِ لَا بَذْلُ الْمَالِ ، كَمَا قَالَ
مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوْدُ إِذْ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وَرَدَ بِأَنَّ لَفْظَ النَّدَى لَا يَكَادُ يَسْتَعْمَلُ فِي بَذْلِ النَّفْسِ ، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ فَعَلَى
وَجْهِ الْإِضَافَةِ ، فَأَمَّا مُطْلَقاً فَلَا يَفِيدُ إِلَّا بَذْلَ الْمَالِ ، نَعَمْ قَالَ ابْنُ جَنِّي إِنَّ فِي
الْخُلُودِ وَتَنَقُّلِ الْأَحْوَالِ فِيهِ مِنْ عَمَرٍ إِلَى يَسَرٍّ ، وَمِنْ شِدَّةٍ إِلَى رَخَاءٍ ، مَا يَسْكُرُ
النَّفْسُ وَيَسْهَلُ الْبُوسُ فَلَا يَنْظُرُ لِبَذْلِ الْمَالِ كَثِيرٍ فَائِدَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ (كَقَوْلِهِ)
الْقَائِلُ هُوَ ذَهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ (وَأَعْلَمُ) وَتَمَامُهُ :

* وَلَكِنْ نَفِي عَنْهُ عِلْمُ مَا فِي غَدِي نَعْمِي *

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ قَوْلَهُ قَبْلَهُ مُسْتَفْنَى عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُفْسَدٍ ، فَإِنْ قَالَتْ قَدْ بَقِيَ
أَبْصَرْتَهُ بَعْضِي وَسَمِعْتَهُ بِأَذْنِي وَضَرَبْتَهُ بِيَدِي ، وَلَا يَجْعَلُ مِثْلَ هَذَا مِنَ الْجَشْوِ

«الساواة» نحو : وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، وَقَوْلُهُ :

لوقوعه في التزبدل مثل : فويل لهم مما كسبت أيديهم ، فإنما أمثال ذلك إنما يقال في مقام يتقرر إلى التوكيد ، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا لقد كتبت بيمينك هذه ، وأما قوله تعالى : ذلك قولهم بأفواههم . فعناه أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهمة التي هي أجرام ونعم لا تدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مفعول بالضم ومعناه مؤثر في القلب ، وما لا معنى له مقول بالضم لا غير (نحو : ولا يبحق) ومن المساواة هذه الآيات المشهورة :

وَلَمَّا قَعَيْنَا مِنْ مِثْقَلٍ حَاجَةٍ وَسَمِعَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
وَشَدَّتْ عَلَى ذَهَبِ أَطْيَا رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَاشِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمِطْيُ الْأَبَاطِحُ
ومنها تلك الآيات التي قال فيها الجاحظ ، لا أعرف شعراً يفضل هذه
الآيات التي لأبي نواس :

وَدَارِ نَدَايَ عَطَلَوْهَا وَأَدْلَجُوا سَهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَمْعِيَّةٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبٍ مِنْ جَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى النَّرَى وَأَضْمَتْ رِمَاحُ جَنَى وَيَاسُ
حَبَسَتْ سَهَا تَحْيِي فَجَدَّدَتْ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي دَرَّ أَشْثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ
نَدَارُ عَاهِهَا الرِّاحُ فِي عَسَجْدِيَّةٍ حَبَبُهَا بِأَوَاجِ النَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَوَارِئِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهَا تَدْرِيسُهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَارِسُ

فَأَنَّكَ كَأَنَّهُ لِي الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي . وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ الْأَمْتَأَى عَنْكَ بِأَسْعٍ
وَالْأَمْتَأَى ضَرَانٍ : بِحِجَازِ الْقَعْرِ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِعَذْفٍ ، نَحْوُ :
وَلَسْكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ، فَإِنْ مَعْنَاهُ كَثِيرٌ وَأَمْتَأَى بِسَيْرٍ ، وَلَا حَذْفَ فِيهِ

فَلَرَّاحٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا . وَالْبَاءُ بِمَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَائِسُ

(فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ) البيت للناطقة الديواني من قصيدة يمدح بها أبا قابوس وهو
الغمان بن المنذر ملك الحيرة . يقول : إنه لا يفوت الممدوح وإن أبعد في الحرب
وسار إلى أقصى الأرض لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق
معلماً لا مره يرد المارِب إليه . وقد انتقد الأصمعي الناطقة ، فقال : أما تشبه
الإدراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتي
بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد ، فلو قال قائل إن قول النخعي في ذلك
أحسن منه ، لوجد مساعاً إلى ذلك حيث يقول :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْمَعْنَاءِ أَوْ كَمُوهَا خِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصْدُقَ تَرَانِي

(نحو والسكم في القصاص حياة) مثله قول الله جل شأنه فيما يخاطب
به نبيه صلى الله عليه وسلم : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين .
لجمع مكارم الأخلاق بأسرها ، لأن قول خذ العفو فالعفو عند الجهد .
أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم ، وتسل من غير
كفة ، ولا تدأبهم ، ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا .
والعرف : المعروف والجميل من الأفعال . وأعرض عن الجاهلين : لا تكفهم
للسفهاء مثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوءك منهم . ومعنى

وَفَضَّلَهُ عَلَى مَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ أَوْجَزَ كَلَامٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ ، وَهُوَ : الْقَتْلُ
أَنْفَى لِلْقَتْلِ ، بِرِيشَةِ حُرُوفٍ مَا يَنْبَازُهُ مِنْهُ ، وَالنَّصُّ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَمَا يُنْبِذُهُ
تَنْكِيرُ حَيَاةٍ مِنَ التَّعْظِيمِ ، إِمَامُهُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ جَمَاعَةٍ بِوَاحِدٍ .

هذا الضرب من الإيجاز قوله تعالى : فلما استقيأوا منه خلسوا نجيا^(١) ، الآية ،
حار في فصاحتها جميع الباناء . ومثل هذا في القرآن كثير . ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم : لا يأكم وخضراء الدمن^(٢) ، وقول الشريف الرضي :

مَالُوا إِلَى شُعْبِ الرَّحَالِ وَأَسْتَدُوا أَيْدِيَ الطَّلَانِ إِلَى قُلُوبٍ تَحْقِيقُ

فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام ،
عبر عن ذلك بقوله : أيدى الطعان (فإن منناه كثير) لأن المراد به أن
الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً له قزياً إلى أن لا يقدم على
القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ،
فكان ارتفاع القتل حياة لهم (وفضله الخ) يقول إن قوله تعالى : ولكم
في القصاص حياة ، يفضل ما كان عند العرب أوجز كلام في هذا المعنى وهو
قولهم القتل أنفى للقتل من وجوه ، أحدها : أن عدة حروف ما يباظه منه وهو
في القصاص حياة عشرة في النامط وعدة جروفه أربعة عشر ، وثانيها : ما فيها
من التصریح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أجزر عن القتل
بغير حق ، لكونه أدعى إلى الاقتصاص ، وثالثها : ما يفيد تنكير حياة
من التعظيم ، وذلك لمنهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهي

- (١) المعنى لما يأسوا من يوسف وإجابته إياهم ، اعتزلوا الناس خالصين
لا يخالطهم أحد يتناجون في تدبير أمرهم وماذا يقولون لآبهم في شأن أخيم .
(٢) تمام الحديث : قيل وماذا ، قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء .

أَوْ التَّوَعِّيَةِ الْخَاصَّةِ لِلْمَقْتُولِ وَالْقَاتِلِ بِالْإِرْدَاءِ ، وَأَطْرَادِهِ وَخَلْفِهِ عَنْ
التَّكْرَارِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ ، وَالْمُطَابَقَةِ ؛ وَإِيجَازُ الْحَذْفِ ،
وَالْمَحْذُوفُ إِمَّا جُزْءٌ مُجْمَلٌ مَصَافٍ نَحْوُ : وَأَسْأَلُ الْقَرِيبَةَ ، أَوْ مَوْصُوفٍ نَحْوُ :
أَنَا ابْنُ جَلَّ . أَيْ رَجُلٍ جَلَّ ، أَوْ صِفَةٍ نَحْوُ وَكَانَ وَرَأَاهُمْ مَلَكَ بِأَخْذٍ .

الحياة الحاصلة للقاتل بالكفاية ، والمقتول بالكف عنه ، ورابعها : اطراده
بخلاف قولهم فإن القتل الذى ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا
غيره ، وخامسها : سلامته من التكرار الذى هو من عيوب الكلام بخلاف
قولهم ، وسادسها : استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره
القتل أنفى للقتل من تركه ، وسابعها : أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما
أطباق ، وزاد في الإيضاح وجه آخر وهو جعل القصاص كالمنع والهدن
للحياة بإدخال في عليه وهناك وجوه آخر قد سمعها الناس (وإيجاز الحذف)
عطف على إيجاز النقص (نحو وأسأل القرية) مثله قوله تعالى : وأشربوا في
قلوبهم العجول . أى حبه ، وقوله عز وجل : الحج أشهر معلومات . أى وقت
الحج ، وقول الحماسي :

إِذَا لَاقَيْتَ قَوْمِي فَأَسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَيْرًا
هَلْ اعْتَمَوْعْنَ أَصُولَ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَمَّرَتْ وَاقْتَطِعَ الصُّدُورُ

أراد أنه يقطع ما في الصدور من الضغائن والإحز ، أى يزيل ذلك
بإحسانه وكرمه خصاله . وهذا باب شائع في كلام العرب وإن كان أبو الحسن
الاعنشى لا يرى القياس عليه (نحو أنا ابن جلا) هو بعض بيت للمرجى ولفظه :
أَنَا ابْنُ جَلَّ وَطَلَّغَ الثَّنَاءَا مَتَى أَصَحَّ الْقِسْمَاتُ تَعْرِفُونِي .
فالمحذوف جزء جملة موصوف (أى رجل جلا) قال بعضهم فيه نظر

كُلِّ سَفِينَةٍ غَضَبًا ، أَيْ صَحِيحَةً وَنَحْوَهَا ، بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ أَوْ قَرَطُ ، كَمَا مَرَّ ،
أَوْ جَوَابُ شَرْطٍ ، إِمَّا لِجَرْدِ الْإِخْتِصَارِ نَحْوُ : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ

لأن رجل ليس جزء جملة بل فضلة ، على أنه قيل إن جلا اسم علم فلا حذف
حيثُذ ، وهو مستند عيسى بن عمر في أن فعل عنده وزن يمنع من الصرف فلذا
لم ينون جلا ، وقال سيبويه : كأنه قال أنا ابن الذي جلا ، فعل هذا الوجه
يسكون حذف الموصول . ومن حذف الموصوف قول البحري من أبيات
يصف بها إيوان كسرى :

وَإِذَا تَمَارَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةَ ارْتَمَتْ سَيْنَ رُومٍ وَفُرْسِ
وَالنَّيَا مَوَائِلُ وَأَنْتَ شِرْ وَأَنْ رَجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفِ
فِي اخْفِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْفَرٍ يَحْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرَسِ

فقوله على أصفر : أى على قرص أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال
(ونحوها) كسليمة أو صالحة (بدليل ما قبله) وهو قوله تعالى : فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعِيهَا ، فإنه بدل على أن الملك كان إنما يأخذ الصحيحة . ومن حذف
الصفة قول الحماسي :

كُلُّ أَمْرٍ يَنْتَقِمُ مِنْهُ الْفَرَسُ أَوْ مِنْهَا يَنْتَقِمُ ^(١)

أراد كل امرئ متزوج ، إذ المعنى لا يصح إلا بهذا . وبعد ، فهذا
الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ، ولا يكاد يقع في
الكلام إلا نادراً لمكان استنباهه (كما مر) عند قوله في باب الإنشاء

(١) أى إما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيا ، وتموت امرأته فيبقى
الرجل أيا ، وفي المثل : كل ذات بعل سقيم .

أَيُّدِيكُمْ وَمَا خَلَقَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، أَىْ أَعْرَضُوا بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ ،
أَوْ لِلذَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحِيطُ بِهِ الْوَعْدُ ، أَوْ لِنَدَبِ نَفْسِ السَّامِعِ
كُلَّ مَذْهَبٍ مُمَكِّن ، مَبْلُغًا : وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى النَّارِ ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ
نَحْوُ : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أَىْ وَمَنْ أَنْفَقَ
مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ . وَإِنَّمَا جَعَلَهُ مُسَبِّحَةً عَنْ مَذْكُورٍ ،

وهذه الأربعة يجوز تقدير الشرط بعدها . ومن حذف الشرط قولهم الناس
يجزبون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر (بدليل ما بعده) وهو
قوله تعالى : وما تأتيم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ، ومن
هذا الباب قوله تعالى : ولو أن قرأنا سيرة به الجبال أو قطعت به الأرض
أو كلم به الموتى ، أَىْ لِسكان هذا القرآن وقوله تعالى : قل أرأيتم إن كان من
عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم
أَىْ أَلَسَمَ ظالمين بدليل قوله تعالى بعد : إن الله لا يهدي القوم الظالمين .
(أو لنذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً
إلا وهو يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، بخلاف ما لو ذكر فإنه يتعين
وربما يسهل أمره عنده ، ألا ترى أن المولى إذا قال لعبده والله لئن قتلت إليك
وسكت تراحم عليه من الظنون المعترضة للوعيد مالا يتراحم لو أنص من
مؤاخذه على ضرب من العذاب ، وكذلك إذا قال المتجسس لو رأيته شاباً
وسكت جاءت الأفكار له بمالم يحل به لو أتى بالجواب (أو غير ذلك)
كالمسند إليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف إليه كقوله تعالى : وكل في فك
سبحون ، وكذلك كل ما قطع عن الإضافة معنى لا لفظاً . وكالصلة مثل
قولهم : جاء بعد التثنية والقي ، وكجواب القسم مثل قوله تعالى : والفجر وليال عشر

محو : لِيُحِثَّ الْخَلْقَ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ، أَيْ فَعَلَ مَا فَعَلَ ، أَوْ سَبَبَ لِيَذْكَوِرَ
محو : فَانْفَجَرَتْ ، إِنْ قُدِّرَ قَضَرُهُ بِهَا ، وَيَحْوَزُ أَنْ يَقْدَرَ فَإِنْ ضَرَبَتْ بِهَا

الآية ، التقدير ليعذب أو يحو ، ويدل على ذلك قوله بعد : ألم تركيف فعل ربك
بعد — إلى قوله — سوط عذاب ، وجواب لما كقوله تعالى : فلما أسألا وتله
للجبين الآية ، التقدير كان ما كان بما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من
استبشارهما واعتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع
البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بطوطين النفس عليه من الثواب ،
ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب ، وبما يتصل بهذا ما يحىء بعد أفعال
كقوله : الله أكبر ، أى من كل شيء وعليه قول البحترى :

اللَّهُ أَعْظَمُ الْمُخْبَةِ فِي الْمَرْمَى وَحَبَاكَ بِالْقَضَلِ الَّذِي لَا يَنْكُورُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمْ : وَأَجَلٌ قَدَرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ
(نحو ليعحق الحق) ومنه قول أبي الطيب المتنبي :

أَتَى الرِّمَانَ بِسَوْءٍ فِي شَبِيدَتِهِ قَمَرٌ نَمَّ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْبَرَمِ

أى فساءنا (نحو فانفجرت) الآية فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت
ومثله : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ، أى فاختلفوا ، بدليل قوله :
له حكم بين الناس فباختلفوا فيه (ويحوز أن يقدر الخ) فيكون المحدثون
جدهم حلة هى شرط كقوله تعالى : فأنه هو الولي ، أى إن أرادوا ولياً بحق ،
: إنما ، فى مثل قوله فانفجرت تسمى فاه فصيحة . وظاهر كلام الزمخشري أن
استبشارها فصيحة إما هى على التقدير الثانى ، وظاهر كلام السكاكى على العكس ،
وبدل لهما فصيحة على التقديرين ، والمشهور فى تحشيلها قوله :

وَالْأَخْرَاسَانِ أَخْغَرِ مَا بَرَّادُ مَنَا نَسَمُ الْقَمُولِ فَقَدْ جَنَنَّا خَرَّاسَانَا

فَقَدْ انْفَجَرَتْ ، أَوْ غَيْرُهَا نَحْوُ : فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ عَلَى مَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُ مِنْ جُغَلَةٍ نَحْوُ : أَلَا أَنْبَيْتُكُمْ بِتَأْوِيلِ قَارِئِلُونِ يُوسُفَ ، أَيْ إِلَى يُونُسَ لَا اسْتَمْعِرَهُ الرُّؤْيَا فَفَعَلُوا فَأَنَاءَهُ وَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ : وَالْحَذَفُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَنْ لَا يَقَامَ شَيْءٌ مَقَامَ الْمَحذُوفِ كَمَا مَرَّ وَأَنْ يَقَامَ ، نَحْوُ : وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ ، أَيْ فَلَا تَحْزَنْ وَاصْبِرْ ؛ وَأَدْرَأْتَهُ كَثِيرَةً مِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِ وَالْمَقْصُودُ الْأَدْهَرُ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحذُوفِ نَحْوُ : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ عَلَيْهِمَا نَحْوُ : وَجَاءَ رَبُّكَ ، أَيْ أَمْرُهُ أَوْ عَذَابُهُ ؛ وَمِنْهَا أَنْ يَدُلَّ الْعَقْلُ وَالْمَادَّةُ عَلَى التَّعْيِينِ نَحْوُ :

(على ما مر) في مبحث الاستئناف من أنه على حذف المبتدأ والخبر ، في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نَحْوُ : أَنَا أَنْبَيْتُكُمْ أَلْحَ) مثله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى المعنى فضرِبوه بها خبر . لحذف ذلك دلالة قوله : كذلك يحيى الله الموتى ، وقوله : اذهب بكنائى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملك ، التقدير ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ، ثم كأن سائلا سأل فإذا قالت فقيل : قالت يا أيها الملك . ومثال هذا النوع من الإيجاز لا يسكاد يوجد إلا في كلام الله الذى تقطعت على بلاغته أعناق العتاق السبق ، وونت عنها خطى الجياد الفرح (نَحْوُ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ) فَإِنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَى الْحَذَفِ إِذَا الْأَحْكَامُ إِنَّمَا تَعْلُقُ بِالْأَفْعَالِ دُونَ الْأَعْيَانِ ، وَالْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ تَنَاوُلُهَا الشَّامِلُ لِلْأَكْلِ وَشَرْبِ الْأَلْبَانِ ، فَدُلَّ عَلَى تَعْيِينِ الْمَحذُوفِ (عَلَيْهِمَا) أَيْ عَلَى الْحَذَفِ وَالتَّعْيِينِ (نَحْوُ وَجَاءَ رَبُّكَ) مَا أَحْسَنَ مَا

فَذَلِكَ الَّذِي أَمْتَنِي فِيهِ ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ فِي حُبِّهِ ، لِقَوْلِهِ : قَدْ شَفَعَهَا خُبَا ،
وَفِي مَرَاوِدِهِ لِقَوْلِهِ : تَرْلُوذُ فَنَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَفِي شَأْنِهِ حَتَّى يَشْمَلَهَا ،
وَالْعَادَةُ دَلَّتْ عَلَى الثَّانِي لِأَنَّ الْحَبَّ الْمَفْرُطَ لَا يَلَامُ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فِي الْعَادَةِ ،
لِقَهْرِهِ إِيَّاهُ ، وَمِنْهُ الشَّرُوعُ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَيَقْدَرُ مَا جُعِلَتْ
التَّسْمِيَةُ مَبْدَأً لَهُ ، وَمِنْهَا الْإِفْتِرَانُ كَقَوْلِهِمْ لِلْعُزْسِ : بِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِينَ ،
أَيُّ أَعْرَسَتْ . وَالْإِطْنَابُ إِذَا بِالْإِبْضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ ، لِيُرَى الْمَعْنَى
فِي صَوْرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ ، أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ فَضْلًا تَمَكُّنُ ،

ارْتَأَى صَاحِبُ الْكَشَافِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَمَا أَلْفَقَهُ بِالْأَسْلُوبِ الْبَلِغِ
قَالَ إِنَّ هَذَا تَمَثُّلٌ لظُهُورِ آيَاتِ اقْتِدَارِهِ وَتَبِينِ آثَارِ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ مِثْلَتْ حَالَهُ
فِي ذَلِكَ بِحَالِ الْمَلِكِ إِذَا حَضَرَ بِنَفْسِهِ ظَهَرَ بِحُضُورِهِ مِنْ آثَارِ الْهَيْبَةِ وَالسِّيَاسَةِ
مَا لَا يَظْهَرُ بِحُضُورِ عَسَاكِرِهِ كَمَا وَوُزَرَائِهِ وَخَوَاصِهِ عَنْ بَكْرَةِ أَيْبِهِمْ (لَا يَلَامُ
صَاحِبَهُ عَلَيْهِ) وَإِنَّمَا يَلَامُ عَلَى الْمَرَاوِدَةِ الدَّخَالَةِ تَحْتَ كَسْبِهِ الَّتِي يَقْدَرُ أَنْ يَدْفَعَهَا
عَنْ نَفْسِهِ (وَمِنْهَا) أَيُّ مِنْ أَدَلَّةِ تَعْيِينِ الْمُخْتَلُوفِ (الْإِفْرَانِ) أَيُّ اِفْتِرَانِ الْكَلَامِ
بِالْفِعْلِ (بِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِينَ) فَافْتِرَانُ هَذَا الْكَلَامِ لِإِعْرَاسِ الْمُخَاطَبِ دَلَّ عَلَى أَنَّ
التَّقْدِيرَ بِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِينَ أَعْرَسَتْ . وَالرَّفَاءُ : الْإِلْتِسَامُ وَالِاتِّصَاقُ ، تَقُولُ رَفَأْتُ
الْثُوبَ أَرْفُؤُهُ : إِذَا أَصْلَحْتُ مَا وَهْنُ مِنْهُ (لِيُرَى الْمَعْنَى فِي صَوْرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ)
فَيَسْكُونُ كَمَرَضِ الْحَسَاءِ فِي لِبَاسِينَ (أَوْ لِيَتِمَّ كُنْ فِي النَّفْسِ) فَإِنَّ الْمَعْنَى
إِذَا أَلْقَى مِنْهَا تَأَقَّتْ نَفْسُ السَّامِعِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مَبِينًا ، فَتَتَوَجَّهُ إِلَى مَا يَرِدُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَلْقَى كَأَنَّهُ تَهَيَّأَ تَمَكُّنُ فِيهَا فَضْلًا تَمَكُّنُ ، وَكَانَ شَعُورُهَا بِهِ أَتَمَّ

أَوْ لَتَسْكُنَنَّ لِلذَّةِ الْعُلَمَاءُ بِهِ ، نحو : رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، فَإِنَّ الشَّرْحَ لِي
يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَالَهُ ، وَصَدْرِي يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ ، وَمِنَّه بَابُ نِعَمٍ
عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، إِذْ لَوْ أُريدَ الْإِحْتِصَارُ لَكُنِيَ نِعَمٌ زَيْدٌ ، وَوَجْهٌ
حُسْنُهُ يَوْمَى مَا ذَكَرَ إِتْرَازُ الْكَلَامِ فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ وَإِيَّاهُمُ الْجَمْعُ
بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ : وَمِنَّه التَّوَشُّيعُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي تَجْزِئِ الْكَلَامِ

(أَوْ لَتَسْكُنَنَّ لِلذَّةِ الْعُلَمَاءُ بِهِ) فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا حَصَلَ كَالْعِلْمِ بِهِ دَفْعَةً لَمْ يَتَقَدَّمْ
حُصُولُ الذَّةِ بِهِ أَلَمْ ، وَإِذَا حَصَلَ الشُّعُورُ بِهِ مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِ تَشَوُّقِ النَّفْسِ
إِلَى الْعِلْمِ بِالْمَجْهُولِ فَيَحْصِلُ لَهَا بِسَبَبِ الْمَعْلُومِ لِلذَّةِ ، وَبِسَبَبِ حُرْمَانِهَا عَنِ الْبَاقِ
أَلَمْ ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ لَهَا الْعِلْمُ بِهِ حَصَلَتْ لَهَا لِلذَّةِ أُخْرَى ، وَالذَّةُ عَقِيبُ الْإِلْمِ أَقْوَى
مِنَ الذَّةِ الَّتِي لَمْ يَتَقَدَّمْهَا أَلَمْ . وَمَا يُوَاضِي ذَلِكَ مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : هَلْ يَنْظُرُونَ
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ . قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ : السَّبَبُ فِي أَنْ
الْعَذَابَ يَأْتِيَهُمْ مِنَ الْغَمامِ ، أَنْ الْغَمامُ مِظَنَّةُ الرَّحْمَةِ فَإِذَا نَزَلَ مِنْهُ الْعَذَابُ كَانَ الْأَمْرُ
أَفْظَحَ وَأَهْوَلَ ، لِأَنَّ الشَّرَّ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَعْمَ ، وَكَمَا
أَنْ الْخَيْرَ إِذَا جَاءَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ كَانَ أَسْرَ ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ الشَّرُّ مِنْ
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ الْخَيْرَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ السَّاعِقَةُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُسْتَنْفَعِ لِمَجِيئِهَا مِنْ
حَيْثُ يَتَوَقَّعُ الْغَيْثُ ، وَمِنْ ثَمَّةِ اشْتِدَادِ عَلَى الْمُتَفَكِّرِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَوْلُهُ : وَهَذَا
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (وَمِنَّه) أَيْ مِنَ الْإِبْطَاحِ بَعْدَ الْإِجْهَامِ
(حَسَنه) أَيْ حَسَنَ بَابِ نِعَمٍ (فِي مَعْرُضِ الْإِعْتِدَالِ) نَظَرًا إِلَى الْإِطْنَابِ
مِنْ وَجْهِ حَيْثُ لَمْ يَحْضُرْ نِعَمٌ زَيْدٌ ، وَإِلَى الْإِجْهَامِ مِنْ وَجْهِ حَيْثُ حُذِفَ الْمُبْتَدَأُ
الْمَعْنَى هُوَ صَدْرُ الِاسْتِدْنَاءِ (وَإِيَّاهُمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ) الْإِجْهَامُ وَالْإِطْنَابُ
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَافِيَيْنِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْمُسْتَطَرِّفَةِ الَّتِي يَظْهَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ

يَمْشِي مُسْرِعًا بِمِثْلِ مُضَوٍّ ، ثَانِيًا مَعْفُوفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَحْوُ : يَشِبُّ
ابْنُ آدَمَ وَيَشِبُّ مَعَهُ خَصْلَتَانِ : الْحِرْصُ وَطُولُ الْأَمَلِ . وَإِنَّمَا بَذَرَ
الْخَاصُّ بَعْدَ الْعَامِّ لِلتَّجَنُّبِ عَلَى فَضْلِهِ حَتَّى سَكُنَتْهُ لَيْسَ مِنْ جَنْبِهِ ،
تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فِي الْوُضُفِ مَنْزِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ نَحْوُ : حَافِظُوا
عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةِ الْوُضُفِ . وَإِنَّمَا بِالتَّكْرِيرِ لِنُكْتَةِ

وجدانها نأثر عجب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقليل ويشب
معه الحرص وطول الأمل لكنه أهم أولاً ثم أوضح لما سبق ويسمى هذا
توشيحاً . لأن التوشيع في اللغة لف القطن المندوف ، فكأنه جعل التعمير
عن المعنى الواحد بالمتن المفسر باحسين ، بمنزلة لف القطن بعد التدف . ومن هذا
قول الشاعر :

سَقَتْنِي فِي أَمَلٍ شَدِيدٍ بِشَرِّهَا شَدِيدَةً خَدَّيْهَا بِفَيْرٍ رَقِيبٍ
فَازَلْتُ فِي كَيْبَانٍ شَعْرٍ وَظَلَّةٍ وَكُتْمَتَيْنِ مِنْ حَمْرِ وَوَجْهِ حَبِيبٍ
وقول البحري :

لَمَّا مَشَيْتَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهْتَ أَغْطَافُ قُصْبَابٍ بِهِ وَقُدُودُ
فِي حُلَّتِي حَبِيرَ وَرُوضٍ فَالْتَقَى وَشَيَانٍ وَثْنِي رَبِّي وَوُثْنِي بَرُودُ
وَسَرَرَنَ فَامْتَلَأَتْ عَيْنُونَ رَاقِبَهَا وَزَدَانِ وَرْدُ جَنِّي وَوَرْدُ خُدُودِ
نَحْوِ (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) (١) ، ومن هذا الباب

(١) أذكر أن شيخنا الإمام رحمه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة

كُنَّا كَيْدَ الْإِنذَارِ فِي : كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ فَنَمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْمَلُونَ

قوله تعالى : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ، أفرد جبريل وميكال بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر (كُنَّا كَيْدَ الْإِنذَارِ) وكزيادة التنبيه على ما ينفي النعمة ليكمل باقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى : وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الدنيا متاع . وزيادة التوجع والتحسر كما في قوله :

فَيَا قَبْرِ مَعْنِي أَنْتَ أَوَّلُ جُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطِلَتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَصْجَمًا
وَيَا قَبْرِ مَعْنِي كَيْفَ وَارَيْتَ جُرْدَةً وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَرَعًا
وقد يكرر ما قد بهد بسبب طول في الكلام كما في قوله تعالى : ثم إن ربك
الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور
رحيم ، وقوله : لا تحسبن الذين يفرحون بما آوتوا ويحبون أن يمددوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، وقول الشاعر :

أن المأمي ليس كما يقول المفسرون من أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو غيرها ، وإنما المأمي أن الله جل شأنه لما أمر بحفظ الصلوات والمحافظة عليها كان للناس أن يتوجهوا أن تأديه الصلاة على أي وجه وأية حال كافية عند الله . فبعب لما سبحانه أن الصلاة لا تنكفي إلا إذا كانت وسطى — فضلى — وذلك بأن تكون مستصعبة بالفراغ من شواغل الدنيا ، والتوجه لله والخشوع له ، واستحضار عظمته ، واستشعار هيئته . وعلى ذلك لا تكون بما نحن فيه كما هو ظاهر .

وَفِي ثَمٍّ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِنذَارَ الثَّانِي أَتَى . وَإِنَّمَا بِالْإِنْفَالِ ، قِيلَ هُوَ خَمٌّ

لَقَدْ عَلِمَ الْخَلْقُ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أُنِّي خَطِيبٌ
وقول الحماسي :

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَاشْتِيَا وَغُرَبَةً وَنَائِمًا حَبِيبٍ إِنَّ ذَاكَ عَظِيمٌ
وَإِنَّمَا رَأَى دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعاق كالذي جاء في سورة الرحمن من قول الله سبحانه : لَبِئْسَ آلَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ ، لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفي ثَمٍّ دلالة على أن الإنذار الثاني أتى) كما تقول للنصوح أقول لك ثم أقول لك ، والسر في ذلك أن أصل ثَمٍّ الدلالة على تراخي الزمان ، فكما قد تجيء ل مجرد التدرج في درج الارتقاء من غير اعتبار التراخي والبعيد بين تلك الدرج ، وإن الثاني بعد الأول في الزمان وذلك إذا تكرّر الأول بلفظه نحو : والله ثم والله (وإما بالإنفصال) وأصله من قولهم أوغل في الأمر : إذا أبعد الذهاب فيه . سئل الأصمعي من أشعر الناس : فقال : بعضي كلامه قبل انقضاء العاقبة ، فإذا احتاج إليها أفاد بها من قيل نحو من : قال ذو الرمة حيث يقول

بِابِ الْمَدِينِ فِي أَظْلالِ مَيَّةٍ فَاسْتَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرِّدَاءِ لِنَسْتَلِ

فتم كلامه بالرداء ، ثم قال المسائل فزاد به شيئاً ثم قال :

أَطْلُ الْمَدِينِ يَجِدِي غَنِيكَ نَوَاهَا دُمُوعًا كَشَدِيرِ الْجَمَانِ النَّصْرِ

فتم كلامه بالجمان . ثم قال انفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من قول الأصمعي :

الْبَيْتِ نِمًا يُفِيدُ نُسْكَتَهُ يَتِمُّ اللَّفْقُ بِدُونِهَا ، كَرِيَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي قَوْلِهَا :
وَمِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ . كَأَنَّهُ عَمَلٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَتَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خِيَابِنَا وَأَرْحُكِ الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ

كَمَا طَعِ صَخْرَةً . يَوْمًا لِيَقْلِقَهَا فَلَا يَغْنَمُهَا وَأَوْقَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
فَمَعْنَى كَلَامِهِ يَضُرُّهَا ، فَلَمَّا احتاج إلى القافية قال : وأرعى قرنه الوعل ، فزاد
معنى ، قال السائل وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ، قال لأنه ينطح
من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره (في قولها) أى قول الخنساء في مريّة
أخيها صخر . فلم ترض أن تشبه بالعلم الذي هو الجبل المرتفع المعروف
بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً (في قوله) أى قول امرئ القيس . فإنه لما
أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة في قوله لم يثقب
لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (كأن عيون الخ) الجزع
الحرز النجاني الذي فيه سواد وياض يشبه به عيون الوحش قال الأصمعي : الطي
والهرة إذا كانا خبيين فعيونهما كلها سود فإذا ماتا بدا بياضها ولما شبهها بالجزع
وفيه سواد وياض بعد ما موت ، والمراد كثرة الصيد يعنى مما أكلنا كثرت
العيون عندنا ومن هذا النوع قول زهير :

كَأَنَّ فَتَاةَ الْمَيْمَنِ فِي كُلِّ مَنَازِلٍ قَرْنٌ بِهِ حَبُّ الْقَنَا لَمْ يَنْقُصْ
فَإِنْ حَبُّ الْقَنَا أَحْمَرُ الظَّاهِرِ أَيْضُ الْبَاطِنِ ، فَهُوَ لَا يَشْبَهُ الصَّوْفَ الْأَحْمَرَ
إِلَّا مَا لَمْ يَحْطَمْ ، وقول امرئ القيس :
إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ يَقُولُ هَزِيرُ الرِّيحِ رَرَّ بِأَنْثَابِ
التَّشْبِيهِ تَمَّ عِنْدَ قَوْلِهِ هَزِيرُ الرِّيحِ ، وَزَادَ قَوْلُهُ رَرَّ بِأَنْثَابِ . لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ

وقيل لَا يَخْتَصُّ بِالشَّعْرِ وَمِثْلُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ
أُخْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَإِنَّمَا بِالتَّنْدِيلِ ، وَهُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى
تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا لِتَأْكِيدِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : ضَرْبٌ لَمْ يُخْرِجْ مُخْرَجَ
ثَلَاثِي نَحْوِ . ذَلِكَ جَزَيْتَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ، عَلَى وَجْهِ

عن شدة حفيف الفرس والريح في أغصان الأناب حفيف شديد ، والأناب :
نجر . وكان الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد :

إِذَا مَا عَاتَ مِنَّا ذُوَابَةَ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ

وكان يقول فأنله الله أما كراه أن يجعله مقيداً حتى جعله في وحل (ومثل
بقوله تعالى الخ) فإن قوله : وهم مهتدون ، بما يتم المعنى بدونه لأن الرسول مهتد
لا محالة ، لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل . وكتب بعض
الكتاب . نبو الطرف من الوزير دليل على تغيير الحال عنده ، ولا صبر على
الجهنم من عود الله منه البر ، وقد استدلت بإزالة الوزير إياي عن المحل الذي
كان يعتاش به بطوله على ما سوت له ظناً بنفسى ، وما أخاف عتياً لأنى لم أجن
ذنباً ، فإن رأى الوزير أن يقوهى انفسى ويدلى على ما يراه منى فها هو ثم
بكله بقوله يقومى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسى معنى (وأما بالتنديل)
والتنديل في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لأن المعنى يزداد به
النشاح والمقصود انصاحاً ، وينبى أن يستعمل في المواطن الجامعة والمواقف
الحاطة . لأن تلك المواطن تجمع البطى والفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة
والجيد الحاطل ، فإذا تسكرت الألفاظ على المعنى الواحد نأكد عند الذهن
اللفظ ونسح للكليد المفيد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استغلاله بإفادة
المراد وتوقفه على ما قبله (على وجه) وهو أن يراد وهل يجازى ذلك

وَضَرْبٍ أُخْرِجَ مُخْرَجَ الْمَثَلِ ، نَحْوُ : وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا . وَهُوَ أَيْضًا إِنَّمَا إِنَّا كَيْدٍ مَنطُوقٍ كَيْدِهِ الْآيَةِ ، وَإِنَّمَا
لِنَا كَيْدٍ مَفْهُومٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَخَا لَا تَذَنُّهُ عَلَى شَعْبٍ أَيْ الرِّجَالِ الْمَذَبِّ

الجزء ، قال الزحمرى وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل
تارة في معنى الإماقية ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في
قوله : جزئناهم بما كانوا ، بمعنى عاقبناهم بكفرهم . قيل : وهل يجازى إلا الكفور
بمعنى وهل يعاقب فعمل هذا يكون من الضرب الثانى ومن الأول قول الحملى :

فَدَعَوْا نَزْلِي فَكُنْتُ أَوْ نَزْلِي وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ
وقول أبى الطيب :

وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاحِدٌ لَكَ عَادِمُهُ
وقوله أيضاً :

تَمْسِي الْأُمَامِي صَرَغَى دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشَى : لَيْتَ ذَلِكَ لِي
وقول ابن نباتة السعدي :

لَمْ يَبْنِي جُودَكَ لِي شَيْئًا أَوْ مَلَهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبَ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ
قيل نظر فيه إل قول أبى الطيب وقد أرى عليه في المدح والادب مع
المدح حيث لم يحمله في خير من تمنى شيئاً (نحو) وَقُلْ جَلَّ الْحَقُّ الْآيَةِ) ومن
هذا قول الخطيب :

مَرْوَرٌ فَقَى يَعْصَى عَلَى الْحَمْدِ مَا لَهُ . وَمَنْ نَهَضَ أَثْمَانَ الْمَسْكِرِمِ يُحْمَدُ

وَأَمَّا بِالتَّكْوِيلِ ، وَيُسَمَّى الْإِحْتِرَاسَ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامِهِ
يَوْمُهُمْ خِلَافَ الْمُقْصُودِ بِمَا يَدْفَعُهُ ، كَقَوْلِهِ :

(بكوله) أى قول النابغة الذبياني من قصيدة يخاطب بها الملك النعمان
ابن المنذر . فأنت ترى أن صدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال
لحقق ذلك وقرره بمجازه . ومعنى البيت ظاهر : وما ينظر إليه قول بعضهم :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفْرَقَا

وهو معنى طرفه الشعراء كثير (بما يدفعه) وهذا الدافع قد يكون في وسط
الكلام ، وقد يكون في آخره فالأول كقول طرفه بن العبد من قصيدة يمدح بها
قتادة بن مسلمة الحنفي وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(١)

لما كان المطر قد يفضي بالديار إلى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها
ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة في قوله :

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَاءِ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بَيْرَعَاثِكَ الْقَطَرُ

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدهاء لها . ومن هذا الضرب قول الرمادي
في وصف فارس :

قَامَتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بِطَمَائِنَا غَضًا وَقَامَ الرُّفُفُ بِالْمِنْدِيلِ

فقوله غَضًا احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لنوم أنهم ينقلون عليه
أزوادهم ، وقول نافع بن خليفه الغنوي :

رَبَّجَالٍ إِذَا لَمْ تَقْبَلِ الْحَقَّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوُهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِ

(١) الديمة : المطر يدوم ، وتهمي : تسيل .

فَسَقِّ دِيرَتَنَا غَيْرَ مُفْسِدَهَا * صَوِّبِ الرَّيْبَ وَدِيمَةَ سَهْمِي
وَنَحْوُ : أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ . وَإِنَّمَا بِالْتَّمِيمِ

وقول الآخر :

لَوْ أَنَّ عِزَّةً خَاصَّتْ بِنَمْسِ الضُّعَى فِي الْحُسْنِ عِنْدَ مُوقِّ لَقَضَى لَهَا
- فقوله عند موفق : تكميل لطيف ، والثاني كقوله تعالى : فسوف يأتي الله
بقوم يحكمهم ويجزونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . فإنه لو اقتصر على
وصفهم بالأذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قيل أعزة على الكافرين
علم أنها منهم تواضع لهم ، ولهذا عدى الذل بعلى لضعفه معنى العطف كأنه قيل
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز أن تكون التعديدة بعلى ، لأن
المعنى أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين عافضون لهم أجنحتهم .
ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : إني وليك الذي لا يزال تنقاد
إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً ولذي الرهبة
مهرباً ، ومثله خناسي :

رَهَنْتُ يَدِي بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ يَوْمٍ وَمُافِقُ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدٌ
وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنُ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبٌ

فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن ذلك عن ضعف وخور ، فأزال ذلك
بقوله إذا ما الحلم زين أهله ، ومعلوم أن الحلم لا يزين أهله إلا عند القدرة عليه .
ولما كان كونه حليماً في حال يحسن فيها الحلم يوم أنه في تلك الحال ليس مهياً لما به
من البشَر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفى ذلك بقوله : مع الحلم
في عين العدو مهيب فهو تكميل آخر . ومن هذا أيضاً قول السموأل :

وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَأَيُّومٍ خِلَافَ الْقَصُودِ بِفَضْلَةٍ ، لِنُكْتَةِ كَالْبَالِقَةِ ،
نَحْوُ : وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ، فِي وَجْهِهِ ، أَيْ مَعَ حُبِّهِ . وَإِنَّمَا
بِالِاعْتِرَاضِ ، وَهُوَ : أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصَيْنِ
مَعْنًى بِمُثَلَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا تَحُلُّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ لِنُكْتَةِ سِوَى دَفْعِ
الِإِبْهَامِ ، كَالْتَنْزِيهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَيَحْمِلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَآيُهُم

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِي فِرَاشِهِ وَلَا طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ
فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل لما دام ، لا وهم أن ذلك
لضعفهم وقائهم ، فأزال هذا الوم بوصفهم بالانتصار من قائلهم (كالبالقة)
وكالدلالة على تقليل المدة في قوله تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ، ذَكَرَ
لَيْلًا وَالْإِسْرَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَقْلِيلِ مَدَّةِ الْإِسْرَاءِ ، وَأَنَّهُ أَسْرَى
بِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، لَأَنَّ التَّنْكِيرَ فِيهِ قَدْ دَلَّ عَلَى مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ (فِي وَجْهِهِ أَيْ مَعَ
حُبِّهِ) أَيْ مَعَ اشْتِهَاءِ الطَّعَامِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ . أَمَّا إِذَا جُمِلَ الضَّمِيرُ فَقَدْ أُرِيدَ عَلَى حَسَبِ
اَللَّهِ كَمَا قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ ، فَلَا يَكُونُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لِنَادِيَةِ أَصْلِ الْمُرَادِ
وَهَذَا الْوَجْهَ بَعِيدٌ كَمَا لَا يَخْفَى . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَائِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

فَقَوْلُهُ عَلَى عِلَائِهِ : تَتِمُّ جَمِيلٌ . وَقَوْلُ الْآخِرِ :

إِنِّي عَلَى مَا تَرَبَّيْتُ مِنْ كِبَرِي أَغْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَافِرُ

قَوْلُهُ عَلَى مَا تَرَبَّيْتُ مِنْ كِبَرِي : تَتِمُّ أَصْحَابُ الْحَزَنِ (سِوَى دَفْعِ الْإِبْهَامِ) أَيْ الَّذِي
ذَكَرَ فِي التَّكْوِيلِ (كَالْتَنْزِيهِ) وَكَتَبْتُ أَحَدَ الْمَذْكُورِينَ بِزِيَادَةِ التَّوَكُّيدِ فِي
أَمْرٍ عَاقٍ بِهِمَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَسَنَةً أَمْرًا وَعَلَى وَهْنٍ
وَفَصَالَةٍ فِي عَامِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ ، فَقَوْلُهُ أَنْ اشْكُرْ لِي : تَفْسِيرٌ

مَا يَشْتَهُونَ ، وَالْذَّعَابُ فِي قَوْلِهِ :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبَلَّتَتْهَا * قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانٍ

وَالْتَنَبِيهِ فِي قَوْلِهِ :

وَأَعْلَمُ فَعِلْمُ لَرَّةٍ يَنْفَ . إِنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قَدِرَا

لوصينا ، وقوله جلته اعتراض بينهما إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً وتذكيراً لحقها العظيم مفرداً ، وكالمطابقة مع الاستعطاف في قول أبي الطيب :

وَحَقُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَةٍ . يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

فقوله يا جنتي : اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف . وبيان السبب لأمر فيه غرابة كما في قوله بن ميادة :

فَلَا هَجْرُهُ يَبْدُو وَفِي الْيَأْسِ رَاحَةٌ . وَلَا وَضْئُهُ يَبْدُو لَنَا فَكَارِمَةٌ

فإن قوله فلا هجره يبدو يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للحب فقال وفي اليأس راحة ليبين سببه (ويجملون لله البنات الخ) فقوله سبحانه جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام لأن قوله ولهم ما يشتهون معطوف على قوله لله البنات . والنكتة فيه تنزيه الله سبحانه وتقديسه عما ينسبون إليه (في قوله) أي قول عوف بن علف الشيباني يشكو كبره وضده . فقوله وبلغها : جملة معترضة بين اسم إن وخبرها لقصد الدعاء والوار في مثله اعتراضية ليست عاطفة ولا حالية ، ومثل هذا قول أبي الطيب :

وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجَرَّبٍ . يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا

فقوله وحاشاك دعاء حسن في موضعه (وأعلم الخ) فقوله فعلم المرء بنفسه اعتراض بين أعلم ومفعوله ، والمعنى أن المقدور آت لا محالة وإن وقع فيه تأخير ، وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر ، وهذا البيت أنشده أبو علي الفارسي

وَمَا بَاءَ بَيْنَ كَلَامَتَيْنِ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ جُمْلَةٍ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى :
فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ، فَإِنْ قَوْلُهُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ
فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ تَكُونُ النُّكْتَةُ فِيهِ غَيْرَ
مَا ذُكِرَ ، ثُمَّ جَوَزَ بَعْضُهُمْ وَقُوْعَهُ آخِرُ جُمْلَةٍ لَا تَلِيهَا جُمْلَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِهَا
فَقَدْ شَمِلَ التَّذْيِيلَ ، وَبَعْضُ صَوَرِ التَّكْمِيلِ ، وَبَعْضُهُمْ كَوْنَهُ غَيْرَ جُمْلَةٍ

ولم يعمد على أحد (وهو) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين
أكثر من جملة (أيضاً) كما أن الكلام الذى وقع الاعتراض فى أثناءه
أكثر من جملة (بَيَانٌ لِقَوْلِهِ فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) لأن الغرض
الأصل من الإتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة ، فلا تأتونهن إلا من
حيث بَاقى فيه هذا الغرض . فالنكته فى هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا
به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له : (إن قوماً ذهبوا
إلى أن الاعتراض لا يفيد فائدته بما ذكر ، بل يجوز أن تكون دفع قوم
ما يخالف المقصود وهؤلاء اختلفوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً
فى أثناء كلام أو بين كلامين متصاين معنى ، بل يجوز أن يقع فى آخر كلام
لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشري فى
مواضع من الكشاف ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من
التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة . وفرقة تشترط
فيه ذلك لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض
عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً فى أحد الموقعين ، ومن التكميل
ما كان واقعاً فى أحدهما ولا محل له من الإعراب جملة كان أو أقل أو

فَيَسْمَلُ بَعْضُ صُورِ التَّعْطِيمِ وَالتَّكْمِيلِ . وَإِنَّمَا يَبْغِي ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنْ حَوْلِهِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ،
فَإِنَّهُ لَوْ اجْتَصَرَ لَمْ يَذْكُرْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ لَا يُنْكِرُهُ مَنْ
يُؤْمِنُ بِهِمْ ، وَحَسَنَ ذِكْرُهُ إِظْهَارُ شَرَفِ الْإِيمَانِ تَرْغِيبًا فِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ
يُوصَفُ الْكَلَامُ بِالْإِيجَازِ وَالْإِطْنَابِ بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ حُرُوفِهِ وَقِلَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ
إِلَى كَلَامٍ آخَرَ أَسْأَلُهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ :

* يَصُدُّ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سَوَدَّدَ * وقوله :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْفَنَى إِذَا كَانَتْ النَّائِيَةُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ

أَكْثَرُ (وَأَمَّا بَغْيُ ذَلِكَ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ إِمَّا بِالْإِضَاحِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ
(كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ أَبِي نَعْمَانَ مِنْ آيَاتِ يَرَى أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ .
وَتَمَامُ الْبَيْتِ :

* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَدَرَاءُ نَاهِدٍ *

وَأَنْتَ تَرَى أَنَّ هَذَا الْمَصْرَاعَ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَيْتِ الْمَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ :
وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْفَنَى إِذَا كَانَتْ الْعَلِيَّةُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ
لِمَسَاوَاتِهِ لَهُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ ، وَالْبَيْتُ إِطْنَابٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ .
وَكَذَا بَيْتُ الشَّيْخِ :

إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِحْدِي تَلَقَّاهُ عَرَابَةٌ بِالْتِمِينِ

فَإِنَّهُ إِيجَازٌ بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِ بَشَرِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ :

إِذَا مَا لَكُرُمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَفَّرَ مُبْتَفُوهُهَا عَنْ مَدَاهَا

وَيَقْرُبُ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ،
وَقَوْلُ الْحَمَاسِيِّ :

وَنُنْكَرُ إِنْ شُنْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ * وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

حاشي الفن الثاني عِلْمُ الْبَيَانِ

وَهُوَ عِلْمٌ يُعْرِفُ بِهِ إِِرَادَ الْمُتَعَلِّقِ الْوَاحِدِ بِعَارِضٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي وَضُوحِ

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُتَرَيِّنِ عَنْهَا . سَمَّا أَوْسَى إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

وشعر بشر لطباب بالنسبة إليه . قال ، ويقرب من هذا الباب قوله تعالى :
لَا يُسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ وقول السموال :

وتنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

(وهو علم الخ) قد مهد السكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة بمقدمات
هي بالعلوم النظرية أليق وللبلوغ بغيرها عنها غنية ولكن لا يحصى أيها القاري .
عن شرحها بما ينظر للأسلوب العربي فنقول : لبيان علم يعرف به إبراز المعنى
الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة
عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه
ثم مما يكاد يكون معروفاً أن إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة غير ممكن
بالدلالة اللغوية . وهي التي يسمونها الدلالة الوضعية . لأن من المحال أن يتطرق
الكلام والنقصان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون عالماً بكونه موضوعاً
لسماءه أولاً يكون ، فإن كان عالماً به عرف مفهومه بتمامه وإن لم يكن عالماً
به لم يعرف منه شيئاً البته . فالألفاظ في دلالتها اللغوية إما أن تفيد مسمياتها
بالكامل أولاً تفيد شيئاً منها ، فأما أن تفيد إفادة ناقصة فذلك غير معقول ، مثاله

الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ ، وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ إِنَّمَا عَلَى تَحْمِيلِ مَا وَضِعَ لَهُ ، أَوْ عَلَى جُزْئِهِ ، أَوْ عَلَى خَارِجِهِ عَنْهُ ، يُسَمَّى الْأَوَّلَى وَضْعِيَّةً ، وَكُلُّهُ مِنَ الْأَخِيرَتَيْنِ عَقْلِيَّةٌ

إذا أردت فهمه زيد بالأسد في الشجاعة ، فإن أفدت هذا بالدلالة النوعية وقلت زيد يشبه الأسد في الشجاعة ، فقد أفدت مقصودك باللفظ دالة عليه دلالة لغوية ، وهذه الإفادة تتمتع من تطرق الزيادة والنقصان إليها ، لأنك إذا نقصت في هذه الالفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لا محالة . وإن زدت فيها فقد زدت في المعنى لا محالة ، وإن أفقت مقام كل لفظ منها ما يرادفه امتنع أن ترداد تلك الإفادة قوة بسبب ذلك ، لأن السامع إذا عرف كونها موضوعة بإزاء مفهومات الالفاظ الأولى كان فهمه منها كفهفه من تلك الالفاظ الأولى وإن لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى . وأما الدلالة العقلية فلأجل أن حاصها عائد إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه من اللوازم ، ثم اللوازم كثيرة ، وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة ، لا جرم صبح إبراز المعنى الواحد في صور كثيرة ، وصح في تلك الصور أن يكون بعضها أكثر من بعض في إفادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أنقص وأضعف ... إذا عرفت هذا فنقول : دلالة اللفظ على المعنى إما أن تكون وضعية أو عقلية . فالوضعية كدلالة الالفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها وذلك كدلالة السماء والأرض والجدار والحائط على مسمياتها ، ولا شك في كونها وضعية ، وإلا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الأراضاع وأما العقلية فإما على ما يكون داخل في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بإزاء حقيقة مركبة ولا يكون متناولاً لأجزائها ، وإما على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط ، فإنه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المقيّد

وَتَحْتَصِرُ الْأُولَى بِالْمُطَابَقَةِ ، وَالثَّانِيَةُ بِالتَّصَدُّقِ ، وَالثَّلَاثَةُ بِالِالْتِزَامِ وَشَرْطُهُ
الزُّرُومُ الذَّهْنِيُّ ، وَلَوْ لَا عَيْتِقَادَ الْمُخَاطَبِ بِمَعْرِفٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالْإِيرَادُ لِلَّذِي كَوَّرُ
لَا يَتَسَاءَلُ بِالْوَضْعِيَّةِ ، لِأَنَّ السَّامِعَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِوَضْعِ الْأَلْفَاظِ
لَمْ يَسْكُنْ بِمَقْهَمِهَا أَوْضَحَ ، وَإِلَّا لَمْ يَسْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ دَالًّا عَلَيْهِ وَيَتَسَاءَلُ
بِالْعَقْلِيَّةِ ، لِجَوَارِ أَنْ تَحْتَفِظَ مَرَاتِبُ الزُّرُومِ فِي الْوَضُوحِ ، ثُمَّ اللَّفْظُ
الْمُرَادُ بِالْإِزْمِ مَا وَضَعَ لَهُ إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ إِزَادَتِهِ فَمَجَازٌ ،

لحقيقة السقف مفيداً للحائظ بواسطة دلالة الأول ، فتكون هذه الدلالة عقلية ،
والقوم قد اصطاحوا على تسمية الأولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة التصديق
والثالثة بدلالة الالتزام ، قال المصنف : وشرط الالتزام الزرور الذهني بين
الموضوع له والخارج عنه يعني أن يكون حصول ما وضع اللفظ له في الذهن
ملزوماً لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ليكون
نسبة الخارج إليه حينئذ كمناسبة سائر الدافئ الخارجية ، ولا يشترط في هذا
اللزوم أن يكون مما يشبه الفعل بل يكفي أن يكون مما يشبه اعتقاد المخاطب ، إما
لعرف عام أو لغيره ، لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلي إلى الآخر .
قال : ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة
ما وضع له فهو مجاز وإلا فكناية . . . وهذا مبني على ما سيحى أول باب
الكناية من أن الانتقال في المجاز والكناية كليهما إنما هو من الزرور إلى
اللازم ، وأن ما ذكره السكاكي من أن مبني الكناية على الانتقال من اللازم
إلى المزور ليس بصحيح ، إذ لا دلالة اللازم من حيث أنه لازم على المزور

وَالْإِفْكَنِيَّةُ ، وَقُدِّمَ عَلَيْهَا لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجَزْءٍ مَعْنَاهَا ، ثُمَّ مِنْهُ مَا يُبَيِّنُ عَلَى التَّشْبِيهِ ، فَتَمَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ ، فَانْحَصَرَ فِي الثَّلَاثَةِ .

﴿ التَّشْبِيهُ ﴾

- التَّشْبِيهُ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَقَى ، وَالْمُرَادُ هُنَا

، وَالِاتِّزَامُ إِنَّمَا هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى لَازِمِ الْمُسَمَى لَا عَلَى مُلْزُومِهِ . قَالَ : وَقَدْ مَجَّازٌ عَلَى الْكِنَايَةِ لِأَنَّ مَعْنَاهُ كَجَزْءٍ مَعْنَاهَا ، أَيْ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْمَجَّازِ هُوَ الْإِزَامُ فَقَطْ لِقِيَامِ الْقَرِينَةِ عَلَى عَدَمِ إِرَادَةِ الْمُلْزُومِ فِي الْكِنَايَةِ بِمَجُوزِ أَنْ يَرَادَ الْإِزَامُ وَالْمُلْزُومُ جَمِيعاً . قَالَ : ثُمَّ مِنَ الْمَجَّازِ مَا يُبَيِّنُ عَلَى التَّشْبِيهِ . وَهُوَ الْإِسْتِعَارَةُ . فَتَمَيَّنَ التَّعَرُّضُ لَهُ فَانْحَصَرَ الْمَقْصُودُ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ فِي الثَّلَاثَةِ : التَّشْبِيهِ وَالْمَجَّازِ وَالْكِنَايَةِ . هَذَا مَا امْكُنَ أَنْ تَنْبُتَ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَهُوَ بِمَدِّ مَوْضِعِ نَظَرٍ (١) .

﴿ التَّشْبِيهِ ﴾ اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ مَا اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى شَرَفِ قُدْرِهِ وَإِنْ تَعَقَّبَ الْمَعَانِي لَا لِأَسِيَاءِ قِسْمِ التَّمْثِيلِ مِنْهُ بِكِسْفِهَا أَيْهَةً وَيَكْسِبُهَا مَنَقِبَةً وَيَرْفَعُ مِنْ أَقْدَارِهَا وَيُسَبِّحُ مِنْ نَارِهَا وَيَضَاعِفُ قُوَاهَا فِي تَحْرِيكِ النُّفُوسِ لَهَا وَيَدْعُو الْقُلُوبَ إِلَيْهَا وَيَسْتَقِيرُ لَهَا مِنْ أَقْصَى الْأَفْتَدَةِ صِبَايَةً وَكَلْفًا ، وَيَقْرَأُ الطَّبَاعَ عَلَى أَنْ تَعْطِيَهَا حُبَّةً وَشَفَقًا فَإِنْ كَانَ مَدْحًا كَانَ أَهْبَى وَأَعْلَمُ وَأَنْبَلُ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمُ ، وَأَهْوَى لِلْعَطْفِ وَأَسْرَعَ لِلْإِلْفِ ، وَأَجْلَبُ لِلْفَرَحِ ، وَأَغْلَبُ عَلَى الْمُبْتَدَحِ وَأَوْجِبُ شِفَاعَةَ لِلْبَادِحِ ، وَأَقْصَى لَهُ بَغَرُ الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَافِعِ ، وَأَسِيرُ عَلَى الْأَلْسُنِ وَأَذْكَرُ ، وَأَوَّلَى بِأَنْ تَعْلَقَهُ الْقُلُوبُ

(١) وَذَلِكَ لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ قَوْلُهُمْ بِإِنْ الْإِخْتِلَافُ بِالرُّضُوحِ وَالْخَفَاءِ غَيْرِ امْكُنَ فِي الدَّلَالَةِ الْوَضْعِيَّةِ ، وَلَقَدْ شَنَعَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ حَفِظَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بِمَا يَقْوِيهِ الْحَسُّ وَيَنْصُرُهُ الْعَقْلُ ، وَلَيْسَ فِي وَسْمِنَا إِثْبَاتُ ذَلِكَ الْآنَ وَرَبَّمَا أَغْبَتَانِي فِي مَكَانٍ آخَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأُمُورٌ أُخْرَى نَبِّهَ عَلَيْهَا الْقَوْمَ فِيمَا كُنْتُمْ أَنْظَرُهَا ثُمَّتَ إِنَّ شَتَّ .

وأجدر . وإن كان ذماً كان منه أوجع . ويسمى الذع وقوعه أشد وحده أحد ،
وإن كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أفهر وبيانه أهر . وإن كان افتخاراً
كان شأوه أبعد وشرفه أجدر ولسانه ألد . وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول
أقرب وللقلوب أخاب وللسخام أسهل وللقرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود
أنفث وعلى حسن الرجوع أبث . وإن كان وعظاً كان أشنى للصدر وأدعى
إلى الفكر وأبلغ في التنبيه والزجر . وأجدر ، بأن يحلى النياية ويصر الغاية ويبرى
العليل ويشفي الغليل . وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه ،
وتلتفت أبوابه وشعوبه . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول البحتري :

دَانِ عَلَى أَيْدِي الْفَقَاءِ وَتَسَاحَ عَنْ كُلِّ يَدٍ فِي النَّدَى وَضَرِبَ
كَابِدِرٍ أَقْرَاطَ فِي أَلْمَلِ وَضَوْؤُهُ لِلْمُصَنِّبِ السَّارِينَ حِدُّ قَرِيبٍ
أو قول ابن لكك :

إِذَا أَخُو الْحَسَنِ أَضْحَى فَعَلَهُ سَجَا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ
وَهَبَهُ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنٍ أَلَمْ تَرَنَا قَرًّا مِنْهَا إِذَا مَأَتْ إِلَى الْفَرَرِ

أو قول ابن الرومي :

بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَجَا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْفِعْلَاءِ
فَقَدْ كَانَتْ خِلَافَ يُوْرُقٍ لِلْعَمِيْنِ وَيَأْبَى الْإِمَارَ كُلَّ الْإِبَاءِ

أو قول أبي تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانَ حَبُودٍ
لَوْلَا اسْتِشْقَالُ النَّارِ فَيَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

وقوله أيضاً :

حَرُطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَأَعْتَرَبَ تَتَجَدَّدُ

مَا لَمْ تَكُنْ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَارَةِ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالِاسْتِعَارَةِ بِالْكِفَايَةِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ حَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ
وفكر في حاله وحال المعنى معك وأنت في البيت الأول لم تنته إلى الثاني
ثم قسها على الحال وقد وقعت عليه وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين
حالتيك وشدة تفاوتهما ، في تمكن المعنى لديك وتحببه إليك ونبله في نفسك
وتوفيره لأنسك ، وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت وكذلك فتعهد
الفرق بين أن تقول أرى قوماً لهم بهاء ومنظر ، وليس هناك مخبر ، وتقطع
الكلام ، وبين أن تتبعه قول ابن خلسكان :

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُمْ مِثْلُ لَهُ رُؤَا وَ مَا لَهُ نَمْرُ

وانظر إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يورق شجره ويشمر ويشتر ثمره
وبسبب ، وكيف تشتت الأرى من مذاقه كما ترى الحسن في شارته . هذا ولذلك
أسباب وعلا فنها ما يحصل للنفس من الإنس لإخراجها من خفي إلى جلي كالانتقال
ما يحصل لها بالفسكرة إلى ما يعلم بالفطرة أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته
كما قيل : ما الحب إلا للحبيب الأول . أو مما لم تعلمه إلى ما هي به أعلم كالاتقال
من المعقول إلى المموس . فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ حتى
لا تدع في النفوس منزعاً ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر
ما يتصور . فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهم^(١)
القطا وقول ابن المعتز :

لَدُلْتُ مِنْ يَوْمٍ كَقِطْلٍ حَصَاةٍ أَيْلًا كَقِطْلٍ الرَّمْجِ غَيْرَ مُوَاتٍ
وقول الآخر

ظُلُمًا عِنْدَ بَابٍ أَيْ نَعِيمٍ يَوْمٍ مِثْلِ سَالِفَةِ الدُّبَابِ^(٢)

(١) جمع لباهم . (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن معاني القراط إلى البرقوه .

وكذا تقول فلان إذا لم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وقلبه ، وقصر
خوابه على إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ ، ثم لا ترى في نفسك له هزق
ولا تصادف لما تسمعه أريحية حتى إذا قلت :

* إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ * (١)

امتلاك نفسك سروراً وأدركتك طربة لا تملك دفعها عنك . ومن الدليل
على أن التشبيه من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، أنه لو كان
الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه ، وإخباره له بأنه لا يحصل
من سعيه على شئ ، فأدخل يده في الماء وقال انظر هل حصل في كفي من
الماء شئ ، فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على
القول المجرد . ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة
نحو : أن يمتطيك من الزند بإبرائه ، شبه الجواد والركي والنجح في الأمور
، بإصلاحه شبه البخيل والبليد والحنية في السعي ، ومن القمر الكمال عن نقصان
كما قال أبو تمام (٢) :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا لَوْ أُمِيتَ حَتَّى تَصِيرَ شَمَائِلًا
لَقَدْ اسْكُونُهُمَا حِجْبِي وَصَيَّاهَا حِلْمًا وَتِلْكَ الْأَرِيحِيَّةُ نَائِلًا
إِنَّ الْهَالِكَةَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا

والنقصان بعد الكمال كقول أبا العلاء المعري :

(١) الشطر لسعد بن نأشب وتماه :

* وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْمَوَاقِبِ جَانِبًا *

(٢) يرثي ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد .

والتجريد ، فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد ، وقوله تعالى : صم بكم نعمي

وإن كنت تبغى العيش فابغى توسطاً فمِنَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ التَّطَلُّوُ
تَوْقُ الْبَدُّورِ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُذَرِّكُمَا التَّنْقِصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ
وتتفرع من حاله كاله ونقصه فروع لطيفة ، فمن ذلك قول ابن بابك :

وَأَعْرَتَ شَطْرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَالِهٍ وَالْبَدْرُ فِي شَطْرِ الْمَسَافَةِ يَكْدُلُ
قاله في الاستاذ أبي علي وقد استوزره نضر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا
العباس الضبي وخلع عليهما ، وقول أبو بكر الخوارزمي .

أَرَاكَ إِذَا أَبْسَرْتَ حَيَمْتَ عِنْدَنَا مُمِيًا وَإِنْ أَعْمَرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ صَوُّهُ أَغْبَّ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على الوجه الذي يحب ، فإن الإغياب
أن يتخلل وقتي الحضور وقت يخلو منه ، وإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا
نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر في بعض الليالي دون بعض وليس
الامر كذلك لأنه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار ، وبهذا
الضرب من البيان على حده كثر من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المقلق والكاتب
البلغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان وأنت يضع الكلام
بعيد المرام قريباً من الأفهام ، ولا يترك من أمره أنك ترى الرجل
يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالأسد والحسن بالشمس ، وما مائل ذلك
مما اشتهر أمره وجري لذلك مجرى الحقيقة وإنما هو يندق ويلطف حتى
يأتيك بما يخلب القلوب ويرقص الهام ، وحتى يخرج مثله عن طرق البشر
جميعاً (التجريد) سيمر بك في البديع (فدخل فيه نحو قولنا زيد أسد)

وَالنَّظَرُ لَهُمْ فِي أَرْكَانِهِ ، وَهِيَ طَرَفَاهُ وَوَجْهُهُ وَأَدْنَاهُ ، وَفِي الْفَرْصِ مِنْهُ .
وَفِي أَفْسَاسِهِ : طَرَفَاهُ إِمَّا حَسِّيَّانِ ، كَالثَّلْثِ وَالْوَرْدِ ، وَالصَّوْتِ الضَّعِيفِ
وَالْمَسِّ ، وَالنَّكْهَةِ وَالْمَنْبَرِ ، وَالرَّيْقِ وَالْخَمْرِ ، وَالْجِلْدِ النَّاعِمِ وَالْحَرِيرِ :
أَوْ عَقْلِيَّانِ : كَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ : كَالْمَنِيَّةِ وَالسَّبْعِ ، وَالْعَطْرِ وَخُلُقِي
كَرِيمٍ ، وَالْمُرَادُ بِالْحَسِيِّ الْمَذْرُوكُ هُوَ أَوْ مَا ذَنُوهُ يَأْخُذُ الْخَوَاسَّ الْخَمْسَ

وسبأني آخر التشبيه تحقيق ذلك إن شاء الله (كالحند والورد) والقائمة والريح
والقد والنصن والفيل والجبل ، يعني حيث يشبه الأول بالثاني في جميع ذلك
وقس على هذا ما يأتي (والممس) وهو الصوت الذي أخفى حتى كأنه لا
يخرج عن فضاء الفهم (والنكهة) هي ريح الفم (كالمنية والسبع) فالشبه وهو
المنية عقلي والمشبه به وهو السبع حسي (والعطر وخلق كريم) فالشبه
هو العطر محسوس بالشم ، والمشبه به وهو الخلق عقلي . قال الرازي اعلم أن
تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الخواس
ومنتهية إليها ، ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ، وإذا كان المحسوس
أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جهلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو
غير جائز ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك
بالطيب ، فقال الشمس كاللحجة في الظهور والمسك كخاق فلان في الطيب ، كان
مخيفاً من القول ، أما ما جاء في الكلام البايغ من هذا الجنس ، فوجهه
أن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على المبالغة ، وذلك
مثل قول البحري :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن إشداع

الظاهرة ، فدخل فيه الخيال ، كافي قوله :

وَكأنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ

أَعْلَامُ يَأْفُوتُ نُشِيرَ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ ذَرَجِدْ

وبالعلمي ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمي ، أي ما هو غير مدرك بها
ولو أدرك لكان مدركاً بها ، كافي قوله : * وَمَسْنُونَهُ رُزْقٌ ذَائِبٌ أَعْوَالِ *

كما سيأتي قريباً (الخيال) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك
بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد . والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغاً
بالحسن مكملاً روح الإعجاب (وكان الخ) عمر الشقيق ، براد به شقائق الزمان
وهو ورد أحمر في وسطه سواد ، وإنما أضيف إلى الزمان لأنه حي أرضاً أكثر
فيها ذلك ، وتصوب : مال إلى أسفل ، وتصعد : مال إلى أعلى ، ومثله قول بعضهم
في النيلوفر (١) :

كَلْنَا بِأَسْطِ الْيَدِ نَحْوَ نِيلُوفِرِ نَدَى

كَدَّ بَابِيسٍ نَعَسَجِدِ قُضْبَهَا مِنْ ذَرَجِدِ

وقول أبي الغنائم الحمصي :

خَوْذَ كَأَنَّ بَيْنَانَهَا فِي خُضْرَةِ النَّفْسِ الزُّرْدِ

سَمَكَ مِنْ الْبَلُورِ فِي شَبَكِ تَكُونُ مِنْ ذَرَجِدِ

(كافي قوله ومسنونه) وعليه قوله تعالى : طعنها كأنه رؤس الشياطين و صدر البيت

* أَيْقَنْتَنِي وَالْمَشْرِقُ مُضَاجِعِي *

وَمَا يُدْرِكُ بِالْوُجْدَانِ كَالَّذِي وَالْأَلَمِ : وَوَجْهُهُ مَا يَشْتَرِكَانِ فِيهِ تَحْقِيقًا
أَوْ تَحْقِيلًا ، وَلِلْمَرَادِ بِالتَّحْقِيلِ نَحْوُ مَا فِي قَوْلِهِ :
وَكَانَ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَّ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

وهو لامرئى النيس من القصيدة الى مطلعها :

« أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي »

والمشرقي نسبة إلى مشارف الشام : وهى فرى من أرض العرب تذنو من
الريف منها السيوف المشرفية والمسنونة المحددة المصقولة يريد الداهم (نحو ما
قوله وكان) نحوه كل ما لا يمكن وجوده فى المشبه به إلا على تأويل ، ومن هذا
قول أبى طالب الرقى :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالزَّمَانَ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَمْسُقِ

لما كانت أيام المكاره توصف : بالسواد فيقال اسود النهار فى عيني وأظلمت
الدنيا على ، جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ،
ثم عطف عليه فؤاد من لم يمشق قظرًا وإنما للصفة ، وذلك أن الفزل يدعى
القصرة على من لم يعرف العشق والقلب القاسى يوصف بشدة السواد ، فصار
هذا القلب عنده أصلا فى الكدرة والسواد ففاس عليه ومنه قول ابن بابك :

وَأَرْضِي كَأَخْلَاقِي الْكَرِيمِ قَطَعْتَهَا وَقَدْ سَجَلُ اللَّيْلِ السَّجَاكَ فَأَبْصَرَا
لما كانت الأخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل
بين سمة الأرض الى هى سمة حقيقة وأخلاق الكريم ، وكذا قول التنوخى
فى قطعة وهى قوله :

أَمَا تَرَى الْهَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَا كِرُهُ وَعَسْكَرَ الْحَرْ كَيْفَ انْصَاعَ مُنْطَلِقَا

فَإِنَّ وَجْهَ الشَّيْءِ فِيهِ هُوَ الْهَيْئَةُ الْخَاصِلَةُ مِنْ حُصُولِ أَشْيَاءَ مُشْتَرَفَةٍ
يَبْضِي فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلَمٍ أَسْوَدَ ، فَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْمَشَبَّهِ بِهِ
إِلَّا عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْبِدْعَةُ وَكُلُّ مَا هُوَ جَهْلٌ
تَجْعَلُ صَاحِبَهَا مَكْنً يَسْمَى فِي الظُّلْمَةِ فَلَا يَهْتَدِي لِلْعَرِيقِ وَلَا يَأْمَنُ أَنْ

فَالْأَرْضُ تَحْتَ ذَرِيرِيبِ الثَّانِجِ تَحْسِبُهَا قَدْ أَلْبَسَتْ حَبَكًا أَوْ غَشِيَتْ وَرِقًا
فَانْهَضَ بِنَارٍ إِلَى قَعْمِ كَأَنَّهُمَا فِي الْقَيْنِ ظُلْمٌ وَإِنْصَافٌ قَدْ اتَّفَقَا
نَجَاءً وَتَحْنٌ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا قَصِيرًا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشِقَا
المقصود فانهم بنار إلى لحم فإنه لما كان يقال في الحق إنه منير واطح لانح
فتستعار له أوصاف الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين
لها إضاءة وإظلام وإيضاض وأسوداد فشبه النار والفحم بهما ، وبما حسن من
هذا الباب ما كتب به صاحب إلى القاضي أبي الحسن وقد أهدى له الصاحب
عطر العطر :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طَلِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لَهُ أَخْلَاقَهُ

فالمادة أن يشبه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء أن ثناءه
أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وأنه قد صار أصلاً ، حتى إذا قيس نوع من
العطر عليه فقد بولغ في صفته بالطيب وجعل له في الشرف والفضل على جنسه
أوفر نصيب ، وبما حقه أن يعد في هذا الباب قول القائل :

كَأَنَّ انْتِزَاعَ الْبَذْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْوِهِ نَجَاءٌ مِنَ الْبَاسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِهِ

يَنَالُ مَكْرُوهًا شَبَّهَتْ الْبِدْعَةُ بِهَا ، وَلَزِمَ بِطَرِيقِ الْعَكْسِ أَنْ تُسَبِّحَ
السُّنَّةُ وَكُلُّ مَا هُوَ عِلْمٌ بِالنُّورِ ، وَشَاعَ ذَلِكَ حَتَّى تَحْيَلَ أَنَّ الثَّانِي
مِمَّا لَهُ بَيَاضٌ وَإِشْرَاقٌ ، نَحْوُ : أَبَشَّكُمْ بِالْخَيْفَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَنَّ الْأَوَّلَ
عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِكَ : شَاهَدْتُ سَوَادَ الْكُفْرِ مِنْ جَبِينِ فُلَانٍ ،
فَصَارَ تَشْبِيهُ النُّجُومِ بَيْنَ الدُّجَى بِالسُّنَنِ بَيْنَ الْإِبْتِدَاعِ كَتَشْبِيهِهَا بِبَيَاضِ

وذلك أن المادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحبر عنه
الغمام ، والشبه بين البأساء والغمام والظلمة من طريق العقل لا من طريق الحس ،
ذكر هذا الإمام عبد الفاهر ، هذا وإليك ما قبل البيت :

رُبُّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ يَصْدُودٌ وَفِرَاقِي مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعٌ
مُوحِشٍ كَالْقَيْلِ تَقْدَى بِهِ الْقَيْنُ وَتَأْتِي حَدِيثُهُ الْأَتَمَّاعُ
وبعد :

مُشْرِقَاتٌ كَأَنَّهِنَّ حِجَابٌ تَقَطَّعُ الْخُمْمَ وَالظَّلَامَ انْقِطَاعُ
وَكَانَ السَّمَاءُ خَيْمَةً وَشِيءٌ وَكَانَ الْجُوزَاءُ فِيهَا شَرَاعُ
والآيات للقاضي أبي القاسم التنوخي شيخ له القدر المعلي في الأدب وأومن
جيد شعره — وهو ما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أمنتاه :

وَلَيْلَةٌ مُشْتَاقِي كَأَنَّ نُجُومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى وَفِي نَوْمِ
كَأَنَّ عَيُونَ السَّاهِرِينَ لَطُولُهَا إِذَا شَخَّصَتْ لِلْأَنْجَمِ الزُّهْرَ الْأَنْجَمِ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ وَالْفَجْرُ ضَاكِحٌ يَلُوحُ وَيَخْفُحُ أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

الشَّيْبُ فِي سَوَادِ الشَّبَابِ أَوْ بِالْأَنْوَارِ مُوَاتَلَقَةً بَيْنَ النَّبَاتِ الشَّدِيدِ الْخَضِرَةِ
فَبَعْضُهُمْ قَسَادٌ جَعَلَهُ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : النَّارُ فِي الْكَلَامِ كَالْيَلْحِ فِي الطَّعَامِ ،
كَوْنِ الْقَلِيلِ مُضِلِّعًا ، وَالْكَثِيرِ مُفْسِدًا ، لِأَنَّ النَّحْوَ لَا يَحْتَمِلُ الْقِسْلَةَ

(أو بالأنوار) جمع نور يضيئ النون وهو الزهر (مؤتلفة) لامة ، وبعد ،
فقد علمت من كلام المصنف أن التأويل في البيت هو تخفيل ما ليس بمتلون
متلوناً . وإن تأولت في البيت أنه أراد معنى قولهم إن سواد الظلام يزيد
النجوم حسناً وبهاء كان له مذهب ، وذلك أنه لما كان وقوف القائل على بطلان
الباطل وعوار البدعة يريد الحق نبلاً في نفسه وحسناً في مرآة عقله ، جعل
هذا الأصل من المعقول مثلاً للشاهد المبهر هناك إلا أنه على ذلك لا يخرج
من أن يكون غريباً عن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس كما فعل
البحرئى في قوله :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنٍ جَوَارَهَا خَلَائِقُ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خَيْبٌ^(١)

وَحُسْنُ دَرَارِي النَّجُومِ بَأَن تَحْسَى طَوَالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبٌ

(فعل الخ) قد علمت أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان ، وحيث
يكون معنى قولهم النحو في الكلام كالمخ في الطعام إن الكلام لا يستقيم
ولا ينتفع به إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص كما
لا يمدى الطعام ، ولا تحصل المائدة المطلوبة منه ما لم يصلح بالمخ ، أما ما تخيله
بعضهم من أن معناه : أن القليل من النحو مغن والكثير مفسد كما يفسد الملح
الطعام إذا كثر فيه فتخريف وقول هراء وذلك أنه لا يتصور الزيادة والنقصان

(١) الأصفار جمع صفر : بمعنى خال .

وَالسَّكْرَةُ ، بِخِلَافِ الْمَلَحِ . وَهُوَ إِذَا غَيَّرَ خَارِجَ عَنِ حَقِيقَتِهِمَا ، كَمَا فِي

فِي جريان أحكام النحو في الكلام ، فقولنا كان زيد ذاهباً لا بد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر وهذا إن وجد فقد حصل النحو وتمتع الزيادة عليه وإن لم يحصل كان الكلام فاسداً لا يفيد السامع فائدة بل يضره لوقوعه في عيبه وهجوم الوحشة عليه ، فقول أبي بكر الخوارزمي :

« وَالْيَقْضُ عِنْدِي كَثْرَةُ الْأَعْرَابِ »

كلام لا يحصل منه على طائل لما علت ، ولعلمهم يريدون بكثرة النحو استعمال الوجه الغريبة والأقوال الضعيفة ونحو ذلك مما يفسد الكلام . هذا وما هو فاسد لعدم اشتراك الطرفين في وجه الشبه قول ابن شرف القيرواني :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمَعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَأَنَّنِي سَبَابَةُ الْمُتَنَدِّمِ

حكى أنه لما أنشده ابن رشيق وقال له هل سمعت هذا المعنى ، قال ابن رشيق سمعته وأخذته وأفسدته ، أما الأخذ فن التابغة الذي يأتي حيث يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمْنِ ذُو أَمَةٍ ^(١) وَهُوَ طَائِعُ
لَسْكَافَتِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكَتُهُ كَذِي الْمُرِّ يَكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعٌ ^(٢)

وأما الإفساد فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه ، فلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت التابغة فإن المكوى من الإبل يألم وما به أعر البتة ، وصاحب المر لا يألم لجملة (وهو إما غير خارج الخ) هذا تقسيم آخر لوجه الشبه وأمله للسكاكي ، حذاء المصنف فيه حذر القذة بالقذة ، وإعجبني قول الشيخ التفازاني في شرحه المطول إن أمثال هذه التفسيرات

تشبيه تَوْبٍ يَأْخَرُ فِي نَوْعِهِمَا أَوْ جَنَسِهِمَا ، أَوْ خَارِجُ صِفَةٍ ، إِنَّمَا حَقِيقَتُهُ
حَقِيقَةٌ ، كَالْكَفَيَّاتِ الْجِنْسِيَّةِ ، مِمَّا يُدْرَكُ بِالْبَصَرِ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
وَالْقَادِيرِ وَالْحَرَكَاتِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ بِالسَّمْعِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ

التي لا تنفر على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكان هذا ابتهاج من
السكاكي بإطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فقه در الإمام عبد القاهر وإحاطته
بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فإنه لم يزد في هذا المذاق على
التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق الطائفت المودعة فيها . هذا والبلغاء
قاطبة برآء من التشبيه في مفهوم داخل في الحقيقة ، وليس وجه الشبه عندهم
إلا للمعاني القائمة بالطرفين ، وليس الجنس والنوع عندهم إلا الأخص
والأعم ، فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكي والبهتان العظيم (حقيقية)
أى موجودة في الطرفين لا بالقياس إلى شيء (الألوان) كتشبيه الحد بالورد
والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والأشكال) نحو أن يشبه الشيء إذا
استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجه آخر (والمقادير) كتشبيه العظيم الجنة
بالجبل والفيصل وتشبيه الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الذاهب على الاستقامة
بالسهم السديد ومن تأخذه الريح فيهبز بالنفن تحت البارح (وما يتصل بها)
كالحسن والقيح والضحك والبكاء وغير ذلك (الأصوات) كتشبيه صوت
الجهوري بالعد ، وتشبيه أطمط الرجل بأصوات الفيراريج ، وتشبيه صريف أنياب
البعير بصياح البوازي كما قال :

كَأَنَّ عَلَى أُنْيَابِهَا كُلِّ سَحْرَةٍ صِيَاخَ الْبَوَازِي مِنْ تَرَفِيفِ اللَّذَائِكِ (١)

(١) السحرة : السحر . واللوائك جميع لائكة من اللوك : وهو المضع

وَالضَّعِيفَةِ ، وَالَّتِي بَيْنَ بَيْنٍ ، أَوْ بِالنَّوْقِ مِنَ الطُّعْمِ ، أَوْ بِالسَّمِّ مِنَ الرُّوَاحِ
أَوْ بِاللَّمْسِ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ وَالرُّطُوبَةِ وَالْيُبُوسَةِ وَالْخَشُونَةِ
وَالْمَلَأَسَةِ وَاللِّينِ وَالصَّلَابَةِ وَالْخَفَةِ وَالثَقَلِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا ، أَوْ عَقْلِيَّةٌ
كَالتَّكْيِيفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاءِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضَبِ وَالْحِلْمِ وَسَائِرِ الْفَرَائِزِ ،
وَأَيْمًا إِضَافِيَّةً : كإزالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس ، وأيضا

(الطعوم) كتشبيه بعض التواكه الحلوة بالسل والسكر (الروائح)
كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه
القيظ بنسيم جهنم واللين التاعم بالخز والحشن بالمسح والحفيف بالريش والبارد
بالتلج وهكذا (وما يتصل بها) كالبلة والجفاف والأزوجة والمهاشة والطلاقة
والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسية (النفسانية) أى
المختصة بذوات الأنفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيه الذكى بإياس. (والعلم)
كتشبيه العالم بالخائيل (والغضب) كتشبيه الغضوب بالمغربي (والحلم)
كتشبيه الحليم بمعاوية أو الأحنف أو معن بن زائدة (وسائر الفرائز)
كالسكر ، تقول فلان كأنه كعب بن مامة ، أو هرم بن سنان ، أو حاتم طيء
والشجاعه نحو : فلان كأنه عنزة ، والبخل تقول هذا كأنه صبي أو كلب من
كلاب بنى زياد والجبن نحو هذا كأنه صافر (إضافية) أى نسبية يتوقف
تعلمها على تعقل الغير (كإزالة الحجاب الخ) فإن الإزالة أمر إضافي يتصل
فيما بين المزيل والمزال (وأيضا) هذا تقسيم آخر ، يقول : وجه الشبه
إما واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة
الواحد لكونه مركباً بأن يكون هيئة متزعة انتزعا العقل من عدة أمور ،
أو متعدد غير مركب بأن ينظر إلى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في

إِثْمًا وَاحِدًا ، وَإِثْمًا بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ ، لِكَوْنِهِ مُرَكَّبًا مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا حِسِّيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ، وَإِثْمًا مُتَعَدِّدٌ كَذَلِكَ ، أَوْ مُخْتَلِفٌ ، وَالْحِسِّيُّ طَرَفَاهُ حِسِّيَّانِ لَا غَيْرُ ، لَا مَمْنَعُ أَنْ يُدْرِكَ بِالْحِسِّ مِنْ غَيْرِ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَالْعَقْلِيُّ أَعْمٌ ، لِيَجْوَازَ أَنْ يُدْرِكَ بِالْعَقْلِ مِنَ الْحِسِّيِّ شَيْءٌ ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ التَّشْبِيهُ بِالْوَجْهِ الْعَقْلِيُّ أَعْمٌ ، فَإِنْ قِيلَ : هُوَ مُشْتَرِكٌ فِيهِ فَهُوَ كَأَنَّهُ ، وَالْحِسِّيُّ لَيْسَ

كل منها لئلا يكون كل منها وجه شبه . والذي بمنزلة الواحد إما حسي أو عقلي ، والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف (لا غير) فلا يجوز أن يكونا معاً عقليين أو أحدهما (لا ممانع الخ) فإن وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين . وجود فيها ، وكل ما يؤخذ من العقل ويوجد فيه يجب أن يدرك بالعقل لا بالحس ، لأن المدرك بالحس لا يكون إلا جسماً أو قائماً بالجسم (أعم) يعني يجوز أن يكون طرفاه عقليين وأن يكونا حسيين وأن يكون أحدهما حسياً والآخر عقلياً (لجواز الخ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها عقلي (أعم) فكل طرفين يتحقق فيها التشبيه بوجه حسي يتحقق فنهما بوجه عقلي ولا عكس (فإن قيل) هذا إشارة إلى إشكال أورده السكاكبي على كون وجه الشبه قد يكون حسياً وهاك عبارته . وههنا نكتة لا بد من التنبيه لها وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتي أن يكون غير عقلي ، وذلك أنه متى كان حسياً ، وقد عرفت أنه يجب أن يكون . وجوداً في الطرفين ، وكل وجود فله تعين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به لا ممانع حصول المحسوس المدين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة وبحكم التنبيه على لاعتناؤه إن شئت وهو استلزامه إذا

يَكَلِّى ، قُلْنَا : الْمُرَادُ أَنْ أَفْرَادَهُ مَذْرُوعَةٌ بِالْحَسَنِ ، فَأَوَّاحِدُ الْحَسَنِ كَالْهَمْرَةِ
وَأَتْلَفَاءَ وَيَلِيبُ الرَّاحَةِ وَلَذَّةِ الطَّعْمِ وَلَيْنِ الْمَسِّ فِيمَا مَرَّ ، وَالْعَقْلُ كَالْمَرَاءِ
عَنِ الْفَائِدَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْهِدَايَةِ وَاسْتِطَابَةِ النَّفْسِ فِي تَشْبِيهِ وَجُودِ الشَّيْءِ
الْعَدِيمِ السَّمْعَ صَدَمِهِ ، وَالرَّجْلُ الشَّجَاعَ بِالْأَسَدِ ، وَالْبَلَمُ بِالنُّورِ وَالْمَطَرُ
بِخُلُقِي كَرِيمٍ ؛ وَلِلْمُرْكَبِ الْحَسَنِ فِيمَا طَرَفَاهُ مَفْرَدَانِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ النَّزْيَا كَمَا تَرَى . كَمَنْزُودٍ مَلَاحِيَةٍ حِينَ نَوْرًا

عدمت حرة الحد درن حرة الورد أو بالعكس كون الحرة معدومة موجودة
معاً ، وهكذا في أخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيئاً
واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحداً ، فيلزم أن يكون أمر كلياً
مأخوذاً من المثلين بتجريدتهما عن التعيين ، لكن ما هذا شأنه هو عقل ، ويعتنع
أن يقال فالمراد بوجه الشبه ، حصول المثلين في الطرفين ، فإن المثلين متشابهان
فبعدهما وجه تشبيهه فإن كان عتلياً كالمرجع في وجه الشبه العقل في المال
وإن كان حياً استلزم أن يكون مع المثلين مثلاً آخران وكان الكلام فيهما
كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل . قال . المصنف إنما نعترف بصحة
هذا الإشكال غير أن المراد يكون وجه الشبه حسياً أن تكون أفراده مذكورة
بالحسن كالسواد ، فإن أفراده مذكورة بالبصر ، وإن كان هو في نفسه غير مذكور
به ولا بغيره من الحواس ، نقول وهذا ضرب من التباس (والحناء)
يعنى خفاء الصوت (فيما مر) يعنى في تشبيه الحد بالورد والصوت الضعيف
بالحسن ، والنسكة بالعنبر ، والريق بالخر ، والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح)
هو لآى قيتس بن الأسات ، وقيل لأحيحة بن الجلاح ، والأول شاعر جاهلي

مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ تَقَارُنِ الصُّوَرِ الْبَيْضِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغَارِ الْمَقَادِيرِ
فِي الْمَرَأَى عَلَى السَّكْنِ الْخُصُوصَةِ إِلَى الْمَقْدَارِ الْخُصُوصِ ، وَفِيهَا طَرَفَاهُ
مُرَكَّبَانِ سَمَا فِي قَوْلِ بَشَّارٍ :

كَأَنَّ مَنَارَ النُّعْمِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا * وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
مِنَ الْهَيْئَةِ الْخَاصِلَةِ مِنْ هَوَى أَجْرَامٍ مُشْرِقَةٍ مُسْتَطِيلَةٍ مُتَنَاسِبَةٍ

يجيد أسلم ابنه عقبة بن أبي قيس (ملاحية) هي غيب أبيض في حبه طول وهو
في البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر . قال ابن قتيبة : لا أعلم هل التشديد
في البيت ضرورة أو لغة فيه (زوراً) تفتح نوره (كما في قول بشار) مثله ما في
قول أبي طالب الرق :

وَسَكَبَانُ أَجْرَامِ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرٌّ نَثْرَنَ عَلَى يَسَاطِئِ أَرْزَقِ
من الهيئة الخاصلة من تفرق أجرام مثلثة مستديرة ، صغار المقادير في
المرأى على سطح جسم أزرق ضاى الزرقة . وبيت بشار من قصيدة يمدح بها
ابن هبيرة بقول فيها :

إِذَا كُنْتَ فِي سَكَلِ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَحَدًا فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَنُجَانِيَةٌ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى طَامِنْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

(منار النعم) النعم : الغبار ، ومثار : من أثار الغبار هيجه (تهاوى كواكبه)
أى يتساقط بعضها أثر بعض والأصل تهاوى حذفت إحدى التامين (من
الهيئة) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه ، وذلك لأن الشاعر كما قال

الْمُفْدَارِ مُفَرَّقَتِهِ فِي جَوَانِبِ شَيْءٍ مُظْلَمٍ ، وَفِيهَا طَرَفَاهُ مُخْتَلِفَانِ كَمَا مَرَّ فِي تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ؛ وَمِنْ بَدِيعِ الْمَرْكَبِ الْحَيِّ مَا يَجِيءُ فِي الْهَيْئَاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهَا الْحَرَكَةُ ، وَيَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يُقَرَّنَ بِالْحَرَكَةِ

الشيخ الإمام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب ، والسيوف بالسكاكيب من جانب ، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من الأغاد وهي تملو وترسب وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر على أن يريك لهاها في أثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله :

تَبَيَّنَ سَدَائِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ

وهذه الزيادة وهي إفادة هيئة السيوف في حركاتها ، زادت التشبيه تفصيلاً لأنها لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن تعلم أن لها في حال احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات بسرعة ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوال تنقسم بين الارتفاع والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاق وتتناحل ويصدم بعضها بعضاً ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة فنه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله في تهاويها تدافع وتداخل ، ثم لأنها بالتأوى تستطيل أشكالها ، فلما إذالم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة (في تشبيه الشقيق) وتشبيه النيلوفر الذي ذكرناه ثم (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام للإمام عبد القاهر رحمه الله قال : اعلم أن ما يزداد به التشبيه دقة وسخراً أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات

غَيْرُهَا مِنْ أَوْصَافِ الْجِسْمِ ، كَالشَّكْلِ وَاللَّوْنِ كَافِي قَوْلُهُ :
 * وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ * مِنْ الْهَيْئَةِ الْخَالِصَةِ . وَبِ-
 الْإِسْتِدَارَةِ مَعَ الْإِشْرَاقِ وَالْحَرَكَةِ السَّرِيعَةِ الْمُتَّصِلَةِ مَعَ تَمَوُّجِ الْإِشْرَاقِ
 حَتَّى يُرَى الشَّمَاعُ كَأَنَّهُ يَهُمُّ بِأَنْ يَنْبَسِطَ حَتَّى يَفِيضَ مِنْ جَوَانِبِ

والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترب بغيرها من الأوصاف
 كالشكل واللون ونحوهما . والثاني أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يرد غيرها ، فن
 الأول قول ابن المعتز :

• وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ •

أراد أن يريك مع الاستدارة والإشراق الحركة التي تراها للشمس إذا
 أنعمت التأمل ثم ، ما يحصل في نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن الشمس
 حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا
 الشبه إلا بأن تكون المرآة في يد الأشل لأن حركته تدوم وتتصل ويكون منها
 سرعة وبدوام الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فإليك ترى شعاعها
 كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط
 الذي تراه إلى انقباض كأنه يجمع من جوانب الدائرة إلى الوسط ، ومثل هذا
 التشبيه وإن صور في غير المرآة قول المهلب الوزير :

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِيقٍ قَدْ بَدَتْ مَشْرِيقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ

كَأَنَّهَا تَوَقَّعَتْ أَهْجَتَ نَجْوَى فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ

وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوقة في الاستدارة وأخذ
 يتحرك فيها بحملته تلك الحركة المجمة كأنه ، بأن ينبسط حتى يفيض من

الدَّائِرَةُ ثُمَّ يَبْدُو لَهُ فَيَرْجِعُ إِلَى الْإِنْفِاضِ ، وَالثَّانِي : أَنَّ تَجَرُّدَ الْحَرَكَةِ
عَنْ غَيْرِهَا ، فَمِنْهَا أَيْضًا لَا بُدَّ مِنْ اخْتِلَافِ حَرَكَاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
فَجَرَكَةُ الرِّحَى وَالسَّهْمِ لَا تَوَكِّبُ فِيهَا ، بخلافِ حَرَكَةِ الْمُصَحَفِ
فِي قَوْلِهِ :

جوانبها لما في طبعه من التهمة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين
أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي
تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ، ومن عجيب ذلك قول الصنوبري :

كَأَنَّ فِي غُدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تَهْمَطُ^(١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صفار ، ثم تمتد
امتداداً ينقص من انحناؤها فينقها من القوس إلى الاستواء وذلك أشبه شيء
بالحواسب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويماً ومده ينقص من تقويمه ،
ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بَكَرَّتْ نَعِيرُ الْأَرْضِ نَوْبَ شَبَابِ الرِّجِيَّةِ^(٢) مَحْمُودَةُ الْإِسْكَانِ
نَفَرَتْ أَوَائِلُهَا حَيًّا^(٣) فَكَأَنَّهُ نَقَطٌ عَلَى عَجَلٍ يَبْطِئُ كِتَابِ
وأما الوجه الثاني : وهو أن تجرد هيئة الحركة من كل وصف يسكون في

(١) يصف أرضاً بالعيوب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح فتبدو
على صفحات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد .

(٢) يريد سحابة (٣) الحياء : المطر .

وَكَانَ الْبَرْقُ مُصْحَفٌ قَارٍ فَانْطَبَأَ مَرَّةً وَانْفَتَحَا
وَقَدْ يَقَعُ التَّرْكِيبُ فِي هَيْئَةِ السُّكُونِ ، كما في قوله فِي صِفَةِ الْكَلْبِ

الجسم ، فهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة .
فهو كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى
السفل ونحو ذلك ، وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاد الجسم
إليها أشد ، كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، فحركة الرمح والدولاب
وحركة السهم لا تركيب فيها ، لأن الجهة واحدة ، ولكن في حركة المصحف
في قول ابن المعتز :

وكان البرق مصحف قار^(١) فانطباعاً مرة وانفتاحاً

تركيباً لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين في كل حالة إلى جهة ، ومن لطيف
ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقَعُ السَّفِينُ بِجَانِبَيْهِ كَمَا يَنْزُو الرِّبَاحُ خَلَالَهُ كَرَعٌ

الرياح : الفصل ، الكرع : ماء الياه ، شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها
بحركات الفصل في نزوه ، وذلك أن الفصل إذا نزا ولاسباً في الماء وحين
يعتريه ما يمتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له
حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة . ويكون هناك تسفل
وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل إحدى الحركتين في الأخرى فلا
يثبتة الطرف مرتفعاً حتى يراه منحنطاً متسفلاً ، وهو في مرة نحو الرأس
ومرة نحو الذنب ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعا
الموج . قال . وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون .
فن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلاً :

(١) بخلف إلمزة والأصل قارىء .

* يَقْعِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي * مِنَ الْهَيْئَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ مَوْقِعِ كُلِّ

فَلَمْ أَطْعَى مَأْوَاهُ فِي الْبِلَادِ دِ وَغَصَّ بِدِ كُلِّ وَادٍ صَدِ
نَرَى الثَّوْرَ فِي مَتْنِهِ طَافِيَا كَغَضَبَةِ ذِي النَّجَّاحِ فِي الْمَرْقَدِ
وقول المتنبي في صفة الكلب :

يَقْعِي جُلُوسَ الْبَدْوِيِّ الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ (١)

لم ينل التشبيه خطأ من الحسن إلا بأن فيه تفصيلاً من حيث كان بكل
عضو من الكلب في أفعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم أشكال
مختلفة تؤلف فيجى منها صورة خاصة ، ومن لطيف هذا الجنس قول الشاعر
في صفة المصلوب :

سَكَّانُهُ تَنَاشِقُ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مَرْتَحِلٍ
أَوْ قَاتِمٍ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لَوْنَتُهُ مُوَاصِلٌ لِمَطْيَةِ مِنَ الْكَسَلِ

والفصل فيه أنه شبه بالمتعطى إذا واصل عطيه مع التمرض لسببه وهو
اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه
كالمتعطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي للمصلوب
ابتداءً لأنه من حد الجملة ، وشبهه بهذا في الاستقصاء قول ابن الرومي :

كَأَنَّ لَهُ فِي الْجُلُوسِ حَبْلًا يَبُوعُهُ إِذَا مَا انْقَضَى حَبْلٌ أُتْبِحَ لَهُ حَبْلٌ
فَمَاتِ أَنْفَاسَ الرِّيحِ مُوَدَّعًا وَدَاعَ رَحِيلٍ لَا يَحْطُ لَهُ رَحْلٌ

(١) الإقعاء : الجلوس ، والاصطلاء : الاستدفاء بالنار ، وأربع مجدولة
فالمجدولة المقنونة : يريد بقوامه محكمة الخلق لم يجد لها أحد وإنما هي كذلك .

عَصُو فِي إِفْعَائِهِ ، وَالْمَقْلِي كَجَرْمَانِ الْإِنْتِفَاعِ بِأَبْلَغِ نَافِعٍ مَعَ تَحْمِيلِ
التَّعْبِ فِي اسْتِصْحَابِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : مَثَلُ الَّذِينَ خَلُّوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ مِنْ مُتَعَدِّدٍ

فاستراطه أن يكون له بعد الحمل الذي ينتهي ذرعه جبل آخر يخرج من
بورج الأول إليه كقوله : موصل لتقطيعه من السكل ، في استيفاء الشبه والتفنيه
على استدامته ، لأنه إذا كان لا يزال يبيع جبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ،
وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كجرمان^(١)) الانتفاع الخ) فإنه
منتزع من أمور بمجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل
مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهي الأسفار التي هي
أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا في جانب التشبيه (واعلم) قال
الشيخ الإمام : قد يجيء بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع
من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمرا منتزعا من جميعها كقوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامة فلما رأوها أقشمت وتجلت

فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به إلى
الثاني على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه ، لكن
بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء

(١) وكالمنظر المطمع مع الخبز المؤنس الذي هو على عكس ما قدر في
قوله تعالى : والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه . السراب : ما يرى في القلابة
من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري .
والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع : وهو المنبسط المستوي .

فَيَقَعُ اَلْخَطَا لَوُجُوبِ اِسْتِزَاعِهِ مِنْ اَكْثَرُ ، كَمَا إِذَا اِسْتَرْجَعَ مِنَ الشَّطْرِ
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ :

كَمَا اُبْرَزْتَ قَوْمًا عَظَامًا عَمَامَةً * فَلَمَّا رَأَوْهَا اُفْشَمْتَ وَتَجَلَّتْ
لَوُجُوبِ اِسْتِزَاعِهِ مِنَ الْجَمِيعِ ، فَإِنَّ الْمِرَادَ التَّشْبِيهَ بِاتِّصَالِ اِبْتِدَاءِ
مُطْلَعٍ بِاِفْتِتَاءِ مُؤَيَّسٍ . وَالتَّعْدُّ الْحِسِّيُّ كَالْوَلْوِ وَالْعَامِ وَالرَّائِعَةِ
فِي تَشْبِيهِه فَكَيْفَةً بِأُخْرَى . وَالْمَقْلِيُّ كَحَدَّةِ النَّظَرِ وَكَمَاكَ الْعَذَرِ

مؤنس ، وذلك يشوق على البيت كله ، فإن قيل هذا يقتضى أن يكون بعض
التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيهاً واحداً ، لأن الاقتصار
على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف الخبر
عنه بأنه يجمع الصفتين وأن إحداهما لا تدوم ، قلنا الفرق بينهما أن الغرض في
البيت أن يثبت ابتداء مطعماً متصلاً بانتهاء مؤنس كما مر وكوّن الشيء ابتداء لآخر
زائد على الجمع بينهما وليس في قولنا يصفو ويكدر أكثر من الجمع بين الصفتين ،
ونظير البيت قولنا يصفو ثم يكدر لإفادة الترتيب المقضى ربط أحد الوصفين
بالآخر وقد ظهر من هذا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل
ما ذكر بأمرين ، أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها
لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا زيد كالأسد
بأساً ، والبحر جوداً والسيف مضاً ، لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات
فقط مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أمضت
واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه ، أعاد ذلك الشيخ الإمام
رحمه الله (باتصال) أى باعتبار اتصال الخ ، فالباء ههنا مثابا في قولك : فخرجت

وَإِخْفَاءِ السَّادِ فِي تَشْبِيهِ طَائِرٍ بِالْفَرَابِ ، وَالْمُخْتَلِفُ كَحُسْنِ الظَّالِمَةِ .
وَنَبَاهَةِ الشَّانِ فِي تَشْبِيهِ إِنْسَانٍ بِالشَّمْسِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يُنْتَزَعُ الشَّبْهُ
مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ لِاشْتِرَاكِ الضَّدَيْنِ فِيهِ ، ثُمَّ يُنْزَلُ مَنْزِلَةَ التَّنَاسُبِ
بِوَسِطَةِ تَحْلِيلِ أَوْ تَهْكُمٍ ، فَيَقَالُ لِلْجَبَانِ : مَا أَشْبَهُهُ بِالْأَسَدِ ، وَلِلْبَخِيلِ :
هُوَ حَاتِمٌ . وَأَدَاتُهُ الْكَافُ وَكَأَنَّ وَمِثْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ، وَالْأَصْلُ فِي
نَحْوِ السَّكَافِ أَنَّ يَكُنِيَ الْمَشْبَهُ بِهِ ، وَقَدْ يَكُنِيَ غَيْرُهُ ، نَحْوُ : وَاضْرِبْ لَهُمُ

بِالْقَدُومِ : أَيْ بِوَسِطَتِهِ (السَّادِ) : نَزُو الذِّكْرُ عَلَى الْإِنْثَى (نَبَاهَةِ الشَّانِ) :
شَرْفُهُ وَاسْتِهَارُهُ (يُنْتَزَعُ الشَّبْهُ مِنْ نَفْسِ التَّضَادِّ) : أَيْ يَجْعَلُ التَّضَادُّ وَسِيلَةَ لَجْعَلِ
الشَّيْءِ وَجْهَ شَبْهِ (فِيهِ) : أَيْ فِي التَّضَادِّ (تَحْلِيلِ) : أَيْ إِيْنَانُ شَيْءٍ مُلْحِجٍ يَسْتَظَرَفُ
عِنْدَ السَّامِعِ . . هَذَا ، وَهَنَّاكَ مَذْهَبَ آخِرِ التَّضَادِّ ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ ، قَالَ قَدْ يَشْبَهُ
أَحَدُ الضَّدَيْنِ بِالْآخَرِ إِذَا كَانَ أَحَدُهُمَا أَظْهَرَ ، كَمَا يَقَالُ : الْعَسَلُ فِي حُلَاوَتِهِ كَالصَّبْرِ
فِي مِرَارَتِهِ ، وَأَتَشَدُّ لِابْنِ الْمُهْدِيِّ يَعْتَدِرُ الْمَأْمُونُ :

لَيْنٌ جَبَدَتْكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ إِلَى أَيْ اللُّؤْمِ أَحْصَى مِنْكَ فِي الْكَرِّمِ

(وَمَا فِي مَعْنَاهُ) كَلْفُظَةُ نَحْوٍ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْ أَغْظَةِ مِثْلٍ وَشَبْهِ وَنَحْوَهُمَا (وَقَدْ

يَلِيهِ غَيْرُهُ) وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمَشْبَهُ بِهِ مُرَكَّبًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَاضْرِبْ لَهُمُ
مِثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ شَيْئًا
تَذْرُوهُ الرِّيحُ ، إِذْ لَيْسَ الْمُرَادُ تَشْبِيهِ حَالِ الدُّنْيَا بِالْمَاءِ وَلَا بِفَرْدٍ آخَرَ يَتِمَحَّلُ
لِتَقْدِيرِهِ بَلِ الْمُرَادُ تَشْبِيهِ حَالِهَا فِي لُضْرَتِهَا وَهَيْجَتِهَا ، وَمَا يَتَعَقَّبُهَا مِنَ الْهَلَاكِ وَالْفَنَاءِ
بِحَالِ النَّبَاتِ يَكُونُ أَخْضَرَ وَارِقًا ثُمَّ يَهْبِجُ فَيَطِيرُهُ الرِّيحُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَمَا هُوَ بَيْنَ

مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ . وَقَدْ يَذْكُرُ فِعْلًا يُنْفِي عَنْهُ كَمَا فِي :
عَلِمْتُ زَيْدًا أَسَدًا ، إِنَّ قُرْبَ ، وَحَسِبْتُ ، إِنَّ بَعْدَ وَالْقَرَضُ مِنْهُ فِي
الْأَجَلِ يَمُودُ إِلَى الشَّبَةِ ، وَهُوَ بَيَانُ إِمْكَانِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :
فَإِنْ نَفَقَ الْأَنَامُ وَأَنْتَ مِنْهُمْ . : فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

في هذا قول ليبي :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدِّيَارِ وَأَهْلِهَا يَهَيَّيَوْمَ حَلَوْهَا وَتَفْدُو بَلَانِعُ

لم يشبه الناس بالديار ، وإنما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم
بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (ينفي عنه) أي عن
التشبيه كما في علمت (الخ) قال بعضهم في كون هذا الفعل منبثاً عن التشبيه
نظر للقطع بأنه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك ، وإنما يدل عليه علمنا
بأن أسداً لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً ، وإنه إنما يكون على تقدير أداة التشبيه ،
سواء ذكر الفعل أو لم يذكر ، ولو قيل إنه ينفي عن حال التشبيه من القرب
والبعد لكان أصوب (بيان إمكانه) وذلك في كل أمر غريب يمكن أن
يختلف فيه ويدعى امتناعه ، كما في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة : فَإِنْ
تَفَقَّ الْأَنَامُ ، الْبَيْت ، أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه
أن يكون واحداً منهم بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا
أعنى أن يفتأه بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها أمر
غريب يفنر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيء إلى إثبات
وجوده في الممدوح ، فقال فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ ، أي ولا يعد في
الدماء لما فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم ، وخصلوه
من الأوصاف التي لها كان الدم دماً ، فأبان أن لما ادعاه أصلاً في الوجود

أَوْحَالِهِ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ ثَوْبٍ بآخر فِي السَّوَادِ ، أَوْ مِقْدَارِهَا ، كَمَا
فِي تَشْبِيهِ الْغُرَابِ فِي شِدَّتِهِ ، أَوْ تَقْرِيرِهَا ، كَمَا فِي تَشْبِيهِ مَنْ لَا يَحْصُلُ
مِنْ سَمِيهِ عَلَى طَائِلٍ يَمُنُّ بِرَفْعِهِ ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ تَقْتَضِي أَنْ

على الجملة فإن قلت أُرشدني في البيت ، قلنا يدل البيت عليه ضمناً وإن لم يدل
عليه تصريحاً (كما في تشبيه ثوب بآخر في السواد) إذا علم السامع لون المشبه به
دون المشبه (أو مقدارها) أي أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف
والزيادة والنقصان (في تشبيهه) أي الثوب الأسود (في شدته) أي شدة
السواد (أو تقريرها) هو معطوف على بيان أي تقرير حال المشبه في نفس
السامع وتقوية شأنه لديه (الأربعة) بيان الإمكان ، وبيان الحال وبيان
المقدار ، والتقرير (تقتضي الخ) ومن هنا ضعف قول المحمدي :

عَلَى بَابِ (١) فَتَسْرِيَنَّ وَاللَّيْلُ لَا طُخَّ جَوَانِيَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ بِمَدَادِ
وذلك أن المداد ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد ، كيف
ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشده أخرى ، ولهذا قال ابن الرومي :
حَبْرُ أَيْ حَقِصِ الْعُكْبِ اللَّيْلِي يَسِيلُ الْإِخْوَانُ أَيْ سَيْلِي
فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه الليل ، فكأنه نظر إلى قول

(١) على باب متعاقباً في البيت قبله وهو :

وَلَيْسَتْ بِالرَّاحِ عَجَلِي تَشْهَى فَنُونَ غِنَاءِ لِلزَّجَاجَةِ حَادٍ

أي كان مع حبيبته في إدارة الكؤوس ، واستماع النناء طول الليل ، على
باب قسرين .

يَكُونُ وَجْهَ الشَّيْءِ فِي الْمَشَبِّهِ بِهِ أَتَمَّ وَهُوَ بِهِ أَشْبَهُ ، أَوْ تَرْيِينُهُ ، كَافِي
تَشْبِيهِ وَجْهِ أَسْوَدَ بِمَقْلَةِ الطَّيِّ ، أَوْ تَشْوِيهِهُ ، كَافِي تَشْبِيهِ وَجْهِ مَجْدُورٍ
بِسَلْجَةٍ جَامِدَةٍ قَدْ قَرَسَتْهَا الدِّيَكَةُ ، أَوْ اسْتَطْرَافُهُ ، كَافِي تَشْبِيهِ فَحْمٍ فِيهِ
بِحُمْرٍ مُوقَدٍّ يَبْخَرُ مِنَ الْمَسْكِ مَوْجُهُ الذَّهَبُ ، لِإِبْرَازِهِ فِي صُورَةِ الْمُتَمَسِّعِ
عَادَةً ؛ وَلِلْإِسْطِرَافِ وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِلشَّيْءِ بِهِ نَادِرُ الْحُضُورِ
فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا مُطْلَقًا كَأَمْرٍ ، وَإِمَّا عِنْدَ حُضُورِ الْمَشَبِّهِ كَافِي قَوْلِهِ :

وَلَا زَوْرِدِيَّةٌ تَرَاهُ يَرْقُبُهَا بَيْنَ الرِّبَاضِ عَلَى مَحَرِّ الْيَوَاقِيتِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَالَمَاتٍ ضَعْفَنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافٍ كَثِيرَةٍ

العامَّة في الشيء الأسود هو كالتنقس^(١) ، ثم تركه للفاغية إلى المداد (أو تزيينه)
عطف على بيان إمكانه ، وقد أشار ابن الرومي إلى التزيين والتشويه في قوله :
تَقُولُ هَذَا غِيَاغُ النَّحْلِ مَمْدَحُهُ . وَإِنْ لَعِبَ قُلْتُ ذَا قِيٍّ الزَّيَابِيرِ

(كما مر) في تشبيه لحم فيه جمر موقد (كما في قوله ولا زوردية) فأنت ترى
أن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حصولها في الذهن ندرة
صورة جمر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة
التنفسج ، فإذا أحضر مع صحة التشبيه ، استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين
لا تتراعى نارهما . وما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال أنشد عدى بن الرقاع :

(١) التنقس : المداد الذي يكتب به .

وَقَدْ يَمُودُ إِلَى الْمُسْتَهَبِ بِهِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا إِيهَامُ أَنَّهُ أَيْتَمٌ مِنَ الْمُسْتَهَبِ
وَوَدَّلِكَ فِي التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ ، كَقَوْلِهِ :

وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَانَ عُرَّتُهُ * وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُتَدَخُّ

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَّعًا فَأَعْتَادَهَا *

فلما بلغ إلى قوله :

* تَزَجَّيْ أَغْنَى كَانَ بِرَّةَ رَوْقِهِ *

رحمته ، وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو أعرابي جلف جاف ، فلما قال :

* قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ السَّوَادِ مِدَادَهَا *

استحالت الرحمة حسداً فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية
إلا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفسرك شبه ،
وحين أتمه صادفه قد ظهر بأثر بصفة من أبعد موصوف . وذكر الشيخ
عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر
وهو أنه أراك شيئاً لنبات غض يرف ، وأوراق رطبة من لُحْب نَارٍ في جسم
مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجلبة ، على أن الشيء إذا ظهر من
مكان لم يمد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صباغة
النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر . هذا وقوله ولازوردية : أي ورب
بنفسجة شبيهة باللازورد — الحجر المعروف ، والأكثر أن يقال زهى الرجل
فهو مزهو : أي تكبر ، وقد يقال زها يزهو ، وبحر البواقيت : يعني الأزهار ،
والشفاق : الحمر ، والبيتان لابن الرومي (كقولهِ بهذا الصباح) فإن الشاعر وهو
محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضع والضياء .

وَالثَّانِي بَيَانُ الْإِهْتِمَامِ بِهِ ، كَتَشْيِيهِ الْجَانِبِ وَجْهًا كَالْبَدْرِ فِي الْإِشْرَاقِ
وَالْإِسْتِدَارَةِ بِالرَّغِيفِ وَيُسَمَّى هَذَا إِظْهَارَ الْمَطْلُوبِ ، هَذَا إِذَا أُرِيدَ الْحَقُّ

واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لا أدري أوجهه أنور أم الصبح ،
وغرته أضوأ أم البدر ، وقولهم إذا أفرطوا : نور الصباح يخفى في ضوء وجهه ،
أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ، ونحو ذلك من وجوه المبالغة ، فإن
في الأول خلافة وشيئا من السحر ليس في ، الثاني وهو كأنه يستكثر للصبح
أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشده واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره
فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكما من غير أن يظهر ادعاءؤه
لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقين على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف
مخالف وتمكيم متهم ، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد ، كان لها نوع
من السرور عجيب فكانت كالنعملة لا تتركها المنة وكالفنمية من حيث لا تحتسب ،
وفي قوله حين يمتدح فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد
إلا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشده من تزيينه
وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس بالإصغاء إليه والارتياح له ، والدلالة
بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا إظهار المطلوب)
قال السكاكي : ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما
يحكى عن صاحب رحمه الله أن قاضي سجستان دخل عليه فوجد صاحب
متفتنا فأخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي وأشار للندماء أن
ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت التوبة إلى شريف
في البين فقال أشبهني إلى النفس من الحيز فأمر صاحب أن يقدم له مائدة .

النقص ، حقيقة أو ادعاء ، بالزائد ، فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه ، احترازاً من ترجيح أحد المتساويين ، كقوله :

تَشَابَهَ دَمِي إِذْ جَرَى وَمَدَامَتِي قِرْنٌ مِثْلُ مَا فِي السَّكْسِ عَيْنِي تَسْكُبُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيُّنَا لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ جُفُونِي أَمْ مِنْ عَابَرِي كُنْتُ أَثَرُ بُ
وَيَجُوزُ التَّشْبِيهُ أَيْضاً كَتَشْبِيهِ غُرَّةِ الْفَرَسِ بِالصُّبْحِ ، وَعَكْسِهِ مَتَى أُرِيدَ ظُهُورُ

(فإن أريد الجمع بين شيئين في أمر) يعني من غير قصد إل أن أحدهما ناقص في ذلك والآخر زائد (كقوله تشابه) وما هو حسن في هذا المعنى قول صاحب بن عباد :

رَقٌّ الزُّجَّاجِ وَرَقَّتِ الظُّفُورُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأُمُورُ
فَسَكَتَمَا حَرٌّ وَلَا قَدْحٌ وَكَأَتَمَا قَدْحٌ وَلَا حَرٌّ

والبيتان لأبي إسحاق الصائبي . ويقال أسبل الدمع والمطر : إذا هطل ، أي سال كثيراً ، وأسبلت السماء كذلك (ويجوز التشبيه أيضاً) يعني عند إرادة الجمع بين شيئين في أمر . قال الشيخ في أسرار البلاغة : جملة القول إنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة الشيء ولم يقصد إلا لإيهام في الناقص أنه كالزائد ، اقتصر على الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة والشكل واللون . أو جمع بين وصفين على وجه يوجد في الفرع على حدة أو قريب منه في الأصل ، فإن العكس يستقيم في التشبيه ، ومتى أريد شيء من ذلك لم يستقم (كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه) مثله تشبيه الشمس بالمرأة المجلوة ، أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال ابن المعتز :

مُنِيرٌ فِي مَظْلَمٍ أَكْثَرُ مِنْهُ - وَهُوَ بِاعْتِبَارِ طَرَفَيْهِ إِنَّمَا تَشْبِيهُ مُفْرَدٍ بِمُفْرَدٍ ، وَمَا
غَيْرُ مُقَيَّدَيْنِ ، كَتَشْبِيهِهِ أَخَذَ بِالْوَرْدِ ، أَوْ مُقَيَّدَانِ كَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَالرَّاقِمِ

وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لِلنَّيِّرَةِ دِينَارًا رَجَلَتُهُ حَدَائِدُ الصَّرَافِ

وعكسه متى قصد إلى مستدير يتلأأ ويبلغ ثم خصوص في جنس اللون
يوجد في المرأة المجولة والدينار المتخاص من حى السكة كما يوجد في الشمس .
ولأن عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرأة والدينار ، وبين الجرمين ،
فإنه ليس شئ من ذلك بمنظور إليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في
الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

وَاللَّيْلُ كَالْحُلَّةِ السَّوْدَاءِ لَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّبَاحِ طِرَازٌ غَيْرُ مَرْقُومٍ (١)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز
في الامتداد والانبساط شديداً (متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه)
يعنى ولم يرد المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ
ونحو ذلك ، إذ لو أريد شئ من هذا لوجب جعل الفرة مشبهاً والصبح مشبهاً
به (كتشبيه الحد بالورد) ومن هذا قوله تعالى : من لباس لكم وأنتم لباس
لهم ، قال الزمخشري : لما كان الرجل والمرأة يمتثلان ويشتمل كل منهما على
صاحبه في عناقه ، شبه باللباس المشتمل عليه ، قال الجهمدى :

إِذَا مَا الصَّبِيحُ نَمَى عَطْفَهَا تَبَثَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسًا

(كقولهم هو كالراقم على الماء) فإن المشبه هو الساعى المقيد بأن

(١) به : أى فيه ، والضمير لليل .

عَلَى الْمَاءِ ، أَوْ مُخْتَلِفَانِ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ وَعَكْسِهِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ

لَا يَحْصُلُ مِنْ سَبْعِهِ عَلَى طَائِلٍ . وَالْمُشَبَّهِ بِهِ هُوَ الرَّاقِمُ الْمُقَيَّدُ بِأَنْ رَقَمَهُ عَلَى الْمَاءِ ،
لَأَنَّ وَجْهَ التَّشْبِيهِ فِيهِمَا هُوَ التَّدْوِيَةُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَعَدَمِهِ ، وَهُوَ مُوقُوفٌ عَلَى اعْتِبَارِ
هَذَيْنِ الْقَيْدَيْنِ . هَذَا وَمَا طَرَفَاهُ مُقَيَّدَانِ قَوْلُهُمْ : هُوَ كَنْ يَجْمَعُ سَيْفَيْنِ فِي غَمْدٍ ،
وَقَوْلُهُمْ : هُوَ كَبْتَفَى الصَّيْدِ فِي عَرِينَةِ الْأَسَدِ ، وَقَوْلُهُمْ : هُوَ كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ
بِعَبْرٍ ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنِّي وَتَرْيِيْنِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا كَمَعْلَقٍ دُرًّا عَلَى خِنْزِيرٍ

فَإِنَّ التَّشْبِيهَ فِيهِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِقَيْدِ اتِّصَافِهِ بِتَرْيِيْنِهِ بِمَدْحِهِ مَعْشَرًا ، فَتَعْلَقُ التَّرْيِيْنُ
أَعْنَى قَوْلِهِ بِمَدْحِي دَاخِلٌ فِي الْمَشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ يَمْلُقُ دُرًّا بِقَيْدِ أَنْ يَكُونَ
تَعْلِيْقُهُ إِيَّاهُ عَلَى خِنْزِيرٍ ، فَالتَّشْبِيهُ مَأْخُوذٌ مِنْ مَجْمُوعِ الْمَصْدَرِ وَمَا فِي صِلَتِهِ ، وَهُوَ أَنَّ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَضَعُ الزَّيْنَةَ حَيْثُ لَا يَظْهَرُ لَهَا أَثَرٌ لِأَنَّ الشَّيْءَ غَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّرْيِيْنِ ،
فَالْوَاوُ فِي قَوْلِهِ وَتَرْيِيْنِي بِمَعْنَى مَعَ ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنِّي كَذَا وَأَنْ تَرْيِيْنِي كَذَا
لَأَنَّهُ لَيْسَ مَعْنَى شَيْئَانِ يَكُونُ أَحَدُهُمَا خَيْرًا عَنْ خَيْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَالْآخَرُ عَنْ
تَرْيِيْنِي لَا يُقَالُ بِتَقْدِيرِهِ : إِنِّي كَمْلَقُ دُرًّا عَلَى خِنْزِيرٍ ، وَأَنْ تَرْيِيْنِي بِمَدْحِي مَعْشَرًا
كَتَعْلِيْقِ دُرٍّ عَلَى خِنْزِيرٍ ، لِأَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يُشَبَّهَ الْمُتَكَلِّمُ نَفْسَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ
بِمَعْلَقِ دُرٍّ عَلَى خِنْزِيرٍ ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ يُشَبَّهُ نَفْسَهُ بِاعْتِبَارِ تَرْيِيْنِهِ بِمَدْحِهِ
مَعْشَرًا (أَوْ مُخْتَلِفَانِ) أَيْ أَحَدُهُمَا مُقَيَّدٌ وَالْآخَرُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ (كَقَوْلِهِ وَالشَّمْسُ
كَالْمِرْآةِ) فَإِنَّ التَّشْبِيهَ هُوَ الشَّمْسُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَالْمُشَبَّهِ بِهِ هُوَ الْمِرْآةُ ، بِقَيْدِ أَنَّهَا
فِي كَفِّ الْأَشْلِ (وَعَكْسِهِ) أَيْ تَشْبِيهِ الْمِرْآةِ فِي كَفِّ الْأَشْلِ بِالشَّمْسِ (وَأَمَّا
تَشْبِيهِهُ مُرَكَّبٌ بِمُرَكَّبٍ) وَجِبِبَ فِي هَذَا أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنَ الْمَشَبَّهِ وَالْمُشَبَّهِ بِهِ هَيْئَةً

رَكَّبَ رَكَّبَ كَا فِي بَيْتِ بَشَارٍ ، وَإِنَّا تَشْبِيهُ مَقَرِّدٍ بِمُرَكَّبٍ ،

عاصلة من عدة أمور ، قال الزمخشري : إن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا
مضما عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها وتشبه كيفية حاصلة
من مجموع أشياء قد تضامنت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحداً بأخرى مثلاً .
اعلم أن هذا القسم ضربان أحدهما مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه
بإيقابه من الطرف الآخر كقوله :

عَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرْفِ أَشْهَبٍ مَاتَى الْجَلَالِ
فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبه به لم يكن شيئا وكقول الآخر :
كَأَنَّمَا الْمَرْيَخُ وَالشَّمْسُ قُدَّامُهُ فِي شَامِخِ الرَّقْمَةِ
مَنْصَرِفٌ بِاللَّيْلِ عَنْ دَعْوَةٍ قَدْ أُسْرِجَتْ قُدَّامَهُ نَمَمَةٌ

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل كان المريخ منصرف
ليل عن دعوة ، كان خلفاً من القول ، والثاني ما يصح تشبيه كل جزء من
مزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحالة تتغير
مثاله قوله :

وَكَاَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا ذُورٌ يُثَرِّنُ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقِ
فإنه لو قيل كان النجوم درر وكان السماء بساط أزرق ، كان تشبيهاً صحيحاً
لأن أين يقع من التشبيه الذي يريك الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعجباً من
رغ النجوم مؤلفة متفرقة في أديم السماء وهي زرقاء زرقعتها الصافية (كما في
نه بشار) وهو قوله :

كَأَنَّ مِثَارَ النِّعَمِ فَوْقَ رُؤُسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

كأَمْرٍ ، مِنْ تَشْبِيهِ الشَّقِيقِ ، وَإِنَّمَا تَشْبِيهُ مُرَكَّبٍ بِمُفْرَدٍ ، كَقَوْلِهِ :
يَا صَاحِبِي تَقْصِيًّا نَظْرِيكَأ تَرِيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوِّرُ
تَرِيَا مَهَارًا مُشْمِسًا قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِّي فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقِمَّرُ
وَأَيْضًا إِنَّ أَمَدَدَ طَرَفَاهُ فَلَيْثَمًا مَلْفُوفٌ ، كَقَوْلِهِ :
كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَبَابِئِذَا لَدَى وَكُرِّهَا الْمُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وقد سبق شرحه ، ومثله في ذلك قول البحري :

تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ صُعُودَ الْبَرْقِ فِي النَّهْمِ الْجَهَامِ^(١)
لا يريد به تشبيه يياض الحجول على الافراد بالبرق ، بل مقصود الهيئة
الحاصلة من مخالطة أحد الشيثين بالآخر (من تشبيه الشقيق) أي وهو مفرد
بأعلام باقوت نثرن على رماح من زبرجد ، وهو مركب من عدة أمور
(كقوله يا صاحبي) البينان لأن تمام من قصيدة يمدح بها المهضم . قوله تقصيا :
أبلغنا أقصى نظركما بالمبالغة في تحقيق النظر . وقوله تصور : أصله تتصور حذف
التاء ، وشابه : غلبه ، والربا جمع ربوة : وهي المكان المرتفع ، وقوله فكأنما
هو مقمر : معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثره قد صار لونه إلى
الاسوداد فقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو
ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أي قول امرئ القيس
يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور . فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير
بالمُنَاب واليابس العتيق منها بالحشف^(٢) البالي ، إذ لبس في اجتماعهما

- (١) الجهام : السحاب لا ماء فيه ، و يصعدن فيه : أي في الفرس المحجل .
(٢) الحشف : أردأ القر ، ووصفه بالبالي تأكيذاً .

أو مفروق، كقوله :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمَمٌ
وَإِنْ تَمَدَّدَ طَرَفُهُ الْأَوَّلُ فَتَنْشِيئُهُ التَّنْوِيَّةُ، كقوله :
صُدَّغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كَلَامُهَا كَالْيَالِي
وَإِنْ تَمَدَّدَ طَرَفُهُ الثَّانِي فَتَنْشِيئُهُ الْجُمْعُ، كقوله :

هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ؛ ولنا قال الشيخ في أسرار البلاغة : إنه إنما يستحق التفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن للجمع فائدة في عين التشبيه (أو مفروق) وهو أن يؤق بمشبه ومشبه به ، ثم آخر وآخر ، كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمَمٌ
النشر : الرائحة ، والدم شجر أحمر لين الأغصان يشبه به أكف الجوارى .
المخضبة . ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَاتَتْ خُوطَ نَانٍ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَرَالِمًا
(الأول) أى المشبه (الثانى) أى للمشبه به (كقول) البحرى من
قصيدة أولها :

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ
كأنما يبسم البيت فقد شبه نغرا غيده كما ترى ثلاثة أشياء ، ومنضد : منظم ،
والبرد : هو حب المنام ، والآحاج جمع أقحوان : نور يتفتح كالورد وأوراقه

كَأَنَّمَا يَنْسِمُ عَنْ لَوْلِيٍّ مُنْضِدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفَاحٍ
وَبِاعْتِبَارِ وَجْهِهِ إِمَّا تَمْثِيلٌ ، وَهُوَ مَا وَجَّهَهُ مُنْتَزِعٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ ، كَمَا
مَرَّ ، وَقِيْدُهُ السَّكَاتِيُّ يَكُونُهُ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ ، كَمَا فِي تَشْبِيهِهِ مَثَلُ الْيَهُودِ
يُمَثِّلُ الْحَارِ ، وَإِمَّا غَيْرُ تَمْثِيلٍ وَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَأَيْضًا إِمَّا مُجْمَلٌ ، وَهُوَ مَا لَمْ

في شكلها أشبه شيء بالإنسان في اعتدالها . هذا ومن تشبيه الجمع قول صاحب ابن
عباد في وصف أبيات أهديت إليه :

أَتَتْنِي بِالْأُنْسِ أَيْسَانُهُ تَمَثَّلُ رُوحِي بِرُوحِ الْجِنَانِ
كَبَرْدِ الشَّبَابِ وَبَرْدِ الشَّرَابِ وَظِلُّ الْأَمَانِ وَتَبِيلُ الْأَمَانِي
وَعَهْدِ الصَّبَا وَنَسِيمِ الصَّبَا وَصَفْوِ الدُّنَانِ وَرَجْعِ التِّيَّانِ
ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الدَّمَاءَ وَصَوْبَ النِّعَامِ وَرِيحَ الْخُرَاقِ وَنَشْرَ الْقَطَرِ
يُمَثِّلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَاسِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْبُسْتَجِرِ

إِلَّا أَنَّ فِيهِ شَوْبًا مِنَ الْقَصْدِ إِلَى هَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِ (كَأَمْرٍ) مِنْ نَحْوِ تَشْبِيهِهِ الْمَرَاةَ فِي
كَفِ الْأَشْلِ ، وَالتَّشْبِيهِ فِي بَيْتِ بَشَارِ :

كَأَنَّ مَثَارَ النِّعَمِ فَوْقَ رُؤْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَادِي كَوَاكِبِهِ
(وَقِيْدُهُ السَّكَاتِيُّ يَكُونُهُ غَيْرَ حَقِيقِيٍّ) وَإِلَيْكَ عِبَارَتُهُ . اعْلَمْ أَنَّ التَّشْبِيهِ مَتَى كَانَ
وَجْهًا وَصَفًا غَيْرَ حَقِيقِيٍّ وَكَانَ مُنْتَزِعًا مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ ، خُصَّ بِاسْمِ التَّمَثِيلِ كَالَّذِي
فِي قَوْلِهِ :

اضْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْعَسْوِ دِ قَلْبٍ صَبْرِكَ قَاتِرُهُ

يَذْكُرُ وَجْهَهُ ، فَمِنْهُ ظَاهِرٌ يَقْتَضِيهِ كُلُّ أَحَدٍ نَحْوُ : زَيْدٌ أَسَدٌ ، وَمِنْهُ خَفِيَ
لَا يَذْكُرُهُ إِلَّا الْخَاصَّةُ ، كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : هُمْ كَالْحَلِيقَةِ الْمُرْغَةِ لَا يَذْكُرُ .

قَالَتَارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فإن تشبيه الحسود الذي يحرم القول بالنار التي لا تمتد بالحطب فيسرع فيها
الفناء ، ليس إلا في أمر متوهم له . وهو ما توهم إذا لم تأخذ معه في القول مع
عليك بطلبه إياه ، عسى أن يتوصل به إلى فنة مصدر من قيامه إذا ذاك مقام
أن تمنعه ما بعد حياته ليسرع فيه الهلاك ، وأنه كما ترى متزع من عدة أمور
وكالذي في قوله :

وَإِنْ مِنْ أَدْبَيْتِهِ فِي السَّيِّئَاتِ كَأَنَّمُودُ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرَسِهِ

حَقِّ تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يَبْسِهِ

فإن تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى ، أو أن الفرس الموقى بأوراقه
ونضرت له ليس إلا فيما يلازم كونه مذهب الأخلاق مرضى السيرة حميد الفعال
لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه وكالاستحسان
حاله ، وإنه كما ترى أمر تصوري لصفة حقيقية وهو مع ذلك متزع من عدة
أمور (ومنه خفي) قال الشيخ الإمام : وأما ما يدق ويغض حتى يحتاج في
استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة ، فنحو قول كعب الأشقرى وقد أوفده
المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله
في آخر القصة ، قال فكيف كان بنو المهلب فيهم ^(١) ، قال كانوا حماة السرح نهاراً
فاذا ألبوا ففرساق الليات ، قال فأيهم كان أنجد ، قال كانوا كالحلقة المفرغة .

أَيْنَ طَرَفَاها ، أَيْ هُم مُتَنَاسِبُونَ فِي الشَّرَفِ ، كَمَا أَنَّهَا مُتَنَاسِبَةُ الْأَجْزَاءِ
فِي الصُّورَةِ . وَأَيْضًا مِنْهُ مَا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ وَصَفُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ ، وَمِنْهُ
مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُ الْمُسَبِّحِ بِهِ وَحْدَهُ ، وَمِنْهُ مَا ذُكِرَ فِيهِ وَصَفُهُمَا ،
كَقَوْلِهِ :

صَدَقْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدِفْ مَوَاهِبُهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَلَمٌ فَلَمْ يَجِبْ
كَالْفَيْثِ إِنْ حِثُّهُ وَأَفَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجَّ فِي الطَّلَبِ

لا بدري أين طرفاها ، فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ،
الآ ترى أنه لا يضمنه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ،
انتهى كلام الشيخ . وأصل المثل لقاطمة بنت الحرشب الأنمارية إحدى المنجيات
في الجاهلية سألتها أبو سفيان أي بنيك أفضل ، فقالت الربيع لا بل عمارة لا بل
أنس الفوارس ، فكلهم إن كنت أدري أيهم أفضل ، ثم كالحلقة إلى آخره ،
أخذه كعب الأشقرى ووصف به بنى الملب (كما أنها) أي الحلقة المفرغة
(متناسبة الأجزاء في الصورة) فيمتنع تبين بعضها طرفاً وبعضها وسطاً
لكونها مفرغة مصمتة الجوانب كالدائرة (منه) ، أي من المجمل (كقوله)
أي قول أبي تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين :

سَتَصْبِيحُ الْمَيْسُ فِي وَاللَّيْلُ عِنْدَ قَتَى كَثِيرٍ ذِكْرِ الرِّضَى فِي سَاعَةِ الْقَضَبِ
قوله صدقت : معناه أعرضت ، وقوله ريقه : معناه أوله وأحسنه ، يقال
فعله في ورق شبابه وريقه : أي أوله ، وأصابه ريق المطر وريق كل شيء : أفضله .
فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بأن عطاياه قاطضة عليه ، أعرض أولم
يعرض ، وكذا وصف الفَيْث بأنه يصيبك جثته أو ترحلت عنه ، والوصفان

وَإِنَّمَا مُقْصَلٌ، وَهُوَ مَا ذُكِرَ وَجْهُهُ، كَقَوْلِهِ :

وَتَفَرُّهُ فِي صَفَاءِ * وَأَدْمَعِي كَاللَّالِي

وَقَدْ يَنْسَامِحُ بِذِكْرِ مَا يَسْتَتِيعُهُ مَكَانَهُ ، كَقَوْلِهِمْ لِلْكَلَامِ

دالان على وجهه الشبه ، أعنى الإفاضة في حالى الطلب وعدمه ، وحالى الإقبال عليه والإعراض عنه (كقوله وتفره) مثله قول أبي بكر الخالدي :

يَا شَبِيَّةَ الْبُدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءًا وَمَنَالًا

وَشَبِيَّةَ النَّفْسِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا

أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنِسْبًا وَمَنَالًا

زَارَنَّا حَتَّى إِذَا مَا سَرَّنا بِالقُرْبِ زَالًا

وفول ابن الرومي :

يَا شَبِيَّةَ الْبُدْرِ فِي الْخُسْنِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَانِ

جَدُّ فَقَدْ تَنَفَّجِرُ الصَّخْرَةُ بِالمَاءِ الرَّالَانِ

(وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه) قال السكاكي : اعلم أنه ليس بملتزم فيما بين أصحاب علم البيان أن يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو به ، بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما إذا أنعمت فيه النظر لم تجده إلا شيئاً مستتبعا لما يكون وجه التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه عليه ، من ذلك قولهم في الألفاظ إذا وجدورها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوقة ، ولا مما تشبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها وتضمنز عنها النفس : هي كالعمل

القصيح : هو كالتسل في الخلاوة ، فإن الجامع فيه لازمها ، وهو ميل الطبع ، وأيضاً إما قريب مبتذل ، وهو ما ينتقل فيه من الشبهة إلى

في الخلاوة وكلامه في السلاسة وكالتسيم في الرقة ، وقولهم في الحجة المطلوب بها قلع الشبهة من صادفوها ، معلومة الأجزاء يقينية التأليف قطعية الاستلزام ، هي كالتمس في الظهور ، فيذكرون الخلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه الشبه ، على أن وجه الشبه في المآل هناك شيء غيرها ، وذلك لازم الخلاوة وهو ميل الطبع إليها ومحبة النفس ورودها عليها ، ولازم السلامة والرقة وهو إقادة النفس نشاطاً والإهداء إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، فشأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهي الذي يلد طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع إليه ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذي يفساغ في الحلق ويشدر فيه أجلب انحدار للراحة ، ومع النسيم الذي يسرى في البدن ، فيتخلل المسالك اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً ويهديان إلى الصدر انشراحاً وإلى القلب روحاً ، ولازم الظهور وهو إزالة الحجاب ، فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة في كونهما معهما كالمحجوبين ، وانقلاب حالهما إلى خلاف ذلك مع الحجة إذا بهرت والشمس إذا ظهرت ، وتساعهم هذا لا يقع إلا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه ، وأقول يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تساعهم هذا (وأيضاً إما قريب) اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة كما قيل غير معرفته من طريق التفصيل . فكلام المصنف هنا وإن كاد يكون مفهوماً فإن تمام البيان فائدة لا ينكرها المحي ، وذلك أنهم للعرض وأشتى للنفس فتقول : إن الشبه إما قريب يقع في الوهم من أول النظر

المُشَبَّه بِهِ مِنْ غَيْرِ تَدْقِيقِ نَظَرٍ ، لِظُهُورِ وَجْهِهِ فِي بَادِي الرَّأْيِ ، لِكَوْنِهِ
أَمْرًا جَلِيًّا ، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ أَسْبَقُ إِلَى النَّفْسِ ، أَوْ قَلِيلِ التَّفْصِيلِ مَعَ غَلَبَةِ

ولما غريب لا ينزع إليه الخاطر إلا بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك
للهم ، فالقريب مثل ما إذا أخطرت بالبال استدارة الشمس ونورها وقعت
المرأة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيها ، وكذلك إذا نظرت إلى الوشي
مفتشوراً وتطلبت لحسنه ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شهاً حضرك ذكر
الروض مطوراً مفترأ عن أزهاره متبهما عن أنواره ، وكذلك إذا نظرت إلى
السيف الصقيل عند سله وبريق منته لم يتباعد عنك أن تذكر لعمان البرق وإن
كان هذا أقل ظهوراً ، وأما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرأة في كف
الآشل ، وتشبيه البرق بأصبع السارق في قول كشاجم :

أَرِقْتَ أَمْ نَمْتَ لَصَوْءِ بَارِقٍ مُؤْتَلِقٍ مِثْلِ فُؤَادِ الْعَاشِقِ

كَأَنَّهُ أَصْبَعُ كَفِّ السَّارِقِ

وإن أردت أن تعلم السبب في سرعة بعض التشبه إلى الفكر وإليه بعض أن
يكون له ذلك الإسراع فإن ههنا ضربين من العبرة أولها أنا نعلم أن الجملة أبدأ
أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وأنت تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى
التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول الوصف على الجملة ثم ترى التفصيل عند
إعادة النظر ، ولذلك قالوا النظرة الأولى حمقاء ، وقالوا لم ينعم النظر ولم
يستغص التأمل ، وهكذا الحكم في السمع وغيره من الحواس ، فإنك تدرك
من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم تدرك في الأولى ، فمن يروم
التفصيل كن يبتغي الشيء من بين جملة يريد تمييزه عما اختلط به ومن يروم

خُصُورِ الشَّيْءِ بِهٖ فِي الذَّهْنِ ، إِمَّا عِنْدَ خُصُورِ الشَّيْءِ ، لِقُرْبِ الْمُنَاسَبَةِ

الإجمال كن يريد أخذ الشيء جزأاً وجزأاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى
الجل أبدأ تسبق إل الذهن وتقع في الحاطر أولاً ، وترى التفاصيل مغمورة فيما
بينها لا تحضر إلا بعد إعمال الرويه واستماعة بالتذكر ، ويتفاوت الحال والحاجة
إلى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان
أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التوقف والتذكر أكثر والفقر إلى التأمل
والقهل أشد ، وإذا قد عرفت هذه العبرة فلا تشارك في الصفة إذا كان من
جهة الجملة على الإطلاق بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل نحوه : إن كلام
الشيئين أسود أو أحمر فهو يقل عن أن يحتاج فيه إلى قياس وتشبيه فإن دخل
في التفصيل شيئاً نحو : إن هذا السواد صاف براق والحررة دقيقة ناصعة ،
احتجت بقدر ذلك إلى إدارة الفكر ، وذلك مثل تشبيه حررة الخند بحمرة التفاح
والورد ، فإن زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ،
أزداد الأمر قوة في اقتضاء الفكر ، وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك
في قول غيلان :

وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْضِعِهِمْ وَكَرَا

والعبرة الثانية أن مما يقتضى كون الشيء على الذكر وثبوت صورته في النفس
أن يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده في مواقع الإبصار ، وإن تدركه
الحواس في كل وقت أو في أغلب الأوقات ، وبالعكس وهو أن من سبب
بعد ذلك الشيء عن أن يقع ذكره بالحاطر وتعرض صورته في النفس قلة رؤيته
وأما ما يحس على طريق الندرة ، وإذا كان ذلك كذلك بأن منه أن كل شيء
رجع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن ترى وتبصر أبدأ ، فالتشبيه

كَتَشِيهِ الْجُرَّةُ الصَّغِيرَةَ بِالسُّكُوزِ فِي الْمِقْدَارِ وَالشَّكْلِ ، أَوْ مُطْلَقًا

المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالضد من هذا ، وفي الناية القصوى من مخالفته ، فالتشبيه المردود إليه غريب نادر بدیع ، ثم إن التفصيل وإن كانت دقائقه لا تكاد تضبط ، إلا أن الأغلب الأعراف منها وجهاً : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتضع بعضاً ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

حَمَلْتُ رَدْيِيًّا كَانَ سِفَانَهُ سَفَا لَيْبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

فحمل الدخان عن السنا وأنبته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الخدق عن الجفون وأنبته مفردة فيما شبه وذلك قوله :

* لَهَا حَدَقٌ لَمْ يَتَّصِلْ بِجَفُونِ *

والثاني أن تنظر من المنبته في أمور لاعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك في تشبيه الثريا بالمنقود الأنجم أفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبارك في المنقود المنور من الملاحظة مثل ذلك هو بعده ، فإن توافقت نفسك إلى شيء من الشرح لعبارة المصنف فأليك ذلك . فوله أو قائل : التفصيل معطوف على أمراً جلياً ، وقوله : اقرب المناسبة ، يعني بين المشبه والمشبه به ، وقوله أو مطلقاً : معطوف على قوله عند حضور المشبه ، وقوله لتكرره : علة لغلبة المشبه به مطلقاً ، وقوله : لمعارضه الخ ، يعني وإنما كانت قلة التفصيل في وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة أو التكرار على الحس سبباً لظهوره المؤدى إلى الابتذال مع أن التفصيل من أسباب الغرابة ، لأن قرب المناسبة في الصورة الأولى والتكرار على الحس في الثانية ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الابتذال من المشبه إلى المشبه به ، فيصير وجه الشبه كأنه أمر جلي لا تفصيل فيه ، فيصير سبباً للابتذال ، وقوله كما مر : يعني في تشبيه البنفسج بنار

لِتَكْرِرْهُ عَلَى الْحَسِّ ، كَالشَّمْسِ بِالرَّيَاةِ الْمَجْلُوءَةِ ، فِي الْإِسْتِدَارَةِ وَالْإِسْتِنَارَةِ ،

الكبريت ، وقوله لكونه وهماً الخ : فالوهمى كتشبيه نصال السهام بأنياب
الأغوال ، والخيال كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من
الزبرجد ، والبقلى كتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الخناير يحمل أسفاراً ، وقد
مر ذلك ، فأنت ترى أن كلا سبب لندرة حضور المشبه به في الذهن ، وقوله
أو لقلة : معطوف على قوله لكونه وهماً ، وقوله فالغربة فيه : أى في تشبيه
الشمس بالمرآة في كشف الأنس ، وقوله من وجهين : فأحد الوجهين كثرة الانسداد ،
وثانيهما : قلة تكرره على الحس . هذا ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل
ومجيب قول ابن المعتز :

كَأَنَّا وَضَوْهُ الصَّبِيحَ يَسْتَعِجِلُ الدُّجَى نَظِيرٌ غَرَاباً ذَا قَوَادِمَ جُؤُنٍ^(١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغرابان ، ثم شرط أن
تكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلة يقع في حواشيها
من حيث تلي معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل فيها في العين كشكل قوادم
إذا كانت بيضاء ، وتتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شيء آخر وهو
أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفر الدجى
ويستعجلها ، ولا يرضى منها أن تتمهل في حركتها ، ثم لما بدأ بذلك أولاً اعتبره
في التشبيه آخراً ، فقال : نظير غراباً ولم يقل غراباً يطير مثلاً ، وذلك أن
الغراب وكل طائر إذا كان واقعاً هادئاً في مكان فأنزعج وأخيف وأطير منه

(١) قوادم الطير : مقادير ريشه ، وهي عشرة في كل جناح ، والجون
بالضم : جمع جون بالفتح ، والمراد به هنا الأبيض .

لِمَا رَضِيَ كُلٌّ مِنَ الْقُرْبِ وَالْكَرَارِ التَّفْصِيلِ ، وَإِمَّا بَعِيدٌ غَرِيبٌ وَهُوَ
بِخِلَافِهِ لِعَدَمِ الظُّهُورِ ، وَإِمَّا لِكثَرَةِ التَّفْصِيلِ كَقَوْلِهِ * وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ

أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرخ لطيرانه
وأعجل ، وأمد له وأمد لأمده ، فإن تلك الفرعة التي تعرض له من تنفيره أو
الفرعة التي تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته ، مما دعت إلى أن يستمر
حتى يغيب عن الأفق ويصير إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا
طار عن الاختيار ، لأنه يجوز حينئذ أن يصير إلى مكان قريب من مكانه
الأول ، وأن لا يسرع في طيرانه بل يمشى على هيئة ويتحرك حركة غير المتعجل
واعلم أن هذا الأمر وهو التفصيل بتفاوت حاله ، فنه ما يبلغ من كرم الموقع
ولطف التأثير في النفس مبلغاً لا يدرك شأوه ، ومنه مادون ذلك ، وبين هذا
بالمقالة ، فأنت إذا قابلت قول بشار : كأن مثار النقع البيت ، بقول المتنبي :

يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عِجَاجَةٍ أَسَلَّتْهُ فِي جَانِبَيْهَا السَّكْوَا كَبُ

أو قول عمرو بن كلثوم :

تَغْفِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُوسِهِمْ سَفَا كَوَاكِبُ الْبَيْضِ الْمَبَاتِيرُ

وجدت لبيت بشار من الفخامة والنبيل والرفعة والشرف ، ما لا يوجد
لصاحبه ، ذاك لأن كلا منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه ، إلا أنه اقتصر
على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف في أنماء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم
يقصر على ذلك كما يبداه فيما تقدم ، وكذلك تجد قول ابن المعتز في الأذريون :

مَذَاهِنُ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةِ

أغلى وأفضل من قوله :

فِي كَفِّ الْأَعْلَى * أَوْ تُدَوِّرُ حُصُورَ الْمَشْبَهَةِ بِهِ ، إِنَّمَا عِنْدَ حُصُورِ الْمَشْبَهَةِ لِيُؤْمِدَ
النَّاسِيَةَ كَمَا مَرَّ ، وَإِنَّمَا مُطْلَقًا لِيَكُونَهُ وَهْمًا أَوْ مُرَكَّبًا خَيَالِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا
كَأَمَرًا ، أَوْ لِقِلَّةِ تَكَرُّرِهِ عَلَى الْحِسِّ كَقَوْلِهِ : وَالشَّمْسُ كَالْمِرْآةِ ، فَأَقْرَابَةٌ
فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ ، وَلِلْمُرَادِ بِالتَّفْصِيلِ أَنْ تَنْظُرَ فِي أَكْثَرِ مِنْ وَصْفٍ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، أَعْرِفَهَا أَنْ تَأْخُذَ بَعْضًا وَتَدَعِ بَعْضًا كَمَا فِي قَوْلِهِ :

حَمَلْتُ رُذَيْنِيًّا كَانَ سِنَانَهُ * سَنًا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِذَخْنٍ
وَأَنْ تَعْتَبِرَ الْجَمِيعَ ، كَمَا مَرَّ ، مِنْ تَشْبِيهِ النَّارِ ، وَكَلَّمَكَ كَانَ النَّارُ كِيبَ

وَطَافَتْ بِهَا سَائِي أَدِيبٌ يُمِيزُكَ كَخِنْجَرٍ عَيَّارٍ صِنَاعَتُهُ الْفَتْلُ (١)
وَحَمَلْ أَدْرُونَةَ فَوْقَ أَذْنِهِ كَكَاسٍ عَقِيقٍ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكٌ
ذَاكَ لِأَنَّ السَّوَادَ الَّذِي فِي بَاطِنِ الْأَذْرُونَةِ الْمَوْضُوعِ بِإِزَامِهِ الْعَالِيَةِ ، وَالْمَسْكُ
فِيهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَامِلٍ لَهَا ، وَالثَّانِي أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرْ فِي قَعْرِهَا بَلْ ارْتَفَعَ
مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ شَيْئًا مِنْ سَمَكِهَا مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ وَلَهُ فِي مُنْقَطِعِهِ هَيْئَةٌ تَشَبَّهُ بِآثَارِ الْعَالِيَةِ
فِي جَوَانِبِ الْمَدْهَنِ إِذَا كَانَتْ بَقِيَّةُ بَقِيَّتِ عَنِ الْأَصَابِعِ ، وَقَوْلُهُ فِي قَرَارَتِهَا مَسْكٌ :
يُمَيِّنُ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَيُؤْمِنُ مِنْ دُخُولِ النَّصِّ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ يَدْخُلُ لَوْ قَالَ فِيهَا
مَسْكٌ وَلَمْ يَشْتَرَطْ أَنْ يَكُونَ فِي الْقَرَارَةِ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَلَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ
قَوْلُهُ : بَيَّابًا غَالِيَةً ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمَسْكِ وَالشَّيْءِ الْيَابِسِ إِذَا فَصَلَ
فِي شَيْءٍ مُسْتَدِيرٍ لَهُ قَعْرٌ أَنْ يَسْتَدِيرَ فِي الْقَعْرِ وَلَا يَرْتَفِعُ ، فِي الْجَوَانِبِ وَالْإِرْتِفَاعِ

(١) يَصِفُ الْخَرَّ : لِلْبُزْلِ مَا يَصْقَى بِهِ الشَّرَابُ ، وَالْأَذْرُونَةُ : وَرْدٌ لَهُ
أَوْرَاقٌ حُمْرٌ فِي وَسْطَةِ سَوَادٍ لَهُ نَبْوٌ وَارْتِفَاعٌ وَعَدَّ يَكُونُ أَحْضَرُ .

مِنْ أُمُورٍ أَكْثَرَ كَانَ التَّشْبِيهُ أَعَدَّ ، وَالتَّبْلِيغُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .
لِغَرَابِئِهِ ، وَلِأَنَّ تَبْلِيلَ الشَّيْءِ مَدَّ طَعْمَهُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ يُتَصَرَّفُ فِي الْقَرِيبِ بِمَا
يَجْعَلُهُ غَرِيبًا كَقَوْلِهِ :

الذي في سواد الأذريوتة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ثم تأخذ بالأصابع فلا بد
في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لنعومتها ترق فتكون
كالصبيغ الذين لا يظهرون له جرم وذلك أصدق للتشبه (والتبليغ ما كان من هذا
الضرب) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علينا مذموم ،
لأننا نقول التعقيد كما سبق له سبيان : الأول : سوء ترتيب الألفاظ ، والثاني :
اختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو المقصود باللفظ ،
والمراد بعد الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ، أو ترتيب بعض
المعاني على بعض ، فإن المعاني الشريفة لابد فيها في غالب الأمر من بناء ثان
على أول ورد نال إلى سابق . قال الشيخ : وهل شيء أحلى من الفكرة إذا
استمرت وصادفت نهجاً قوياً ، وطريقة تنقاد وتبينت لها الناية فيما ترتاد .
قال الجاحظ . في أثناء فصل يذكر فيه مافي الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة
الهيمة بالعاوفة ، ولذة السبع بطاع الدم ، وأكل اللحم من سرور الظفر
بالأعداد ، ومن انفتاح باب العلم بعد إيمان قرعه . وبعد ، فإذا أعدت الحلبات
لجري الجياد ، ونصبت الأهداف ليعرف فضل الرماة في الأبعاد والسداد ،
فرهان العقول التي تسبق ونضالها التي تمتحن قواها في تماطيه هو الفكر
والروية والاستنباط (ولأن نيل الشيء بعد طلبه ألد) ولذلك ضرب المثل لكل
ما لطف موقعه يبرد الماء على الظلما كما قال القطامي :

زَهْنٌ يَغْبِذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصَيِّنْ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي النَّائِلَةِ الصَّادِي .
(وقد يتصرف في القريب بما يجعله غريباً) وهذا على وجوه ، منها أن .

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَيْسَ فِيهِ حَيَاةٌ
وقوله :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِيًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفُولُ
وَيُسَمَّى هَذَا التَّشْبِيهُ لِلشَّرْطِ : وَبِاعْتِبَارِ أَذَانِهِ إِمَامُؤُكَ كَدُّ ، وَهُوَ

يكون كقول أبي الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز .
لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس به حياة
وقول الآخر :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَدْرِ تَطْلُعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَأَحْسِلَامُ نَأْمُرُ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّايِكِ يُوشِعُ
فإن تشبيهه وجوه الحسان بالشمس مبتدل ، لكن كل واحد من حديث
الحياة في الأول ، والتشبيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني ، أخرجه من
الابتدال إلى الترابية ، وشيخه بل ول قول الآخر :

إِنَّ السَّحَابَ لَقَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَلَسْتُهُ بِمَا فِيهَا
ومنها أن يكون كقول الطوطا :

عَزَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِيًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفُولُ
وقوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِيَن قَمَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تِلْكَ ذَوَابِيَن^(١)

مَأْخُذَتْ أَدَانُهُ ، مِثْلُ : وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَمِنْهُ نَحْوُ :
وَالرَّيْحُ تَعَبَتْ بِالْفُصُونِ وَقَدْ جَرَى * ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

وقوله :

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ النِّيبِ مُنْكَبًا لَوْ كَانَ طَائِقُ الْحَيَا يُمِيطُ الذَّهَبَا
وَالْبَدْرُ لَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَالْأَسَدُ لَوْ لَمْ تُصَدِّ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا

وهذا يسمى التشبيه المشروط ، ومنها أن يكون كقوله :

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَصَبِ نَصِيبٌ مِنْ ثَلَاثِهَا

وقول ابن بابك :

أَلَا يَارِ يَاضُ الْكُزْنِ مِنْ أَبْرِقِ الْحَبِي نَسِيمِكَ مَسْرُوقٌ وَوَصْفِكَ مُنْتَحَلٌ
حَكَمْتَ أَبَا سَعْدٍ فَذَسَرُهُ نَشْرُهُ وَلَكِنْ لَهُ صِدْقُ الْهَوَى وَلَكِ الْمَالُ

وقد يفرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله :

كَتَمْنَا يَسِمَ عَنْ لَوْلُو مَنْعَدٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَنْفَاجٍ

كما يرداد بذلك لطفاً وغرابة ، كقول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّلًا ظَلِي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءَ نِيرْحَانٍ وَتَقَرِيبُ تَنْفَلٍ^(١)

(والريح تعبت بالفصون) البيت لابن خفاجة الأندلسي وعبت الريح بالفصون

(١) شبه حاصرقي هذا القرس بخاصرقي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه

بساق النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب

ولد الثعلب ، فجمع بين أربعة تشبيهات كما ترى ، والإرخاء : ضرب من عدو

الذئب ، والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو .

أَوْ مُرْسَلٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ ، كَمَا مَرَّ . وَبِاعْتِبَارِ الْفَرْضِ إِنَّمَا مَقْبُولٌ وَهُوَ
الْوَاقِعُ بِإِفَادَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَكُونُ لِلْمُشَبَّهِ بِوَاعْرِفُ بَوَاجِهِ الشَّيْءِ فِي بَيَانِ الْحَالِ ،
أَوْ أَتَمَّ شَيْءٍ فِيهِ فِي الْحَقِيقِ النَّاقِصِ بِالْكَامِلِ ، أَوْ مُسَلَّمِ الْخُصْمِ فِيهِ ،
مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ الْمُخَاطَبِ فِي بَيَانِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ مَرْدُودٌ وَهُوَ بِخِلَافِهِ

عادة عن إلامتها إليها . والأصيل : هو الوقت بعد العصر إلى الغروب ،
يوصف بالصفرة ويعد من أطيب الأوقات كالسحر قال :

وَبُيِّ نَهَارٍ لِلْفِرَاقِ أَصِيلُهُ وَوَجْهِي كَلَّا لَوْ تَنِيَمَا مُتَنَاسِبُ
قال الأبيوردي :

لَيَالِيهِ أَشْحَارٌ وَفِيهِ هَوَاجِرٌ كَمَا خَصَلَتْ وَالشَّمْسُ تَنْفُسُ أَصَالُ
فذهب الأصيل : صفته وشعاع الشمس فيه ، وقوله على لجين الماء ، فالجين
الفضة : أى على ماء كالفضة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر يصف
التمز لآخر الشهر قبل السرار :

كَأَنَّمَا أَذْهَمُ الْإِظْلَامُ جِينَ نَجْمَا مِنْ أَشْتَبِ الصَّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ
وقول الشريف الرضى :

أَرْمَى النَّسِيمُ بِوَادِيكُمْ وَلَا بَوَّجَتْ حَوَامِلُ الْمَزْنِ فِي أَجْدَانِكُمْ تَصْعُ
وَلَا يَزَالُ جَنِينُ النَّبْتِ تَوَحُّدُهُ عَلَى قُبُورِكُمْ الدَّرَاضَةُ النَّهْجُ (١)
(وهو بخلافه) أى ما ذكر أداته وصار مرسلًا من التأكيد المستفاد من
حذف الأداة المشعر بحسب الظاهر أن المشبه هو المشبه به (كما مر)
من الأمثلة المذكور فيها أداة التشبيه (وهو بخلافه) أى القاصر عن إفادة

(١) الأحداث : القبور ، والمرأضة : السحاب ذو الرعد والبرق والمعم الماطرة .

(خاتمة) أعلى مراتب التشبيه في قوة المبالغة باعتبار ذكر

الغرض . (تكملة) ذهب بعض الناس إلى أنه لا فرق بين نحو قولك : رأيت أسداً يرمى ، وبين قولك : زيد أسد ، وأن الثاني استعارة كالأول وليس بتشبيه والصواب بمنزلة عن ذلك . قال الإمام عبد القاهر ما خواه : إنه إذا جرى في الكلام لفظ ذلك التورية إلى تشبيه شيء بمعنى ، كان ذلك على وجهين : أحدهما أن يسقط ذكر المشبه من البين حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته ، كقولك : عنت لنا طليبة وأنت تريد امرأة ، ووردنا بحراً وأنت تريد المدوح وهذا نقول فيه إنه استعارة لانتحاشي بته . والثاني : أن يكون المشبه مذكوراً مقدراً وحيداً فالمشبه به إن كان خبراً أو منزلاً منزله ، يعني أن يكون خبر كان وإن ومفعولاً ثانياً لباب علت وحالا ، فالوجه أن هذا يسمى تشبيهاً ولا يطلق عليه الاستعارة ، لأن المشبه به إذا وقع هذه المواضع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت زيد أسد ، فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد . وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له فيكون اجتهاداً لإثبات التشبيه ، فيكون خليفاً بأن يسمى تشبيهاً إذا كان إنما جاء ليفيده ، بخلاف الحالة الأولى فإن المشبه به فيها لم يحتل لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت جاءني أسد ورأيت أسداً ، فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرقبة واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد للشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وكان قصد التشبيه أمراً مطوياً في النفس مكتوباً في الضمير لا إمام إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر والتأمل ، وإذا افرقت الصورتان هذا لا تراق ، مناسب أن يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بأن تسمى إحداهما

أَرْكَانَهُ كُلَّهَا أَوْ بَعْضُهَا حَذَفُ وَجْهِهِ وَأَدَانِهِ ، فَقَبْطُ ، أَوْ مَعَ حَذَفِ الشَّيْءِ

تشبيهاً والآخرى استعارة . ثم قال : فإن أبيت إلا أن تطلق الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة كقولك : زيد الأسد وهو شمس النهار ، فإنه يحسن أن يقال : زيد كالأسد وخلته شمس النهار ، وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نسكرة غير موصوفة ، كقولك زيد أسد ، فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد ، ويحسن أن يقال : كأن زيدا أسد ، ووجدته أسداً ، وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا تغيير لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نسكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب ، وكقولك :

كَمِمْسٍ تَأْتِي وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَيْنًا وَبَدْرًا وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ .

فإنه لا يحسن دخول السكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها ، إلا بتغيير صورته ، كقولك هو كالبدور إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنها لا تغيب . وكالشمس المتألفة إلا أن الفراق غروبها ، والبدور إلا أن الصدود كسوفه . وقد يكون في الصفات التي تجيء في هذا النحو ، والصلات التي توصل بها ما يحيل تقدير أداة التشبيه فيه ، فيقرب حينئذ من القليل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبُ خِصَابُهُ مَوْتٌ قَرِيبٌ الْمَوْتُ مِنْهُ تَرَوْهُ عَدُ (١)

فإنه لا سبيل إلى أن يقال المعنى هو كالأسد وكالموت ، لما في ذلك من

(١) الفريص جمع فريصة : وهي لغة بين الثدى والكف ، ترعد من الفزع

ثُمَّ حَذَفَ أَحَدَهَا كَذَلِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِمَعْرِهَا .

الناقض . لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم
الهربر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك لا يضح
أن يشبه بالمرت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحري :

وَبَدَرَ أَضَاءَ الْأَرْضِ تَمَرِّقًا وَمَعَرِّبًا وَمَوْضِعَ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلَمٌ

لأن رجع فيه إلى التشبيه السابق حتى يكون المعنى هو كالبدور لأن
يكون قد جعل البدور المعروف موصوفاً بما ليس فيه ، فظهر أنه إنما أراد أن
يثبت من الممدوح بدرجة له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدور ، فهو مبني
على تخييل أنه زاد في جنس البدور واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع
لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة ، فهو كقولك زيد رجل كيت
وكيت لم تقصد إثبات كونه رجلاً لكن لإثبات كونه متصفاً بما ذكرت ، فإذا
لم يكن اسم المشبه به في البيت مجتلباً لإثبات الشبه ، تبين أنه خارج عن الأصل
الذي تقدم من كون الاسم مجتلباً لإثبات الشبه ، فالكلام فيه مبني على أنك كون
الممدوح بدياً أمر قد استقر وثبت وإنما العمل في إثبات الصفة القريبة ، وكما
يتمتع دخول الكاف في هذا ونحوه بمنع دخول كان وحسبت لانتضائهما
أن يكون الخبر والمفعول الثاني أمراً ثابتاً في الجملة إلا أن كونه متعلقاً بالاسم
والمفعول الأول مشكوك فيه كقولنا : كان زيداً منطلق ، أو خلاف الظاهر
كقولنا كان زيداً أسداً ، والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة ، فدخل كان وحسبت
عليها كالفياض على المجمول ، وأيضاً هذا النحو إذا فليت عن سره وجدت
محصوله أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور ، إلا أنه اختص
نصفه بعجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى

الحقيقة والمجاز

وَقَدْ يَقِيدَانِ بِاللُّغَوِيَّيْنِ * الْحَقِيقَةُ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا وَضِعَتْ

هذا إذا كان المشبه به خبراً عن المشبه أو منزلاً منزله كما علبت ، أما إن لم يكن كذلك نحو قولهم : رأيت به أسداً ولقيت منه أسداً ، فلا يسمى استعارة (١) لأنه إنما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة ، إذا جرى على ما يدعى أنه مستعار ، له إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ، والإسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ، ولأنه يجيء على هذه الطريقة مالا يتصور فيه التشبيه ، فيظن أنه استعارة كقوله تعالى : لهم فيها دار الخلد . إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد وكقول الشاعر :

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَلَى وَلَا يَشْرَبُ كَأَسَا يَكْفُ مِنْ مَجَلَا

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس ببخيل . ولا يسمى تشبيهاً أيضاً لأن المشبه به لم يحتجب فيه لإثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيهاً ،

(الحقيقة والمجاز) الحقيقة إما فاعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء إذ أثبتته أو فاعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق إذا ثبت ، أى المثبتة أو الثابتة في موضوعها الأصلي ، والمجاز مفعول من جاز المكان يجوزده إذا تعداه ، وإذا عدل بالنظر عما وجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وقد يقيدان باللغويين) لتمييزنا عن الحقيقة والمجاز اللغويين والأكثر ترك هذا التقيد لثلاثتهم خروج الشرع والعرف

(١) سيأتى أن هذا النوع يسمى مجريداً .

لَهُ فِي اصطلاحِ التَّخَاطُبِ ، وَالْوَضْعُ تَعْيِينُ اللَّفْظِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى بِنَفْسِهِ ،
فَخَرَجَ الْمَجَازُ ، لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ ، دُونَ الْمَشْتَرِكِ ، وَالْقَوْلُ بِدَّلَالَةِ اللَّفْظِ
لِذَاتِهِ ظَاهِرُهُ فَاسِدٌ ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ السَّكَائِيُّ . وَالْمَجَازُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ

(في اصطلاح التَّخَاطُبِ) احترزوا بذلك عن المجاز الذي استعمل فيما وضع
له لا في اصطلاح به التَّخَاطُبِ كلفظ الصلاة يستعمله التَّخَاطُبِ بعرف الشرع
في الدعاء مجازاً (لِأَنَّ دَلَالَتَهُ بِقَرِينَةٍ) وحيث لا يسمى التَّعْيِينُ فِيهِ وَضْعاً
(دُونَ الْمَشْتَرِكِ) وهو ما وضع مصممين أو أكثر وضْعاً متعدداً ، وإن لم
يخرج عن الحد لأنه قد عين الدلالة على كل من المعنيين بنفسه ، وعدم الدلالة
على أحد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك ، فالقرء مثلاً عين
مرة ليدل بالاستقلال على الظاهر . ومرة أخرى ليدل كذلك على الحيز ، فإذا
استعمل في أحدهما واحتيج إلى القرينة المعينة للبراد لم يضر ذلك في كونه
حقيقة (والقول الخ) رأى عباد بن سليمان الصيمري أن دلالة الالفاظ على
معانيها لا تحتاج إلى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضى دلالة
كل لفظ على معناه لذاته ، فذهب المصنف وكثير من العلماء إلى فساد
هذا الرأي لاقتضائه أن يتمتع نقله إلى المجاز ، وجعله علماً ووضعاً للمتضادين ،
كالجود للأسود والأبيض ، والناهل للعطشان والريان ، فإن ما بالذات لا
يزول بالغير ، ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم . أما السكاكي فإنه تأول
هذا القول وقال إنه تنبيه على ما عليه أئمة علم الاشتقاق والتصريف من أن
الحروف في أنفسهم خواص بها تختلف ، كالجر والهمس والشدة والرخاوة
والتوسط بينهما وغير ذلك ، مستدعية أن العالم بها إذا أخذ في تعيين شيء منها
لمعنى لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة ، كالتصميم بالقاء الذي هو

أَمَّا الْفَرْدُ فَهُوَ الْكَلِمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ فِي اصطلاح
التَّخَاطُبِ عَلَى وَجْهِ بَصَحٍ مَعَ قَرِينَةٍ عَدَمِ إِرَادَتِهِ ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَلَاقَةِ
لِيُخْرِجَ الْفَلَطُ وَالْكِنَايَةُ ، وَكُلُّ مِثْمَا لِقَوَى وَشُرْعِي وَعُرْفِي خَاصٌّ

حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين ، والقسم بالقاف الذي هو حرف
شديد لكسر الشيء حتى يبين ، وكالتم بالميم الذي هو حرف خفيف للخلل في
الجداز ، والثلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل في العرض ، وكالزفير
بالفاء لصوت الحمار ، والزثير بالهمز الذي هو شديد لصوت الأسد وما شاكل
ذلك ، وأن للتركيبات كالفلان والفعل بالتحريك كالتزوان والحيدى وفعل
مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك
نوع تأثير لا نفس الكلام في اختصاصها بالمعاني . . وبعد ، فهذا التأويل
خلاف المصحح نقله عن عباد ، فإن المنقول عنه أن المناسبة كافية في دلالة
اللفظ على المعنى فلا يحتاج إلى الوضع ، يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما
في القافية ويعرفه غيره منه . وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي (في
اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله
المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له
في الجملة فليس يستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب
(فلا بد من العلاقة) لئلا يتحقق الاستعمال على وجه بصح (ليخرج الفلظ
والكناية) يقول إن قولنا على وجه بصح ليخرج الفلظ كما تقول : خذ
هذا الفرس ، مشيراً إلى كتاب ، وقولنا مع قرينة عدم إرادته ليخرج الكناية
لأنها مستعملة في غير ما وضع له مع جواز إرادة ما وضع له (وكل منهما
لقوى) أما الحقيقة فلأن واضعها إن كان واضع الالة فلغوية ، وإن كان

أَوْعَامٌ ، كَأَسَدٍ لِلشَّيْءِ وَالرَّجُلِ الشَّجَاعِ ، وَصَلَاةٍ لِلْعِبَادَةِ الْمُخْصُوصَةِ
وَالنَّعَاءِ ، وَفِعْلٌ لِلْفِعْلِ وَالْحَدَثِ ، وَدَابَّةٌ لِلَّذِي الْأَرْبَعِ وَالْإِنْسَانِ ، وَالْمَجَازُ
مُرْسَلٌ ، إِنْ كَانَتِ الْعَلَاقَةُ غَيْرَ الْمِثَابَةِ وَإِلَّا فَاسْتِعَارَةٌ ، وَكَثِيرٌ مَا تَعْلُقُ

الشارع فشرعية وإلا فعرفية ، والعرفية إن تعين صاحبها نسبت إليه نقر لنا
فقهية ونحوية وإلا بقيت مطلقة ، وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذي به وقع
التخاطب وكان اللفظ مستعملاً في غير ما وضع له في ذلك الاصطلاح إن كان
هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوي وإن كان اصطلاح الشرع فشرعي وإلا فعرفي
عام أو خاص : الحقيقة اللغوية كأسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في
السبع المخصوص ، أما في الرجل الشجاع فجاز لغوي والحقيقة الشرعية كصلة
إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في العبادة المخصوصة . أما في النداء فجاز
شرعي ، والحقيقة العرفية الخاصة كفعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في
الكلمة المخصوصة ، أما في الحدث فجاز عرفي خاص ، والعرفية العامة كدابة
إذا استعملها المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع . أما في الإنسان فجاز
عرفي عام (مرسل) سموه كذلك لإرساله عن التقييد بعلاقة المِثَابَةِ
(وإلا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه
الأصلي لعلاقة المِثَابَةِ كلفيية في قولك : عنت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة .
وكثيراً ما تعلق على فعل المنكلم أي استعمال اسم المشبه به في المشبه ، وحينئذ
تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه
مستعاراً له ، واللفظ مستعاراً . ثم قال المصنف : والمرسل هو ما كانت
العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له لا يسه غير التشبيه كإلبد إذا استعملت
في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها

الِاسْتِعَارَةُ عَلَى اسْتِفْهَالِ اسْمِ الْمَشَبَّهِ بِِ الْمَشَبَّهِ ، فَهِيَ مُسْتَعَارٌ مِنْهُ
وَمُسْتَعَارٌ لَهُ وَالْأَنْظُ مُسْتَعَارٌ ، وَالْمُرْسَلُ كَالْيَدِ فِي النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّأْيَةِ

قال الإمام عبد القاهر : ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى مصدر تلك
النعمة وإلى المولى لها . فلا يقال اتسعت اليد في البلد أو اقتنيت يدأ ، كما يقال
اتسعت النعمة في البلد أو اقتنيت نعمة ، وإنما يقال جلست يده عندي وكثرت
أبديه لدى ونحو ذلك ، ونظير هذا قولهم في حصة راعي الإبل إن له عليها
أصبعا أرادوا أن يقولوا له عليها أثر حذق فدلوها عليه بالأصبع ، لأنه ما من
حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصرف الأصابع ، واللفظ في
وفيها ووضعا كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله تعالى : بل
قادرين على أن نسوي بناته ، أي نجعلها تحف البعير فلا يتمكن من الأعمال
اللطيفة فأرادوا بالأصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حذق في الصنعة
لا مطلقاً . حتى يقال رأيت أصابع الدار ، وله أصبع حسنة وأصبع فييحة ، على
معنى أثر حسن وأثر فييح ونحو ذلك ، وينظر إلى هذا قولهم : ضربته سوطاً
لأنهم عبروا عن الضربة الوافعة بالسوط باسم السوط ، فجعلوا أثر السوط سوطاً
وتفسيرهم له بقوله المعنى ضربته ضربة بالسوط ببيان لما كان الكلام عليه في
أصله (والقدره) أي وكاليد في القدرة . لأن أكثر ما يظهر سائلمان القدرة في
اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاختذ والدفع والوضع والرفع
إلى سائر الأعمال التي تنجم عن وجوه القدرة ومكانها : وقد تكون اليد
للقدره على سبيل التشليل كما في قوله تعالى : والسموات مطويات بيمينه .
فليس ذلك من باب المجاز المرسل كما ظه ببعضهم . ولذلك قال الزمخشري رحمه
الله : إن الفرض من الآية إذا أخذ بحملته ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى

فِي الْمَرَادَةِ ، وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الشَّيْءِ بِاسْمِ جُزْئِهِ ، كَالْعَيْنِ فِي الرَّيْثَةِ ، وَعَكْسُهُ

والتوقيف على كنهه جلالة لا غير ، من غير ذهاب بالقبضة ، ولا بالعين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) ، فإن السامع لذلك إذا كان له فهم يقس على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ، وأن الأفعال العظيمة التي تتحير فيها الأذهان هيئة عليه هوياً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا بإجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل . قال : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أطف من هذا الباب . ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله ، فإن أكثره وعليه تحصيلات قد زلت فيها الأقدام ، وما أتى من زل إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب ، حتى يعلوا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدره . حق قدره لما خفي عنهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعيال عليه ، إذ لا يحل عقدة من عندها المؤربة ، ولا يفك قيودها المسكربة ، إلا هو ، وكم من آية أو حديث قد منيم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الزئفة ، لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا فخر ، ولا يعرف قبيلاً منه من دبر ، هذا وأما اليد في قوله عليه السلام : المؤمنون تسكافاً دماؤهم ويسعى بذنهم أدناهم وهم يد على من سواهم . فمن باب التشبيه أي هم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يتخذ بعض أجزاء اليد بعضاً وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين ، لأن كلمة التوحيد جامعة لهم (وكأرواية في المازدة) الراوية : البعير الذي يستقى عليه ، والمزادة : سقاء الماء ، فاستمال الأول في الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير ، والمزادة بسبب حله لإياها . ومثل ذلك إطلاق الخفض متاع البيت على البعير الذي يحمله (كالعين في الريثة)

كَالْأَصَابِعِ فِي الْأَنَامِلِ ، وَتَسْمِيَتُهُ بِاسْمِ سَبِيهِ ، نَحْوُ : رَعَيْنَا الْغَيْثَ ، أَوْ
مُسَبِّبِهِ ، نَحْوُ : أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا ، أَوْ مَا كَانَ عَلَيْهِ ، نَحْوُ : وَأَتُوا الْيَتَامَى
أَمْوَالَهُمْ ، أَوْ مَا يَوَلُّ لَيْلِهِ ، نَحْوُ : إِنِّي أَرَأَيْتُ أُعْصِرُ حُمْرًا ، أَوْ يَحْمِلُهُ نَحْوُ :
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ، أَوْ خَالَهُ نَحْوُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيِّضْتُ وَجُوهَهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ،

الريئة الشخص يطلع على عورات العدو في مكان عال ، فإطلاق العين عايه ،
لأن العين هي المقصود في كون الرجل ريئة ، إذ ما عداها لا يغني شيئاً مع
فقدما ، فصارت كأنها الشخص كله فلا بد في الجزء المطلق على الكل من أن
يكون له مزيد اختصاص بالمعنى الذي قصد بالكل ، مثلاً لا يجوز إطلاق اليد
أو الأصبع على الريئة وإن كان كل منهما جزءاً منه . ونظير إطلاق العين على
الريئة إطلاق الرقبة على الإنسان في نحر قوله تعالى : فتمحير رقبة (وعكسه)
يعنى تسمية الشيء باسم كله (كالأصابع في الأنامل) في قوله تعالى : يجعلون
أصابعهم في آذانهم من الصواقع . والآلة بوزن الأصبع ، والغرض منه
المباغة كأنه جعل جميع الأصابع في الأذن لئلا يسمع شيء من الصاعقة (نحو
رعيننا الغيث) أى البسات الذي سببه الغيث (نحو وآتوا اليتامى أموالهم)
أى الذين كانوا يتامى . إذ لا يتم بعدد الموضع (فليدع ناديه) أى أهل ناديه
(والاستعارة) وهى كما علت ما كانت علاقته المشابهة ، أى قصد أن الإطلاق
بسبب المشابهة ، فإذا أطلق نحو المشفر على شفة الإنسان ، فإن أريد تشبيهها
بمشفر الإبل في الغائط فهو استعارة كما قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتُ ضَيْعًا عَرَفْتُ قَرَابَتِي وَلَكِنْ زَيْجِي عُلَيْطُ الْمَشَاوِرِ

أى ولكنك زيجى ، كأنه يعير لايهتدى لشرفى ، وكذا قول الخطيب
مخاطب الزرقان :

أَيْ، الْجَنَّةِ أَوْ آتَيْتِهِ نَحْوُ : وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ . أَيْ ذِكْرًا

قَرَّوْا جَارَكَ الْعِيَانُ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرِّ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ^(١)

• فإنه وإن عني نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من سوء الحال ليزيد في التمسك بالبرقان ، ويؤكد ما قصده من رمية بإضاعة الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وإن أريد أنه من إطلاق المقيد على المطلق ، فهو مجاز مرسل كإطلاق المرسل على الأنف في قول المعجاج : وقاحاً ومرسناً مسرجاً . • واعلم ، أن صميم هذا العلم في الحقيقة هو هذا الضرب من البيان ، أغنى الاستعارة التي تتضمن التشبيه ، فهي أمد ميداناً وأشد اقتراناً وأعجب حسناً وإحساناً ، وأوسع سعة وأبعد غوراً ، وأذهب نجداً في الصناعة ونوراً من أن تجمع شعياً وشعوبها ، وتخصر فنونها وضروبها ، نعم وأحمر سحراً وأملأ بكل ما يملأ صدرها ، وأهدى إلى أن تهدي إليك عذارى قد تخبر لها الجمال ، وعنى بها السكال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر مدت في الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر ، وأبنت من الأوصاف الجالبة محاسن لا تنسك ، وأن تثير من معدنها تهرأ لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى وتريك الحلل الحقيقي ، وأن تأليك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا ، وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا ، وهي أجمل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفي جملة حالها ، ومن المفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً ، وتوجب له بعد المفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع . ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة

(١) العيان : النطشان إلى اللبن أشد العطش ، ومشافره : فاعل قلص .

حَسَنًا ، وَالْإِسْمَاءُ قَدْ تَقَيَّدُ بِالتَّحْقِيقَةِ لِتَحَقُّقِ مَعْنَاهَا حِسًا أَوْ عَقْلًا ، كَقَوْلِهِ :

وخلافة مومونة . ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدقة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنّي من النصن الواحد أنواعاً من الثمر ، وإذا تأملت أقسام الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة ، وممها يستحق وصف البراعة ، وجدتها تفتقر إلى أن تغيرها حلاها . وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادقتها . نجومها يبدوها ، وروضاً هي زهرها ، وعرائس مالم تمرها حلها فهي عواطل ، وكواعب مالم تحسها فليس لها في الحسن حظ كامل ، فإنك تثرى بها الجهاد حياً ناطقاً والأجهم فصيحاً ، والأجسام الحرس مبينة ، والمعاني الخفية بادية جليلة ، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها مالم تزنها ، وتجسد التشبيهات على الجملة غير معجبة مالم تبكها إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون . وبعد ، فقد يدور بخلدك أن في وسع الناس جميعاً أن يجيدوا في هذا الباب ويأتوا فيه بالإبداع والإحسان ، وهو وربك أكبر من أن يظن به مثل هذا الظن ، ولقد كتب فيه وقال الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان ، ما فهم أبو نواس حيث يقول :

رَسَمَ الْكَرْمَى بَيْنَ الْجُفُونِ يَحِيلُ عُنَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَايِكَ طَوِيلُ

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت ، فقال إن كان قول أبي العذافر :

* بَأْسَ الْهَوَى فِي فُؤَادِي وَفَرَّخَ التَّدْكَارُ *

حسناً كان هذا حسناً .

ومنهم أبو تمام حيث يقول :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِّنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أُخْجِجْتَ هَذَا الْأَنَامُ مِنْ خُرْفِكَ (١)

ولقد أسرف أبو تمام في هذا فدى عليه وأطلق لسان عابه ، وأكد له الحجة على نفسه ، فمن ذلك قوله :

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبُحٍ قَدَّهَا ضُرُوفُ الرَّدَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ
وقوله يرثي غلاماً :

أَنْزَلْتَهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ اثْبَاتِ رَجُلِهِ فِي الرِّكَابِ

ولا وجه لاستيعاب ذلك ، لأن فليده دال على كثيره ، ولكن انظر إلى قول الحماسي :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى تَأْجِذِيهِ لَيْمٌ طَأَّبُوا إِلَيْهِ زَرَاقَاتٍ وَوُحْدَانَا

أو قول مسلم :

تَجَرَّى الرِّيحُ بِهَا خَسْرَى مُؤَلَّيَّةٌ حَيْرَى تَلَوَّذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ

أو قول أبي العتاهية :

أَتَنَّهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالُهَا

أو قول الحجاج من خطبة له : إن أمير المؤمنين ترك نسيته بين يديه ، فجمع عيداتها فوجدني أسرها عوداً وأصلها بكسراً ، فرماكم في لأنكم طاملاً أوضعتم في الفتنة ، واضطجعتم في مراقد الضلال . فانت إذا نظرت إلى مثل

(١) الحرق بالضم : العنف ، وكذلك الحق والجل ، وضم الراء للشعر ،

ويريدون بتقويم الأخدعين : وهما عرقان في صفحتي العنق (كاللوتين) إزالة الكبر والعنف ، لأنهم يقولون في المتكبر العاقب : شديد الأخدعين .

* لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٌ * أَيْ رَجُلٌ شَجَاعٌ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

هذا كلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحر وطبقت المفصل ، فإن أدركت من نفسك تلك المنة وإلا أطلقت عليك لسان العائنين (قد تقيس بالتحقيق) وهذا التقييد تميز عن التخيلية ، والممكن عنها . قال وإنما تسمى محققية لتحقيق معناها ، أى ما عني بها واستعمات هي فيه حسياً أو ذهنياً . بأن يكون ذلك المعنى أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ قد نقل عن مسماه الأصلي لجعل اسماً لهذا المعنى ، على سبيل الإعارة للبالغة في التشبيه . أما الحسى فمكقول زهير بن أبي سلمى :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَّفٌ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْطَعْ^(١)

أى لدى رجل شجاع ، ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه في المحركات ، كقول أبي دلالة يصف بفلته :

أَرَى الشَّيْبَاءَ تَمُوجِينَ إِذْ عَدَوْنَا بِرِجْلَيْهَا وَتَحْشِينَ بِالْيَدَيْنِ

شبه حركة رجاها حيث لم تثبتا على موضع فعمد بهما عليه ، وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنها لا تثبتان في موضع بل تزلان إلى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يدي الخابر ، فإنه يثنى يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرباً من التقويس ، كما تجد في يد الدابة إذا اضطربت

(١) شاكي السلاح وشانك السلاح وشاك السلاح : أى تام السلاح كله من الشوكة ، وهى العدة والقوة . مقذف : أى يقذف به كثير إلى الوقائع . والليد جمع ليدة : وهى ما تليد من شعر الأسد على منكبيه .

اهدنا الصراط المستقيم ، أي الدين الحق ، ودليل أنها مجاز لغوي كونها

في سيرها ولم تقو على ضبط يديها ، وأن ترى بها إلى قدام وأن تشدد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه ، فلا تزول عنه ولا تثني ، وأما العقل فكقوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم ، أي الدين الحق (ودليل أنها مجاز لغوي) اختلاف العلماء في الاستعارة هل هي مجاز لغوي أو عقلي ، فذهب الكثير إلى أنها مجاز لغوي نظراً إلى استعمال الأسد في غير ما هو له عند التحقيق ، فإننا وإن ادعينا للشجاع الأسدية ، فلا نتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى ندعي للرجل صورة الأسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ، وإن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الأسد وأمكنها ، فإن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها ، بل لها في مثل تلك الجثة ، وهاتيك الصورة والهيئة وتلك الأبواب والمخالب إلى سائر ما يعلم من الصور الخاصة في جوارحه كلها ، ولو كانت وضعت لتلك الشجاعة التي تعرفها وحدها لكانت صفة لا إسماء ولكن كل شيء يفضي في شجاعته إلى ذلك الحد ، مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لا على طريق التشبيه والتأويل ، وذهب آخرون إلى أنها مجاز عقلي بمعنى أن التصرف في أمر عقلي لا لغوي ، لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لأن نحل الاسم وجيده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلى من الحقيقة لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال لمن قال رأيت أسداً يعني زيدا أنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً أنه جعله أسداً ، لأن جعل إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صير ، فأفاد إثبات صفة للشئ ، فلا نقول جعلته أميراً إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله تعالى : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناناً ، المعنى أنهم أثبتوا

مَوْضُوعَةُ الشَّكِّهِ وَلَا لِلْأَعْمِ مِنْهُمَا ، وَقِيلَ إِنَّهَا بَحَارُ عَقْلِي ، بِمَعْنَى أَنَّ
التَّصَرُّفَ فِي أَمْرِ عَقْلِي لَا لِقَوِي ، لِأَنَّهَا لَمْ تَطْلُقْ عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ
ادِّعَاءِ دُخُولِهِ فِي جِنْسِ الشَّيْءِ بِهِ كَانَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهَا وَضُمَّتْ لَهُ ، وَلِهَذَا صَحَّ
التَّعَجُّبُ فِي قَوْلِهِ :

قَامَتْ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظْلَانِي وَمِنْ تَعَجَّب شَمْسٌ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ

لِللَّامِكةِ صفةُ الأَنَوتَةِ واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر
عنهم إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوا من غير اعتقاد ثبوت معناه
لهم بدليل قوله : أشهدوا خالقهم ، وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان
الاسم مستعملاً فيها وضع له ، وقالوا : لذلك صح التعجب في قول ابن العميد :

قَامَتْ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
قَامَتْ تَظْلَانِي وَمِنْ تَعَجَّب شَمْسٌ تَظْلَانِي مِنَ الشَّمْسِ
والنهي عن التعجب في قول أبي الحسن بن طباطبا :

يَا مَنْ حَكَمَ الْمَادَّ فَوَطَّرَ قُوَّةَ وَقَلْبَهُ مِنْ قَسَاوَةِ الْحَجَرِ
يَا أَيَّتَ حَقَّقَ كَعَضَّ ثَوْبِكَ مِنْ جِسْمِكَ يَا وَاحِدًا مِنَ الْبَشَرِ
لَا تَنْجِبُوا مِنْ بِلَى غِلَاتِهِ قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ (١)
وقول الآخر :

تَرَى الثَّيَّابَ مِنَ الْمَسْكَنَاتِ يَلْبَسُهَا نُورٌ مِنَ الْبَدْرِ أَحْيَانًا فَيَلْبَسُهَا

(١) الليل من بلى الثوب : خلقه ، والغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

وَالنَّهْيُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَعْبُجُوا مِنْ بَلِي غَالَتِي قَدْ زَرَّ أَرْزَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ
وَرَدَّ بَانَ الْأَدْعَاءُ لَا يَفْتَضِي كَوْنَهَا مُسْتَعْمَلَةً فِيمَا وَضَعَتْ لَهُ ، وَأَمَّا

فَكَيْفَ تُنْكَرُ أَنْ تَبْلَى مَعَاجِرُهَا وَالْبَذَرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَالِعٌ فِيهَا^(١)

فلولا أن ابن العميد ادعى لفلامه معنى الشمس الحقيقي لما كان لهذا التعجب معنى ، فليس يبدع ولا منكر أن يظلل إنسان حسن الوجه إنساناً وبقية وهماً بشخصه ، ولولا أن أبا الحسن جعل صاحبه قرأ حقيقياً لما كان للنهي عن التعجب معنى ، لأن الكتمان إنما يسرع إليه البلي حين يلبس القمر الحقيقي لا إنساناً بلغ في الحسن غايته ، وكذلك القول في شعر ثالث الشعراء . أجاب الفريق الأول عن هذا بأن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر فإبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة ، فإن قيل إصرار المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول لا منافاة هناك . قال صاحب المفتاح : وجه التوقيف وهو أن تبني دعوى الأسدية للرجل ينافي نصبه قرينة مانعة من أن يراد به السبع المخصوص ، فإننا نقول الذي له غاية جرأة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لاعم تلك الصورة ، بل مع صورة أخرى على نحو ما ارتكبت المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجى وعد جماله من جنس الطير حين قال :

(١) المعاجر جمع معجر ، كنبير : ثوب نعتجر به المرأة ، أى تشده على رأسها .

التَّعَجُّبُ وَالنَّفْيُ عَنْهُ قَلْبِنَا عَلَى تَنَاصِي التَّشْبِيهِ ، قَضَاءُ لِحَقِّ الْمُبَالَغَةِ .
وَالِاسْتِعَارَةُ تَقَارُفُ الْكَذِبِ بِالْبِنَاءِ عَلَى التَّأْوِيلِ وَنَصْبُ الْقَرِينَةِ عَلَى
إِرَادَةِ خِلَافِ الظَّاهِرِ ، وَلَا تَكُونُ عَلَمًا ، لِمُنَافَاةِ الْجَنَسِيَّةِ ، إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ

تَحْنُ قَوْمٌ مَلِجَنٌ فِي زِيٍّ نَائِمٍ . فَوْقَ طَائِرِهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ
مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو
حكمهم إذا رآوا أسداً هرب عن ذئب لأنه ليس بأسد ، وإذا رآوا إنساناً ،
لا يقارمه أحد أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد أو هو أسد في صورة إنسان ،
وأن تخصص القرينة بنفسها للمعارف الذي يسبق إلى الفهم ليتبين ما أنت
تستعمل الأسد فيه ومن البناء على هذا التلويح قوله :

« نَحْيَةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ »^(١)

وقولهم : عتابك السيف . وقوله عز وجل : يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومنه قوله :

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَمَافِيرُ وَالْأَلَيْسُ^(٢)

(بالبناء على التأويل) في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به يجعل
أفراد المشبه به قسمين كما مر ، والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة
على إرادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلاً على خلاف زعمه
وأنى ينصب وهو لترويح ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون
علماً) لأنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به يجعل أفراداً قسمين كما

(١) صدره « وشيخيل قد دأبت لها بحيل » والبيت لعمرو بن معد يكرب -

(٢) اليعفور : ولد البقرة الوحشية ، والعيس : الإبل البيضاء .

نَوْعٌ وَصِفِيَّةٌ كَحَاتِمٍ ، وَقَرِيبَتُهَا إِمَّا أَمْرٌ وَاحِدٌ ، كافي قوله : رَأَيْتُ أَسَدًا
يَرْنِي ، أَوْ أَكْثَرُ ، كقوله :

فَإِنْ تَمَافُوا الْبَدَلَ وَالْإِيمَانَا فَإِنَّ فِي إِيمَانِنَا نِيرَانَا
أَوْ مَعَانٍ مُلْتَمِثَةً ، كقوله :

سبق ، وذلك غير ممكن في العلم لمناقاته الجفسية ، لأنه يقتضى التخصص ومنع
الاشتراك ، والجفسية تقتضى العموم وتناول الأفراد ، واستدل في الإيضاح
على أنها لا تكون علماً بأن العلم لا يدل إلا على تعين شيء من غير إشعار بأنه
إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين
ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفي شيء منها جامعاً في الاستعارة (إلا إذا
تضمن نوع وصفي) بسبب اشتهاؤه بوصف من الأوصاف كحاتم ، فإنه
يتضمن الانصاف بالجوهر ، وحينئذ يجوز أن يشبه شخص بحاتم في الجود
ويتناول في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود ، سواء كان ذلك الرجل المعهود
من طي أو غيره ، كما جعل أسد كأنه موضوع للشجاع ، سواء كان متعارفاً أو
غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير
المتعارف وهو من يتصف بالجود ، لكن استعماله في غير المتعارف يكون
استعمالاً في غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كقوله
فإن تَمَافُوا) فتعاق قوله تَمَافُوا بكل من الدل والإيمان قرينة على أن المراد
بالنيران آلة الحرب التي تشبهها في الزمان ، لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون
ويقتلون على الطاعة بالسيف (أو معانٍ ملتبسة) أى مربوط بعضها ببعض
يريد أن تكون القرينة أمراً مركباً (كقوله) أى البحرى : فانظر ماذا
صنع حين أراد استعارة السحاب لأنامل يمين المدحج تفرعاً على ما جرت

وَصَاعِقَةٍ مِنْ نَصْلِهِ تَنْكِي بِهَا * عَلَى أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ سَحَابٍ سَحَابٍ
وَهِيَ بِاعْتِبَارِ الطَّرَفَيْنِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّ اجْتِمَاعَهُمَا فِي شَيْءٍ ، إِمَّا مُمَكِّنٌ
نَحْوُ أَحْيَيْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، أَيْ ضَالًّا فَيَهْدِينَاهُ
وَلِنَسَمِّىَ وَفَاقِيَّةً ، وَإِمَّا مُمْتَنِعٌ ، كاستعارة اسم المعلوم للوجود ، لعدم

به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفيض تارة ، وبالسحاب المطال أخرى ،
ذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال من نصله فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه
ثم قال على أَرْوُسِ الْأَقْرَانِ ، ثم قال خمس ، فذكر العدد الذى هو عدد جميع
أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحاب للأنامل ، وتكنى
من انكسار : أى انقلب (نحو أحييناه) والإحياء والهداية لاشك فى جواز
اجتماعهما فى شئ ، وإنما قال نحو أحييناه . لأن الطرفين فى استعارة الميت
للفضل عما لم يمكن اجتماعهما فى شئ . إذ الميت لا يوصف بالاضلال (وفاقية)
لما بين الطرفين من الوفاق (وإما بمنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه
على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود
بها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المعلوم للوجود
لعدم غناها) أى لا تنفاه زعمه كما فى المعلوم ، وكذلك استعارة اسم الموجود
للمعلوم إذا كانت الأنامل المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا
للوجود فى ذلك أو اسم الميت لاجل الجاهل لأنه عدم فائدة الحياة ، والمقصود
بها أعنى العلم فيكون مشاركا للميت فى ذلك ، ولذلك جعل النوم موتا لأن
النائم لا يشعر بما يحضره كما لا يشعر الميت ، أو الحى العاجز لأن العجز كالجهل

عَنَانِهِ ، وَأَنْتَسَمَ عِنَادِيَّةٌ . وَمِنْهَا التَّهْكِيَةُ وَالتَّمْلِيحِيَّةُ ، وَهَئِمَّا اسْتَعْمَلَ
فِي ضِدِّهِ أَوْ بَقِيضِهِ ، إِمَّا مَوْضِعُ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ؛ وَاعْتِبَارُ الْجَمِيعِ
فِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِمَّا دَاخِلٌ فِي مَقْبُومِ الطَّارِقِينَ ، نَحْوُ : كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً طَلَّزَ

يَحِيطُ مِنْ قَدْرِ الْحَيِّ (وَلَسَمَ عِنَادِيَّةٌ) إِمَّا مَوْضِعُ الْإِجْتِمَاعِ (لِمَا سَمِعَ) فِي
التَّشْبِيهِ مِنْ أَنَّ التَّضَادَّ أَوْ التَّنَاقُضَ كِلَاهُمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةً التَّنَاسُبِ بِوَاسِطَةِ تَمْلِيحٍ
أَوْ تَهْكِيمٍ (نَحْوُ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) أَيْ أَنْذَرَهُمْ اسْتَعِيرَتِ الْبَشَارَةُ الَّتِي هِيَ الْأَخْبَارُ
بِمَا يَظْهَرُ سُرُورُ الْمُخْبَرِ بِهِ لِإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا بِإِدْخَالِهِ فِي جَنْبِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيحِ
وَالِاسْتِمْرَافِ (نَحْوُ كَلِمَاتِهِ) نَحْوُهُ قَوْلُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ تَرَى قَتِيلًا :

لَوْ يَسَاءَ طَلَّزَ بِهِ دُوَّ مَيْعَةٍ لَأَحِقَّ الْأَطْلَالَ نَهْدٌ دُوَّ حُصْلٍ (١)
وقول بعض العرب :

وَوَارَتْ مِمْنَعِي فِي يَمَعَاتٍ دَوَائِي الْأَيْدِ يَحْبُطُنَ السَّرِيحَا

يقول : إِنْهُ قَامَ بِسَيْفِهِ مَسْرَعًا إِلَى نَوْقِ فَعَقْرَهْنِ وَدَمِيتَ أَيْدِيهِنَّ ، يَحْبُطُنُ
السُّيُورُ الْمَشْدُودَةُ عَلَى أَرْجُلَيْهِ . وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ اسْتِمَارَةُ التَّقْطِيعِ لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ
وَلِإِبْعَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ، فَإِنَّ الْقَطْعَ
مَوْضُوعٌ لِإِزَالَةِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ الْأَجْسَامِ الَّتِي بَعْضُهَا مَلْتَزِقٌ بِبَعْضٍ فَالْجَمَاعُ بِبَيْنِهَا
إِزَالَةُ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي هِيَ دَاخِلَةٌ فِي مَقْبُومِ مَا هِيَ فِي الْقَطْعِ أَشَدَّ وَاسْتِمَارَةُ الْحَيَاظَةِ
لِرُودِ الدَّرْعِ فِي قَوْلِ الْقَطَايِ :

(١) الْمَعْيَةُ : أَوَّلُ جَرَى الْفَرَسِ وَأَنْشَطُهُ ، وَالْأَطْلَالُ جَمْعُ (طَل) بِكَسْرِ فَسْكَوْنِ
وَبِكَسْرَيْنِ : وَهِيَ الْخَاصِرَةُ ، وَالْمُرَادُ ضَامِرُ الْجَنِينِ ، وَالنَّهْدُ بِالْفَتْحِ : الْفَرَسُ
الْعَظِيمُ الْمُشْرِفُ ، وَحُصْلُ الشَّعْرِ : مَعْرُوفَةٌ .

إليها ، فإنَّ الجَماعَ بَيْنَ العَدُوِّ وَالطَّيْرانِ هُوَ قَطْعُ المَسافةِ بِسُرعةٍ ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِيهِما ، وَإِما غَيْرُ دَاخِلٍ كَأَمْرٍ ؛ وَإِضا إِما عامَّةٌ ، وَهِيَ المُبتدَلَةُ

لَمْ تَلَقَ قَوْمًا ثُمَّ شَرُّ لِإِخْوَتِهِمْ مِمَّا عَشِيَّةً يَجْرِي بِالدِّمِ الْوَادِي
تَقْرِيبُهُمْ لِهَذِمَاتٍ نَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ (١)
فإنَّ الحِياطةَ تضم خرق القميص . والزرد يضم حلق الدرع ، فالجامع بينهما
الضم الذي هو داخل في مفهومهما وهو في الأول أشد . واستعارة النثر لإسقاط
المهزمين وتقرّبهم في قول أبي الطيب :

تَرْتَمُهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ نَزْوَةً سَكَا نَثَرْتُ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمَ (٢)
لأن النثر أن تجتمع أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فعل تنفّز مع دفعته
من غير ترتيب ونظام . وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص
وهو ما اتفق من تساقط المهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ،
ونسبة إلى الممدوح لأنه سلبه بهذا وأما قوله كلما سمع هيمة طار إليها فهو
جزء حديث ولفظه : خير الناس رجل يملك بعنان فرسه كلما سمع هيمة طار
إليها ، أو رجل في شعبة في غنيمة له يعبد الله تعالى حتى يأتيه الموت . قال
الزعمري : الهيمة الصيحة التي يفرع منها ، وأصاها من هاع يهيج إذا جهن .
والشعبة رأس الجبل ، والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد
في سبيل الله ، أو رجل اعتزل الناس وسكن في رؤس بعض الجبال في غم له قليل
يرعاها ويكتفي بها في أمر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت (كما مر) من استمارة

(١) تقرّبهم : فضيفهم ، واليهزم من السنان : الحاد ، والقذ : البش ،
والزرد : صانع الدرع (٢) الأحيد : اسم جبل ، ونثرهم : فرقهم .

يُظْهِرُ الْجُلَامِعَ فِيهَا ، نَحْوُ : رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي ، أَوْ خَاصِيَّةً ، وَهِيَ الْغَرِيبَةُ
وَالْغَرَابَةُ قَدْ تَكُونُ فِي نَفْسِ الشَّيْءِ ، كَقَوْلِهِ :

وَإِذَا احْتَبَى قَرَبُودُهُ بَعْنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
وَقَدْ تَحْصُلُ بِتَحَصُّفٍ فِي الْعَامِيَّةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ :

❖ وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ ❖

الأسد للرجل الشجاع ، والشمس للوجه المنهال ونحو ذلك (وهي الغريبة)
التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة (كما في قوله) أى قول يزيد
ابن مسعدة بن عبيد الملك يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه والقي
عنانَه في قربوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه . القربوس : مقدم السرج ،
والشكيم : الحديدية المعترضة في فم الفرس . شبه هيئة العنان في موقعه من
قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبى ، فكانت الاستعارة
غريبة لغرابة الشبه . قال : وقد تحصل الغرابة بتصرف في العامة بأن يكون
التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بدیع كما في قول كثير عزة :

ولما قضينا من مئى كل حاجة ومسح بالآركان من هو ماسح
وشدت على دم المطايا رحالتنا ولم ينظر الغادى الذى هو رائج
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

المقصود وسالت ، فإنه أراد أن الإبل سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة
وكانت سرعة في لين وسلامة ، حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح
فجرت بها ، ومثاها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

إِذْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ دُونَ الْمَطِيِّ وَأَعْنَفِهَا ، وَأَدْخَلَ
الْأَعْنَاقَ فِي السَّيْرِ . وَبَاعِثًا ثَلَاثَةَ سِتَّةِ أَقْسَامٍ ، لِأَنَّ الطَّرَفَيْنِ إِنِ
كَانَا حَسِيَّتَيْنِ فَالْجَمِيعُ إِيمًا حَسِيٌّ نَحْوُ : فَأَخْرَجَ لَهُمْ مِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورَارٌ ،
فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ وَلَدَ الْبَقَرَةِ ، بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ الْحَيَوَانُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ حُلِيِّ الْقَبِيطِ ، وَالْجَمِيعُ الشَّكْلُ ، وَالْجَمِيعُ حَسِيٌّ ، وَإِمَّا عَنَى نَحْوُ :
وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ تَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارُ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَسَطُ الْجِلْدِ عَنْ

سَأَلَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ يُوْجُوهُ كَالدَّانِيَةِ
أَرَادَ أَنَّهُ مَطَاعٌ فِي الْحَيِّ وَأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ إِلَى نَصْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَدْعُوهُمْ لِحُطْبِ
إِلَّا أَبَوْهُ وَكَرُّوْا عَلَيْهِ وَازْدَحَمُوا حَوَالِيَهُ ، حَتَّى تَجِدَهُمْ كَالسِّيُولِ نَحْبَهُ مِنْ هَهُنَا
هَهُنَا ، وَتَنْصَبُ مِنْ هَذَا الْمَسِيلِ وَذَلِكَ حَتَّى يَفْصِلَ بَيْنَ الْوَادِي وَيُطْفِئُ مِنْهَا ،
وَهَذَا شَبْهٌ مَعْرُوفٌ ظَاهِرٌ ، وَلَكِنْ حَسَنُ التَّصَرُّفِ فِيهِ أَفَادَ الْطُفَّ وَالْفَرَايَةَ ،
وَذَلِكَ إِنْ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَبَاطِحِ وَالشَّعَابِ دُونَ الْمَطِيِّ أَوْ أَعْنَفِهَا وَالْأَنْصَارِ
أَوْ وَجُوْهِهِمْ ، حَتَّى أَفَادَ أَنَّهُ امْتَلَأَتْ الْأَبَاطِحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالشَّعَابِ مِنَ الرِّجَالِ
كَأَنَّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَاشْتَمَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَفِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا شَيْءٌ ذِيَرٌ الَّذِي فِي
الْآخِرِ يُوَكِّدُ أَمْرَ الدَّقَّةِ وَالْفَرَايَةِ ، أَمَّا الَّذِي فِي الْأَوَّلِ فَهُوَ أَنَّهُ أَدْخَلَ الْأَعْنَاقَ
فِي السَّيْرِ فَإِنَّ السَّرْعَةَ وَالْبَطْءَ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ يَظْهَرَانِ غَالِبًا فِي أَعْنَافِهَا ، وَأَمَّا الَّذِي
فِي الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ ، فَعَدَى الْفِعْلَ إِلَى ضَمِيرِ الْمَدْرُوحِ بَعْلَى ، فَأَكَّدَ مَقْصُودَهُ
مَنْ كَوْنَهُ مَطَاعًا فِي الْحَيِّ . هَذَا وَهُوَ تَحْصِيلُ الْفَرَايَةِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ اسْتِعَارَاتِ
إِلْحَاقِ الشَّكْلِ بِالشَّكْلِ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

نحو الشَّاةِ ، وَالْمُسْتَعَارَ لَهُ كَشَفُ الضَّوِّ عَنْ مَكَانِ اللَّيْلِ ، وَهُمَا حِسِّيَّانِ
وَالْجَامِعُ مَا يُعْقَلُ مِنْ تَرْتِيبِ أَمْرِ عَلَى آخَرٍ ؛ وَإِنَّمَا مُخْتَلِفٌ ، كَقَوْلِكَ : رَأَيْتُ
نَحْسًا وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِ الطَّلَعَةِ وَتَبَاهَةِ الشَّانِ ، وَإِلَّا فَهُمَا
إِنَّمَا عَقْلِيَّانِ : نَحْوُ : مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقَدِنَا ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ الرُّقَادُ ، وَالْمُسْتَعَارُ
لَهُ الْمَوْتُ ، وَالْجَامِعُ عَدَمُ ظُهُورِ الْفِعْلِ وَالْجَمِيعُ عَقْلِيٌّ ، وَإِنَّمَا مُخْتَلِفَانِ ،
وَالْحِسِّيُّ هُوَ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ نَحْوُ : فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ كَسْرُ

فَقَاتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِضَائِعِهِ وَأُردِفَ أَهْجَازًا وَنَاءً بِكَلْسِكَلِيٍّ

أراد وصف الليل بالطول ، فاستعار له صلباً يتمطى به إذ كان كل ذي
صلب يزيد شئاً ، في طوله عند تمطيه وبالعكس في ذلك بأن جعل له أهجاًزاً يردف
بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمساكبه ،
فاستعار له كل كلال ينوء به . وقال الشيخ عبد القاهر : لما جعل الليل صلباً قد تمطى
به ففى ذلك الجمل له أهجاًزاً قد أردف بها الصلب ، وثلاث لجعل له كل كلال قد
نام به ، فاسترقى له جملة أركان الشنص ، وراعى ما يراه الناظر من سواده إذا
نظر قدمه وإذا نظر خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجوى (مكان
الليل) يلقى ظله (والجامع ما يعقل من ترتيب أمر على آخر) كترتيب
ظهور الأحم على كسبط الجلود ، وترتيب الظلة على كشف الضوء عن مكان الليل .
، هذا ، وقد وقع في عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكى ، أن المستعار له
ظهور النهار من ظلمة الليل . وظاهر أن المراد بالظهور في كلامهما التبين ، أى
تبيين النهار عن ظلمة الليل (نحو فاصدع بما تؤمر) فكأنه قيل أين الأمر
إنه لا يتمشى كما لا يتمشى صدىع الزجاجة ونظير الآية قوله تعالى : ضربت عليهم

فِي : زَيْدٌ فِي نِعْمَةٍ ، فَيَقْدَرُ فِي نَطَقَتِ الْحَالُ ، وَالْحَالُ نَاطِقَةٌ يَكْذِبُ لِلدَّلَالَةِ
بِالنُّطْقِ ، وَفِي لَامِ التَّمْلِيلِ نَحْوُ : فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَيْسَ كَوْنُ لَهُمْ عَدُوًّا

ابتداء الغاية وإلى معناها انتهاء الغاية ، وكى معناها الغرض ، فهذه ليست معاني
الحروف ، وإلا لما كانت حروفاً بل أسماء ، لأن الاسمية والحرفية إنما هي
باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها ، أى إذا أفادت هذه الحروف معاني
رجعت تلك المعاني إلى هذه بنوع استلزام . وهذا الذى ذكره السكاكى هو
ما جرى عليه علماء هذا الفن (فيقدر) أى حيث كان التشبيه لمعنى المصدر
ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر فى قولنا : نطقت الحال بكذا والحال ناطقة
بكذا ، لدلالة الحال بنطاق الناطق فى اقتضاح المعنى للذهن ، ثم تدخل الدلالة فى
جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ، ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون
الاستعارة فى المصدر أصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التعليل (١)
نحو : فالنقطة آل فرعون ليعكون لهم عدواً وحزناً للعداوة والحزن الحاصلين
بعد الالتقاط بالهالة الذاتية الالتقاط ، كالحبة والنبتى فى الترتب على الالتقاط
والحصول بعده ، ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقاً أن يستعمل فى
العملة القائية . وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشف
حيث قال معنى التمليل فى اللام وارد على طريق المجاز لأنه لم يكن داعيهم إلى
الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل . الفاعل الفعل لأجله ، ثم قال :
وهذه اللام حكماً حيث استعيرت لها يشبه التعليل كما يستعار

(١) ويقدر فى قوله تعالى : . ولا صليكنم فى جذوع النخل ، للجذوع
الأوعية ثم المصلوب بالموعى ، فاستعيرت فى تبعاً لذلك وقس على هذا مثله .

الرَّجَاةُ وَهُوَ حَيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ التَّبْلِيغُ ، وَالْجَامِيعُ التَّأْيِيدُ ، وَهُمَا عَقْلِيَانِ
وَإِنَّمَا عَكْسُ ذَلِكَ نَعْوُ : إِنَّمَا لَمَّا طَفَى الْمَاءُ حَمَلْنَا كُمْ فِي الْجَارِيَةِ ، فَإِنَّ الْمُسْتَعَارَ
لَهُ كَثْرَةُ الْمَاءِ وَهُوَ حَيٌّ ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ التَّكْثِيرُ ، وَالْجَامِيعُ الْإِسْتِمْلَاءُ ،
الْمُقَرَّبُ ، وَهُمَا عَقْلِيَانِ . وَبِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ قِسْمَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ اسْمُ جِنْسٍ
فَأَصْلِيَّةٌ ، كَأَسَدٍ وَقَتْلٍ ، وَإِلَّا فَتَبْعِيَّةٌ ، كَالْفِعْلِ وَمَا يَشْتَقُّ مِنْهُ وَالْحَرْفِ
فَالْتَشْبِيهُ فِي الْأَوَّلَيْنِ لِمَعْنَى الْعَادَرِ ، وَفِي الثَّالِثِ لِمَتَعَاتِي مَعْنَاهُ كَالْمَجْرُورِ

الذلة ، أي جماعت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ، فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربت عليه أو جعلت ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب ، كما يضرب الطين
على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه ، إما ضرب القبة على الشخص . وإما ضرب
الطين على الحائط وكلاهما حسي والمستعار له حالهم مع الذلة والجامع الإحاطة
أو اللزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو مادل على ذات الصالحة لأن تصدق
على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الأوصاف ، فدخل نحو
أسد ونحو قتل الأول اسم عين والثاني اسم معنى ونحو حاتم من قولك : رأيت
اليوم حاتما وخرج بقولنا الصالحة لأن تصدق على كثيرين الأعلام التي لم تتضمن
وصفية والمضمرات وأسماء الإشارة ، وقولنا من غير اعتبار وصف من
الأوصاف خرج به المشتقات كضارب ، فإنه اسم وضع لذات منصفة
بالضرب (وما ينسحق منه) : كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة ، المشبه
وأفعل التفضيل ، وأسماء الزمان والمكان ، والآلة (الأولين) أي الفعل وما يشتق
منه (الثالث) أي الحرف (كالمجروح في زيد في نعمة) أما السكاكي فإنه قال وأعنى
بمعتقدات معاني الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها

وَحَزَنًا ، لِلْمَدَاوَةِ وَالْحَزَنِ بَعْدَ الْإِلْتِقَاطِ بِمَلَكَةِ الْغَائِبَةِ : وَمَدَارٌ قَرِيبَتُهُمَا

فِي الْأَوَّلَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِ ، نَحْوُ : نَطَقَتِ الْحَالُ ، أَوِ الْمَعْمُولِ نَحْوُ :

* قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا *

وَنَحْوُ : * تَقَرَّبَهُمْ لَهْذِيَّاتٍ قَدْ بَهَا *

أَوِ الْجُرُورِ نَحْوُ : فَبَشَّرَهُمْ بِمَذَابِ أَلِيمٍ ، وَبِاعْتِبَارِ آخِرِ ثَلَاثَةِ أَقْسَامِ

الأسد لمن يشبه الأسد . « وبعد ، فللقوم في هذا المقام كلام طويل عزيز ليس من سنتنا في هذا الشرح التعرض لمثله فراجعهم هناك إن شئت » قَالَ :
المنصف : ومدار قرينة الاستعارة التبعية في الأفعال والصناعات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل ، كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس من ينطق حقيقة ، فدل ذلك على أن المراد بالنطق الدلالة أو إلى المنعول كقول ابن المعتز :

جَمَعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِدْمِ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاخَا

فالذي دل على أن قتل وأحيى مستعاران إنما هو إسنادهما إلى البخل والسماخ ولو قال قتل الأعداء وأحيى الأحياء لم يكن ، قتل استعارة بوجهه وكذلك أحيى أو المفعول الثاني كقول القطامي :

لَمْ تَلْقَ قَوْمًا شَرَّ لِإِخْوَتِهِمْ مَنَا عَشِيَّةَ يَجْرِي بِالدَّمِ الْوَادِي

تقرئهم لهذميّات نقد بها ما كان خاطئ عليهم كل زرد

اللازم من الأسماء : القاطع ، فأراد بالهذميّات طعنات منسوبة إلى الأسماء

القاطعة ، أو أراد نفس الأسماء ، والنسبة للبالغة كأخرى ، والقدر : القطع ، وزود

الدرع وسردها : نسجها . فإسناد الفري إلى الهذميّات قرينة على أن تقرئهم استعارة .

مُطْلَقَةٌ وَهِيَ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ وَلَا تَفْرِيعٍ ، وَالْمُرَادُ الْمَعْنَوِيَّةُ لَا النَّصْتُ
وَتَجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِمَا يَلَايِمُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ ، كَقَوْلِهِ :
عَمُرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا *

أو إلى الجور ونحو : فبشرم بعذاب إليم ، فذكر العذاب قرينة على أن بشر
استعارة (بصفة ولا تفريع) أى صفة تلائم أحد الطرفين أو تفريع كلام ،
كذلك اعلم أن اللاتم إذا كان من تنمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو
صفة وإن كان كلاماً مستقلاً جىء به بعد ذلك الكلام فهو تفريع ، سواء
كان بحرف التفريع أو لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للعرف
لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذى
هو وصف المعروف لا الرداء فنظر إلى المستعار له ، رالبت لكثير عزة
وتماه * غلقت اضحكته رتاب المال . أى إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في
أيدى السائلين ، يقال غلق الرهن فى يد المرتهن : إذا لم يقدر على انفكاكه ،
ونظير البيت قوله تعالى : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ، حيث قال إذا قهاولم
يقبل كساها ، فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استمير له اللباس ، كأنه قال فأصابتها
الله لباس الجوع والخوف : قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة
لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها ، فيقولون ذاق فلان البؤس
والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر
والبشع ، فإن قيل الترشيع أبلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع
والخوف ، قلنا لأن الإدراك بالنزوع يستلزم الإدراك بالنس من غير عكس
فكان فى الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة ، فإن قيل لم يقل
فأذاقها الله طعم الجوع والخوف ، قلنا لأن الطعم وإن لامم الإذاقة فهو مفوت

وَمُرَّحَةً ، وَهِيَ مَا قُرِنَ بِهَا يَلَامُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ ، نَحْوُ : أَوْلَيْكَ
الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَجِحتْ بِحَارِسِهِمْ ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ ،
كَقَوْلِهِ :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُقَدَّفٌ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ
وَالْتَرَشِيعُ أَبْلَغُ ، لِاشْتِمَالِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الْمِبَالغةِ ، وَمَبْنَاهُ عَلَى تَنَاسِي

لما يفيد لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عم أثرهما جميع البدن عموم
الملابس (نحو أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فإنه استعار الاشتراء
للاختيار وبقاء بالرجح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر إلى المستعار
منه ومن هذا الباب قول الشاعر :

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدٌ عَمْرُو زَوَيْدَتِ يَا أَخَا عَمْرُو بْنِ بَكْرٍ
فِي الشُّطْرِ الَّذِي مَنَسَكْتَنِي وَذَوْنُكَ وَغَتَّجِرُ مِنْهُ بِشَطْرِ
فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف
الرداء فنظر إلى استعاره له (كقوله لدى أسد) فقوله شاكى السلاح مقذف
تجريد لأنه وصف يلائم المستعار له ، وقوله له ليد أظفاره لم تقلم ترشيح لأنه
وصف يلائم المستعار منه ، والبيت لزهير بن أبي سلمى ، وشاكى السلاح : تأمه ،
ومقذف : مرى به في الوقائع والحروب . واليد جمع ليد : ما ليد من شعر الأسد
على منكبيه (والترشيح أبلغ) الترشيح الذي هو ذكر ملائم المستعار منه أبلغ من
الإطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسي
التشبيه وصرف النفس عن قومه حتى إنه يوضع الكلام في علو القدر وسمو المنزلة
وضعه في علو المكان ، كما قال أبو تمام يمدح يزيد الشيباني :

التَّشْبِيهِ ، حَتَّى إِذَا يُبْقَى عَلَى غُلُوِّ الْقَدْرِ مَا يُدْنِي عَلَى غُلُوِّ لَكَانٍ ،
كَقَوْلِهِ :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهَنَّمُ
فَلَوْلَا أَنْ قَصَدَهُ أَنْ يَفْسِيَ التَّشْبِيهِ وَيُدْفَعَهُ بِجَهْدِهِ ، وَيَصْمُمُ عَلَى إِنْكَارِهِ
وَجَهْدِهِ ، فَيَجْعَلُهُ صَاعِدًا فِي السَّجَاءِ مِنْ حَيْثُ الْمَسَافَةُ الْمَكَانِيَّةُ ، لَمَا كَانَ لِهَذَا
السَّكَلَامِ وَجْهٌ وَمَنْ أَبْلَغَ مَا يَكُونُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ الرَّوْمِيِّ :

أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنُّجُومِ بَنُونُو نَحْتِ عِلْمًا لَمْ يَأْتِيهِمْ بِالْحِسَابِ
بَلْ بَانَ شَاهِدُوا السَّمَاءَ سُمُومًا يَتَرَقَّى فِي الْمَكْرُمَاتِ الصَّعَابِ
مَبْلَقًا لَمْ يَكُنْ لِيَبْلُغُهُ الطَّاوِلُ إِلَّا بِتِلْكَ الْأَسْبَابِ

وَأَعَادَهُ فِي مَرْمَعٍ آخَرَ فَرَادَ الدَّعْوَى قُوَّةً ، وَفِيهَا مَرُورٌ مِنْ يَقُولُ
صِدْقًا وَيَذْكُرُ حَقًّا :

يَا آلَ نُوْبَحْتٍ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَكُمْ بِذَلَا
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمْ
كَمْ عَالِمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بَانَ
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ يَجِدُكُمْ
شَافِيَتُمْ الْبَذَرُ بِالسُّؤَالِ عَنِ الْأَمْرِ
حَقًّا إِذَا مَا سَوَاكُمْ انْتَحَلَا
فَاسْ وَلَكِنْ بَانَ رَقِي فَقَلَا
فَلَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جِهَلَا
رِ إِلَى أَنْ بَلَّغْتُمْ رُحَلَا

وَمِنْهُ قَوْلُ بَشَّارٍ :

أَتُنَنِّي الشَّمْسُ زَاوِرَةً وَلَمْ تَكْ تَبْرَحِ الْفَلَكَا

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَنْظُرَ الْجَبُوهُ لُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ .

وفول المتنبي :

كَبُرَتْ نَحْوُ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَلَيْسَ فِيهَا الشَّرِيقُ

وقوله :

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُمَانِيَةُ الْأَسَدُ

ومنه ماسر من التعجب في قوله :

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَبٍ شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

والنهي عن التعجب في قوله :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ بَلَى غِلَالِيهِ قَدْ زَرَّ أَزْرَارُهُ عَلَى الْقَمَرِ

أو ماترى هؤلاء فيأ فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم ، وكيف نسوا حديث الاستمارة ، كأب لم يجر منهم على بال ، ولم يروه ولا طيفاً خيال . وإذا كانوا مع التشبيه والاعانة بالأسل يسوغون أن لا يبنوا إلا على الفرغ ويقولون :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَرَّ الْقَوَادِ عَزَا جَحِيلًا

فَأَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّنُودُ وَأَنْ تَسْتَفْطِيعَ إِلَيْكَ التَّزُولَا^(١)

أر يقولوا :

وَعَدَ الْبَدْرُ بِإِزَابَةِ لَيْلَا فَإِذَا مَرَّتْ فِي قَصَبِ نَذْوِي

قُلْتُ يَا سَيِّدِي وَلَمْ تُؤْتِنِي الْإِسْلَ عَلَى طَاعَةِ الصَّبَاحِ الْمُنِيرِ .

وَنَحْوُهُ مَا مَرَّ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ ، وَإِذَا جَارَ الْبَيْتُ عَلَى الْفَرْعِ
مَعَ الْإِغْتِرَافِ بِالْأَصْلِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكُنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الْفُؤَادَ عَزَاءَ جَيْلَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّزُولَا

قَالَ لَا أَحِبُّ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّمْسُ فِي طُلُوعِ الْبُذُورِ (١)
أَوْ يَقُولُوا :

قُلْتُ زُورِي فَأَرْسَلْتَ أَنَا آتِيكَ سَحْرَه
قُلْتُ فَالذَّلِيلُ كَانَ أَخْفَى وَأَذْنَى مَسْرَه
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَسْرَه
أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَه

فهم إن تسويغ ذلك مع جحد الأصل في الاستعارة أقرب ، ومما له طبقة
عالية في هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المآخذ قول الفردوسي :
أَبِي أَخَذَ الْفَتَيَيْنِ صَعْمَةً الذِّي مَتَى تُخْلِفِ الْجُوزَاهُ وَالْبَلَوُ يُمَطِّرُ
أَجَابَ بَنَاتِ الْوَالِدَيْنِ وَمَنْ يُخْرِ عَلَى الْمَوْتِ تَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرِ
ادعى لآبيه اسم النيث ادعاء من سلم له ذلك ، ومن لا يخطر بباله أنه
متناول له من طريق التشبيه وكذلك قول عدي بن الرقاع يصف حارين وحشيين

(١) الأبيات لسعيد بن حميد وكذلك التي بعدها .

فَمَعَ جَعْدِهِ أَوَّلَى . وَأَمَّا الْمُرْكَبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شُبِّهَ
بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِيُّ تَشْبِيهُ التَّمَثِيلِ لِلْمَبَالِغَةِ ، كَمَا يُقَالُ لِمُسْتَرَدِّدٍ فِي أَمْرٍ : إِنْ

يَتَقَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مِلْءَةَ بَيْضَاءِ مُحْكَمَةٍ هُمَا تَسْجَاهَا
تُطْوَى إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُخْرِنًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أَشْبَهَتْ نَشْرَاهَا

﴿ وأما المركب ﴾ كل ما مر عليك من ضروب المجاز وأمثله لأنها هو
في المجاز المفرد ، وهذا هو القول في المجاز المركب المعروف بالتمثيل .
المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل
للمبالغة ، أي تشبه لإحدى صورتين متضعتين من أمرين أو أمور بالآخرى ثم
تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فنذكر بعضها من غير
تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروانة بن محمد
وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له : أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر
أخرى . فإذا أناك ككتاني هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام . شبه
صورة تروده في المبالغة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر ، فتارة
يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى . وكما يقال لمن
يعمل في غير معمل : أراك تنفخ في غير نخم وتخط على الماء ، والمعنى أنك
في فعلك كن بفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه
إلى ما كان يمتنع منه : ما زال يفتل منه في الذروة والغارب ، حتى بلغ منه
ما أراد ، والمعنى أنه لم يزل يرقق بصاحبه وفقاً يشبه حاله فيه حال من
يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويفتل الشجر في ذروته وغاربه ، حتى
يسكن ويستأنس ، وهذا في المعنى نظير قولهم فلان يقرء فلاناً ، أي يتناطف به
فعل من يزعج القراء من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن

أَزَالُكَ تَقْدَمُ رَجُلًا وَتَوَخَّرُ أُخْرَى ، وَهَذَا يُسَمَّى التَّخِيلَ عَلَى سَبِيلِ

من أخذه وكذا قوله تعالى : وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والمعنى والله أعلم أن مثل الأرض في قصرها تحت أمر الله وقدرته ، وأنه لا يشذ شيء عما فيها عن سلطانها عز وجل ، مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه . وكذا قوله تعالى : وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، أى يخلق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأغرم للثقل لأنها أشرف اليدين وأقوامها والتي لا غناء للأخرى دونها ، فلا يشأ إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيهاها لثقله ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى كما قال البحترى :

وَإِنْ يَدَى وَقَدْ اسْتَنْدَتْ أُرَى إِلَيْهِ الْيَوْمَ فِي يَدِكَ الْيَمِينِ^(١)

وقال ابن ميادة :

أَلَمْ أُنْ فِي يَمَنِي يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلِينِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ

أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلينى مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطينى في المنزل الوضيع ، وكذا قوله تعالى : وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ . قال الزمخشري : كَانَ الْغَضَبَ كَانَ يَغْرِهْ عَلَى مَا فَعَلَ وَقَوْلُهُ قُلْ لِقَوْمِكَ كَذَا وَأُلْقِ الْأَلْوَاخَ وَجَرَّ بِرَأْسِ أَخِيكَ إِلَيْكَ فَتَرَكَ النِّطَاقَ بِذَلِكَ وَقَطَعَ الْإِغْرَاءَ وَلَمْ يَسْتَحْسِنْ هَذِهِ السَّكْمَةَ وَلَمْ يَسْتَفْصِحْهَا كُلَّ ذِي طَبْعٍ سَلِيمٍ وَذَوْقٍ صَحِيحٍ إِلَّا لِذَلِكَ وَلِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ شُعْبِ الْبَلَاغَةِ ، وَإِلَّا فَأَقْرَأَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ : وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ ، لَأَخَذَ النَّفْسَ عِنْدَهَا شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الْهَزَةِ ، وَطَرَفاً مِنْ تِلْكَ الرُّوْعَةِ .

(١) إليه : أى إلى يونس بن بشار وكان حظياً عند الممدوح وهو المعتز بالله .

الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً، ومَتَنَ فَنَّا اسْتِعْمَالَهُ كَذَلِكَ سَمِيَ
مَثَلًا، وَلِهَذَا لَا تُغَيَّرُ الْأَمْثَالُ.

﴿فصل﴾

قَدْ يُصَوِّرُ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ، فَلَا يُصَرِّحُ بِشَيْءٍ مِنْ أَرْكَانِهِ

وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة، وقد يسمى التمثيل مطلقاً من
التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة. ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بأن يقال له
تشبيه بتمثيل أو تشبيه بتمثيل، والتمثيل متى فُتِنَا استعماله كذلك أى على سبيل
الاستعارة سمي مثلاً، ولكون الأمثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغير
ومن هنا لا يلتفت في الأمثال إلى مضاربهها تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية
وجمعا، بل إنما ينظر إلى موارها مثلاً إذا طلب رجل شيئاً ضيقه قبل ذلك
قيل: الصيف ضيعت اللبن، بكسر التاء لأنه في الأصل لامرأة، وأما ما يقع في
كلامهم من نحو ضيعت اللبن في الصيف بناء المتكلم، فليس بتمثيل بل مأخوذ
منه وإشاره إليه، ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال أو الصفة
أو القصة إذا كان لها شأن وقها غرابة، وهذا في القرآن كثير، قال تعالى:
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، أى عالمهم المجيبة الشأن كحال الذي استوقد
ناراً، وقال جل شأنه: والله المثل الأعلى، أى الوصف الذي له شأن من
العظمة والجلالة، وقال: مثلهم في التوراة، أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه،
وقال: مثل الجنة التي وعد المتقون، أى فيما قصصنا عليك من العجائب
قصة الجنة المجيبة، ثم أخذ في بيان عجائباها إلى غير ذلك مما لا يسكد يحصى
(فصل) قد تضارفت آراء الناس على أنه إذا شبه أمر بأخر من غير تصريح
بشيء من أركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان
هناك استعارة بالكناية وتخييلية، لكن اضطربت أقوالهم في تعيين المدينين

الذين يطلق عليهما هذا اللفظان ، وعصل ذلك يرجع إلى ثلاثة أقوال : أحدها ما يفهم من كلام القدماء ، والثاني : ما ذهب إليه السكاكي ، والثالث : ما أورده المصنف هنا . ذهب السلف إلى أن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار للشبه المرموز إليه بشيء من لوازمه الدالة عليه ، فالمقصود بقولنا أظفار المنية استعارة السبع للنية كاستعارة الأسد الرجل الشجاع في قولنا : رأيت أسداً ، لكننا لم نصرح بذكر المستعار أعني السبع ، بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينقل منه إلى المقصود كما هو شأن الكناية ، فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وهذا يشعر كلام صاحب الكشف في قوله تعالى : ينقضون عهد الله ، حيث قال شاع استعمال النقص في إبطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من إثبات الوصلة بين المتعاهدين ، وهذا من أسرار البلاغة ولطافتها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بتلك الرزمة على مكانه ، ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه . وعالم يفتر منه الناس ، وإذنا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا وقد نهضت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش . وسيجيء في الفصل التالي مذهب السكاكي ، وستسمع في هذا الفصل مذهب المصنف ، أما الشيخ الإمام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية ، وإنما دل على أن في قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى أنه أثبت للنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الأظفار وهو السبع ، وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخيلية ، قال في أسرار البلاغة : الاستعارة على قسمين : أحدهما أن ينقل الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت حلوم يمكن أن ينص عليه ، وذلك قولك رأيت أسداً وأنت قتي رجلاً شجاعاً ، ورتت لنا ظبية وأنت قتي امرأة ، والثاني أن

سَوَى الشَّيْءِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بِأَنْ يُنْبِتَ لِلشَّيْءِ أَمْرٌ مُحْتَمٌ بِالشَّيْءِ
بِهِ ، فَيُسَمَّى التَّشْبِيهُ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ ، أَوْ مَكْنِيًّا عَنْهَا ، وَإِثْبَاتُ

يُؤْخَذُ الْاسْمُ عَنْ حَقِيقَتِهِ وَيَوْضَعُ مَوْضِعاً لِابْيَينَ فِيهِ شَيْءٌ يَشَارُ إِلَيْهِ ، فَيَقَالُ هَذَا
هُوَ الْمُرَادُ بِالْاسْمِ وَالَّذِي اسْتَعِيرَ لَهُ ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ لَيْدٍ :

وَعَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَرَقَةً إِذْ أَصْبَحَتْ بَيْدَ الشَّامِلِ زِمَانَهَا

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ لِلشَّامِلِ يَدًا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مِثَارٌ إِلَيْهِ يُمْكِنُ
أَيُّ تَجَرُّي الْيَدِ عَلَيْهِ كَأَجْرَاءِ الْأَسَدِ عَلَى الرَّجُلِ فِي قَوْلِكَ : أَهْبَرَى لِي أَسَدٌ يَرَارُ ،
وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ إِذَا أَصْبَحَتْ يَشْيءٌ مِثْلُ الْيَدِ لِلشَّامِلِ ، كَمَا يَقَالُ رَأَيْتُ
رَجُلًا مِثْلَ الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا يَتَأَنَّى لَكَ التَّشْبِيهُ فِي هَذَا بَعْدَ أَنْ تَغْيِرَ الطَّرِيقَةَ
وَتَخْرُجَ عَنِ الْخُذُودِ الْأَوَّلِ ، فَتَقُولُ : إِذَا أَصْبَحَتْ الشَّامِلُ وَلَهَا فِي قُوَّةِ تَأْمِيرِهَا فِي
الْعَدَاةِ شَبَهَ الْمَالِكِ تَصَرُّفِ الشَّيْءِ بِيَدِهِ ، فَأَنْتَ كَمَا تَرَى تَجِدُ الشَّيْءَ الْمُتَرَعِّعَ هُنَا
لَا يَلْغَاكَ مِنَ الْمُسْتَعَارِ نَفْسُهُ بَلْ عَمَّا يُضَافُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَ
الشَّامِلَ كَذِي الْيَدِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، فَتَجْعَلَ الْمُسْتَعَارَ لَهُ أَعْنَى الشَّامِلِ مِثْلًا ذَا شَيْءٍ ،
وَعَرَضَكَ أَنْ تَثْبِتَ لَهُ حَكْمٌ مِنْ يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْءُ ، وَقَالَ أَيْضًا : لِاخْتِلَافِ
فِي أَنْ لَفْظَ الْيَدِ اسْتِعَارَةٌ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْقُلْ عَنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، إِذْ لَيْسَ
الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ شَبَهٌ شَيْئًا بِالْيَدِ ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَثْبِتَ لِلشَّامِلِ يَدًا
(عَلَيْهِ) أَيْ عَلَى ذَلِكَ التَّشْبِيهِ الْمُضْمَرِّ فِي النَّفْسِ (بِأَنْ يَثْبِتَ لِلشَّيْءِ أَمْرٌ مُحْتَمٌ
بِالشَّيْءِ بِهِ) مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَمْرٌ ثَابِتٌ حَسًّا أَوْ عَقْلًا أَجْرَى عَلَيْهِ اسْمٌ

(١) الْفُتُوَّةُ وَالْفَرْدُ : يَقُولُ كَمْ عَدَاةٍ تَهَبُ فِيهَا الشَّامِلُ وَهِيَ بَرْدُ الرِّيحِ .

وَبَرْدٌ قَدْ مَلَكَتِ الشَّامِلُ زِمَانَهُ مَدَّ كَمِثَّتْ عَادِيَةُ الْبَرْدِ عَنِ النَّاسِ بَنَحْرِ الْجُزُرِ
لَهُمْ : تَجَرُّيرُ الْمَعْنَى : وَكَمْ مِنْ بَرْدٍ كَفَتْ غَرِبَ عَادِيَتُهُ لِإِطْعَامِ النَّاسِ .

ذَلِكَ الْأَمْرُ لِلشَّيْءِ اسْتِعَارَةً تَخْيِيلِيَّةً ، كافي قولٍ لهذا :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلَيْتِ كُلَّ مَحِيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ

شَبَّةُ الْمَنِيَّةِ بِالسَّبْعِ فِي اغْتِيَالِ النَّفْسِ بِالْقَهْرِ وَالْقَبَةِ مِنْ غَيْرِ تَفَرُّقَةٍ

بَيْنَ نَفَاعٍ وَضَرَارٍ ، فَأُثْبِتَ لَهَا الْأَظْفَارَ الَّتِي لَا يَسْكُنُ ذَلِكَ فِيهِ بِدُونِهَا ،

وَكَافَى قَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَيْتَن تَهَفَّتْ بِشُكْرِ بَرٍّ مُفْصِحًا فَلَيْتَن حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ

شَبَّةُ الْحَالِ بِإِنْسَانٍ مَتَّكِلٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، فَأُثْبِتَ هَذَا اللِّسَانَ

الَّذِي بِهِ قِيَامُهَا فِيهِ ، وَكَذَا قَوْلُ رَهْزِي :

نَحْنُ الْقَائِلُونَ عَنْ سَلَمَى وَأَفْصَرَ بِإِلَاحٍ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الْعَبَا وَرَوَاحِلُهُ

ذَلِكَ الْأَمْرُ (كافي قول الهذلي) يعني أبا ذؤيب من قصيدة قالها ، وقد هلك

له خمس بنين في عام واحد وكانوا فيمن هاجر إلى مصر . والقيمة هي الخُرْزَةُ

التي تعانق على الصبي لتسكون له حجاً بأرضهم من العين والجنون . بقول الهذلي :

إِذَا مَكَانَ الْمَوْتِ أَظْفَارُهُ مِنْ شَيْءٍ لِيَذْهَبَ بِهِ بَطَلَاتُ الْوَقَايَاتِ وَالْحِيلِ وَأَسْبَابِ

النَّجَاةِ . وهذا ، وقد مثل المصنف بثلاثة أمثله ، الأول : ما تكون التخيلية

لإثبات ما به كمال المشبه به ، والثاني : ما تكون إثبات ما به قوام المشبه به ،

والثالث : ما تحتمل الاستعارة فيه أن تكون تخيلية ، وأن تكون تحقيقية

فأعرف ذلك (وإن نطقت) قبله :

لَا تَحْسَبِينَ بِشَأْنِي لَمَّا عَنْ رِضَى فَوْحَقْ جُودِيَّةً إِنِّي أَتَمَّانِي

(صحاح) أي سلا مجازاً من الصحو خلاف السكر وأفسر بالله) يقال أفسر

عن الشيء : إذا أفلح عنه ، أي تركه وامتنع عنه . وبعد ، فقد ظهر لك

أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّهُ تَرَكَ مَا كَانَ تَرْتِكُهُ زَمَنَ الْمَحَبَّةِ ، مِنَ الْجَهْلِ
وَالنَّفَى ، وَأَعْرَضَ عَنْ مُعَاوَدَتِهِ ، فَبَطَلَتْ آلَائُهُ ، فَسَبَّ الصَّبَا بِجَهْمَةٍ مِنْ
جِهَاتِ الْمَسِيرِ ، كَالْحُجِّ وَالتَّجَارَةِ ، فَصَى فِيهَا الْوَلَمَّ فَأَهْلَمَتْ آلَائُهَا ، فَأَثْبَتَتْ
لَهُ الْأَفْرَاسَ وَالرَّوَاحِلَ ، فَالْصَّبَا مِنَ الصَّبَوَةِ بِمَعْنَى الْمَيْلِ إِلَى الْجَهْلِ وَالْفُتُوَّةِ .
وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ دَوَاعِيَ النُّفُوسِ وَشَهَوَاتِهَا وَالْقُوَى الْخَاصِلَةَ لَهَا فِي اسْتِيفَاءِ
الْأَذَاتِ ، أَوِ الْأَشْيَابِ الَّتِي قَلَمَا تَسْأَخُذُ فِي اتِّبَاعِ النَّفْسِ إِلَّا أَوَانَ الصَّبَا ،
فَتَكُونُ الْإِسْتِعَارَةُ تَحْقِيقِيَّةً .

﴿ فَفَقَّحَ لَهَا ﴾

عَرَفَتْ السَّكَاكِيَّ الْحَقِيقَةَ الْفَوْيَّةَ بِالْكَتَابَةِ الْمُتَعَمِّلَةِ فِيمَا وَضِعَتْ

من كلام المصنف هذا أن الاستعارة بالكساية هي التشبيه المضمر في النفس .
قال الشيخ النفاذاني : وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية
خالية عن المناسبة ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السلف ، ولا
هو يبتقى على مناسبة لفوية وكأنه استنباط منه ، والمعنى الصحيح هو ما ذهب
إليه السلف (أراد) أى بالأفراس والرواحل (فصل) تعرض فيه المصنف
لما ذهب إليه السكاكي ، في الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكساية والاستعارة
التخييلية ، وبحث معه في ذلك . . وبعد . فلا يذهب على الظاهر أن من
سفلنا في هذا الشرح الإبعادي عن كل ما لا طائل فراه ولا غشاء فيه ، وليس
بطالب البلاغة إليه حاجة ، ومن هنا لا نريد أن نزيد في هذا الفصل على شرح
كلام المصنف شيئاً حتى لا يزيد الطين بلة والطنبور فغمة ، ومن تأقت نفسه

لَهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْمَوْضِعِ ، وَاحْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْآخِرِ عَنْ الْإِسْتِعَارَةِ
عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِتَأْوِيلٍ ، وَعَرَفَتْ
الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ بِالسَّكَمَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ فِي
اصْطِلَاحِ بِهِ التَّحَاطُّبُ مَعَ قَرْبَةِ مَانَعَةٍ عَنْ إِرَادَتِهِ ، وَآتَى بِقَيْدِ التَّحْقِيقِ

إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى شَيْءٍ وَرَاءَ هَذَا فَلْيَنْظُرْ فِي كَتَبِ الْقَوْمِ (الْآخِرِ) وَهُوَ قَوْلُهُ
مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فِي الْمَوْضِعِ (عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ) وَهُوَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْإِسْتِعَارَةَ
بِمَجَازِ لَفْوِي فَلِئَلاَّ عَلَى هَذَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ وَضْعاً بِالتَّأْوِيلِ ، وَهُوَ ادِّعَاءُ
دُخُولِ الْمَثَبِ فِي جَنْسِ الْمَثَبِ بِهِ يَجْعَلُ أَفْرَادَ الشَّيْءِ بِهِ قِسْمَيْنِ : مُتَعَارِفًا وَغَيْرِ
مُتَعَارِفٍ ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا بِمَجَازِ عَقْلِيٍّ ، بِمَعْنَى أَنَّ التَّنَصُّفَ فِي أَمْرٍ عَقْلِيٍّ
وَهُوَ جَعْلُ غَيْرِ الْأَسَدِ أَسَدًا ، وَأَنَّ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ فِيمَا وَضِعَ لَهُ فَيَكُونُ حَقِيقَةً
لِفُتْوَاهِ فَلَا يَصِحُّ الْإِحْتِرَازُ عَنْهَا (وَعَرَفَ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ) بِأَنَّهُ السَّكَمَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
فِي غَيْرِ مَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لَهُ بِالتَّحْقِيقِ اسْتِعْمَالًا فِي الْغَيْرِ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ
حَقِيقَتِهَا مَعَ قَرْبَةِ مَانَعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ مَعْنَاهَا فِي ذَلِكَ النَّوْعِ . هَذَا لَفْظُ السَّكَمَةِ
عَدَلَ عَنْهُ الْمُصَنِّفُ كَمَا تَرَى لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِبْهَامِ وَالْخَفَاءِ ، وَقَوْلُهُ بِالنِّسْبَةِ مَتَعَاتِقُ
بِالْغَيْرِ وَاللَّامُ فِي الْغَيْرِ لِلْعَهْدِ ، أَيْ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي السَّكَمَةُ
مَوْضُوعَةٌ لَهُ فِي اللَّفْظِ أَوْ الشَّرْعِ أَوْ الْغَرَفِ ، غَيْرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْعِ حَقِيقَةٍ
تِلْكَ السَّكَمَةِ ، حَتَّى إِنْ كَانَ نَوْعُ حَقِيقَتِهَا لَفْوِيًّا ، تَكُونُ السَّكَمَةُ قَدْ اسْتَعْمَلَتْ
فِي غَيْرِ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّ فَتَكُونُ بِمَجَازٍ لَفْوِيٍّ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ (عَلَى مِثَالِ)
مِنْ أَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِيمَا وَضِعَتْ لَهُ بِالتَّأْوِيلِ لَا بِالتَّحْقِيقِ ، فَلَوْ لَمْ يَقِيدِ الْمَوْضِعَ
بِالتَّحْقِيقِ لَمْ تَدْخُلْ فِي التَّعْرِيفِ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي غَيْرِ مَا وَضِعَتْ

لِتَدْخُلَ الْإِسْتِمَارَةُ عَلَى مَا مَرَّ : وَرَدَّ بِأَنَّ الْوَضْعَ إِذَا أُطِيقَ لَا يَتَنَاوَلُ الْوَضْعَ بِتَأْوِيلٍ ، وَبِأَنَّ التَّقْيِيدَ بِاصْطِلَاحِ التَّخاطُبِ لَا بَدْءَ مِنْهُ فِي تَعْرِيفِ الْحَقِيقَةِ ، وَقَسَمَ لِلجَّازِ اللَّغْوِيُّ إِلَى الْإِسْتِمَارَةِ وَغَيْرِهَا ، وَعَرَفَ الْإِسْتِمَارَةَ بِأَنَّ تَذَكُّرَ أَحَدِ طَرَفَيْ التَّشْبِيهِ وَتَرْيِدَ بَرِّ الْآخَرِ ، مَدْعِيًا دُخُولَ الْمَشَبِّهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَقَسَمَهَا إِلَى الْمَصْرُوحِ بِهَا وَالْمَكْتَبِيِّ عَنْهَا ، وَعَقَى بِالْمَصْرُوحِ بِمَا أَنَّ يَكُونُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَجَعَلَ مِنْهَا تَحْقِيقِيَّةً

له بالتأويل (ورد) يقول : إن ما ذكره السكاكي مردود لأمرين ، الأول : أن الوضع وما يشق منه كالموضوعة والموضوع له ، إذا أطلق لا يفهم منه الوضع بتأويل ، وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع فلا حاجة إلى تقييد الوضع في تعريف الحقيقة بعدم التأويل ، وفي تعريف المجاز بالتحقيق ، قال في الإيضاح : اللهم إلا أن يراد زيادة البيان لا تميم الحد . الثاني : أن تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه كالذي عبر به (١) السكاكي إذا كان لابد منه في تعبير المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمالها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فلا بد منه في تعريف الحقيقة أيضاً ، ليخرج نحو هذا اللفظ منه كاسبق ، وقد أمهل في تعريفها (وقسم) مبد المصنف بنقل هذا القسم للبحث مع السكاكي في عدد التمثيل الذي هو مجاز مركب من الاستمارة التي جعلها قسماً من المجاز المفرد (وغيرهما) كالمجاز المرسل (منها) أى من الاستمارة المصرح

(١) وهو قوله . . . لا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها .

وَتَخْيِيلِيَّةٌ ، وَفَسَّرَ التَّحْقِيقِيَّةَ بِمَا مَرَّ ، وَعَدَّ التَّثْمِيلَ مِنْهَا ؛ وَرَدَّ بِأَنَّهُ
مُسْتَأْزِمٌ لِلتَّرَكِيبِ الْمُنَاسِقِ لِلْأَفْرَادِ ، وَفَسَّرَ التَّخْيِيلِيَّةَ بِمَا لَا تَحَقُّقَ
لِمَعْنَاهُ حِسًّا وَلَا عَقْلًا ، بَلْ هُوَ صُورَةٌ وَهَيْمَةٌ مَخْصَةٌ ، كَلَفَظِ الْأُظْفَارِ
فِي قَوْلِ الْهَذَلِيِّ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّهَ اللَّيْتَةَ بِالسَّيْرِ فِي الْإِغْتِيَالِ أَخَذَ الزَّمَمَ
فِي تَصْوِيرِهَا بِصُورَتِهِ وَاخْتِرَاعِ لَوَازِمِهِ لَمَّا ، فَأَخْتَرَعَ لَهَا مِثْلَ صُورَةِ
الْأُظْفَارِ ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ لَفْظَ الْأُظْفَارِ ؛ وَفِيهِ تَعَسُّفٌ ، وَيُخَالَفُ تَفْسِيرَ
غَيْرِهِ لَمَّا يَجْعَلُ الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ ، وَيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ التَّرْشِيحُ تَخْيِيلِيَّةً

بما (بما مر) أى بما يكون المشبه المتروك متحققاً حساً أو عقلاً ، (منها) أى
من التحقيقية (ورد) يقول إن عد التثميل من الاستعارة الحقيقية التى هى
قسم من المجاز المفرد مردود بأن التثميل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا
مركباً كما تقدم فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد (محض) لا يشوبها
شئ من التحقق العقلى أو الحسى (لوازمه) أى ما يلزم صورته ، ويتم به
شكله من الهيئات والجوارح ، وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتياله للتفوس
به من الأنياب والمخالب (عليه) أى على ذلك المثل يبنى على الصورة التى هى
مثل صورة الأظفار (وفيه تعسف) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة
الاعتبارات التى لا يدل عليها دليل ولا تمس إليها حاجة (ويخالف تفسير غيره
لما يجعل الشئ للشئ) غير السكاكى فسر التخيلية بجعل الشئ للشئ كجعل اليد
للشئ فى قول لبيد :

وَعَدَاةٌ رِيحٌ قَدْ كَشَفَتْ وَرَقَةً إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّالِ زِمَامَهَا

نَلْزُومٌ مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ ، وَعَنِ الْمَكْنِيِّ أَنَّ يَكُونُ الْمَذْكُورُ
هُوَ الْمَشْبَهَ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْمَنِيَةِ السَّبْعُ بِادِّعَاءِ السَّبْعِيَّةِ لَهَا ، بِقَرِينَةٍ

فعلى تفسير السكاكي يجب أن يجعل للشمال صورة متوهمة شبيهة باليد ، ويكون
إطلاق اليد عليها استعارة تصريحية تخيلية واستعمالاً للفظ في غير ما وضع له ،
وعند غيره الاستعارة هو إثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لغوية
مستعملة في معناه الموضوع له ، ولهذا قال الشيخ عبد القاهر : لا خلاف في
أن اليد استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ اليد قد نقل عن شيء
إلى شيء ، إذ ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد بل المعنى على أنه أراد أن يثبت
للشمال يداً (للزوم مثل ما ذكره فيه) لأن الترشيح فيه إثبات بعض ما يخص
لشبهه به للمشبه ، إلا أن التعبير عن المشبه في التخييلية بلفظ الموضوع له ،
وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لا يفيد فرقاً (وعنى بالمكني عنها) هذا بحث
آخر ، يقول إن السكاكي : أراد بالاستعارة المكني عنها أن يكون المذكور من
طرفي التشبيه هو المشبه ، على أن المراد بالمنية في قول المذلل : وإذا المنية
أنشبت أظفارها السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن يكون شيئاً غير السبع
بقريته إعانة الأظفار التي هي من خواص السبع إلى المنية ، فقد ذكر المشبه
وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع ، قال المصنف : وهذا التفسير
مردود بأن لفظ المشبه في الاستعارة بالكناية مستعمل فيما هو موضوع له على
التحقيق لقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ولا شيء
من الاستعارة مستعملاً في معناه الموضوع له تحقياً ، لأن السكاكي نفسه
غير الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها
تقسماً من المجاز اللغوي المفهر بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ،
قال أما إضافة نحو الأظفار فقريته التشبيه ، قال في الإيضاح : وأما ما ذكره

إِضَافَةُ الْأَعْفَارِ إِلَيْهَا ، وَرُدُّ بِأَنَّ لَفْظَ الْمُسْبَرِّ فِيهَا مُسْتَعْمَلٌ فِيهَا وَضِيعٌ لَهُ
تَحْقِيقًا ، وَالِاسْتِمَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَإِضَافَةُ نَحْوِ الْأَعْفَارِ قَرِينَةُ
التَّشْبِيهِ ، وَاخْتَارَ رَدَّ التَّشْبِيهِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا ، يَجْعَلُ قَرِينَتَهَا مَكْنِيًّا
عَنْهَا وَالتَّشْبِيهِ قَرِينَتَهَا ، عَلَى نَحْوِ قَوْلِهِ فِي اللَّيْنَةِ وَأَعْفَارِهَا ؛ وَرُدُّ بِأَنَّهُ

السَّكَكِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِهِ ، مِنْ أَنَا نَدْعِي هُنَا أَنْ اسْمَ الْمُنِيَةِ اسْمُ السَّبْعِ ، مُرَادِفٌ
لِلْفَرْقِ السَّبْعِ بِارْتِكَابِ تَأْوِيلٍ وَهُوَ أَنْ تَدْخُلَ الْمُنِيَةُ فِي جِنْسِ السَّبْعِ لِلْمَبَالِغَةِ
فِي التَّشْبِيهِ ثُمَّ تَذْهَبُ عَلَى سَبِيلِ التَّخِيلِ إِلَى أَنَّ الرَّاضِعَ كَيْفَ يَصْحُ مِنْهُ أَنْ يَضَعَ
اسْمَيْنِ لِلْحَقِيقَةِ وَاحِدَةً ، وَلَا يَكُونَانِ مُتَرَادِفَيْنِ ، فَيَتَبَيَّنُ لَنَا هَذَا الطَّرِيقُ دَعَايَ
السَّبْعِيَةِ الْمُنِيَةِ مَعَ التَّصْرِيحِ بِلَفْظِ الْمُنِيَةِ فَلَا يَفِيدُهُ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَقْتَضِي كَوْنَ اسْمِ
الْمُنِيَةِ غَيْرِ مُسْتَعْمَلٍ فِيهَا هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ فَيَدْخُلُ فِي
قَرِيفَةِ الْحَقِيقَةِ وَيَخْرُجُ مِنْ قَرِيفَةِ الْجَبَازِ (وَاخْتَارَ رَدَّ التَّشْبِيهِ إِلَى الْمَكْنَى عَنْهَا)
وَالِيكَ مَا قَالَهُ فِي آخِرِ فَصْلِ الْإِسْتِمَارَةِ التَّشْبِيهِ : هَذَا مَا أَمَكُنْ مِنْ تَلْخِيصِ كَلَامِ
الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ جَعَلُوا قِسْمَ الْإِسْتِمَارَةِ التَّشْبِيهِ مِنْ قِسْمِ
الْإِسْتِمَارَةِ بِالْكُنْيَةِ بِأَنْ قَلَبُوا لَجَعَلُوا فِي قَوْلِهِمْ نَفَقَتِ الْحَالُ بِكَذَا الْحَالِ الَّتِي
ذَكَرَهَا عِنْدَهُمْ قَرِينَةُ الْإِسْتِمَارَةِ بِالتَّصْرِيحِ اسْتِمَارَةً بِالْكُنْيَةِ عَنِ الْمُسْكَلِ
بِوَسَاطَةِ الْمَبَالِغَةِ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى مَقْتَضَى الْمَقَامِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ النُّطْقِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ
الْإِسْتِمَارَةِ كَمَا تَرَامُ فِي قَوْلِهِ :

وَإِذَا اللَّيْنَةُ أَنْشَبَتْ أَعْفَارَهَا *

يَجْعَلُونَ الْمُنِيَةَ اسْتِمَارَةً بِالْكُنْيَةِ عَنِ السَّبْعِ وَيَجْعَلُونَ إِثْبَاتِ الْأَعْفَارِ لَهَا
قَرِينَةَ لاسْتِمَارَةٍ ، وَهَكَذَا لَوْ جَعَلُوا الْبُخْلَ اسْتِمَارَةً بِالْكُنْيَةِ عَنْ حَيِّ أَبْطَاطٍ
حَيَاةٍ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِ سَيْفٍ ، فَالتَّحْقِيقُ بِالْعَدَمِ ، وَجَعَلُوا نِسْبَةَ الْقَتْلِ إِلَيْهِ قَرِينَةَ

إِنْ قَدَّرَ التَّشْبِيهَ حَقِيقَةً لَمْ تَكُنْ تَخْيِيلِيَّةً ، لِأَنَّهُا تَجَازُ عِنْدَهُ ، فَلَمْ تَكُنْ
لِلْمَكْنَى عَنْهَا مُسْتَنَازِمَةً لِلتَّخْيِيلِيَّةِ ، وَذَلِكَ بِاطِلَافِ الْإِتِّفَاقِ ، وَإِلَّا فَتَكُونُ
اسْتِعَارَةً ، فَلَمْ يَكُنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُغْنِيًا عَمَّا ذَكَرَهُ غَيْرُهُ .

﴿ ففصل ﴾

حُسْنُ كَلَامٍ مِنَ التَّحْقِيقِيَّةِ وَالتَّخْيِيلِ بِرِغَايَةِ جِهَاتِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ

ولو جعلوا أيضاً للندميات استعارة بالكناية عن المعلومات الطيبة الشبيهة على
التكلم وجعلوا نسبة لفظ القرى إليها قرينة الاستعارة لكان أقرب إلى الضبط .
وقال المصنف وهذا مردود ، لأن السبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها
استعارة بالكناية كنطقت ، في قولنا نطقت الحال بكذا . لا يجوز أن
يقدرها حقيقة حينئذ لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية ، لأن
الاستعارة التخيلية عنده مجاز ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية
مستلزمة للتخييلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين أن يقدرها مجازاً وإذا قدرها
مجازاً لزمه أن يقدرها من قبل الاستعارة ، لكون العلاقة بين المعنيين هي
المشابهة فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصالية وتبعية
وهذا ، ما أحبطنا ذكره في هذا الفصل بجزئين به عما لا طائل تحته مما تشبهت
به القوم بحكمهم أنفسهم بين المصنف والسكاكي ، فإن تشرفت إلى ذلك شغل
نظرك عن كتابنا واعبد به إلى أطول العصام ومطول التفتازاني واجمع إليهما
حاشيتي عبد الحكيم والجرجاني (برعاية جهات حسن التشبيه) مثل أن يكون التشبيه
وافياً بإفادة ما علق به من الغرض ، وأن يكون وجه الشبه غير متبدل بأن يكون
قريباً لطيفاً لكثرة التفصيل أو اندرة حضوره في الذهن ، إلى غير ذلك مما ينبغي

وَأَنْ لَا يُسَمَّ رَاحَتُهُ نَفْثًا ، وَلِذَلِكَ يُعْنَى أَنْ يَكُونَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ
جَلِيًّا ، لِئَلَّا تُعْصِرَ إِلَهُ ذَا ، كَمَا لَوْ قِيلَ رَأَيْتُ أَسَدًا وَأُرِيدُ إِنْسَانًا أُنْجَرُ ،
وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً وَأُرِيدُ النَّاسَ ، وَهَذَا ظَهَرَ أَنَّ
التَّشْبِيهَ أَعْمُ تَحْلَا ؛ وَيَتَّعَلُّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا قُوِيَ الشَّبَهُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى
اتَّحَدَا كَالْعِلْمِ وَالنُّورِ وَالشَّبَهَةِ وَالظُّلْمَةِ لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ وَتَعَيَّنَتْ
الِاسْتِعَارَةُ ؛ وَالْمَكْنَى عَنْهَا كَالْتَحْقِيقَةِ ، وَالتَّخْيِيلُ حُسْنُهَا بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا .

ذَكَرَهُ (وَأَنْ لَا يُسَمَّ رَاحَتُهُ نَفْثًا) لِأَنَّ ذَلِكَ يَبْطُلُ الْفَرْضُ مِنْ
الِاسْتِعَارَةِ ، أَعْنَى ادْعَاءَ دُخُولِ الْمَشَبِّهِ فِي جِنْسِ الْمَشَبَّهِ بِهِ (وَرَأَيْتُ إِبِلًا مَائَةً
لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً) هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : النَّاسُ
كَإِبِلٍ مَائَةٍ لَا تُجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً ، يُبْنَى أَنَّ الْمُخْتَارَ مِنَ النَّاسِ فِي عِزَّةٍ وَجُودِهِ كَالنَّجِيبَةِ
الَّتِي لَا تَوْجِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِبِلِ (أَعْمُ حَلَا) أَيْ أَنَّ كُلَّ مَا يَنْتَاقِي فِيهِ
الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمْثِيلُ ، يَنْتَاقِي فِيهِ التَّشْبِيهُ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا يَنْتَاقِي فِيهِ
التَّشْبِيهُ يَنْتَاقِي فِيهِ الِاسْتِعَارَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَوْ التَّمْثِيلُ ؛ لِجَوَازِ أَنْتَ يَكُونُ وَجْهَ
الشَّبَهَةِ فِيهِ خَفِيًّا فَيُصِيرُ تَعْمِيَةً . أَلْهَازًا كَالْمَثَالَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ (لَمْ يَحْسُنِ التَّشْبِيهُ)
فَإِذَا فُهِمَ الرَّجُلُ الْمُسْتَلْزَمُ فَإِنَّهُ يَقُولُ حَصَلَ فِي قَلْبِي نُورٌ ، وَلَا يَقُولُ كُنْتُ نُورًا
حَصَلَ فِي قَلْبِي ، وَإِذَا وَقَعَ فِي شَبَهَةٍ يَقُولُ وَقَعَتْ فِي ظِلْمَةٍ ، وَلَا يَقُولُ كَأَنِّي فِي
ظِلْمَةٍ (كَالْتَحْقِيقَةِ) فِي أَنَّ حُسْنَهَا بِرِغَابَةِ حُسْنِ التَّشْبِيهِ (بِحَسَبِ حُسْنِ
الْمَكْنَى عَنْهَا) لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا نَائِبَةً لَهَا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ . وَأَمَّا صَاحِبُ الْمُفْتَاحِ
فَعَلَا لَمْ يَقُلْ بِوُجُوبِ كَوْنِهَا تَائِبَةً لِلْمَكْنَى عَنْهَا ، قَالَ إِنْ حُسْنَهَا بِحَسَبِ حُسْنِ

﴿ فُضِّلَ ﴾

وَقَدْ بَطَلَتْ الْمَجَازُ عَلَى كَلِمَةِ تَفْسِيرِ حُكْمِ إِعْرَابِهَا بِحَذْفِ أَفْظٍ
أَوْ زِيَادَةِ لَفْظٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَجَاءَ رَبُّكَ ، وَأَسْأَلَ الْقَرْيَةَ ، وقوله تَعَالَى :

المسكى عنها حتى كانت، تابعة لها ، وقلاً تحسن الحسب البليغ غير تابعة لها ، ولذلك
استهجنتم في قول اللطاني :

لَا تَنْتَفِي مَاءَ اللَّامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدَرٍ اسْتَعْدَدْتُ مَاءَ بُكَائِي

(فصل) اعلم أن الكلمة كاتوصف بالمجاز لتقلك لها عن معناها كما مضى
كذلك توصف به لتقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها لمحذف
لفظ أو زيادة لفظ ، أما المحذف فكقوله تعالى : وأسأل القرية ، الأصل وأسأل
أهل القرية ، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل ، وعلى الحقيقة هو الجر المحذف
المضاف واكتسب المضاف إليه إعرابه ، واعلم أن الحكم بالمحذف ههنا إنما
هو لاسم يرجع إلى غرض المتكلم ، حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل
لم تقطع بأن ههنا محذوفاً ، لجواز أن يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت
وباد أهلها ، فأراد أن يقول لصاحبه واعطأ ومذكراً أو لنفسه متعظاً ومعتبراً
سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا ، على حد قولهم : سل الأرض من شق
أنهارك . وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك . فإنها إن لم تجبك حواراً ، أجايتك
اعتباراً . وأما الزيادة فكقوله تعالى : ليس كئله شيء . على القول بزيادة الكاف
أي ليس مثله شيء ، فأعراب مثله في الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار
جراً : وعندى أن البكاف ليست بزيادة وأن الآية من باب الكناية . قال في
الكشاف ، قالوا مثلك لا يبعث . فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن
ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلوكوا به طريق الكناية . لأنهم إذا نفوه عن

لَيْسَ كَيْفَهُ شَيْءٌ ، أَيْ أَمْرُ رَبِّكَ ، وَأَهْلُ الْقُرْبَى ، وَلَيْسَ مِثْلَهُ شَيْءٌ .

﴿ الْكِنَايَةُ ﴾

الْكِنَايَةُ لَفْظٌ أُريدَ بِهِ لَازِمٌ مَعْنَاهُ مَعَ جَوَازِ إِرَادَتِهِ مَعَهُ ، فَظَهَرَ أَنَّهَا تَشْتَلِفُ الْمَجَازَ مِنْ حَيْثُ إِرَادَةُ الْمَقْنَى مَعَ إِرَادَةِ لَازِمِهِ ، وَفُرُقَ بِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ

يسد مسددة وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي العرب لا تخف الزم ، كان أبلغ من قولك أنت لا تخف ، ومنه قولهم قدما بلغت لداته وبلغت أترابه ، يريدون إيفاعه وبلوغه ، حيث لم يقع فرق بين قوله ليس والله شيء ، وبين قوله ليس كشيء . إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد ، وهو نفي المماثلة عن ذاته ، ونحوه قوله عز وجل : بل يدها مبسوطتان . فإن معناه بل هو جواد من غير تصور بد ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا آخر حتى إنهم استعملوها فيعين لا بد له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له . هذا ، وأما إن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالى : أو كصيب من السماء ، إذ أصله أو كمثل ذوى صيب لحذف ذوى لدلالة يحملون أصابعهم في آذانهم عليه وحذف مثل لما دل عليه عطفه على قوله : كمثل الذي استوقد نارا ، إذ لا يخفى أن التشبيه من صفة المتألفين العجيبة الشأن ، وذوات ذوى صيب ، وكقوله : فبما رحمة من الله لنت لهم ، فلا توصف الكلمة بالجماد كما حقق ذلك الشيخ الإمام رحمه الله .

﴿ الكناية ﴾ هي في عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد به غيره وقد كنيته بكذا عن كذا أو كنوت وأئشد أبو زياد :

ففيها من اللازم، وفيه من الملزوم، ورد بأن اللازم ما لم يكن ملزوماً
لم ينتقل منه، وحينئذ يكون الانتقال من الملزوم. وهي ثلاثة أقسام:

وَإِنِّي لَا كُنُوعَ قَدِيرٍ بِفَيْرِهَا. وَأَعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا فَضَارِحُ

وفي مصطلح النظر من علماء البيان، قال الشيخ الإمام: أن يريد المتكلم
إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يحىء
إلى معنى هو تأليه وردفه في الوجود فيوصي به إليه ويجعله دليلاً عليه. وقال
غير الشيخ: الكتابة لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ،
كقولك فلان طويل النجاد: أى طويل السامة، وفلانة تؤم الضحى، أى مرفهة
مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها في إصلاح المهمات، وذلك أن وقت الضحى
وقت يسمى فيه نساء العرب وراء المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه
في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون
لها خدم ينوبون عنها في السعى لذلك. ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد
والنوم في الضحى من غير تأويل، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أى
من جهة جواز إرادة المعنى مع إرادة لازمته، فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح
في نحو قولك: في الحرام أسد، إن تريد معنى الأسد من غير تأويل، لأن المجاز
ملزوم قربة معاندة لإرادة الحقيقة كما تقدم وملزوم معاندة الشيء معاندة لذلك
الشيء، وقرى السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً، وهو أن معنى الكتابة
على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، كالانتقال من طول النجاد الذي هو لازم
إطول السامة إليه، وبين المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم كالانتقال
من الأسد الذي هو ملزوم الشجاع إلى الشجاع. قال المصنف: وهذا مردود
بأن "اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم لأن اللازم من

الْأَوَّلَى الْمَطْلُوبُ بِهَا غَيْرُ صِفَةٍ وَلَا نِسْبَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هِيَ مَعْنَى وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ :

* وَالطَّلَاعَيْنِ بِجَمَاعِ الْأَصْفَانِ *

وَمِنْهَا مَا هِيَ جَمْعُ مَعَانٍ كَقَوْلِنَا — كِنَايَةً عَنِ الْإِنْسَانِ — حَتَّى
مُسْتَوَى الْقَامَةِ عَرِيضُ الْأُطْفَارِ ، وَشَرْطُهُمَا الْإِخْتِصَاصُ بِالسَّكْنِيِّ عَنْهُ ؛
وَالثَّانِيَةِ الْمَطْلُوبُ بِهَا صِفَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْتِقَالُ بِوَاسِطَةٍ فَقَرِيبَةٌ :

حيث أنه لازم ، يجوز أن يكون أعم من الملزوم ، ولا دلالة للعام على الخاص
فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم كما في المجاز ، فلا يتحقق الفرق
(فنها) أى فن الأولى (كقوله والطارئين بجامع الأصفان) فجامع
الأصفان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت :

* الصَّارِبِينَ يَكُلُّ أبيضَ مُحْدَمٍ *

والمحْدَم : القاطع ، ونظير البيت قول البحترى في قصيدته التى يذكر فيها
قتله للذئب :

فَأَتَبَعْتُنِي أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَعْلَهَا رِيحِيثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحَقْدُ

فقوله بحيث يكون اللب والرعب والحقد ، ثلاث كنايات لا كناية واحدة ،
لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود (وشرطهما الاختصاص بالمكئ
عنه) ليحصل الانتقال منهما إليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول : الثانية
من أقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات ، كالجود والكرم والشجاعة
وهو ضربان قريبة وبعيدة ، فالقريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة

وَإِخْتِمْ ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنْ طُولِ الْقَامَةِ - طَوِيلٌ نِحَادُهُ وَطَوِيلُ
النَّجَادِ ، وَالْأَوَّلَى سَادِجَةٌ ، وَفِي الثَّانِيَةِ تَصْرِيحٌ مَا لِيَتَضَمَّنِ الصِّفَةَ الضَّمِيرَ
أَوْ خَفِيَّةً ، كَقَوْلِهِمْ - كِنَايَةٌ عَنِ الْأَبْلَهَةِ - عَرِيضُ الْقَفَا ، وَإِنْ كَانَ

وهي إما واحدة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده ، وهذه كناية
ساذجة لا يشوبها شيء من التصريح ، وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على
تصريح ما تتضمن الصفة فيه وهي طويل ضمير الموصوف ، وإما خفية يتوقف
الانتقال منها على تأمل وإعمال روية ، كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا ،
فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرطاً فبا يقال دليل الضباوة ، ألا ترى إلى
قول طرفة بن العبد :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاسُ كُرْأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (١)
والبعيدة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة ، كقولهم كثير الرماد ،
كناية عن المضيايف ، فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت
القُدُور ومنها إلى كثرة الطبايع ، ومنها إلى كثرة الأكلة ، ومنها إلى كثرة
الضيغان ومنها إلى المقصود وكقوله :

وَمَا بَكَ فِيَّ مِنْ عَيْنٍ فَإِنَّ جَبَانَ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

فإنه ينتقل من جبن الكلب عن الحرير في وجه من يدنو من دار من
هو بمرصد ، لأن يمس دونها مع كون الحرير في وجه من لا يعرفه طبيعياً له
إلى استمرار تأديبه ، لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ومن

(١) الضرب : الرجل الخفيف اللحم ، ورجل خشَّاس : هو الماخض من
الرجال ، وشبه يقطعه وذكاه ذهنه بتوقد رأس الحية .

الِإِشْقَالُ بِوَاسِطَةِ فَبَعِيدَةً ، كَقَوْلِهِمْ : كَثِيرُ الرَّمَادِ ، كِنَايَةٌ عَنِ الْمُضَيَّافِ
فَإِنَّهُ يُدْتَقَلُّ مِنْ كَثَرَةِ الرَّمَادِ إِلَى كَثَرَةِ إِحْرَاقِ الْحَطَبِ تَحْتَ
الْقُدُورِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الطَّبَايِخِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الْأَكَلَةِ ،

ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ،
ومن ذلك إلى كونه مقصد أذان وأفص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن فرى
الأضياف ، وكذلك ياتقل من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة
الدعاء إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق لاسيا المثلثات ^(١) ، ومنها إلى
حرفها إلى الطبايح ، ومنها إلى أنه مضيف ومن هذا النوع قول نصيب :

لَمَبْدُ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِثْنٌ ظَاهِرَةٌ
فَبَابِكَ أَهْلُ أَبَوَائِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكُنْكَ أَنْسُ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْبَنَةِ الزَّائِرَةِ

فإنه يفتقل من وجف قلبه بما ذكر إلى أن الزائر من معارف عنده ، ومن
ذلك إلى اتصال مشاهدته لإياهم ليلاً ونهاراً . ومنه إلى لزومهم مدته ، ومنه
إلى تسنى مراغهم لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص
والعام وهو المقصود ، ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ
ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

لَا أَمْتِخُ الْعُوذَ بِالْفِصَالِ وَلَا أَتْبَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الْأَجَلِ

(١) أى التى لها أولاد تتلوها ، من أعلت الناقة : إذا تبعها ولد .

وَمِنْهَا إِلَى كَثْرَةِ الضَّيْفَانِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . الثَّالِثَةُ : الْمَطْلُوبُ بِهَا
نِسْبَةُ ، كَقَوْلِهِ :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالرُّوَّةَ وَالنَّدَى * فِي قَبَّةٍ ضَرِبْتُ عَلَى ابْنِ الْخُشْرَجِ
فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ اخْتِصَاصَ ابْنِ الْخُشْرَجِ بِهَذِهِ الصَّفَاتِ ، فَتَرَكَ
التَّصْرِيحَ بِأَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مُحْتَضٍ بِهَا أَوْ نَحْوَهُ إِلَى الْكِنَايَةِ بِأَنْ جَمَعَهَا

فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عَدَمِ اسْتِغْنَاءِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهَا فَصَالُهَا لِتَأْنِسَ بِهَا ، وَيَحْصِلُ لَهَا
النَّوْحُ الطَّبِيعِيُّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ إِلَى نَحْرُهَا أَوْ لَا يَبْقَى الْعَوْدُ لِنَفْثِهَا عَلَى
فَصَالِهَا ، وَكَذَا قَرَبَ الْأَجَلَ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى نَحْرِهَا وَمِنْ نَحْرِهَا إِلَى أَنَّهُ مُضَيَّافٌ .
وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الْقِسْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، أَيْ وَلَمَّا اشْتَدَّ نَدَمُهُمْ
وَحَسْرَتُهُمْ عَلَى عِبَادَةِ الْعَجَلِ ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنٍ مِنْ أَشْدَدِّ نَدَمِهِ وَحَسْرَتِهِ أَنْ يُعْصِرَ
يَدَهُ غَمًّا فَتَصِيرَ يَدُهُ مَسْقُوطَةً فِيهَا ، لِأَنَّهُ فَاهٌ قَدْ وَقَعَ فِيهَا (نِسْبَةُ) أَيْ إِبْطَاتُ
أَمْرِ الْأَمْرِ أَوْ نَفْيِهِ عَنْهُ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ صَاحِبِ الْمَفْتَاحِ : إِنَّ الْمَطْلُوبَ تَخْصِيسَ
الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ ، وَلَمْ يَرُدَّ بِالتَّخْصِيسِ الْحَصْرَ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لَهُ هُنَا (كَقَوْلِهِ)
أَيْ قَوْلِ زِيَادِ الْأَعْجَمِ ، فَإِنَّهُ أَرَادَ كَمَا لَا يَخْفَى أَنْ يَثْبُتَ هَذِهِ الْمَعْنَى وَالْأَوْصَافُ
خِلَافًا لِلدُّوْحِ وَمُضَارَبَاتِ فِيهِ ، فَتَرَكَ أَنْ يَصْرَحَ بِقَوْلِ إِنَّهَا مَجْمُوعَةٌ فِيهِ أَوْ
مَقْصُورَةٌ عَلَيْهِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ صَرِيحٌ فِي إِبْطَاتِ الْأَوْصَافِ لِلدُّكُورِينَ بِهَا
وَعَدَلَ إِلَى مَا تَرَى مِنَ الْكِنَايَةِ وَالتَّلْوِجِ لَجُلِّ كَوْنِهَا فِي الْقَبَّةِ الْمُضْرُوبَةِ عَلَيْهِ
عِبَارَةً عَنْ كَوْنِهَا فِيهِ ، فَخَرَجَ كَلَامُهُ بِذَلِكَ إِلَى مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَزَائِلِ وَظَاهِرِ
فِيهِ مَا أَنْتَ تَرَى مِنَ الْفَخَامَةِ ، وَلَوْ أَنَّهُ أَسْقَطَ هَذِهِ الْوَاسِطَةَ مِنَ الْبَيِّنِ لَمَا كَانَ
إِلَّا كَلَامًا غَفْلًا وَحَدِيثًا سَادِجًا . وَمِمَّا هُوَ لَطِيفٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي مَوَاسٍ

فِي قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ عِنْدِهِ ، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُمْ : الْمَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالكَرَمُ بَيْنَ
بُرْدَيْهِ ، وَالْمَوْصُوفُ فِي هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَذْكُورٍ كَمَا يُقَالُ
فِي غَرَضٍ مَنْ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ : السُّلْمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ . .
السَّكَاكِي : الْكَذَابَةُ تَتَفَاوَتْ إِلَى تَعْرِضٍ وَتَلْوِيحٍ وَرَمَزٍ وَإِشَارَةٍ

وَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلٌّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ
وقول الآخر :

يَصِيرُ أَبَابُ قَرِينِ السَّمَاءِ وَالْكَرُمَاتِ مِمَّا حَيْثُ صَارَا
وقول الثالث :

* وَحَيْنَمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنْ *

كل ذلك توصل إلى إثبات الصفة في المدح بإثباتها في المكان الذي يكون
فيه . وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله . وهكذا إذا اعتبرت قول
الشنفرى الأزدي يصف امرأة بالهفة :

يَبْدِيْتُ بِمِنْجَاةٍ مِنَ اللُّومِ بَيْتَهَا إِذَا مَا يُبُوتُ بِالْمَلَامَةِ حَلَّتْ

وجدته يدخل في معنى بيت زياد . وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها
وإبعادها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه . وكان مذهبه في ذلك مذهب
زياد في التوصل إلى جعل الساحة والمرودة والتدنى في ابن الحشرج ، بأن
جعلها في القبة المضروبة عليه . وإثما الفرق أن هذا ينفي وذلك يثبت ، وذلك
فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد (في عرض)
العرض بعزم العين : الباحية والجانب ، يرد كما يقال في التعريض بمن يؤذى
المسلمين إلى الخ (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فإنه كناية عن

وإِسمَاءُ ، وَالْمُنَاسِبُ لِلْعَرْضِيَّةِ التَّعْرِيفُ ، وَلِغَيْرِهَا - إِنَّ كَثُرَتْ
اَوَسَاتِطُ - التَّلْوِيحُ ، وَإِنْ قُلْتَ مَعَ خَفَاءِ الرَّمْزِ ، وَيَلَا خَفَاءَ الْإِسْمَاءِ
وَالْإِشَارَةِ ، ثُمَّ قَالَ : وَالتَّعْرِيفُ : يَكُونُ بِحَاجَا ، كَقَوْلِكَ أَذْيَنِي

نفي الإسلام عن المؤذي (تفاوت) يريد تنوع (والمناسب للعرضية
التعريف) إليك عبارة السكاكي . متى كانت الكناية عرضية^(١) كان إطلاق
التعريف عليها مناسباً^(٢) ، وإذا لم تكن كذلك ، فإن كان بينها وبين المسكني
عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق
اسم التلويح عليها مناسباً ، لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن
كانت المسافة قريبة من نوع من الحناء كمرئض الفقا وعريض الرسادة فإن
إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً ، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على
سبيل الخفية قال :

رَمَزْتَ إِلَى خَفَاءَةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِيَ هُنَاكَ كَلَامَهَا
وإن لم يكن هناك خفاء ، فالمناسب أن تسمى إسماء وإشارة ، كقول أبي.
تمام يصف إبلا :

أَبْيَنَ فَمَا يَزُورَنَ سِوَى كَرِيمٍ وَجَبَّكَ أَنْ يَزُورَنَ أَبَا سَعِيدٍ
فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف ، وكقول البحري :

(١) أي، مسوقة لموصوف غير مذكور .

(٢) لأن التعريف إمالة الكلام إلى عرض أي جانب بدل على المقصود ،
يقال عرضت بفلان ولفلان : إذا قلت قولاً وأنت تعنيه ، فكأنك أشرت به
إلى جانب وأنت تريد جانبا آخر .

فَتَعْرِفُ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ إِنْسَانًا مَعَ الْمُخَاطَبِ دُونَهُ ؛ وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا جَمِيعًا
كَانَ كِتَابَةً وَلَا بُدَّ فِيهِمَا مِنْ قَرِينَةٍ .

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلٍ طَلَحَتْهُ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ
فَإِنَّهُ فِي إِفَادَةِ أَنْ آلٍ طَلَحَتْهُ أَمَّا جَدُّ ظَاهِرٌ ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلَّا الْكِرَامَ فَسَقَى وَجُوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
وَسَقَى دِيَارَهُمْ نَاصِرًا مِنَ الْقَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُنْجَلِ
وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

مَتَى تَخْلُو بِنَسِيمٍ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةٌ بَنُ عَمْرِو مِنْ تَمِيمٍ
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْجُودَ مَا لِي أَرَاكَ تَبَدَّلْتَ ذَلَا بَعْدَ مَوْجِدٍ
وَمَا بِالرَّكْنِ الْمَجْدَ أَمْسَى مَهْدِمًا فَقَالَا أَصْبَنَا بَابَنَ يَحْيَى مُحَمَّدٍ
فَقُلْتُ فَهَلَا مَتَا غَسَدَ مَوْتُهُ فَقَدْ كُنَّا عَبْدِيهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
فَقَالَا أَقْنَاكَ نَعْمَى بِفَقْدِهِ مَسَافَةٌ يَوْمَ ثُمَّ نَتَلَوُهُ فِي غَدٍ

فعلى ما ترى من الظهور (دونه) أى دون المخاطب ، أى لا تريد تهديده
أى وحيث تريد بهذا الكلام تهديد غير المخاطب دون المخاطب صارت
تاء الخطاب غير مراد بها أصلاً ، وإذن يكون هذا الكلام مجازاً . تسكلة .
قال صاحب الكشاش : الكناية أن تذكر التثنية بغير لفظه الموضوع له ،
والتعريض أن تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول المحتاج
إليه . حَسْبُكَ لَأَسْلَمَ عَلَيْكَ وَلَا نَظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، ولذلك قالوا : حَسْبُكَ
بِالتسليم منى نقاضياً . فكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود

﴿فصل﴾

أطبق البلغاء على أن المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتعريض .
لأن الانتقال فيها من اللزوم إلى اللازم فهو كدعوى الشيء ببيته .
وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، لأنها ترفع من المجاز .

ويسمى التلويح ، لأنه يلوح منه ما يريد ، وقال ابن الأثير : الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما ، وتكون في المفرد والمركب ، والتعريض هو اللفظ اندال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي ، بل من جهة الولوج والإشارة ، فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله إني محتاج ، فإنه تعريض بالطلب مع أنه لم يوسع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم المعنى من عرض اللفظ أى جانبه ، وعرض كل شيء جانبه .

﴿فصل﴾ أجمع أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني ، غلب أن

المجاز أبداً أبلغ من الحقيقة ، والكناية أبلغ من الإنصاح ، والتعريض أوقع من التصريح ، وأن للاستعارة منزلة وفضلاً على التصريح بالتشبيه قال الشيخ الإمام : ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد ما خلافه ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافه ، فليست فضيلة قولنا : رأيت أسداً على قولنا رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة ، أن الأول أفاد زيادة في مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة له لم يفده الثاني . وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى ، أن الأول أفاد زيادة لقراءة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني ، فالسبب في أن للكناية منزلة لا تكون للتصريح ، أن كل عاقل

﴿النَّاسُ الثَّالِثُ عِلْمُ الْبِدِيعِ﴾

وَهُوَ عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ بِعَدِّ رِعَايَةِ الْمُنَاطَقَةِ
وَوُضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَهِيَ ضَرْبَانِ : مَعْنَوِيٌّ وَنَهْضِيٌّ ، أَمَّا الْمَعْنَوِيُّ فَمِنْهُ

يعلم أن إثبات الصفة بإثبات دليها أكد وأبلغ في الدعوى من أن نجى إليها
فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً ، وذلك أنك لا تدعى دليل الصفة إلا والأمر ظاهر
معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والغلط ؛ وأما
الاستعارة : فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت رأيت أسداً ،
كنت قد تاملت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة ، حتى جعلتها كالشيء
الذي يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده ،
وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة والمستحيل
أو الممتنع أن يعرف عنها ، وإذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلاً كالأسد
كنت قد أثبتت إثبات الشيء بترجح بين أن يكون وبين ألا يكون ، ولم يكن
من حديث الرجوب في شيء (وجوه تحسين الكلام) لعلم أنه قد أطبق
الماخا على أن هذه المحسنات البدعية لاسيما اللفظية منها لا تحل محلها من
القول ، ولا تقع موقعها من الحسن ، حتى يكون المعنى هو الذي استدعاه
وسامها نحوه ، وحتى تجدها لا تفتى بها بدلاً ولا تجد عنها حوالاً . ومن هنا
فهم الاستكثار منها والولوع بها لأن المعاني لا تدين في كل موضع لها إذ هي في
الغالب ألفاظ ، والألفاظ خدم المعاني ، مصرفة في حكمها ، فمن نصر اللفظ
على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنة
الاستكبراء . وفيه فتح أبواب الغيب والتعرض للثين ، ولهذا الحالة كان
كلام المتقدمين الذين تركوا فصل الاحتفاء بالبدعيات ولزموا بحجة الطبع

لِلطَّائِفَةِ ، وَتُسَمَّى الطَّبَائِقَ وَالتَّصَادُّ أَيْضًا ، وَهِيَ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَضَادِّينِ
أَيَّ مَعْنَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ ، وَيَكُونُ بِلَفْظَيْنِ مِنْ نَوْعِ اسْمَيْنِ

أمكن في القول وأوضح للمراد ، وأسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذي
هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد في كلام المتأخرين كلاماً محل صاحبه
فرط شغفه بالبديعيات إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليسين ، ويخيل
أنه إذا جمع بين أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناء في عيباء ،
وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء ، وربما طمس بكرة ما يتكلمه
على المعنى وأفسده كن أقل العروس بأصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه
في نفسها ، ولعمري إن تجد أين طائراً ، وأحسب أولاً وآخرها ، وأهدى إلى
الإحسان وأجلب . ستحسان ، من أن ترسل المعاني على بجيتها ، وتدعها تطرب
لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تنكس إلا ما يليق بها . ولم
تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن
تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين مثلاً فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه
وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم ، وهو الذي يجعل عبارتك حرة
بقول أبي الطيب :

إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حَسَنِ شَيْئَاتِهَا وَأَغْضَابَهَا فَالْحَسَنُ عَنْكَ مُغْنِيٌ

(أى معنيين متقابلين في الجملة) يعني ليس المراد بالمتضادين ههنا الأمرين
الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف ، كالسواد
والبياض ، بل أعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف في الجملة .
ون بعض الأحوال سواء كان التقابل حقيقياً أو اعتبارياً وسواء كان تقابل
التضاد أو تقابل الإيجاب والسل ، أو تقابل العدم واللكم . أو تقابل التضاف

نَحْوُ : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَانًا وَهُمْ رُفُودٌ ، أَوْ فِعْلَيْنِ نَحْوُ : يُخَيِّ وَيُمَيِّت :
أَوْ حَرْفَيْنِ ، نَحْوُ : لَهَا مَا اكْتَسَبَتْ وَعَاطِيَهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، أَوْ مِنْ نَوْعَيْنِ
نَحْوُ : لَوْ مَنْ كَانَ بَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : طَبَاقُ الْإِيحَابِ ، كَمَا مَرَّ ،

وما يشبه شيئاً من ذلك (نحو يحيي ويميت) مثله قوله تعالى . تَوَلَّى الْآلِهَ مِنْ
تَشَاءُ وَتَزِعُ الْمَلَائِكَةُ مَنْ تَشَاءُ وَتَقْذِفُ مَنْ تَشَاءُ . وقوله صلى الله
عليه وسلم للأَنْصَارِ : إِنَّكُمْ لَتُكْثِرُونَ عِنْدَ الْفَرَجِ ، وَقِفْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ ،
وقول بشارة :

إِذَا أَيْقَنْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا نَمَّ

(نحو لها ما كسبت) فإن في اللام معنى الانتفاع ، وفي على معنى
التضرر ، أى لها ما كسبت من خير ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينتفع
بطاعتها ، ولا يتضرر بمعصيتها غيرها ، وتخصيص الخير بالكسب والشر
بالاكتساب ، لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشبيه النفس وتنجذب إليه ،
فكانت أجد في تحصيله وأعمل ، وما كان الطباقي فيه بين حرقين قول الشاعر :
عَلَى أَنْتِي رَاضٍ بِأَنْ أَهْلَ الْهَوَى وَأَخْلَعَ مِنْهُ لَا عَلَى وَلَا لِيَا
(نحو أو من كان ميتاً فأحييناه) فإن أحدهما اسم والآخر فعل ، ومثله
قول طغلب القنوى يصف فرساً :

يَسَاهِمُ الْوَجْهَ لَمْ تَقْطَعْ أَبَاجِيَهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوْحِ مَبْدُؤُ
« هذا ، ومن لطيف الطباقي قول أبي تمام :

أَسْمُ بِلَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ إِيَّامًا وَأَصْبَحَ مَعَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمَا
وقالوا هذا أحسن ابتداء في مرثية إسلامية . وقوله أيضاً :

وَطِبَاقُ السَّلْبِ نَحْوُ: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ، ونحوُ:

فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَأَحْشَوْنِ ، وَمِنْ الطَّبَاقِ نَحْوُ قَوْلِهِ :

تَرَدَّى نِيَابَ اللَّوْتِ حُمْراً فَأُتِيَ لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُتُودٍ خُضِرُ

وَصَلَّ بِكَ الْمُتَنَادُ مِنْ حَيْثُ يَهْتَدِي وَصَرَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ تَنْفَعُ

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبِسِ الصَّبْرِ حَازِماً فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِماً حِينَ يَجْزَعُ

ومنه قول كثير بن هراسة لابنه : يا بني إن من الناس ناساً ينقصوك إذا

زدتهم ، ويهون عليهم إذا أكرمهم ، ليس رضاهم موضع فتقصده ، ولا استخطيم

موقع فتحذره ، فإذا عرفت أولئك بأعيانهم ، فأبد لهم وجه المودة ، وامنعهم

موضع الخاصة . ليكون ما أبديت لهم من وجه المودة حاجزاً دون شرهم ،

وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم (وطباق السلب) وهو أن

يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء . ومنه قول امرئ القيس :

هَضِمَ الْجَنَى لَا يَمْلَأُ الْكَفَّ خَعْرُهَا وَيَمْلَأُ مِنْهَا كُلَّ حِجَابٍ وَدُمْلَجٍ

وَنَسْكَرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يَنْسَكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ يَقُولُ

وقول أبي تمام :

إِلَى سَالِمٍ الْأَخْلَاقِ مِنْ كُلِّ عَائِبٍ وَلَيْسَ لَهُ مَالٌ عَلَى الْجُرْدِ سَالِمٌ

(ومن الطباق نحو قوله) أى قول أبى تمام من قصيدته التى يرى بها أبا

نهشل حين استشهد وأولها :

كَذَا فَلْيَجَلِ الْخَطْبُ وَلْيَنْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لِمَتَيْنِ لَمْ يَفْعَرْ مَا وَهَى عَذْرُ

وَيَلْحَقُ بِهِ نَحْوُ : أَشَدُّهُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً بَيْنَهُمْ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ
مُسَبَّغَةٌ عَنِ اللَّيْنِ ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

وهي من أعيان المراتى . وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تديبجاً ،
وقسره بأن يذكر في معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ،
أما تديبج الكناية فكبرت أبى تمام فإنه ذكر فيه لون الحرة والحضرة ، وكفى
بالأول عن القتل والثاني عن دخول الجنة ، وأما تديبج التورية فسكقول
الحريرى . فذا زور المحبوب الأصفر . واغبر العيش الأخضر ، أسود يومى
الأيض ، وأبيض فودى الأسود ، حتى يرئى لى العدو الأزرق فياحبذا الموت
الأحر ، فقولاه المحبوب الأصفر : تورية عن الذهب ، لأن معناه القريب لإنسان
له صفة (هذا) ومن طباق التديبج قول عمرو بن كلثوم فى معاقته :

بَأَنَّا نُوْرِدُ الرِّايَاتِ بَيْضًا وَنُصْدِرُهُنَّ مُخْرًا قَدْ رَوَيْنَا
وقول ابن حنوس :

إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهْمُ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نَزَالٍ
تَلَقَّ بَيْضَ الْوُجُوهِ سَوْدَ مَثَارِ النَّفْعِ خُضْرَ الْأَكْنَافِ خُمْرَ النَّصَالِ
(خضر) : هو مرفوع هل أنه خبر بعد خبر لا بالجر صفة لسنندس ، لأن
القوافى مضمومة الروى (ويلحق به) أى بالطباق شيطان : فأولها الجمع بين
معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السبية والاروم كما فى
الآية ، فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدّة ، فهى مسببة عن اللين الذى هو ضد
الشدّة ، وثانيهما الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما

لَا تَعْمَجِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ * ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَيُسَمَّى الثَّانِي إِيهَامَ التَّضَادِّ ، وَدَخَلَ فِيهِ مَا يَخْتَصُّ بِاسْمِ الْمُقَابَلَةِ
وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أُكْتَرَتْ ، ثُمَّ جَاءَ بِمُقَابِلٍ ذَلِكَ عَلَى
التَّضَادِّ . وَالْمُرَادُ بِالتَّوَافُقِ خِلَافُ التَّقَابُلِ ، نَحْوُ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا .

الحقيقتان كما في البيت ، فإنه لا تقابل بين البكاء وظهور المشيب ، لكنه عبر
عن ظهور المشيب بالضحك الذى معناه الحقيقى مقابل للبكاء ، وهذا البيت
للدعبل وبعبارة :

قَدْ كَانَ يَضْحَكُ فِي شَبَابِهِ وَالْآنَ يَحْسُدُ كُلَّ مَنْ يَضْحَكُ
لَا تَأْخُذًا بِظِلَاقَتِي أَحَدًا قَائِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَا
ومثله قول أبى تمام :

مَا لِي تَرَى الْأَسَابَ بَيْضًا وَضُحَا إِلَّا بِهَيْبَتِ تَرَى الْمَنَايا سُودًا
وفوله أيضاً فى الشيب :

لَهُ مَنَظَرٌ فِي الثَّمَنِ أَبْيَضُ نَاصِعٍ وَالْكِنَةُ فِي الثَّمَنِ أَسْوَدُ أَشْفَعُ
(ويسمى الثانى إيهام التضاد) لأن المعنيين قد ذكرا بضمطين وهما
التضاد نظراً إلى الظاهر (فيه) أى فى الطباق (ما يخص باسم المقابلة)
جعل السكاكى وغيره قسماً برأسه من المحسنات المعنوية (والمراد بالتوافق
خلاف التقابل) فلا يشترط أن يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين (نحو
فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) مثله قول الديبائى :

ونحو قوله :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا * وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ
ونحو : فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ،
وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَالْمُرَادُ
بِاسْتَفْتَى أَنَّهُ زَهَدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ اسْتَفْتَى عَنْهُ فَلَمْ يَتَّقِ ،
أَوْ اسْتَفْتَى بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ فَلَمْ يَتَّقِ ، وَزَادَ السَّكَاكِي :

فَقِيَ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

(ونحو قوله) أى قول أبي دلالة ومثله قول أبي الطيب :

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُقِيلٌ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجُدُّ مُدِيرٌ
هذا ، وإنما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل : أولاً لما كان فيه مقابلة
اثنين باثنين ، وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثة ، وثالثاً لأربعة بأربعة والمقابلة في الآية
الثانية مركبة من طاق وملحق به كما لا يخفى (وزاد السكاكي وإذا شرط) .
عبارته : المقابلة أن تجتمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ، ثم إذا
شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده كقوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ الْآيَاتِينَ ،
لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانقضاء والتصديق جعل ضده ، وهو
التعسير مشتركاً بين أضداد تلك ، وهى المنع والاستغناء والتكذيب (ومنه)
أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحرى فى وصف الإبل الانقضاء .
ومثله قول أسيد فى عتقاء العزاري :

وَإِذَا شَرِطَ هُنَا أَمْرٌ شَرِطَ تَمَّةٌ ضِدَّهُ كَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، فَلَمَّا نَا جَعَلَ
التَّيْسِيرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْإِعْطَاءِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّصَدِيقِ جَعَلَ ضِدَّهُ مُشْتَرَكًا
بَيْنَ أَضْدَادِهِمَا ... وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ ، وَيُسَعَى التَّنَاسُبُ وَالتَّوْفِيقُ ،
وَهُوَ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ ،
وقوله :

كَالْفَيْسِ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَنْهَمِ مَبْرِيَّةً بِلِ الْأَوْتَارِ
وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى بِمَضْمُونِهِ تَشَابُهَ الْأَطْرَافِ ، وَهُوَ أَنْ يُخْتَمَ الْكَلَامُ
بِمَا يُنَاسِبُ ابْتِدَاءَهُ فِي الْمَعْنَى ، نَحْوُ : لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، وَيَلْتَقِي بِهَا نَحْوُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ

كَأَنَّ التَّرْبِيًّا عَلَّقَتْ فِي جَبِينِهِ وَفِي خَدِّهِ الشُّمْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ
وقوله ابن خفاجة يصف فرساً :

مِنْ جُلُنَارٍ نَاصِرٍ خَدَّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِي الْأَسَى

(ومنها) من مراعاة النظير (نحو لا تدركه الأبصار) فإن اللفظ يناسب
ما لا يدرك بالبصر ، والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فإن من يدرك شيئاً يكون خبيراً
به (بها) أى بمراعاة النظير (نحو الشمس والقمر يحسبان) أى بحساب معلوم
وتقدير سوى ، والتجيم : النبات الذى ينجم من الأرض لاساق له كاليقول والشجر
الذى له ساق ، وتجوذهما : انقيادهما لله فيما خلقا له ، فالنجم بهذا المعنى وإن لم
يكن مناسباً للشمس والقمر ، فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ، وَيُسَمَّى إِيهَامُ التَّنَاسُبِ . وَمِنْهُ الْإِرْصَادُ ،

ولهذا سمي إيهام التناسب (ومنه الإرصاد) وهو في الأصل : نصب الرقيب في الطريق ، من رصده أي رقبته ، والرصيد : السبع الذي يرصد ليئب ، والرصد : القوم يرصدون كالخرس ، يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث . وهذا النوع قالوا إنه من محمود الصنعة ، فإن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وفي الاقتضائه يقول ابن نباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أُنْشِدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ صُدُّوْهَا عَرَفَتْ مِنْهَا قَوَائِمَهَا
يَنْتَسِي لَهَا الرَّائِبُ الْعَجَلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْخَاسِدُ الْقَضْبَانُ يَلْوِيَهَا
ومن لطيف هذا النوع قول زهير :

سَمِعْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَهَنْ يَعْشَى ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وقول الراعي :

وَإِنْ وَرَدَ الْحَقَى قَوَّرْتُ قَوْمِي وَجَدْتُ حَقَى ضَرْبَتِهِمْ رَزِينًا
وقول البحري :

أُبْكِيكُمْ دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قُدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكَتْمِكُمْ دَمْعًا
وقوله أيضا :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ وَحَرَمَتْ بِلَا تَبَيِّ يَوْمَ الْقَاءِ كَلَامِي
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِحَالٍ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمَتْهُ بِحَرَامِ
فليس يذهب على السامع ، وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ، أن

وَيُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ التَّسْمِيمَ ، وَهُوَ أَنْ يُحْمَلَ قَبْلَ الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرِ أَوْ الْبَيْتِ
مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِذَا عُرِفَ الرُّوْيُ نَحْوُ : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَسَكُنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَفْظِلُونَ ، وقوله :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
وَمِنْهُ الْمَشَاكَلَةُ ، وَهِيَ ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ لَوْ قُوعِهِ فِي مُصَنَّبَتِهِ
بَحْثِيًّا أَوْ تَقْدِيرًا ، فَأَلَاوَلْ نَحْوُ قَوْلِهِ .

قَالُوا اقْتَرِخْ شَيْئًا نُحِذُّ لَكَ طَبِيخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جَبَّةً وَقِيصًا
وَنَحْوُ : تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ، وَالثَّانِي نَحْوُ : صِبْغَةُ
اللَّهِ ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لَأَمَنَّا بِاللَّهِ ، أَيْ تَطْهِيرَ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ

مَجْزؤه هو ما قاله البحرى (التسميم) من البرد ، المسمم : أى المخطئ (إذا
لم تستطع) هو لمعمر بن معد يكرب (نحو قوله) أى قول ابن الرقعمق فإنه
ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها في حجة طبخ الطعام (ونحوه تعلم
ما في نفسى ولا أعلم ما في نفسك) حيث أطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه
في حجة نفسى ، هذا ، ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلَانِ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ قَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلَيْنَا

(وهو مصدر مؤكد لآمنّا بالله) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف
رحمه الله قال : صبغة الله مصدر مؤكد فينتصب عن قوله آمنّا بالله ، وهو
فعله من صبغ كالجلسة من جلس ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس .

يُطَهِّرُ النَّفُوسَ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَتَمَسَّحُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءِ
أَصْفَرٍ يُسَمُّونَهُ الْمَعْمُودِيَّةَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، فَعَبَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يَتَمَسَّحُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي مَاءِ أَصْفَرٍ يُسَمُّونَهُ
الْمَعْمُودِيَّةَ ، وَيَقُولُونَ هُوَ تَطْهِيرٌ لَهُمْ ، وَإِذَا فَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بَوْلَهُ ذَلِكَ قَالَ
الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا ، فَأَمَرَ الْمَسْلُوبُونَ بِأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ
وَصَبِغْنَا بِاللَّهِ بِالْإِيمَانِ صَبْغًا لَا مِثْلَ صَبْغَتِنَا وَطَهَّرْنَا بِهِ تَطْهِيرًا لَا مِثْلَ تَطْهِيرِنَا ،
أَلَمْ يَقُولِ الْمَسْلُوبُونَ صَبِغْنَا بِاللَّهِ بِالْإِيمَانِ صَبْغَةً وَلَمْ نَصْبُغْ صَبْغَتَكُمْ ، وَلَئِنْ جِئَ
بِالصَّبْغَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَشَاكِلَةِ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ يَفْرَسُ الْأَشْجَارَ : اغْرَسْ كَمَا يَفْرَسُ
فُلَانٌ ، تَرِيدُ رَجُلًا يَصْنَعُ الْبَكْرَمَ . قَالَ فِي الْإِبْصَاحِ بَعْدَ هَذَا التَّوْعِ : وَمَنْ
الْإِسْتِطْرَادُ وَهُوَ الْإِتِّقَالُ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرٍ مُتَّصِلٌ بِهِ لَمْ يَقْصِدْ بِذِكْرِ الْأَوَّلِ
التَّوَصُّلَ إِلَى ذِكْرِ الثَّانِي كَقَوْلِ الْحَمَاسِيِّ :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَأَتَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً إِذَا مَا رَأَيْتُهُ غَائِرٌ وَسَلُولٌ

وعليه قوله تعالى : يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشًا
وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ . قَالَ الزَّخَّاشِيُّ :
هَذِهِ الْآيَةُ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِطْرَادِ عَقِيبَ ذِكْرِ السَّوَاتِ ، وَخُصِفَ الْوَرَقُ
عَلَيْهَا إِظْهَارًا لِلنَّعَةِ فَمَا خَافَ اللَّهُ مِنَ اللَّبَاسِ ، وَلَمَّا فِي الْعَرَى وَكُشِفَ الْعَوْرَةُ مِنْ
الْمَهَابَةِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَإِشْعَارًا بِأَنْ التَّسْتَرَّ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّقْوَى هَذَا
أَصْلُهُ ، وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي هُوَ الْمَقْصُودُ فَيَذَكِّرُ الْأَوَّلَ قَبْلَهُ لِيَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ كَقَوْلِ
أَبِي إِسْحَاقَ الصَّادِقِ :

إِنْ كُنْتُ خَفْتُكَ فِي الْمَوَدَّةِ سَاعَةً فَذَعَمْتُ سَيْفَ الدَّوَلَةِ الْحُسُودَا

بِصِنَةِ اللَّهِ لِلشَّارِكَةِ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ . وَمِنْهُ الْمَزَاجَةُ : وَهِيَ أَنْ يُزَاجَ
بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فِي الشَّرْطِ وَالْجُزَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِنِ الْهَوَى أَصَاحَتْ إِلَى الْوَائِي فَلَجَّ بِهَا الْهَجَرُ
وَمِنْهُ الْمَكْسُ ، وَهُوَ أَنْ يُقَدَّمَ جُزْءٌ مِنَ الْكَلَامِ ثُمَّ يُؤَخَّرَ ، وَيَقَعُ
عَلَى وَجْهِهِ ، مِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ أَحَدِ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ نَحْوُ :
عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ . وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ مُتَمَلِّقَيْنِ فَمُتَلِّقَيْنِ

وَزَعَمْتُ أَنْ لَهُ شَرِيكًا فِي الْمَلَا وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسَمًا لَوْ أَنِّي خَالَفْتُ بِفِعْمِوسِيهَا لِغَيْرِمِ دِينٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا
ولا بأس أن يسمى هذا إيهام الاستطراد (أن يزواج) أى يجعل
معنيين واقعين في الشرط والجزاء ، مزدوجين في أن يرتب على كل منهما
معنى مرتب على الآخر (كقوله) أى قول البحرى ، فقد زواج بين نهى الناهى
وإصاحتها للواشى ، الواقعين في الشرط والجزاء في أن يرتب عليهما لجناح شيء ،
ومن المزاجية قول البحرى أيضاً :

إِذَا اخْتَرَبْتَ تَوْحًا فَمَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فَمَاضَتْ دُمُوعُهَا
فوزواج بين الاحتراب وتذكر القرى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب
فيضان شيء عليهما (ومنه العكس) قالوا وهو أن تقدم في الكلام جزأ ثم
تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف (أضيف)

فِي بُحْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ الْحَيِّ ،
وَمِنْهَا أَنْ يَقَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيِ بُحْلَتَيْنِ ، نَحْوُ : لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ * وَمِنْهُ الرُّجُوعُ ، وَهُوَ التَّوَدُّ إِلَى السَّكَلَامِ السَّابِقِ
بِالنَّفْسِ لِنُكْتَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

قِفْ بِالذِّبَارِ الَّتِي لَمْ يَمُتْهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
وَمِنْهُ التَّوَرِيَّةُ ، وَيُسَمَّى الْإِيهَامُ أَيْضًا ؛ وَهُوَ : أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ

أى ذلك الطرف (نحو يخرج الحي من الميت) مثله قول الحماسي :

فَرَدَّ شَعُورُهُنَّ السُّودَ بَيْضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُدًّا

(نحو لاهن حل لهم) مثله قول أبي الطيب :

فَلَا تَجِدُ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ تَجِدُهُ

وقول الآخر :

إِنَّ اللَّيْسَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنْفَسَرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْهَيُومِ طَوِيلَةٌ وَطَوَالُهُنَّ مَعَ الشُّرُورِ قِصَارٌ

(قف بالديار) هو زهير بن أبي سلى : الأرواح : الرياح ، والديم
جمع ديمة : وهي المطر الدائم في سكون . فقد دل صدر البيت على أن تطاول
الزمان وتقدم العهد لم يغب الديار ، ثم عاد إليه ونقصه بأنه قد غيرها الرياح
والأمطار لنسكة ، وهو إظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهشة ، حتى كأنه
أخبر أولا بما لم يتحقق ، ثم تاب إليه عقله فتدارك كلامه ، فقال بلى ، وغيرها
الأرواح والديم ، ومثل هذا بيت الحماسي :

مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَرُيِّدَ الْبَعِيدُ، وَهِيَ صَرِيحَةٌ : مُجَرَّدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تَجْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَلَاثِمُ الْقَرِيبَ ، نَحْوُ : الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ، وَمُرَشَّحَةٌ نَحْوُ : وَالسَّمَاءُ بَدَنِيْنَاهَا بِأَيْدٍ . وَمِنْهُ الْإِسْتِخْدَامُ : وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظٍ لَهُ مَعْنَيَانِ : أَحَدُهُمَا نَحْوُ : يُرَادُ بِصَمِيرِهِ الْآخَرُ ، أَوْ يُرَادُ بِأَحَدِ صَمِيرَيْهِ أَحَدُهُمَا نَحْوُ : يُرَادُ بِالْآخِرِ الْآخَرُ ، فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَفَرَةً إِنْ نَفَرَتْهَا إِلَيْكَ وَكَأَلَا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلٌ
وقول الآخر :

فَأَفَى لِهَذَا الدَّهْرِ لَا بَأْسَ لِأَهْلِهِ

(نحو : الرحمن على العرش استوى) فإنه أريد باستوى معناه البعيد ، وهو استوى ولم يفتقرن به شيء مما يلاثم القريب الذي هو الاستقرار (ومرشحة) وهى التى قربت بها ما يلاثم القريب المورى به عن البعيد (نحو : والسماء بدنيها بأيد) فإن المراد بالأيدى المعنى البعيد وهو القدرة ، وقد قرن بها ما يلاثم القريب الذى هو الجارية المخصوصة وهو قوله بدنيها . وهذا ، والذى ذكره صاحب الكشف فى قوله تعالى : الرحمن على العرش استوى لأنه تمثيل لأنه لما كان الاستواء على العرش وهو حرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك ، ولما امتنع هنا المعنى الحقيقى صار مجازاً كقوله : وقالت اليهود يد الله مغلولة ، أى هو مغلل . بل يدها مبسوطتان أى جوادتان غير تصور يد ولا غل ولا بسط ، والتفسير بالنعمة والتحمل للتشبيه ، من ضيق

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ۖ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِصَابًا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

فَسَقَى الْعُصَى وَالسَّكِينَةَ وَإِنْ هُمْ ۖ شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي
وَمِنْهُ الْفَتْ وَالنَّشْرُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَمَدِّدٍ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَوْ الْإِجْمَالِ ،
ثُمَّ مَا لِكُلِّ وَاحِدٍ ، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ ، ثِقَهُ بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ ،

لعطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ، وكذلك قوله جل شأنه :
والسماه بنيناها بأيدٍ ، تمثيل وتصور لعظمته من غير ذهاب بالأيدي إلى جهة
حقيقة أو مجاز (١) ، وقد شدد التكثير على تفسير اليد بالنعمة والأيدي
بالقدرة والاستواء بالاستيلاء ، وقد ذكر الشيخ في دلائل الإعجاز ما يؤيد ذلك ،
وشنع على من يذهب هذه المذاهب من المفسرين أكبر تشفيح ، حتى أفند
قال : ومن عادة قوم ممن يتعاطى التفسير بغير علم أن توهموا أبدأ في الألفاظ
الموضوعة على المجاز والتشليل أنها على ظواهرها ، فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا
الغرض ، ويمنعوا أنفسهم والسمع منهم العلم بموضع البلاغة ، وبمكان
الشرف ، وناهيك بهم إذا هم أخذوا في ذكر الوجوه وجعلوا يكثررون
في غير طائل هناك ترى ما شئت من باب جهل قد فتحوه ، وزند ضلالة قد
قدحوا به ، نسأل الله تعالى العصمة والتوفيق (كقوله إذا نزل) فإنه أراد
بالسماه الغيث ، وبضميرها التبت ، والبيت قيل للجرير ، وقيل لمذو الحكماء
(كقوله فسقا الغضا) فإنه أراد بضمير الغضا في قوله والساكين السكاك ،
وفي قوله شبهه : أى أوقدوا الشجر ، والبيت للبحتري من قصيدة بائية وحقيقته :
فسقى الغضا والساكين وإن هم شبهوه بين جوانح وقلوب

(١) يعنى المجاز المرسل ، وإلا فهو مجاز بالاستعارة لانه تمثيل كما قال .

قَالُوا لَوْلَا صَرَبَانِ : لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا عَلَى تَرْبِيبِ اللَّفِّ نَحْوُ : وَمِنْ رَحْمَتِهِ
جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنَّمَا عَلَى غَيْرِ
تَرْبِيبِهِ ، كَقَوْلِهِ :

كَيْفَ أَسْأَلُوا أَنْتَ حَقِّفَ وَغَضْنَ وَغَزَالٌ لَحْظًا وَقَدَا وَرِدْفًا
وَالثَّانِي نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس :

فَيْلٌ لِلدَّامِ وَلَوْهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقَلَّتِيهِ وَوَجَنَّتِيهِ وَبَرَبِيهِ
وقول ابن الرومي :

أَرَأَيْتُمْ وَوَجُوهَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ مُجُومَ
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدَّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومُ

(كقوله) أى قول ابن حيوس . والحقف : الرمل العظيم المستدير يشبه
به الكمل في العظم والاستدارة ، فاللحظ للفرال ، والقذ : للنصن ، والردف :
للحقف . وهذا ، وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك ، وهو أن يذكر
متعدد على التفصيل ثم يذكر ما الكل ويؤتى بعده بذكر ذلك المتعدد على الإجمال
ملفقا ظا أو مقدرا فيمع النشر بين لفظين : أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وعلى
هذا جاء قوله تعالى : فن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر
فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . قال صاحب الكشف : الفعل المطلق
مخروف مدلول عليه بما سبق تقديره : ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما

أَوْ نَصَارَى ، أَيْ قَالَتِ الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا ، وَقَالَتِ
النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصَارَى ، فَلَفَّ لِمَدَمِ الْإِلْتِبَاسِ ،
لِلْعِلْمِ بِتَضَلُّلِ كُلِّ فَرِيقٍ صَاحِبِهِ . وَمِنْهُ الْجَمْعُ : وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ
مُتَعَدِّ فِي حُكْمٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،
وَنَحْوُ قَوْلِهِ :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاحَ وَالْجِدَّةَ مَقْسَدَةٌ لِلرَّءِ أَيْ مَقْسَدَةٌ
وَمِنْهُ التَّفْرِيقُ : وَهُوَ إِبْقَاؤُ تَبَايُنٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، مِنْ نَوْعٍ ، فِي اللَّحْرِ
أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا نَوَالِ الْقَمَامِ وَقْتَ رَيْبِجِ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ وَقْتَ سَخَا.

هَذَا كَمَوْلَعِكُمْ تَشْكُرُونَ ، شَرَعَ ذَلِكَ بِعِنَى جِلَّةٍ مَازَكَرَ مِنْ أَمْرِ الشَّاهِدِ بِصَوْمِ
الشَّهْرِ ، وَأَمْرِ الْمُرْخَصِ بِمِرَاعَاةِ عِدَّةٍ مَا أَفْطَرَ فِيهِ ، وَمِنْ التَّرْخِصِ فِي إِبَاجَةِ
الْفِطْرِ ، فَقَوْلُهُ لَتَسْكُلُوا : عِلَّةُ الْأَمْرِ بِمِرَاعَاةِ الْعِدَّةِ ، وَلَتَسْكُرُوا : عِلَّةُ مَا عِلْمُ مِنْ
كَيْفِيَةِ الْقَضَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِدَّةِ الْفِطْرِ ، وَلَمَوْلَعِكُمْ تَشْكُرُونَ : عِلَّةُ التَّرْخِصِ
وَالْتِيْسِ ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الْكَلَفِ لَطِيفِ الْمَسْلُوكِ لَا يَكَادُ يَهْتَدِي إِلَى تَيَسُّهِ إِلَّا الْإِنْقَابُ
الْمُحَدَّثُ مِنَ عِلَالَةِ الْبَيَانِ (إِنَّ الشَّبَابَ) هُوَ لَا بِي الْعِنَايَةِ ، وَالْجِدَّةُ : الْإِسْتِفْنَاءُ
(مَا نَوَالِ الْقَمَامِ) هُوَ لِرَشِيدِ الدِّينِ الْوُطُوْاطِ . وَبِدَرَةِ الْعَيْنِ : جِلْدٌ وَلَدُ الضَّأْنِ
مَمْلُوءٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ . فَفَتْ أَوْقَعَ التَّبَايُنَ بَيْنَ النَّوَالِينِ مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ وَهُوَ
مَطْلُوقُ نَوَالٍ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا النَّوْعِ قَوْلُهُ :

مَنْ قَلَسَ جَدَّوَالًا بِالْقَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَايَيْنِ

فَنَوَالُ الْأَمِيرِ بَذَرُهُ عَيْنٌ * وَنَوَالُ الْقَمَامِ قَطْرَةُ مَاءٍ
وَمِنْهُ التَّقْسِيمُ : وَهُوَ ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ ، ثُمَّ إِصَافَةُ مَا لِكُلِّ إِلَيْهِ عَلَى
التَّعْيِينِ ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضِمِّهِ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَيْدُ
هَذَا عَلَى التَّعْيِينِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرَى لَهُ أَحَدٌ
وَمِنْهُ الْجُمُوعُ مَعَ التَّفْرِيقِ : وَهُوَ أَنْ يُدْخَلَ شَيْءٌ فِي مَقْصِدٍ وَيُفَرَّقَ

أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا * وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكي هو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ،
ثم تعين على كل واحد من أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أَدْبَانٍ فِي بَلْعٍ لَا يَأْكُلَانِ إِذَا صَحِبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَفِيدِ
فَهَذَا طَرِيقٌ كَقَوْلِهِ الْقَنَافَةُ وَهَذَا قَعِيرٌ كَقَوْلِهِ الْوَيْدُ
وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر (كقوله ولا يقيم)
البيتان للنفس : الضم : الظلم ، والعير : الحمار غاب على الوحشى . والمناسب هنا
الأهلى ، والحسف : الذل ، والرمة : قطعة من جبل ، والنجع : الدق والكسر ،
والمعنى ظاهر ، فقد ذكر العير والويد ، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الحسف ،
وإلى الثانى النجع على التعيين . ومن جيد التقسيم قول أبي تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْشِيُّ أَوْ حَدُّ مَرْهَفٍ نَعِيمٍ ظَبَاهُ أَخَذَعَنِي كُلُّ مَائِلٍ
فَهَذَا دَوَاهُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ وَهَذَا دَوَاهُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ

بَيْنَ جَهَنَّمَ وَالْأَدْحَالِ ، كَقَوْلِهِ :

فَوَجَّهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّقْسِيمِ : وَهُوَ جَمْعٌ مُتَعَدِّ تَحْتَ حُكْمٍ ، ثُمَّ
تَقْسِيمُهُ ، أَوْ الْعَكْسُ ، فَأَلَوَّلُ كَقَوْلِهِ :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرُشَنَةٍ تَشَقَّى بِهَا الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ
لِلنِّسْبِ مَا نَكَّحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَعَمُوا
وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَبُوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا

(كَقَوْلِهِ فَوَجَّهَكَ) فَقَدْ شَبَّهَ وَجْهَ الْحَبِيبِ وَقَلْبَ نَفْسِهِ بِالنَّارِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ
وَجْهِ الْمُنَاجَاةِ وَالْبَيْتِ لِلطُّوَاطِطِ (أَوْ الْعَكْسِ) أَيْ تَقْسِيمٍ مُتَعَدِّ . ثُمَّ جَمَعَهُ
تَحْتَ حُكْمٍ (حَتَّى أَقَامَ) الْبَيْتَانِ لِلنِّسْبِ ، وَالْأَرْبَاضُ جَمْعُ رِبْعٍ : وَهُوَ مَا حَوْلَ
الْمَدِينَةِ . وَخَرُشَنَةٌ : بَلَدٌ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتَيْنِ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ قَوْمٌ)
الْبَيْتَانِ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَالْبِدْعُ جَمْعُ بَدْعَةٍ وَهِيَ الْخُذْلُ فِي الدِّينِ بَعْدَ الْكِبَالِ ،
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا مَحْدَثَاتُ الْأَخْلَاقِ . فَقَدْ قَسَمَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ صِفَةَ الْمُدَوَّحِينَ
إِلَى ضَرِّ الْأَعْدَاءِ وَنَفْعِ الْأَوْلِيَاءِ ، ثُمَّ جَمَعَهُمَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي حَيْثُ قَالَ بِجَمْعِهِ
تِلْكَ ، وَمِنْ لَطِيفِ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْشَأْتُمْ فِيهِ يَذُومُ لَكُمْ طَلَنْتُمْ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ مَاتَرَيْنِ حَدِيثٍ أَوْ سَاءَ مَطَرٍ دَا

سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ * إِنَّ الظَّالِمِينَ فَاغَمَّ شَرُّهَا الْيَدِغَ
وَمِنْهُ الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ قَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا تَأَنَّى رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرُ مَجْذُوذٍ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّقْسِيمُ
عَلَى أَمْرَيْنِ آخَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تُذَكَّرَ أَجْوَالُ الشَّيْءِ مُصَافًا إِلَى كُلِّ
مَا يَلِيْقُ بِهِ ، كَقَوْلِهِ :

فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أُنَى وَأُنْكُمْ سَتَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا

فَقَوْلُهُ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ جَمْعٌ لِمَا قَسَمَ لَطِيفٌ ، وَقَدْ أَزْدَادَ لُطْفًا بِحَسَنِ مَا بَنَاهُ {
عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أُنَى وَأُنْكُمْ} (كَقَوْلِهِ تَعَالَى يَوْمَ يَأْتِي) أَمَّا الْجَمْعُ
فَفِي قَوْلِهِ : يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ قَوْلُهُ نَفْسٌ مُتَعَدِّدَةٌ مَعْنَى ، وَأَمَّا
التَّفْرِيقُ فِي قَوْلِهِ : فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . وَأَمَّا التَّقْسِيمُ فِي قَوْلِهِ : فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا
إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ . يَأْتِي أَيْ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ، أَيْ أَمْرُهُ أَوْ يَأْتِي الْيَوْمَ أَيْ حَوْلَهُ ،
وَالزَّفِيرُ : إِخْرَاجُ النَّفْسِ بِشِدَّةٍ . وَالشَّهِيقُ : رَدُّهُ بِشِدَّةٍ ، وَغَيْرُ مَجْذُوذٍ : غَيْرُ
مَقْطُوعٍ ، وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُ ابْنِ شَرَفٍ التَّيْرَوَانِي :

لِخُتْلَفِي الْحُجَّاتِ جَمْعٌ بِبَابِهِ فَيَهْدَا لَهُ فَنَ وَهَذَا لَهُ فَنَ
فَالْحُجَّاتُ الْأَمْلِيَّةُ وَالْمُعْدِمَةُ الْفَنَى وَالْمُذْنِبُ الْعَمَلِيُّ وَالْخَائِفُ الْأَمْنُ

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْفَنَاءِ وَمَسَاجِيحِ كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّشَدُّوا مُرْدُ
يَقَالُ إِذَا لَاقُوا خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَالثَّانِي : اسْتَيْفَاهُ أَقْسَامَ الشَّيْءِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : يَهْبُ لَيْنَ يَشَاءُ إِنَّا

(كَقَوْلِهِ سَأَطْلُبُ) الْبَيْتَانِ الْمُنْفِي ، وَالْفَنَاءُ : الرِّمَاحُ وَأَرَادَ بِالْمَسَاجِيحِ قَوْمَهُ ،
وَالْأَقْسَامَ : وَضَعَ الثَّامَ عَلَى الْقَمِ وَالْأَنْفِ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ دَابِّ الْعَرَبِ ، فَقَوْلُهُ
مِنْ طُولِ مَا التَّشَدُّوا : أَيْ شَدُّوا الثَّامَ حَالَةَ الْحَرْبِ ، يَرِيدُ كَثِيرًا مَا شَنُّوا
الْفُغَارَاتِ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِشِدَّةِ الْوُطْأَةِ عَلَى الْعَدَا وَالْتِبَاتِ عَلَى الْقَنَاءِ ، وَأَنَّهُمْ
مُسْرِعُونَ إِلَى الْإِجَابَةِ إِذْ دُعُوا إِلَى كِفَايَةِ مَهْمٍ ، وَمَدَافِعَةِ خُطْبِ مَدْلِهِمْ ، وَأَنْ
الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُومُ مَقَامَ جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَدْ ذَكَرَ أَحْوَالَ الْمَسَاجِيحِ وَأَضَافَ
إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَنْبَغِيهَا وَهُوَ ظَاهِرٌ (كَقَوْلِهِ يَهْبُ لَيْنَ يَشَاءُ إِنَّا) فَإِنْ
الْإِنْسَانُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ لَا يَكُونَ ، فَإِنْ كَانَ فِيمَا أَنْ يَكُونَ ذَكَرَ أَوْ
أُنْثَى أَوْ ذَكَرًا وَأُنْثَى ، وَقَدْ اسْتَوْفَى جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَإِنَّمَا قَدَّمَ ذِكْرَ الْإِنَاثِ لِأَنَّ
سِيَاقَ الْكَلَامِ أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ ، فَكَانَ ذِكْرُ الْإِنَاثِ
الَّتِي هُنَّ مِنْ جَمَلَةِ مَا لَا يَشَاءُهُ الْإِنْسَانُ أَهْمٌ ، وَلَيْلٍ لِمَنْ لَجَسَ الَّذِي كَانَتْ الْعَرَبُ
تَعْدُهُ بِلَاءَ ذِكْرِ الْبَلَاءِ ، فَلَمَّا خَرَّ الذِّكُورُ لِذَلِكَ تَدَارَكَ تَأْخِيرُهُمْ وَهُمْ أَحْقَاءُ بِالتَّعْدِيمِ
بِمَعْرِفَتِهِمْ ، لِأَنَّ التَّعْرِيفَ قَنُوهُ وَقَتْمِيرُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَيَهْبُ لَمَنْ يَشَاءُ الْفَرَسَانِ
الْأَعْلَامِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ أَعْطَى بَعْدَ ذَلِكَ كَلَامَ الْجَمْعَيْنِ
حَقَّهُ مِنَ النِّقْدِ وَالنَّاعِيهِ ، وَعَرَفَ أَنَّ تَقْدِيمَهُنَّ لَمْ يَكُنْ لِنَقْدِهِمْ وَلَكِنْ لِمَقْتَنَعِي
آخِرُ : وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مَا حَكِي عَنْ أَعْرَاقٍ وَقَفَ عَلَى حَلْقَةِ الْحَسَنِ فَقَالَ :
وَحَمَّ اللَّهُ مَنْ تَصَدَّقَ مِنْ فَضْلِ أَوْ آخَى مِنْ كُفَافٍ أَوْ آثَرَ مِنْ قُوَّةٍ ، فَقَالَ
الْحَسَنُ : مَا تَرَكَ لِأَحَدٍ عَدُوًّا ، وَمَنْهُ قَوْلُ طَرِيحٍ :

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكَرًا نَافًا وَإِنَافًا وَيَحْلِلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا . وَمِنْهُ التَّجْرِيدُ : وَهُوَ أَنْ يُنْتَزَعَ مِنْ أَمْرِ ذِي صِفَةٍ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا مُبَالِغَةٌ لِكُلِّهَا فِيهِ ، وَهُوَ أَقْسَامٌ : مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : مِنْ فَلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ ، أَيْ بَلَغَ فَلَانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ مَعَهُ أَنْ يُسْتَخْلَصَ مِنْهُ آخَرُ مِثْلُهُ فِيهَا ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِمْ : لَيْتَنِي سَأَلْتُ فَلَانًا لَتَسْأَلَنِي بِهِ الْبَحْرَ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

وَشَوْهَاءَ تَعْدُوْنِي إِلَى صَارِحِ الْوَعْدَى * بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِي الْفَنِيْقِ الْمَرْحَلِ

إِنْ يَعْلَمُوا اتَّخِذُوا يَحْقُوهُ وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا اذْأَعُوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا
وقول أبي تمام في الأَفْشِينَ لما أحرَقَ :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَأَنَّ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا نَحْ النَّجَّارِ

(نحو قولهم الخ) مما يكون حاصلًا بمن التجريدية (حميم) في الصحاح حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره (نحو قولهم الخ) عما يكون حاصلًا بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف فلان بالكرم (نحو قوله الخ) عما يكون حاصلًا بدخول الباء في المنتزع (وشوواء) فرس شوواء صفة محمودة يراد بها سمة أشدّها ، وصارخ الوغى : أي المستغيث في الحرب ، والمستائم : لابس اللأمة وهي الدرع ، والفنيق : النحل المكرم عند أهله ، والمرحل : من رحل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله ، فقد بالغ في اتصافه بالاستعداد للحرب ، حتى افتزع منه مستعد آخر

وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى : لَّهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ، أَيْ فِي جَهَنَّمَ ، وَهِيَ دَارُ الْخُلْدِ ؛ وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :

فَأَنزِلْ بَقِيَّتُ لَأَرْحَلَنَّ يَفْزُؤُهُ تَعْوَى الْقَنَائِمِ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٍ
وَقِيلَ تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مَتَى كَرِيمٍ ؛ وَفِيهِ نَظَرٌ ، وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ :
يَا خَيْرَ مَنْ يَرَى كَبُ الْمَطِيِّ وَلَا يَشْرَبُ كَأْسًا يَكْفُ مِنْ بَحَلَا
وَمِنْهَا مُحَاطَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسُهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَا خَيْرَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ الشُّبْلُقُ إِن لَّمْ يُسْعِدِ الْخَالُ

لَا بِسَاءَ دُرْعًا (وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى) عَمَّا يَكُونُ حَاصِلًا بِدُخُولِ فِي عَلَى الْمُنْتَرِخِ مِنْهُ ، فَإِنْ جَهَنَّمَ أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا هِيَ دَارُ الْخُلْدِ ، لَكِنْ انْتَزَعَ مِنْهَا مَثَلًا ، وَجَعَلَ مَعْدًا فِيهَا لِلْكَفَّارِ تَهْوِيلًا لِأَمْرِهَا وَمِبَالِغَةً فِي إِتْصَافِهَا بِالشَّدَةِ (وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ) عَمَّا يَكُونُ حَاصِلًا بِدُونِ تَوْسِطِ حَرْفٍ ، وَعَنِ الْكَرِيمِ نَفْسُهُ . فَكَأَنَّهُ انْتَزَعَ مِنْ نَفْسِهِ كَرِيمًا مِبَالِغَةً فِي كَرَمِهِ ، وَبِالْبَيْتِ لِقِنَادَةَ بَنِ هَسَلَةَ الْخَنْفِ (وَقِيلَ) تَقْدِيرُهُ أَوْ يَمُوتَ مَتَى كَرِيمٍ (فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ لِي مِنْ فَلَانِ صَدِيقِ حَمِيمٍ فَلَا يَكُونُ قَسَمًا آخَرَ (وَفِيهِ نَظَرٌ) لِحَصُولِ التَّجَرِيدِ وَتَمَامِ الْمَعْنَى بِدُونِ هَذَا التَّقْدِيرِ (وَمِنْهَا نَحْوُ قَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ الْإِعْشَى : فَإِنْ فِيهِ تَجَرِيدًا بِطَرِيقِ الْكُنَايَةِ حَيْثُ انْتَزَعَ مِنَ الْمَمْدُوحِ جَوَادًا يَشْرَبُ هُوَ الْكَأْسُ بِكُفِّهِ عَلَى طَرِيقِ الْكُنَايَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَفَى عَنْهُ الشَّرْبَ بِكُفِّ الْبَخِيلِ ، فَقَدْ أَثْبَتَ لَهُ الشَّرْبَ بِكُفِّ الْكَرِيمِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ يَشْرَبُ بِكُفِّهِ فَهُوَ ذَلِكَ الْكَرِيمُ (كَقَوْلِهِ لَا خَيْرَ عِنْدَكَ) هُوَ لِلشُّبْلُقِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْإِعْشَى :

وَمِنْهُ الْمُبَالَغَةُ الْقَبُولَةُ : وَالْمُبَالَغَةُ أَنْ يُدْعَى لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِي الشَّدَّةِ
أَوْ الضَّعْفِ حَدًّا مُسْتَحِيلًا أَوْ مُسْتَعْبَدًا ، لِثَلَاثٍ يُقَالُ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَنَاهٍ فِيهِ ،

وَدُعِيَ هُرَيْرَةُ إِنَّ الرُّكْبَ مِنْ نَحْلٍ . وَهَلْ يُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

هـ هذا ، ومن لطيف التجريد قول المعري :

مَا جِئْتُ نَمِيْرُهُ فَمَا جِئْتُ مِنْكَ ذَا لِيَدٍ وَاللَّيْثُ أَفْثَكُ أَفْثَالًا مِنَ النَّمِرِ

وقول الآخر :

إِنْ تَلَقَّيْ لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ

(المقبولة) يشير بهذا إلى الرد على من زعم أنها مردودة مطلقاً محتجاً
بأن خير الكلام ما خرج عما خرج الحق ، وكان على منجى الصدق ، كما قال السيد
حسان بن ثابت :

وَلِأَمَّا الشُّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَانَ كَيْسًا وَإِنْ خُفَا

وَإِنْ أَشْمَرَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتُهُ صَدَقًا

وعلى من زعم أنها مقسولة مطلقاً ، وأن الفضل مقصور عليها ، والمحاسن
كلها منسوبة إليها ، محتجاً بأن أحسن الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ فيه ،
ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان في قوله :

لَنَا الْجَلْفَنَاتُ الْغُرُ يُقَمِّنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقَطْرُنَ مِنْ نَجْدٍ دَمًا

حيث استعمل جمع الغلة ، يعني الجفائن والأسياف ، وقد ذكر وقت
الضحوة وهو وقت تناول الطعام ، ومال يقطرن دون يسألن أو يفضن أو يهجو
ذلك (فيه) أى في الشدة أو الضعف (كقوله) أى قول امرئ القيس

وَتَنْحَصِرُ فِي التَّبْلِغِ وَالْإِغْرَاقِ وَالْفُلُوحِ ، لِأَنَّ الدَّعَى إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا
عَقْلًا وَعَادَةً فَتَبْلِغٌ ، كَقَوْلِهِ :

فَعَادَى عِدَاءَهُ بَيْنَ نَوْرِ وَنَمَجَةٍ * ذَرَاكَ قَلَمٌ يَنْضَحُ بِمَاءِ فَيْضَلٍ
وَإِنْ كَانَ مُمَكِّنًا عَقْلًا لَا عَادَةً فَلِإِغْرَاقٍ ، كَقَوْلِهِ :

حيث وصف هذا الفرس بأنه أدرك نوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد
ولم يهرق ، وذلك غير ممكن عقلاً ولا عادة ... ومن الحسن في باب المبالغة
قول الحماسي :

رَهَنْتُ بِيَدِي بِالْمَجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ وَمَتَّقْتُ شُكْرِي لِلشُّكْرِ مَزِيدُ
وَلَوْ كَانَ مِمَّا يُسْتَطَاعُ اسْتِطَاعَتُهُ وَلَكِنْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ
وقول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْ مَلُهُ تَرَكَتَنِي أَحْتَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ
ومن المبالغة في البخل قول ابن الرومي :

لَوْ أَنَّ قَعْرَكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ مُمْتَلٍ إِذَا بِضَيْقُهَا فَنَاهَا النَّزْلُ
وَأَنَالَكَ يَوْسُفُ بِسَعِيرِكَ إِزْرَةً لِيَخِيطَ قَدْ قَبِصَهُ لَمْ تَفْعَلْ
وقال أيضاً :

فَتَى عَلَى حُبْرِهِ وَأَنَالَهُ أَشْفَقُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِهِ
رَغِيفُهُ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ مَكَانَ رُوحِ الْجَبَانِ مِنْ جَسَدِهِ
(كَقَوْلِهِ) أَيْ عَمْرُو بْنُ الْإِبْهَمِ التَّغْلَبِيُّ : أَدَى أَنْ جَارَهُ لَا يَمِيلُ عَنْهُ إِلَى

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِيْنَا وَنُتِيعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا
وَمَا مَقْبُولَانِ ، وَإِلَّا فَفُؤُا ، كَقَوْلِهِ :
وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشَّرَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافَكَ النُّطْفَةُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

جهة إلا وهو يتبعه الكرامة . وهذا ممتنع عادة وإن كان غير ممتنع عقلا ، ومن
هذا النوع قول امرئ القيس :

تَتَوَزَّهَانِ مِنْ أَذْرُعَانِ وَأَهْلَانِ
وَقَوْلُ الْقَائِلِ :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْى وَصَبَابَةٍ
يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَا بِهِ مِنَ الْحُبِّ بِجَمَلٍ لَنَحَلَ حَتَّى يَدْخُلَ النَّارَ كَافِرًا
(كَقَوْلِهِ وَأَخَفْتَ) هُوَ لَاقِي نَوَاسٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يمدح بها الرشيد ، وبما يتصل
بهذا ما يحكى أن العنابي الشاعر لقي أبا نواس فقال : أما استحييت من الله بقولك ،
وأخفت أهل الشرك ... البيت ، فقال له أبو نواس وأنت أما استحييت من
الله بقولك :

مَا زِلْتُ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ مُطَارِحًا
بَصِيقُ عَنَى وَسَيْعُ الرَّأْيِ مِنْ حِيَلِ
فَلَمْ تَزَلْ دَائِبًا تَسْعَى بِأُطْفَلِكِ لِي
حَتَّى اخْتَسَسَتْ حَيَاتِي مِنْ يَدَيِ أَجَلِ
ومن الغلو قول البحرى :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقَاتَا تَكَلَّفَتْ قَوْقَ مَا
فِي وَسْمِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

لَوْ تَعْمَلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا
مَدَّتْ مُحِبَّةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَ

وَالْمَقْبُولُ مِنْهُ أَصْنَافٌ : مِنْهَا مَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ مَا يُقَرَّبُهُ إِلَى الصَّحَّةِ نَحْوُ :
يَكَاذُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَكَاذُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، وَمِنْهَا مَا يَصْمَنُ
نَوْعًا حَسَنًا مِنَ التَّخْيِيلِ ، كَقَوْلِهِ :
عَقَدَتْ سَنَابِلَهَا عَلَيْهَا عِثْرًا لَوْ تَبَتَّغَى عَنَّا عَلَيْهِ لَأُنْكَرْنَا
وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي قَوْلِهِ :

ومن الغلو الفث قول المتنبي :

فَقَى أَلْفُ جُزءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْءِيهِ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ
ومثل هذا من الكلام مردود ، لا يشتغل بالاحتجاج عنه له ، والتحسين
لأمره ، وهو بترك التداول أولى ، إلا على وجه التنجيب منه ، ومن قاله
(والمقبول منه) أى من الغلو (عقدت) هو للتنبي من قصيدة يمدح بها ابن
عمار وقيله :

أَقْبَلْتُ تَبَسُّمُ وَالْجَيَادُ عَوَائِسُ يَحْبُبُنِ بِالْخَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا

السنايك جمع سنيك : وهو طرف الحافر ، والعشير : التراب ، والعنق : نوع
من السير . ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنايك الخيل فوق رؤسها ، بحيث
صار أوصداً يمكن سيرها عليه ، وهذا يتمتع عقلا وعادة ، لكنه تخيل حسن
(وقد اجتمع) أى إدخال ما يقربه إلى الصحة ، وتضمن التخييل الحسن
(في قوله) أى في قول القاضى الأرجانى يصف الليل بالطول . يقول يخيل لى
أن الشهب بحكمة بالمسامير فى الظلام لا تنتقل من مكانها ، وأن أجفان عيني
قد شدت بأهدابها إلى الشهب ، لطول سهرى فى ذلك الليل ، وهذا تخيل

يُخَيَّلُ لِي أَنْ تُعَمِّرَ الشَّهْبُ فِي الدُّجَى وَشَدَّتْ بِأَهْدَابِي الْيَمِينُ أَجْفَانِي
وَمِنْهَا مَا أَخْرَجَ مُخْرِجَ الْهَزَلِ وَالْخَلَاعَةِ ، كَقَوْلِهِ :
أَسْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشَّرِّ بِ غَدَاً إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ
وَمِنْهُ لِلذَّهَبِ الْكَلَامِيُّ ، وَهُوَ إِذَا رَادَ حُجَّةَ الْمَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ
الْكَلَامِ ، نَحْوُ : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، وَقَوْلِهِ :

حسن ، ولفظ يخيل يزيد حسناً ، هذا ، ومن المقبول في الغلو قول أبي
العلاء المعري :

يَكَادُ قَيْثُهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ نَمَكُنْ فِي قُلُوبِهِمُ النَّبَالَ
يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الْفَيْدُ يَمْسِكُهُ لَسَالَا
وقول ابن المعتز يصف فرساً :

يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ إِذَا تَدَلَّى السَّوْطُ لَوْلَا اللَّبَبُ
وقال الفرزدق :

يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ دُمَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال آخر :

يَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً عَنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِي رَفِيقُ

ودم أعرابي رجلاً فقال : يكاد بعدى لؤمه من تسمى باسمه ، ومثل هذا
النوع في الكلام كثير (أسكر بالأمس) لا يعلم قائله ، ومعناه ظاهر (ومنه
المذهب الكلامي) وأول من ذكره الجاحظ وأنكره ويزده في القرآن
(طريقة أهل الكلام) هي أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة
للمطلوب (لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) واللازم وهو فساد السموات

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِبَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِقَرَرٍ مَطْلَبٌ
لَيْنَ كُنْتَ قَدْ بَلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَفِكَ الْوَاسِي أَغْشَ وَأَكْذَبُ
وَلَيْكُنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبٍ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَنَذَهَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُورِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرْفُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذُنُوبَا
وَمِنْهُ حُسْنُ التَّمْلِيلِ : وَهُوَ أَنْ يَدْعَى لَوْصِفَ عِلَّةً مُنَاسِبَةً لَهُ
بِاعْتِبَارِ أَلْغِيْفٍ غَيْرِ حَقِيقٍ ، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ أَضْرِبُ : لِأَنَّ الصِّفَةَ إِذَا ثَابِتَةٌ
فَصِدِّ بَيَانِ عِلَّتِهَا ، أَوْ غَيْرُ ثَابِتَةٍ أُرِيدَ إِثْبَاتُهَا ، وَالْأُولَى إِذَا أَنْ لَا يَظْهَرُ

والأرض باطل ، لأن المراد به خروجها عن النظام الذي هما عليه فكذا
الملزوم وهو تعدد الآلهة . ومثل الآية قوله تعالى أيضاً : وهو الذي يبدأ الخلق
ثم يعيده وهو أهون عليه ، أى والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من
البدء أدخل في الإمكان من البدء ، فالإعادة أدخل في الإمكان من البدء
وهو المطلوب ، وقوله تعالى : فلم يعذبكم بذنوبكم ، أى أنتم تعذبون والبنون لا
يعذبون فلم يثبتن له (وقوله حلفت) الآيات التابعة للديان من قصيدة
يمتدح فيها إلى النعمان بن المنذر ، وقد كان مدح آل جفنة بالنعام ، فنكر النعمان
من ذلك ، والريبة : الشك ، ومستراد : بمعناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق .
ومنتجع : من راد الكلاء فهو يقول : أنت أحسنت إلى قوم قد حوك ، وأنا
أحسن إلى قوم قد حتهم ، فكأن مدح أولئك لك لا يعد ذنباً ، فكذلك
مدحى لمن أحسن إلى لا يعد ذنباً .

لَهَا فِي الْمَادَّةِ عِلَّةٌ ، كَقَوْلِهِ :

لَمْ يَحْكُ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا * نُحِتَ بِهِ فَصَلِيلُهَا الرِّحْصَاءُ
أَوْ يَظْهَرُ لَهَا غِلَّةٌ عِوَالِدُ كُورَةٍ ، كَقَوْلِهِ :
مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ * يَتَنَّى إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ
فَإِنَّ قَتْلَ الْأَعْدَاءِ فِي الْمَادَّةِ لِيُدْفِعَ مَضَرَّتِهِمْ ، لَا لِمَا ذَكَرَهُ

(كقوله لم يحك) هو المتنبي ، والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى :
فتزول المطر من السحاب صفة ناشئة له لا يظهر لها علة في العادة . وقد علله
بأنه عرق حاما الناجمة عن عطاء الممدوح . ومن هذا الضرب قول أبي تمام :
لَا تُنْكِرِي عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَسْكِينِ الْعَالِي
علل عدم إصابة النقي الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المسكين العالي
كالطود العظيم من جهة أن الكريم لا تصافه بملو القدر . كالمسكين العالي والغنى
لحاجة الخلق إليه كالسيل . وقول ابن نباتة في صفة فرس أدم يحمل القوائم
ذي غرة :

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلُ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرْيَا
سَرَى حَفَّتِ الصَّاحِرُ يَطِيرُ مَشْيَا وَبَطْوَى خَلْفَهُ الْأَفْلَاكُ طَيَا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْفُوتُ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِأَقْوَامٍ وَالْمَحْيَا
وفي معناه وهو جيد إلى الغاية :

وَكَاثِمًا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَرَ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
(كقوله) أي قول المتنبي من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار (لا المأذونه)

وَالثَّانِيَةُ : إِنَّمَا تُمْكِنُهُ ، كَقَوْلِهِ :

يَا وَاشِيَاءَ حَسَنْتَ فِينَا إِسَاءَةً نُجِّى حِذَارَكَ إِنْسَانِي مِنَ الْفَرْقِي

من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبه أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجلود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييل ، أى تنهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات المعجم ، فإذا غدا للحرب رجحت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه . ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

فَلَوْأُ اشْتَكَّتْ عَيْنُهُ فَقَتَلَتْ لَهُنَّ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَسْبُ

خَرَّتْهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلَتْ وَالْدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبُ

وقول الآخر :

أَتَنَّبِي تَوَنَّبَنِي بِالْبُكَاءِ فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيهَا

تَقُولُ وَفِي قَوْلِهَا حِشْمَةٌ أَتَبْكِي بَعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا

فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحَضَنْتَ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْنِيهَا

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إغراض الحبيب أو إغراض الرقيب ، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) أى الصفة الغير الثابتة التي أريد لإثباتها (كقوله) أى قول مسلم بن الوليد (حذارك) أى حذارى إياك (إنسانى) أى إنسان عيني (نجى إنسانه الخ) أى حيث ترك

فَإِنْ اسْتَحْسَبَانِ إِسَاءَةَ الْوَائِي مُمَكِّنٌ ، لَكِنْ لَمَّا خَالَفَ النَّاسَ فِيهِ
عَقِبَهُ بِأَنْ حِذَارَهُ مِنْهُ نَجَّى إِنْسَانَهُ مِنَ التَّرَقِّي فِي الدَّمُوعِ ، أَوْ غَيْرِ
مُمَكِّنَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجُوزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ
وَأَلْحَقَ بِهِ مَا يُبْنَى عَلَى الشَّكِّ ، كَقَوْلِهِ :
كَانَ السَّحَابُ الْغُرَّ غَيِّبَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ

الكلام خوفاً منه - من الواشي - (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة
المدحوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها ، والانتطاق : شد المنطقة ، ونطاق
الجوزاء : كواكب حولها ، وهذا البيت مترجم من الفارسية ومنه قول الآخر :
لَوْ لَمْ يَكُنْ أَفْخُوَانَا نَفَرُ مَبْسِمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طَيِّبًا سَاعَةَ السَّحَرِ
(والحق به ما يبنى على الشك) ولكونه مبيناً على الشك لم يجعل من
حسن التعليل لأن فيه ادعاء وإصراراً والشك ينافيه (كقوله كان السحاب)
البيت لأبي تمام . والنفر : جمع الأغر . والسحاب : اسم جنس يطلق على الواحد
والجميع . ومن ثم وصفه بالجمع والمراد السحاب الماطرة : الغزيرة الماء . والضمير
في تحتها للرب في قوله قبل هذا البيت :

رُبِّي شَقَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا إِلَى الْمَازِنِ حَتَّى جَادَهَا وَهُوَ هَامِعُ
وترقا أصله ترقا بالهمز . فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من
السحاب بأنها غابت حبيباً تحت تلك الربا . فربى تبكى عليه . وهذا البيت يشير
إلى قول محمد بن وهيب :

وَمِنْهُ التَّغْرِيعُ : وَهُوَ أَنْ يُكَبَّتْ لِيَتَقَنَّ أَمْرُ حُكْمٍ بَعْدَ إِبْنَائِهِ
لِيَتَقَنَّ آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

أَحْلَامُكُمْ لِسِتَامِ الْجَهْلِ شَاقِيَةٌ * كَمَا دِمَاؤُكُمْ تُشْفَى مِنَ الْكَلْبِ

طَلَّانَ طَالَ عَيْنُهُمَا الْأَمَدَ دَرَسَا فَلَا عِلْمَ وَلَا نَعْدَ

لَيْسَا إِلَيْكَ فَكَأَنَّكَ وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أُجِدَ

ونظيره قول المتنبي :

رَحَلَ الْعَرَاءُ بِرَحْلِي فَكَأَنِّي أَتَّبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيمِ ،

علة تصعيد الأنفاس في العادة ، هي التحسر والتأسف ، لا ما يجوز أن يكون إياه ، والمعنى رحل عني العراء بارتحال عنك ، أي معه أي بنييه ، فكأنه لما كان الصدر محل الصبر ، وكانت الأنفاس تصعد منه أيضاً ، صار العراء والتنفس الصعداء كأنهما زبيلان ، فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصعبة (كقوله أحلامكم) فقد أثبت لدماهم أنها تشفى من الكلب بعد أن أثبت لأحلامهم أنها تشفى من سقام الجهل ، والبيت للكيت من قصيدة يمدح بها أهل البيت ، والكلب ما يحدث في الإنسان عقيب عض الكلب ولا دواء له ، زعموا أنجع من شرب دم الملوك ، يقول : أنتم أرباب العقول الراجعة كما أنكم أشراف وملوك ، وفي طريقته قول الخنصاري :

بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كُلِّ دِمَائِكُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشَّنَاءُ

هذا ومن التفريع قول الشريف الرضي :

إِذَا قَالَتْ شَيْءٌ سَمَةً دَلَّ أَفْعُهُ وَإِنْ قَالَتْ عَيْدَهُ رَأَى بِالْمَسَامِعِ

وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يُشْبِهُ الدَّمَ : وَهُوَ صَرِيحٌ : أَفْضَلُهُمَا أَنْ
يُسْتَفْتَى مِنْ صِفَةِ دَمٍ مَنَفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةُ مَدْحٍ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا
فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوقَهُمْ * يَهِنُ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ
أَيُّ إِنْ كَانَ فُلُولُ السَّيْفِ عَيْبًا ، فَأَثْبَتَ شَيْئًا مِنْهُ عَلَى تَقْدِيرِ سَوْرَتِهِ

وقول ابن المعتز :

كَلَامُهُ أَخْذَعُ مِنْ لَحْظِهِ وَوَعْدُهُ أَكْذَبُ مِنْ طَائِفِهِ

فبينما هو يصف خدع كلامه أثبت خدع لحظه ، وبينما هو يصف كذب
وعده أثبت كذب طائفه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر في هذه
التسمية إلى الأعم الأغلب ، وإلا فقد يكون ذلك في غير المدح والذم ويكون
من محسنات الكلام كقوله تعالى : وَلَا تَسْكُحُوا مَا نَسْكَحُ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ، يعني إن أمكنكم أن تسكحوا ما قد سلف فانسكحوه فلا يحل
لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق إلى
إباحته وليس تأكيد الشيء بما يشبه نفیضه (كقوله) أي قول النابغة الذبياني ،
فلول جمع قل : وهو الثلم يصيب السيف في حده (قراع الكتاب) مضاربة
الجيوش عند اللقاء (فأثبت) أي فقد أثبت الشاعر شيئاً من العيب على تقدير
كون فلول السيوف من العيب وهذا محال ، لأنه كناية عن كمال الشجاعة فهو
في المعنى تعلیق بالمحال كما يقال حتى يبيض القار^(١) ، وحتى يلبس الجمل في سم

مِنْهُ ، وَهُوَ مُحَالٌ ، فَهُوَ فِي الْمَقَى تَعْلِيْقٌ بِالْمُحَالِ ، وَالثَّانِي كَيْدٌ فِيهِ مِنْ جِهَةِ
أَنَّهُ كَدَعَوَى الشَّيْءِ بِنَيْبَةٍ ، وَأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِتِّصَالُ ، فَذِكْرُ
أَدَاتِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَا بَعْدَهَا يُؤْهِمُ إِخْرَاجَ شَيْءٍ تَحْقِيقًا ، فَإِذَا وَلِيَهَا صِفَةً
مَدْحٍ جَاءَ الثَّانِي كَيْدُ ، وَالثَّانِي أَنَّ يُثْبِتَ لَشَيْءٍ صِفَةً مَدْحٍ ، وَتُعَقَّبُ بِأَدَاةٍ
إِسْتِثْنَاءٍ ، يَلْبِسُهَا صِفَةً مَدْحٍ أُخْرَى لَهُ ، نَحْوُ : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَيِّ
مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَصْلُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعًا لَكِنَّهُ
لَمْ يَقْدَرْ مُتَّصِلًا ، فَلَا يَغِيدُ الثَّانِي كَيْدًا إِلَّا مِنَ الْوَجْهِ الثَّانِي ، وَلِهَذَا كَانَ

الخياط ، وتأكيده المدح في هذا الضرب من وجهين : أحدهما أنه كدعوى
الشَّيْءِ بِنَيْبَةٍ كَأَنَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِمْ بِأَنْ ثُبُوتِ عَيْبٍ فِيهِمْ مَعْلَقٌ
بِكُونَ فُلُولِ السُّيُوفِ عَيْبًا وَهُوَ مُحَالٌ ، وَالثَّانِي أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ الْإِتِّصَالُ
أَيُّ كُونَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ يَجِبُ يَدْخُلُ فِيهِ الْمُسْتَثْنَى عَلَى تَقْدِيرِ السَّكُوتِ عَنْ
الْإِسْتِثْنَاءِ ، لِيَكُونَ ذِكْرُ الْمُسْتَثْنَى إِخْرَاجًا لَهُ عَنِ الْحُكْمِ الثَّابِتِ لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ،
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ الْمُنْقَطِعَ جَازٍ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ ، وَإِذَا كَانَ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِذَا نَطَقَ الْمُتَكَلِّمُ بِإِلَّا أَوْ نَحْوَهَا تَوَهَّمَ السَّامِعُ قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ بِمَا
يَعْبُدُهَا أَنْ مَا يَأْتِي بَعْدَهَا مَخْرَجٌ مِمَّا قَبْلُهَا فَيَكُونُ شَيْءٌ مِنْ صِفَةِ الذَّمِّ ثَابِتًا ، فَإِذَا
وَلِيَهَا صِفَةً مَدْحٍ جَاءَ التَّوَكُّيدُ لِكُونِهِ مَدْحًا عَلَى مَدْحٍ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ
السَّحَرِ وَنَوْعٍ مِنَ الْخِلَابَةِ (بَيْدَ) بَيْدٌ هُنَا بِمَعْنَى غَيْرٍ وَهُوَ أَدَاةُ إِسْتِثْنَاءٍ (وَأَصْلُ
الْإِسْتِثْنَاءِ فِيهِ) يَقُولُ أَصْلُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنَّ يَكُونَ مُنْقَطِعًا كَأَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ
فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ مُنْقَطِعٌ لِعَدَمِ دُخُولِ الْمُسْتَثْنَى فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ، وَهَذَا لَا يَنَافِي
أَنَّ الْأَصْلَ فِي مَطْلَقِ الْإِسْتِثْنَاءِ هُوَ الْإِتِّصَالُ (لَكِنَّهُ لَمْ يَقْدَرْ مُتَّصِلًا) بَلْ بَقِيَ

الْأَوَّلُ أَفْضَلُ ، وَمِنْهُ ضَرْبٌ آخَرُ ، مَحْوُ : وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا
بِآيَاتِ رَبِّنَا ، وَالْإِسْتِدْرَاكُ فِي هَذَا الْبَابِ كَالِاسْتِثْنَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :
هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ ذَاخِرًا * سِوَى أَنَّهُ الضَّرْعَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ
وَمِنْهُ تَأْكِيدُ الدَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ : وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَفْتَى
مِنْ صِفَةٍ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ عَنِ الشَّيْءِ صِفَةً دَمٍّ ، بِتَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا ، كَقَوْلِهِ :
فَلَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ يُسَى إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَثَانِيَهُمَا أَنْ يُثَبَّتَ
لِلشَّيْءِ صِفَةُ دَمٍّ ، وَتُعَقَّبَ بِأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ ، تَلِيهَا صِفَةُ دَمٍّ أُخْرَى لَهُ ،
كَقَوْلِكَ : فَلَنْ فَاسِقٌ إِلَّا أَنَّهُ جَاهِلٌ ، وَتَحْقِيقُهُمَا عَلَى قِيَاسِ مَا مَرَّ

على حاله من الانقطاع ، لَأنه ليس في هذا الضرب صفة دم منفية عامة يمكن
تقدير دخول صفة المدح فيها (فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني)
وهو أن الأصل من مطلق الاستثناء الاتصال ، فذكر أداته قبل ذكر المستثنى
يوهم بإخراج شيء مما قبلها من حيث أنه استثناء ، فإذا ذكر بعد الأداة صفة
مدح أخرى جاء التأكيد ولا يلتزم فيه التأكيد من الوجه الأول أعنى دعوى
الشيء ببنية لأنه مبنى على التعليق بالحال المبني على تقدير الاستثناء متصلا (ومنه)
أى ومن تأكيد المدح بما يشبه الدم (نحو وما تنقم منا) أى وما تعيب منا إلا أصل
المنافى والمفاخر كلها ، وهو الإيمان بآيات الله (كما في قوله هو البدر) فالأولان
فيه استثناء آن مثل : بيد أنى من قرش ، وقوله لكنه الوبل ، استدراك يفيد
من التأكيد ما يفيد هذا الضرب من الاستثناء ، لأنه استثناء منقطع وإلا فيه
بمعنى لكن ، والبيت لبديع الزمان الحمداني يمدح به خالف بن أحمد السجستاني

وَمِنْهُ الْإِسْتِبَاعُ : وَهُوَ الْمَدْحُ بِشَيْءٍ عَلَى وَجْهِ اسْتِغْنَاءٍ الْمَدْحِ بِشَيْءٍ
آخَرَ ، كَقَوْلِهِ :

نَهَيْتَ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهْنَتِ الدُّنْيَا بِأَنْتَ خَالِدٌ
مَدَحُهُ بِالنَّهْيَةِ فِي الشَّجَاعَةِ عَلَى وَجْهِ اسْتِغْنَاءٍ مَدَحُهُ بِكَوْنِهِ سَبَبًا لِصَلَاحِ
الدُّنْيَا وَنِظَامِهَا ، وَفِيهِ أَنَّهُ نَهَبَ الْأَعْمَارَ دُونَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا
فِي قَتْلِهِمْ . وَمِنْهُ الْإِدْمَاجُ : وَهُوَ أَنْ يُضْمَنَ كَلَامٌ سَبَقَ لِمَعْنَى مَعْنَى آخَرَ

(نهبت من الأعمار) هو للتنبي (مدحه للنهية في الشجاعة) إذ كفر
قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا (على وجه استغناء مدحه بكونه
سبباً لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنة بخلوده ، ولا معنى لتهنئة أحد
بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول إن في البيت وجهين
آخرين من المدح ذكرهما علي بن عباس الرضي ، فأولهما أنه نهب الأعمار دون
الأموال وهذا مما يشف عن علو الهمة ، وثانيهما أنه لم يكن ظالماً في قتل أحد
من مقتوليه لأنه لم يقصد بذلك الإصلاح الدنيا وأهلها ، فهم مسرورون ببقائه
(ومنه الإدماج) يقال أدمج الشيء في الثوب : إذا لفه فيه (وهو أن يضمن
كلام سبق لمعنى معنى آخر) فهذا المعنى الثاني يجب ألا يكون مصرحاً به
ولا يكون في الكلام إشعار بأنه مسوق لأجله ، فن قال في قول الشاعر يعني
بعض الوزراء لما استوزر :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافَنَا فِي نُفُوسِنَا وَأَسْقَفَنَا فِيمَنْ نُحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقُلْتُ لَمْ نَعْمَلْكَ فِيمَنْ أُحِبُّ وَأَدْعُ أَمْرَنَا إِنَّ الْيَوْمَ الْقَدَمُ

فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْإِسْتِغْنَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

أَقَابُ فِيهِ أَجْزَانِي كَأَنِّي * أَعُدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا
فَإِنَّهُ صَحْنٌ وَصَفَ اللَّيْلُ بِالطُّولِ ، الشَّكَايَةُ مِنَ الدَّهْرِ ، وَمِنْهُ مَنْ
قَالَ لِأَعْوَرَ : * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَا *

إنه أدمج شكوى الزمان ، وما هو عليه من اختلال الأحوال ، في التهنئة
فقدسها ، لأن الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدحجة ولو جعل التهنئة مدحجة
لكان أقرب (فهو أعم من الاستغناء) لشموله المدح وغيره ، واختصاص
الاستغناء بالمدح (كقوله) أى قول أبى الطيب يصف طول الليل عليه ،
ومثله قول ابن المعتز في الخيري :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجَرُ بِأَلْوَابِهِمْ عَلَى وَرَقِهِ
فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة ، فأدمج الغزل في الوصف ، وكذلك
قول ابن نباتة :

وَلَا بَدَلِي مِنْ جَنَاهِهِ فِي وَصَالِهِ * فَمَنْ لِي يَخْلِلِ أَوْدُغَ الْحِلْمِ عِنْدَهُ أ

فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حلما المسكن عنه بالاستفهام عن وجود
خل صالح ، لأن يودعه حله ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج
الإيثار شكوى الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فهم من يصلح لهذا الشأن ،
وبنه بذلك على أنه لم يعزم على مفارقة حله جملة أبداً ، ولكن إذا كان سريراً
لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المثاني للحلم ، عزم على أنه إن وجد من
يصلح لأن يودعه حله أودعه إياه ، فإن الودائع تستمدد (كقول من قال
لأعور ليت عينيه سواء) فإنه يحتمل معنى أن تصير العين العوراء صحيحة

السكاكى : وَمِنْهُ مُتَشَابِهَاتُ الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارِهِ . وَمِنْهُ الْهَزْلُ الَّذِي
يُرَادُّ بِهِ الْجِدُّ ، كَقَوْلِهِ :
إِذَا مَا تَمَيَّيْتُ أَنَاكَ مُفَاخِرًا * فَقُلْ عَدُّ عَنْ ذَا كَيْفٍ أَكَلْتُ لِلضَّبِّ
وَمِنْهُ تَحَاوُلُ الْمَارِفِ : وَهُوَ كَمَا سَمَّاهُ السكاكى سَوَقُ الْمُسْلُومِ .

فيكون مدحاً أو بالعكس فيكون ذمّاً . والقائل هو بشار بن برد قاله في خياط
أعور يسمى عمرو وصدده :

* حَاطَ لِي عَمْرُو قِيَاءَ *

(قال) السكاكى : وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا النوع ، يعنى
التوجيه ، باعتبار وهو احتياها للوجهين المختلفين ، أى وفارقه باعتبار آخر
وهو عدم استواء الاحتمالين لأن أحد المعنيين في التشابهات قريب والآخر
بعيد لما ذكره السكاكى نفسه من أن أكثر متشابهات القرآن من قبيل التورية
والإيهام . ويجوز أن يكون وجه المفارقة هو أن المعنيين في التشابهات لا يجب
تضادها ، إذ يجوز اجتماعهما كالقذرة واليد بمعنى الجارحة ، بخلاف التوجيه
فإنه يجب فيه تضاد المعنيين . (ومنه الهزل الذى يراد به الجد) وترجمته نغى عن
تفسيره ، ومن أمثاله قول امرئ القيس :

وَقَدْ عَلِمْتُ سَقَى وَإِنْ كَانَ بَعْلًا . بِأَنَّ الْفَتَى يَهْدَى وَلَيْسَ بِفَقْلٍ
فهو القاتح لهذا الباب (كقوله) أى قول أبى نواس ، فإنه أورده على
سبيل الهزل ، والمراد به الجد . قالوا لأن تمجدا كانت تكثر أكل الضب

مَسَاقٍ غَيْرِهِ يُسَكِّنُهُ ، كَالْتَوْبِيخِ فِي قَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ :
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 وَالْبَالِغَةِ فِي الْمَذْحِرِ ، كَقَوْلِهِ :
 أَلَمْعُ بَرْقِي سَرَى أَمْ صَوُّ مِصْبَاحٍ أَمْ ابْنِ سَامِئِهَا بِالْمُنْظَرِ الضَّاحِي
 أَوْ فِي الذَّمِّ كَقَوْلِهِ :

وَمَا أَذْرَى وَصَوْفَ إِخَالٍ أَذْرَى أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ
 وَالتَّذْلُّهُ فِي الْحُبِّ فِي قَوْلِهِ :

يَا ظَلِيَّاتِ الْقَاعِ قُنَّ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ
 وَمِنْهُ الْقَوْلُ بِالْمَوْحِبِ ، وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ
 فِي كَلَامِ الْغَيْرِ كِنَابَةِ عَنْ شَيْءٍ أَثْبِتَ لَهُ حُكْمَ فَتَشْدِيدِهَا لِغَيْرِهِ مِنْ

وتعريفه (في قول الخارجية) هي ليلي بنت طريف ، ترى أخاها حين قتل
 وبعد البيت :

فَقَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفِ
 (الخابور) نهر من ديار بكر تنبت على حافته أشجار (ألمع برق) هو
 للبحترى ، والمنظر أراد به الوجه ، والضاحى : الظاهر المشرق (وما أذرى)
 هو لوزهر (يافطيات) هو للحسين بن عبد الله الغربي ، ومثله قول
 ذى الرمة :

أَيَا ظَلِيَّةَ الْوُغْصَانِ مِثْنِ جَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النَّفَا آتَيْتِ أَمْ أَمْ سَلَمٍ

غَيْرِ تَعْرِضٍ لِثُبُوتِهِ ، أَوْ نَفِيدٍ عَنْهُ ، نَحْوُ : يَقُولُونَ لَنَرَّجَعَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ
لِنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَالثَّانِي
سَجًّا لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافٍ مُرَادِهِ بِمَا يَحْتَمِلُهُ يَذْكُرُ
مُتَمَلِّقِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قُلْتُ تَقَلَّتْ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا * قَالَ تَقَلَّتْ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي
وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ : وَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِأَسْمَاءِ الْمَذْهُوحِ أَوْ غَيْرِهِ وَأَبَاهُ عَلَى

وَالْقَاع : هُوَ الْمُسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ (الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ) وَيُسَمَّى أَسْلُوبَ
الْحَكِيمِ (نَحْوُ يَقُولُونَ) فَإِنَّهُمْ كُنُوا بِالْأَعَزِّ عَنْ فَرِيْقِهِمْ ، وَبِالْأَذَلِّ عَنْ فَرِيْقِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْتَبَهُوا لِلْأَعَزِّ الْإِخْرَاجِ ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ صِفَةَ الْعِزَّةِ
لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِ تَعْرِضٍ لِثُبُوتِ حُكْمِ الْإِخْرَاجِ لِلْبُوصُوفِينَ بِصِفَةِ
الْعِزَّةِ وَلَا لِنَفِيهِ عَنْهُمْ (كَقَوْلِهِ قُلْتُ تَقَلَّتْ) فَلَفْظُ تَقَلَّتْ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ
بِمَعْنَى حُلَّتْكَ الْمُؤْنَةُ ، وَتَقَلَّتْكَ الْإِنْيَانُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَفَدَّ حَمْلَهُ عَلَى تَقْصِيلِ
عَاتِقِهِ بِالْأَيَادِي وَالْمَنْ وَبَعْدَ الْبَيْتِ :

قُلْتُ طَوَّلْتُ قَالَ لَا بَلَّ تَطَوَّلَتْ وَأَبْرَمْتُ قَالَ خَسَلْتُ وَدَادَى
أَي طَوَّلْتُ الْإِقَامَةَ وَالْإِنْيَانَ ، وَأَبْرَمْتُ : أَي أَمَلْتُ ، وَأَبْرَمَ أَيْضًا : أَحْكَمَ ،
وَالطَّوَّلُ : الْإِنْيَانُ ، فَقَوْلُهُ أَبْرَمْتُ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ
الْقَاضِي الْأَرْجَانِي :

غَالَطَنِي إِذْ كُنْتُ جَسِيمَ الضَّنَا كِبُوءَ عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْغِطَامَا
نَمْ طَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي وَهُوَ مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتُ لَكِنْ سَقَامَا
(وَمِنْهُ الْإِطْرَادُ) لِأَنَّ تِلْكَ الْأَسْمَاءَ فِي تَحْدِيرِهَا كَلَامًا الْجَارِي فِي إِطْرَادِهِ

ترتيب الولادة من غير تكلف ، كقوله :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّتْ عُرُوسُهُمْ * بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
وَأَنَا الْفُظِيُّ : فَمِنَ الْجِنَاسِ بَيْنَ الْفُظِيِّ ، وَهُوَ تَشَابُهُمَا فِي الْفُظِ ،
وَالثَّامُ مِنْهُ أَنْ يَتَّفِقَا فِي أَنْوَاعِ الْحُرُوفِ وَأَعْدَادِهَا وَهِيَائِهَا وَتَرْتِيبِهَا ، فَإِنْ
كَانَا مِنْ نَوْعٍ زَاجِدٍ كَاتِبَيْنِ سُمِّيَ ثَمَانِيًّا ، نَحْوُ : وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقِيمُ
لِلْجَرِيمُونَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ سَاعِيَةٌ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ سُمِّيَ مُسْتَوْفَى ، كَقَوْلِهِ :
حَمَلَتْ مِنَ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ * يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

وسهولة انسجامه (أن يقتلوك) أى إن تبجحوا بقتلك وفرحوا به ، فقد
أثرت في عزمهم وهدمت أساس مجدهم بقتل رئيسهم . هذا آخر المحسنات المعنوية
وقد أخذ المصنف في بيان المحسنات اللفظية وذكر منها في هذا الكتاب سبعة
أنواع : (أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهياتها وترتيبها) نخرج نحو
يفرح ويمرح ، ونحو الساق والمساق ، ونحو البرد والبرد ، ونحو الفتح والفتح
(نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول أبي تمام :

إِذَا الْخَلِيلُ جَاءَتْ قَسَطُ الْحَرْبِ صَدَّعُوا * صُدُّوا الْقَوَالِي فِي صُدُورِ الْكِتَابِ
وقول الشاعر :

حَذَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِعَمْرٍ قَتَالُ

الاول جمع أجل بالكسر : وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع
أجل : والمراد به ، انتهى الأعمار (مامات) هو لآبى تمام :

وَأَيْضًا إِنْ كَانَ أَحَدُ لَفْظَيْهِ مُرَكَّبًا مُعَيَّنَ جِنَاسَ التَّرْكِيبِ ، فَإِنْ
اتَّفَقَا فِي الْخَطِّ خُصَّ بِاسْمِ الْمُتَشَابِهِ ، كَقَوْلِهِ :

إِذَا مَلَكَتْ لِي يَكُنْ ذَاهِيَةً * فَدَعَهُ فِدْوَلَتُهُ ذَاهِيَةً
وَالْأَخُصَّ بِاسْمِ الْمَفْرُوقِ ، كَقَوْلِهِ :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامِ ، وَلَا جَامَ لَنَا
مَا الَّذِي صَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا

وَأِنْ اخْتَلَفَا فِي هَيَاتِ الْحُرُوفِ فَقَطَّ مُعَيَّنَ مُحَرَّفًا ، كَقَوْلِهِمْ : جُبَّةُ
الْبُرْدِ جُبَّةُ الْبُرْدِ وَنَحْوُهُ : الْجَاهِلُ إِمَّا مَفْرُطٌ أَوْ مَفْرُطٌ ، وَالْحَرْفُ الْمُسْتَدَدُ
فِي حُكْمِ الْمُخَفَّفِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشَّرِكِ ، وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي

(خص باسم المتشابه) لتشابه اللفظين في الكتابة (إذا ملك) هو لآي الفتح
اليسرى ، وقوله لم يكن ذاهية : أى صاحب هبة وعطاء ، وقوله فِدْوَلَتُهُ ذَاهِيَةً : أى
غير باقية (كلكم قد أخذ الجام) هو لآي الفتح أيضاً ، والجام : إناه يشرب فيه الخمر ،
ومديره : يعنى به الساق ، وقوله لو جاملنا : أى عاملنا بالجميل (خص باسم
المفروق) لافتراق اللفظين في صورة الكتابة (سمى محرفاً) لانحراف هيئة
أحد اللفظين عن هيئة الآخر (كقولهم جبة البرد الخ) فقد وقع الاختلاف
بين البرد والبرد ، لأن الباء في الأول ضم ، وفى الثانى فتحة ، وأما الجبة والجنة
فن التجنيس اللاحق لا المحرف ، والجنة : الوقاية (إما مفرط أو معرط) الأول
من الإفراط وهو تجاوز الحد ، والثانى من التفريط وهو التقصير (كقولهم
البدعة) مثله قول أبى العلاء المعرى :

وَالْحُسْنُ يَطْهَرُ فِدَ بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

أَعْدَادُهَا مُمَيَّنَةٌ نَائِقَصًا ، وَذَلِكَ إِمَّا يَحْتَرِفُ فِي الْأَوَّلِ ، مِثْلُ : وَالتَّنَفَّتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ، أَوْ فِي الْوَسْطِ ، نَحْوُ : جَدَى جَهْدَى
أَوْ فِي الْآخِرِ ، كَقَوْلِهِ :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ *

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مُطَرَفًا ، وَإِمَّا بِأَكْثَرِ ، كَقَوْلِهَا :

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشَّقَا مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ

(سمي ناقصاً) لنقصان أحد اللفظين عن الآخر (جدى جهدى) أى حظى
من الدنيا وغنى فيها لأنها هو باجتهادى وسمي (كقوله يمدون) تمامه :

* تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ *

والبيت لآنى تمام ، وقوله من أيد : فن زائدة على مذهب الأخفش أو
للتبعض مثلها فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه . وبالجملة هو الواقع
موقع مفعول يمدون ، وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصى : أى
السيف ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وقواض جمع قاضية : من قضى عليه
قتله ، وقواضب جمع قاضب من قضبه جمعه : أى يمدون للضرب يوم الحرب
أيدباً ضاربات للأعداء حاميات للأروياء صائلات على الأفران يسوف
قاتلة قاطعة (وربما سمي مطرفاً) يعنى هذا القسم الذى تكون فيه الزيادة
فى الآخر لتطرف الزيادة فيه . وهذا ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد
عليك آخر السكينة كاللحم من عواصم أنها هى التى مضت ، وإنما أتى بها
للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك ، انصرف عنك ذلك

وَرُبَّمَا سُمِّيَ هَذَا مَذِيلًا ، وَإِنْ اِخْتَلَفَ فِي أَنْوَاعِهَا فَيُشْتَرَطُ أَنْ لَا يَقَعَ بِأَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ ، ثُمَّ الْخُرْفَانِ إِنْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ سُمِّيَ مُضَارِعًا ، وَهُوَ إِيمَاءٌ فِي الْأَوَّلِ نَحْوُ : بَيْنِي وَبَيْنَ كَيْفَى لَيْلٍ دَامِسَ وَطَرِيقَ طَامِسَ ، أَوْ فِي الْوَسَطِ نَحْوُ : وَلَمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ ، وَالْأَسْمَى لَاحِقًا ، وَهُوَ أَيْضًا إِيمَاءٌ فِي الْأَوَّلِ ، نَحْوُ : وَقِيلَ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ ، أَوْ فِي الْوَسَطِ ، نَحْوُ : ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَقْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ، أَوْ فِي الْآخِرِ نَحْوُ : وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ، وَإِنْ اِخْتَلَفَ فِي تَرْتِيبِهَا سُمِّيَ تَجْنِيسَ الْقَلْبِ ، نَحْوُ : حُسَامُهُ فَتَنَحَّ لِأَوْلِيَائِهِ حَتَفَ لِأَعْدَائِهِ ، وَيُسَمَّى قَلْبَ كَلْبٍ ، وَنَحْوُ : اللَّهُمَّ

التوهم . وفي ذلك حصول الفائدة بعد أن يخاطبك اليأس منها قاله الشيخ الإمام (كقولها) أى الخنساء . والجوى : الحرقه (مذيلا) لأن تلك الزيادة في آخره كالذليل (سمى مضارعاً) لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه في المخرج (نحو بيني) هذا كلام للحريري . والكن . المنزل . والنامس : الشديد الضلعة . والطامس : المطموس العلامات الذي لا يتهدى فيه إلى المراد (ويل لكل همزة لمزة) الهمز : الكسر . واللمز : الطعن . والمراد الكسر من أعراض الناس والنقض منهم . وبناء قملة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة (سمى تجنيس القلب) لوقوع القلب : أى عكس بعض الحروف في أحد اللفظين بالنظر للآخر (نحو حسامه) هذا مأخوذ من قول الأحنف ابن قيس :

اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، وَيُسْقَى قَلْبُ بَعْضٍ وَإِذَا وَقَعَ أَحَدُهُمَا فِي أَوَّلِ
الْبَيْتِ وَالْآخَرِ فِي آخِرِهِ سُمِّيَ مَقْلُوبًا مُجْنَحًا ، وَإِذَا وَلَّى أَحَدُ الْمُتَجَانِسَيْنِ
الْآخَرَ سُمِّيَ مُرْدُوًّا وَمُكَرَّرًا وَمُرْدَدًّا نَحْوُ : وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينِ .
وَيَلْحَقُ بِالْجُنَاسِ شَيْئَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ يَجْمَعَ اللفظانِ الاشتقاقَ نَحْوُ : فَأَقِمْ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَجْمَعَهُمَا المشابهةُ ، وَهِيَ مَا يُشَبِّهُ الْإِشْتِقَاقَ
نَحْوُ : قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ النَّالِينَ . وَمِنْهُ رَدُّ الْمَجْزُوعِ عَلَى الصَّدْرِ وَهُوَ فِي

حُسامُكَ فِيهِ لِلْأَخْبَابِ فَتَحْ وَرُحْمُكَ فِيهِ لِلْإِعْدَاءِ حَتَفُ
(سَمِيَ مَقْلُوبًا مُجْنَحًا) لِأَنَّ اللفظينِ كَانَهُمَا جَنَاحَانِ لِلْبَيْتِ . وَهَذَا كَقَوْلِ
ابْنِ نَبَاتَةَ :

سَاقِي يُرْبِي قَلْبُهُ قَسْوَةً وَكُلُّ سَاقِي قَلْبُهُ قَاسٍ
(نَحْوُ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ) وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ مَنْ طَلَبَ وَجَدَ وَجَدَ ، وَقَوْلُهُمْ مَنْ
فَرَعَ بَابًا وَجَلَ وَجَلَ . وَقَوْلُهُمْ الذَّبِيدُ بَغِيرُ النِّعَمِ غَمٌ . وَبَغِيرُ الدِّسَمِ سَمٌ (نَحْوُ فَأَقِمْ
وَجْهَكَ) مِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الظُّلُمُ ظِلَالَاتُ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَقَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَقَدْ سئلَ عَنِ الذَّبِيدِ : أَجْمَعُ أَهْلَ الْحَرَمَيْنِ
عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

« فَوَادِّعُ أَتَعِدَّنِي عَلَى سَاكِنِي تَجَدِّ »

وقول البحري :

يَعْتَنِي عَنِ الْمَجْدِ الْفَيْيُ وَلَنْ تَرَى فِي سَوَادِي أَرْبَا لِفَتِيرِ أُوَيْبِ
(نَحْوُ قَالَ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ . وَقَوْلُ الْبَحْرِيِّ :

النَّثْرُ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ الْفُظَيْنِ الْمَكْرُورَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ أَوْ اللَّحَقَيْنِ بِهِمَا فِي
أَوَّلِ الْفَقْرَةِ ، وَالْآخَرُ فِي آخِرِهَا ، نَحْوُ : وَتَحْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَحْشَاهُ ، وَنَحْوُ : سَأَلْتُ اللَّهَ بِرُجُوعِ وَدَمْعِهِ سَائِلٌ ، وَنَحْوُ : اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا وَنَحْوُ : قَالَ إِنِّي لَفَعَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ، وَفِي النَّظْمِ
أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَالْآخَرُ فِي صَدْرِ الْمِصْرَاعِ الْأَوَّلِ أَوْ
آخِرِهِ أَوْ صَدْرِ الْبَيْتِ ، كَقَوْلِهِ :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ أَلَمٍ يَنْطَلِعُ وَجْهَهُ * وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعِ

وَإِذَا مَارِياً جُودَكَ هَبْتُ * صَارَ قَوْلُ الْمُذُولِ فِيهَا هَبًا

(ومنه) أي ومن اللفظي (المكررين) يعني المتفقين في اللفظ والمعنى
(أو المتجانسين) أي المتشابهين في اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما)
أي المتجانسين والمراد بهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق
وقد مثل المصنف لهذه الأربعة على الترتيب (أحدهما) أي أحد اللفظين
المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما (والآخر في صدر المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ
أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني) وعلى هذا تصير الأقسام ستة عشر ناجمة
عن ضروب أربعة أقسام : المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقاً والملحقين
بشبه الاشتقاق في أربعة ، وهي تكون اللفظ المقابل لها في بحر البيت واقعاً في
صدر المِصْرَاعِ الْأَوَّلِ ، أو حشوه أو آخره ، أو صدر الثاني ، والمصنف أورد
ثلاثة عشر مثالا وأهمل ثلاثة اكتفاء لهله بأمثلة الاشتقاق ، وسندكرها أخرى
إن شاء الله (كقوله سريع) فيها يكون المكرر الآخر في صدر المِصْرَاعِ

وقوله :

تَمْتَعُ مِنْ شَمِّهِ عَرَارٍ تَجِدُ فَمَا بَعْدَ التَّصْنِيعِ مِنْ عَرَارٍ

وقوله :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا فَإِذَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا

وقوله :

وَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُتَرَجِّحَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا

الأول والبيت للأفischer وتقدم السبب في قوله له (وقوله تمتع) فيما يكون المكرر الآخر في حشو المضراع الأول والبيت للصمة بن عبد الله القشيري ، والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وموضع من عرار رفع على أنه اسم ما ومن زائدة ، وتمتع مقول أقول في قوله :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْبَيْتُ تَهْوِي بَيْنَا بَيْنَ الْمُنِيفَةِ فَالْقَمَارِ

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر في آخر المضراع الأول ، والبيت لأنى تمام ، والكواعب جمع كاعب : وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهوض ، والبيض القواضب : السيوف القواطع (وقوله وإن لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر في صدر المضراع الثانى ، والبيت لذى الرمة وقبلة :

أَيَّامًا عَلَى الدَّارِ الَّتِي تَوَجَّدَتْهَا بَيْنَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلًا

الإلام : النزول القليل ، والتعرج على الشئ : الإقامة عليه ، وانتصب معرج على أنه خبر يكن واسمه ضمير الإلام . وقبلها صفة مؤكدة ، لأن الفلة تفهم من إضافة التعرج إلى الساعة ، وقبلها فاعل نافع أو هو مبتدأ ونافع خبره ، والضمير في قايها للساعة أى قليل التعرج في الساعة ينفعنى ويبل أوامى وبرورى

وقوله :

دَعَانِي مِنْ مَّلاَئِكَمَا سَفَّاهَا فَدَاعَى الشُّوقِ قَبْلَكُمْ دَعَانِي

وقوله :

وَإِذَا الْبَلَّالُ أَفْصَحَتْ بِلُغَاتِهَا فَأَنْفِ الْبَلَّالِ بِاحْتِسَاءِ بَلَّالِ

وقوله :

فَمَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْكَافِي وَمُفْتُونٌ بِرَنَاتِ الْكَافِي

وقوله :

أُمُتُّهُمْ ثُمَّ تَأْمُنْتُهُمْ فَلَاخٌ لِي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَاخٌ

غاي (وقوله دعاني) فيما يكون المتجانس الآخر في صدر المصراع الأول ، دعاني الأول بمعنى اتركاني ، والثاني من الدعاء بمعنى الطالب ، والسفاه : الطيش ، والبيت للقاضي الأبرجاني (وقوله وإذا البلال) فيما يكون المتجانس الآخر في حشو المصراع الأول البلال الأول جمع ببل وهو الطائر المعروف ، والثاني جمع بابال وهو الحزن ، والثالث جمع ببللة وهو لإبريق الحمر ، والاحتساء : الشرب ، والمقصود بالتمثيل هو البلال ، الثالث بالنسبة إلى الأول والبيت للثعالي (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول ، المثاني الأول القرآن ^(١) والآخر أوتار المزمار التي ضم طاق منها إلى طاق ، ورناتها : نغماتها ، والبيت للحريري (وقوله أماتهم) فيما يكون المتجانس الآخر

(١) قال الجوهري : المثاني من القرآن ما كان أقل من المائتين ، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تأتي في كل ركعة ، ويسمى جميع القرآن مثاني أيضاً لاقرآن آية الرحمة بآية العذاب .

وقوله :

ضَرَائِبُ أَبَدَعَتْهَا فِي السَّمَاحِ . فَلَمَّا تَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيًّا

وقوله :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزَنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ . فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانٍ

وقوله :

لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زُرْتُكُمْ . وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخُصْرِ

وقوله :

فَدَعِ الْوَعِيدَ . فَمَا وَعِيدُكَ طَائِرِي . أَطَيْنُ أَجْنَحَةَ الذَّبَابِ بِضِيرٍ

في صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للفاضل الأراجاني (وقوله ضرائب) فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً في صدر المصراع الأول ، فالضرائب جمع ضربية : وهي الطبيعة والسجية التي طبع الرجل عليها ، والضرب : المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما راجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق والبيت للبحر (وقوله إذا المرء) مما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في حشو المصراع الأول : أي إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه فيخزن وخزان مما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لامرئ القيس (وقوله لو اختصرتم) مما وقع أحد الملاحقين في آخر البيت والآخر في حشو المصراع الأول ويجمعهما شبه الاشتقاق والبيت لأن العلاء المرء ، قوله والعذب يعني من الماء والخصر البرودة ، يقول إن بعدى عنكم لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان (وقوله فدع الوعد) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً في آخر المصراع الأول

وقوله :

وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْقَوَاضِي الْوَعْيِ * بَوَاتِرَ أَمَى الْآنَ مِنْ بَهْدِهِ بُتْرُ
وَمِنْهُ السَّجْعُ : وَهُوَ تَوَاطُرُ الْفَاصِلَتَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ
وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ السَّكَائِيِّ : هُوَ فِي النَّثْرِ كَالْقَافِيَةِ فِي الشَّعْرِ ،

فضائر ويضير عما يجمعهما الاشتقاق ، والبيت لابن عينة المهامي (وقوله وقد كانت) فما يكون الملاحق الآخر اشتقاقاً في صدر المصراع الثاني . قوله القواضب أى القواطع من ذاتها ، وقوله بواتر : أى قواطع لحسن استعماله إياها ، وبتر جمع أوتر : مقطوع الفائدة ، فالبواتر والبتر عما يجمعهما الاشتقاق والبيت لأبي تمام عن قصيدته التي رقى بها محمد بن نهدل حين استشهد ، هذا ، وأما الأمثلة الثلاثة التي أعملها المصنف ، فثال ما يقع أحد الملاحقين الذين يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول قول الحريري :

وَلَا حَ يَلْحَى عَلَى جَرِي الْعَيْنَانِ إِلَى مَلَمَى فَسَخَقَا لَهُ مِنْ لَأْسِ لَحْ
فالأول ماضى بالوح والآخر اسم فاعل . من لحاه أبعده ، ومثال ما وقع
الآخر في آخر المصراع الأول قول الحريري أيضاً :

وَمُضْطَلِعٌ بِتَلْخِيصِ الْعَمَائِي وَتُطْلِعٌ إِلَى تَخْلِيصِ عَائِي
فالأول من عني يعنى ، والثاني من عنا يعنو ، ومثال ما وقع الآخر في صدر
المصراع الثاني قول الآخر :

مَمْرَى لَقَدْ كَانَ النَّزِيمَا مَسْكَانَهُ تَرَاهُ فَانْتَمَى الْآنَ مَتَوَاهُ فِي النَّزَى
فالتراه : وأرى من التروء ، والنزى : يأتى (ومنه السجع) وليس قصاراه

(١) المضطلع بالشئ القوى فيه الناهض به وتخليص العاني فكذلك الأسير .

وَهُوَ مُطَوَّفٌ ، إِنْ اخْتَصَمَا فِي الْوِزْنِ ، نَحْوُ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، وَإِلَّا لَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرْيَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ
مِثْلَ مَا يُقَالُ لَهُ مِنَ الْآخَرَى فِي الْوِزْنِ وَالتَّقْيِينَةِ فَتَرْصِيعٌ نَحْوُ : فَهُوَ يَطْبَعُ
الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظِهِ ، وَإِلَّا فَتُوزَنُ ،

إِنْ تَقَفَ عِنْدَ تَوَاطُفِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
الْأَلْفَاظُ الْمَسْجُوعَةُ حُلُوةً حَادَّةً ، لَاغْنَةً وَلَا بَارِدَةً ، وَإِلَّا كُنْتَ كَنْ يَنْقُشُ
أَنْوَاعًا مِنَ الْكَرْسَفِ ، أَوْ يَنْظُمُ عَقْدًا مِنَ الْحَرْفِ الْمَلُونِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ اللَّفْظُ فِيهِ تَابِعًا لِلْمَعْنَى وَإِلَّا كَانَ كظَاهِرِ مَعْنَى عَلَى بَابِ شَوْهٍ ، فَإِذَا تَوَفَّرَتْ
هَذِهِ الْأُمُورُ فَإِنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ مَطْلُوبًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَقَرَتَيْنِ
دَالَّةً عَلَى مَعْنَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْآخَرَى ، وَإِلَّا لَكُنْ تَطْوِيلًا
كَقَوْلِ الصَّابِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَدْرِكُهُ الْأَعْيُنُ بِالْحَاضِلِهَا ، وَلَا تَحْدُ الْإِلْسُنُ
بِالْفَاضِلِهَا ، وَلَا تَخْلُفُهُ الْعُصُورُ بِمُرُورِهَا . وَلَا تَهْرِمُهُ الدُّهُورُ بِكُرُورِهَا ، ثُمَّ انْتَهَى
إِلَى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : لَمْ يَرْكَعْ أَثَرًا إِلَّا طَمَسَهُ وَحَافَهُ ،
وَلَا رِسْمًا إِلَّا أَزَالَهُ وَغَفَاهُ ، لِذَا لَفَرَقَ بَيْنَ مَرُورِ الْعُصُورِ وَكُرُورِ الدُّهُورِ .
وَكَذَلِكَ لَفَرَقَ بَيْنَ مَحْوِ الْأَثَرِ وَغَفَاةِ الرَّسْمِ (الْقَرْيَتَيْنِ) أَيْ الْفَقَرَتَيْنِ .
سَمِعْتُ الْفَقْرَةَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقَارَنُ أَخْتِهَا (قَرْصِيعٌ) وَاسْمُ كَذَلِكَ تَشْبِيهًا لَهَا
بِجَمَلِ إِحْدَى الثَّلَاثَتَيْنِ فِي الْمَقْدِ فِي مَقَابِلَةِ الْآخَرَى ، وَهَذَا النَّوعُ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ
تَعَمُّقِ الصَّنِيعَةِ وَتَعَمُّقِ السَّكْفَةِ ، لَا يُوْجَدُ إِلَّا فِي كَلَامِ الْمُتَفَصِّحِينَ (نَحْوُ فُيُوءِ
يَطْبَعُ) فَإِنَّ الْحَرِيرِيَّ كَمَا تَرَى قَدْ جَعَلَ يَطْبَعُ بِإِزَاءِ بَقَرِيعَ . وَالْإِسْمَاعَ بِإِزَاءِ
الْإِسْمَاعِ ، وَجَوَاهِرَ بِإِزَاءِ زَوَاجِرَ : وَلَقَدْ هُؤْلَفَ بِإِزَاءِ وَعَظِهِ (وَإِلَّا) أَيْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ
مَا فِي إِحْدَى الْقَرْيَتَيْنِ وَلَا أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا يُقَالُ لَهُ مِنَ الْآخَرَى ، فَهُوَ السَّجْعُ

نحو: فيها سرور مرفوعة وأكواب موصوعة. قيل: وأحسن السجع ما تسأوت قرائنه، نحو: في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود، ثم ما طالت قرينته، الثانية نحو: والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما عوى، أو الثالثة، نحو: خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه، ولا يحسن.

المتوازي وذلك بأن يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثره وما يقابله من الأخرى مختلفين في الوزن والتقفية جميعاً كما في الآية، أو في الوزن فقط نحو: والمرسلات عرفاً فالماصفات عصفاً، أو في التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت^(١)، وهلك الحاسد والذامت (قيل) قال ابن الأنبار: السجع علامة أقسام، الأول: أن يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى: فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر، وهذا أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه، الثاني أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول لا طولاً يفرج به عن الاعتدال كثيراً وإلا كان قبيحاً، فمن ذلك قوله تعالى: وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، فإن الأول ثمان لفظات والثاني تسع، وله في القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث، فإن الأولين يحسبان في عدة واحدة واحدة ثم تأتي الثالثة بحيث تزيد عليها طولاً، ويحوز أن تجيء تساوية لها كقوله تعالى: وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستاً كان حسناً، الثالث أن يكون الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش، لأن السجع قد استوفى أبده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول

(١) أي وجد عندي الناطق وهو العبيد، والصامت بحر الإبل والمقار.

أَنْ يُولَى قَرِينَةً أَقْصَرَ مِنْهَا كَثِيراً . وَالْأَسْجَاعُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى سَكُونِ الْأَنْجَازِ .
كَقَوْلِهِمْ : مَا أَبْعَدَ مَابَاتٍ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات ، قِيلَ : وَلَا يُقَالُ فِي
الْقُرْآنِ أَسْجَاعٌ بَلْ يُقَالُ فَوَاصِلُ ، وَقِيلَ : السَّجْعُ غَيْرُ مُحْتَصٍ بِالنَّثْرِ ،

فَيَسْكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَبْعُورِ فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ، كَنْ يَرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةِ
فِيهِمْ دُونَهَا ، هَذَا ، وَالسَّجْعُ إِمَّا قَصِيرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتُ
عَصْفًا ، أَوْ طَوِيلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
مِنَهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا قُحُورًا ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مِمَّا يَسْتَعِزُّ لِيَقُولَ إِنَّمَا
السَّيِّئَاتُ أَغْنَيْنِي عَنْهُ لَمَّحَ غُحُورٌ ، أَوْ مُتَوَسِّطُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : اقْرَبْتِ السَّاعَةَ
وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ وَلَنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ . وَهَذَا لَطِيفُ
السَّجْعِ قَوْلُ الْبَيْدِيهِ الْهَمْدَانِيِّ مِنْ كِتَابِ لَهُ إِلَى ابْنِ فَرِيقُونَ : كِتَابِي
وَالْبَحْرُ وَلَنْ لَمْ أَرَهُ ، فَقَدْ سَمِعْتُ خَبْرَهُ ، وَاللَّيْثُ وَلَنْ لَمْ أَلْقَهُ ، فَقَدْ تَضَوَّرْتُ
خَلْقَهُ ، وَالْمَلِكُ الْعَادِلُ وَلَنْ لَمْ أَكُنْ لَقِيْتَهُ ، فَقَدْ لَقِيتُ صَدِيقَهُ ، وَمَنْ رَأَى
مِنَ السَّيْفِ أَرَهُ ، فَقَدْ رَأَى أَكْرَهُ (وَالْأَجْمَاعُ) فَوَاصِلُ الْأَجْمَاعِ ،
مَوْضُوعَةٌ عَلَى أَنْ تَسْكُونَ سَاكِنَةَ الْآخِرِ مَوْضُوعًا عَلَيْهَا ، لِأَنَّ الْفَرْضَ
أَنْ يَرُوجَ بَيْنَهَا ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ فِي كُلِّ ضَرْبٍ إِلَّا بِالْوَقْفِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ وَصَلْتَ
قَوْلَهُمْ : مَا أَبْعَدَ مَا بَاتَ وَمَا أَقْرَبَ مَا هَوَات . لَمْ يَكُنْ بَدَلٌ مِنْ إِجْرَاءِ كُلِّ مَنْ
الْفَاصِلَيْنِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حِسْمُ الْإِعْرَابِ ، فَيَقُوتُ الْفَرْضُ مِنَ السَّجْعِ ، وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ يَخْرُجُونَ السَّكْمَ مِنْ أَوْضَاعِهِ لِلزَّادِ وَاجٍ فِي قَوْلِهِمْ لَئِنْ لَآتِيَهُ بِالْعَدَايَا
وَالْعَشَايَا : أَيْ بِالْعَدَوَاتِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ (قِيلَ وَلَا يُقَالُ فِي الْقُرْآنِ
أَجْمَاعٌ) السَّجْعُ تَوَعُّدٌ مِنَ السَّكَامِ يَعْتَمِدُ الصَّنْعَةَ ، وَقَدْ بَلَغُوا مِنْ التَّكْلِيفِ
وَالْتَصْنُفِ ، وَمَنْ قَصَدَهُ فِي كَلَامِهِ أَجْبَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَعْنَى تَابِعًا لَهُ وَهَذَا نَقَصٌ

ومثاله من النظم قوله :

في الكلام كبير ، وعيب يخمش وجه الفصاحة ، فذلك ذهب العقلاء إلى أن القرآن يرى من السجع ، وهذا الذي يظن به أنه سجع إنما هو قواصل يستريح الكلام إليها . قال الباقلاني : قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض ، لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ، وليس كذلك ما اتفق بما هو في تقدير السجع من القرآن ، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى ، وفصل بين أنس ينظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجاباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم قال ولو كان الذي في القرآن سجعاً لكان مذموماً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختافت طرقة كان قبيحاً من الكلام ، والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى أحل به المتكلم نسب إلى الخروج عن الفصاحة ، وهذا الذي يظن به أنه سجع قد علينا أن بعضه متقارب الفواصل ، متداني المقاطع ، وبعضه بما يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا في السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذي الرمة :

كحللاً في برّج صَفَرًا في فَعَجٍ سَكَّائِيًا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ
وقول الخنساء :

حَايِي الْحَقِيقَةَ مُحَمَّدُ الْخَلِيقَةِ مَهْدِي الطَّرِيقَةِ نَفَّاعٌ وَضَوَّارُ

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي * وَقَاضَ بِهِ يَمْدِي وَأَوْزَى بِهِ زَنْدِي
وَمِنْ السَّجْعِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مَا يُسَمَّى التَّشْطِيرَ ، وَهُوَ جَعْلُ كُلِّ

جَوَابٍ قَاصِيَةٍ جَزَائِرَ نَاصِيَةٍ عَقَادُ أَلْوِيَةٍ لِلخَيْلِ جَرَارُ
حُلُوٍّ حَلَاوَتُهُ فَضْلٌ مَقَالَتُهُ فَاشٍ حِمَالَتُهُ لِلْعَظَمِ جَبَارُ

وقول أبي صخر الهذلي :

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا تَحْمَضُ صَرَائِبُهَا صَبِغَتْ مِنَ الْكُرَمِ
وهذا النوع كثير لا يحصره الاستقصاء (تجميل) هو لابي تمام ، قوله تجميل
به رشدى : يريد ظهر هذا الممدوح بلوغى المقاصد ، وأثرت : أى صارت ذات
ثروة ، والحد : الماء القليل لا مادة له ، والمراد هنا المال القليل ، ومعنى أوردى
به زندي : صار ذا وري ، وهو عبارة عن الظاهر بالمطلوب (ومن السجع على
هذا القول ما يسمى التشطير) وكذلك منه ما يسمى التصريع ، وهو جعل
العروض مفعلة ثنية الضرب ، والعروض هو آخر المصراع الأول من البيت
والضرب آخر المصراع الثانى منه . قال ابن الأثير : التصريع ينقسم إلى سبع
مراتب ، الأول : أن يكون كل مصراع مستقلا بنفسه فى فهم معناه ، ويسمى
التصريع الكامل كقول امرئ القيس :

أَفَاطِمُ مَهَلًا بَشَضَ هَذَا التَّدَلُّي وَإِنْ كُنْتُ قَدَا زَمَعْتَ صَرِي فَأَجْعِلِ
الثانية : أن يكون الأول غير محتاج إلى الثانى ، فإذا جاء مرتبطا به
كقوله أيضا :

فَقَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ يَسْقُطُ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوَّلِ
الثالثة : أن يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر ،
كقول ابن الحجاج البغدادي :

مِنْ شَعَارِي التَّبَتِ سَجَمَةً مُخَالِفَةً لِأَخْتِهَا ، كَقَوْلِهِ :

تَذِيرُ مُقْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ * لِلَّهِ مُرْتَقِبٍ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٍ

مِنْ شُرُوطِ الصَّبْرِ فِي الْمَهْزَجَانِ خِزَّةُ الشَّرْبِ مَعَ خُلُوكِ الْكَانِ
الرابعة : ألا يفهم معنى الأول إلا بالثاني ويسمى المصريع الناقص كقوله
أبي الطيب :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمِزَلَةِ الرَّيْعِ مِنَ الزَّمَانِ
الخامسة : أن يكون التصريع بلفظة واحدة في المصراعين ويسمى التصريع
المكسر ، وهو ضربان ، لأن اللفظة أما متحدة المعنى في المصراعين كقول عبيد
ابن الأبرص :

فَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوْثِبُ وَغَائِبُ الْوَتِّ لَا يُوْثِبُ

وهذا أنزل درجة . وأما مختلفة المعنى لكونه مجازاً كقول أبي تمام :

فَقَى كَانَ شَرِبًا لِلْعَفَاةِ وَمَرَاتِمَا فَأَصْبَحَ لِلْهِنْدِيَّةِ الْبَيْضِ مَرَاتِمَا

السادسة : أن يكون المصراع الأول مطلقاً على صفة يأتي ذكرها في أول.
الثاني ويسمى التعليل : كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أُنْجَلِي بِصُنْعٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأُنْجَلِي

لأن الأول معلق بصح وهذا معيب جداً . السابعة : أن يكون التصريع في
البيت مخالفاً لثقافته ويسمى التصريع المشطور . كقول أبي نواس :

أَقْلَبِي قَدْ نَدَسْتُ مِنَ الدُّنُوبِ وَبِالْإِقْوَارِ عُدْتُ عَنِ الْجُحُودِ

فصرح بالباه ثم قباه بالبدال انتهى . وهذا السابع خارج مما نحن فيه .
(كقوله تدبير) فالشطر الأول كما ترى جملة مبنيّة على الميم والثانية جملة

ومنه الموزنة : وهي تساوي الفاصيتين في الوزن دون التقفية نحو :
ونمارق مصفوفة وزرايح مبثوثة ، فإن كان ما في إحدى القرينتين
أكثر من الآخر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن ، خص باسم المائلة
نحو : وآتيناهما الكتاب المبين وهديناهما الصراط المستقيم ، وقوله :
مها الوحش إلا أن هاتأ وأنس فنا لخط إلا أن تلك ذوابل
ومنه القلب ، كقوله :

مَوَدَّتهُ تَدُومُ لِكُلِّ هَوًى وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتهُ تَدُومُ

مبنية على الباء . والبيت لأبي تمام . المرتب في الله : الراغب فيما يقربه من
رضوانه . المرتب : المنتظر الثواب الخائف العقاب (ومنه) أي ومن اللفظي
(نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان في الوزن لافي التقفية . لأن
الأول على الفاء والثاني على التاء . ولا عبرة ببناء التأنيث لما هو معروف من
علم القوافي (مها الوحش) هو لأبي تمام يصف النساء بسعة العيون وطول
القدود ، والمها جمع مهاة : البقرة الوحشية . والخط : موضع تنسب إليه الرماح
المستقيمة والمثالان - الآية البيت - بما يكون أكثر ما في إحدى القرينتين
مثل ما يقابله من الأخرى لعدم تماثل آتيناهما وهديناهما وزناً ، وكذا هاتأ وتلك
ومثال الجميع قول أبي تمام :

فَأُحْجِمَ لِمَا لَمْ يَحْدِ فَيْلِكَ مَعْمَماً وَأَقْدَمَ لِمَا لَمْ يَحْدِ عَنْكَ مَهْرَبَاً

(ومنه القلب) وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير
قراءته ، ولا بد مع ذلك أن يكون جيد السبك منسجم المعاني . ويجري هذا

وَفِي التَّنْزِيلِ : كُلُّ فِي فَلَكٍ ، وَرَبِّكَ فَكَبَّرَ . وَمِنْهُ التَّشْرِيعُ :
وَهُوَ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتَيْنِ يَصِحُّ اللَّغْنُ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا ،
بِقَوْلِهِ :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةُ إِنَّهَا شَرُّكَ الرَّدَى وَقَرَارُهُ الْأَكْدَارُ

النوع في النظم والنثر . أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين قلباً للآخر كقوله :

« أَرَأَاكَ الْإِلَهَ هَلَالًا أُنَارًا »

وقد يكون مجموع البيت قلباً لمجموعه ، كقول الفاضل الأرجاني : مودته
تدوم البيت ، وأما في النثر فكان في قوله تعالى : كل في فلak . وقول جل شأنه :
وربك فكبر . قالوا والحرف المشدد في هذا الباب في حكم المخفف . لأن المعبر
هو الحروف المكتوبة (ومنه التشريع) ويسمى التوشيح . قال ابن الأثير :
وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين . فإذا وقف من البيت
على الناقية الأولى كان شعراً مستقيماً من بحر على عروض . وإذا أضاف إلى
ذلك ما بنى عليه شعره من الناقية الأخرى كان كذلك شعراً مستقيماً من بحر
آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى الناقية الأولى البيت كالوشاح ، فن ذلك
قول بعضهم :

إِسْمٌ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسَا رُكْنَا قَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ
وَنَالِ الْمَرَادَ مُسَكَّنًا مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الدُّهُورِ وَقَرَّ بِطُولِ بَقَاءِ
إذا نظر إلى هذين البيتين وجدوهما يذكران على قافية أخرى . وبحر آخر
هو ذلك أن يقال :

وَمِنْهُ لَزُومٌ مَّا لَا يَلْزَمُ : وَهُوَ أَنَّ يَحْيَى قَبْلَ حَرْفِ الرَّوْيِ أَوْ مَافِي

إِنْزَلْ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَا دِثِ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرِ
وَتَلِ لِرَادِّ مُمَكَّنَا مِنْهُ عَلَى رَغْمِ الدُّهُورِ

وقد استعمل ذلك الحريري في مقاماته نحو قوله :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنَّمَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَتُبَكَّتْ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ
غَارَاتِهَا لَا تَنْقُضِي وَأَسْبِرْهَا لَا يُمْتَدِي بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ
واعلم أن هذا النوع لا يحسن إلا إذا كان يسيراً . كالرقم في الثوب أو
الشية في الجلد . وحسنه منوط بما فيه من الصناعة . لا بما فيه من البراعة .
(ومنه لزوم مالا يلزم) قال ابن الأثير : وهو من أشق هذه الصناعة مذهباً
وأبعدها مسلكاً . وذلك لأن مؤلفه يلتزم مالا يلزمه . فإن اللازم في هذا
الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوى أجزاء الفواصل من
الكلام المنثور في قوافيها . وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف
التي قبل الفاصلة حرفاً واحداً وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي
قبل روى الأبيات الشعرية ، ومن هذا النوع ثراً ما رواه صاحب الأغاني
أن لقيط بن زرارَةَ تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين لحظيت عنده
وحظي عندها ثم قتل فأتمت بعده وتزوجت زوجاً غيره فكانت كثيراً ما تذكر
لقيطاً ، فلماها على ذلك فقالت : إنه قد خرج في يوم دجن وقد تطيب وشرب
فطرطد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه فضج دم ، فضمني ضمة وشمني شمة
عليتي مت شمة ، فلم أر منظر أكان أحسن من لقيط ، ففولها ضمني ضمة وشمني

تَعْنَاهُ مِنَ الْفَاصِلَةِ مَا لَيْسَ بِالْأَزِمِ فِي السَّخَرِ ، نَحْوُ : فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزِرْ
وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَقَوْلُهُ :

شبهة فليقتى مت تمة : من الكلام الخلف في باب الزوم ولا كلفة عليه ، وهكذا
فليكن ومن ذلك قول الحماسي :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
بَيْضَاهُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
سَجَّجْتَ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَبَهَا
وَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ سَمِعَ الضَّيِيرُ إِلَى الْوَادِ فَسَلَّهَا
وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكذلك قول الفرزدق :

مَنْعَ الْحَيَاةِ مِنَ الرَّجَالِ وَنَعْمَهَا حَدَّقَ تَقْلِبَهَا النِّسَاءَ مِرَاضُ
وَسَكَنَ أَفْنِئِدَةَ الرَّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَّقَ النِّسَاءَ لِيَنْبُلَهَا أَعْرَاضُ أ

ومن قصد من العرب قصيده كله على الزوم كثير عزة ، وهي القصيدة
التي أولها :

خَيْلِي هَذَا وَبُعْ بَعْرَةٌ فَأَغْلَا قَلُوصِيكُمَا ثُمَّ اخْلَا حَيْثُ حَلَّتْ

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً ، وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تفرق
من لينا وسهولتها . وبالجملة ما يقع من هذا النوع المتقدم فهو غير مقصود
منه ، ولذلك لا يرى عليه من أثر السكنة شيء ، أما المأخرون فنصدوا عمله
وأكثروا منه ، حتى أن أبا العلاء المعري عمل من ذلك ديراً كاملاً سماه
الزوم ، فأنى فيه بالجيد الذي يحمد والردى الذي يذم (وقوله) أي قول

سَأَشْكُرُ عُمْرًا مَا تَرَاحَتَ مَنِيَّتِي أَيْادِي لَمْ تَمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْفَنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مَظْهَرُ الشُّكُوفَى إِذَا النَّمْلُ زَلَّتِ
رَأَى خَلْقِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِيهِ حَقٌّ تَجَلَّتِ
وَأَصْلُ الْحَسَنِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ تَابِعَةً لِلْعُمَامِي
دُونَ الْعَسْكَرِ . . .

خاتمة

(في السريقات الشعرية وما يتصل بها وغير ذلك)

أَتَأَقُّ الْقَائِلِينَ إِنْ كَانَ فِي الْفَرَضِ عَلَى الْعُمُومِ ، كَالْوَصْفِ بِالشَّجَاعَةِ
وَالسَّخَاءِ فَلَا يَمُدُّ سِرْقَةً ، لِتَقَرُّرِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَادَاتِ ، وَإِنْ كَانَ فِي وَجْهِ
الدَّلَالَةِ ، كَالشُّبْهِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ ، وَكَذَلِكَ هِيَ تَدُلُّ عَلَى

عبد الله بن الزبير الأسدي في عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما (لم
تمن) أي لم تقطع ، أو لم تخلط بمنة (إذا النمل زلت) زلة القدم والنمل :
كنية عن زول الشر والمحنة (خلقي) الخلعة : الخصاصة والفقر (وأصل
الحسن في ذلك) قد أسلفنا أول البديع جملة كافية في هذا المعنى فاجعلها على
ذكر منك وعرض عليها بالتواجد تسكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل
الافتباس والتضمن والعقد والحل والتلبيح (وغير ذلك) مثل القول في
الابتداء والتخلص والانتها (في الفرض على العموم) أي فيما يشترك فيه
الناس عامة من الأغراض والمقاصد (لتقرره) فيشارك فيه الفصيح والأعجم
والشاعر والمقحم (وجه الدلالة) أي طريق الدلالة على الفرض .

الصِّفَةُ لِاخْتِصَامِهَا بِمَنْ هِيَ لَهُ ، كَوَصْفِ الْجَوَادِ بِالتَّهْلِيلِ عِنْدَ وَرُودِ
الْعَفَاةِ ، وَالْبَحِيلِ بِالْعُبُوسِ مَعَ سَعَةِ ذَاتِ الْيَدِ ، فَإِنْ اشْتَرَكَ النَّاسُ
فِي مَعْرِفَتِهِ ، لَا يَسْتَقَرُّرِهِ فِيهِمَا ، كَتَشْبِيهِ الشُّجَاعِ بِالْأَسَدِ ، وَالْجَوَادِ
بِالْبَحْرِ ، فَهُوَ كَالْأَوَّلِ ، وَإِلَّا جَازَ أَنْ يُدْعَى فِيهِ السَّبْقُ وَالزِّيَادَةُ ، وَهُوَ
ضَرَبَانِ : خَاصٌّ فِي نَفْسِهِ غَرِيبٌ ، وَعَامٌّ تُصَرِّفُ فِيهِ بِمَا أَخْرَجَهُ مِنْ
الْإِبْتِدَالِ إِلَى الْغَرَابَةِ ، كَمَا مَرَّ ، فَأَلْأَخَذَ وَالسَّرِقَةُ نَوْعَانِ : ظَاهِرٌ ، وَغَيْرُ
ظَاهِرٍ ، أَمَّا الظَّاهِرُ : فَهُوَ أَنْ يُؤْخَذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مَعَ اللَّفْظِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضُهُ ،
أَوْ وَحْدَهُ ، فَإِنْ أَخَذَ اللَّفْظُ كُلُّهُ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِنَقْطِهِ فَهُوَ مَذْمُومٌ ، لِأَنَّهُ
مَرَّةً مَحْصَةً ، وَيُسَمَّى نَسْخًا وَانْتِحَالًا ، كَمَا حَكِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ
أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ يَقُولُ مَعْنًى بِنِ أَوْسٍ :

(العفاة) أى السائين جمع عاف (مع سعة ذات اليد) وأما العبوس مع فلة
ذات اليد فمن أوصاف الإعياء (معرفته) أى معرفة وجه الدلالة (فيهما) أى
في القول والعادات (فهو كالأول) أى فالانفاق في هذا النوع من وجه
الدلالة على الغرض كالانفاق في الغرض العام في أنه لا بعد سرقة ولا أخذاً
(وإلا) أى وإن لم يشترك الناس في معرفته بأن كان عما لا ينال إلا بفكر
فهذا الذى يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يقضى بين الفاتنين
فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثانى زاد على الأول
أو نقص عنه (كما مر) في باب التشبيه والاستعارة (كما حكي) حكى أن عبد الله
ابن الزبير الشاعر دخل على معاوية فأثبته البيتين فقال له معاوية لقد شعرت

فَإِذَا أَدْرَاكَ تَنْصِفُ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَسْقِلُ
وَرَزَّكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْبَهُ . إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرَّ حَلٌّ

بهدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عيد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني ،
فأنشده قصيدته التي أولها :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأُزْجِلُ عَلَى أَيْمَانٍ تَعْدُو اللَّيْلُ أَوَّلُ

حتى أتى عليها ، وقبها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله ، وقال
له ألم تعجزني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة .
وأنا أحق بشعره . قوله من أن تضيمه : أى بدلا من أن تظله ، وشفرة السيف
حده ، ومزحل من زحل عن مكانه زحولا : إذا انتحى وتباعد . يقول لأنه
لا يبال أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليه
ضيم أو يلحقه هضم أو احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا . وهذا
ومما هو من قبيل ذلك ما روى للأبيورد البريوى :

فَقَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّعَةُ الشَّهِلَا أَعْوَرَ هَا الْقَطَارُ

ولابى نواس :

فَقَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَقْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

قال ابن الأثير : ومما كنت أستحسنه من شعر أبى نواس قوله من قصيدته
التي أولها :

* دَعَّ عَنْكَ لَوْمَى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِبْرَاهِ *

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةِ ذَلِّ الزَّمَانِ لَهْمٌ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بَأْسُ شَاؤُوا

وَفِي مَثَلِهِ أَنْ يُبَدَّلَ بِالسَّكَلَاتِ كُلِّهَا أَوْ بَعْضِهَا مَا يُرَادُفُهَا ، وَإِنْ كَانَ مَعَ تَغْيِيرٍ لِنَظْمِهِ ، أَوْ أُخِذَ بَعْضُ اللَّفْظِ ، ثُمَّ إِبْغَارُهُ وَتَسْبِيغُهُ ،

وهذا من على الشعر ، وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو :

لَهْفِي عَلَى فِتْنَةِ ذَلِكَ الزَّمَانُ لَهُمْ فَتَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤَا .

وما أعلم كيف هذا ، وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما ، حتى لقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشباب ، فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل إليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق ، فغاضه ذلك ، فقال للفتى أنصارعني ، فقال ذلك إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فصرط ، فوثب الفتى عنه وقال : يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك ، والله ما أردت ما جرى ، فقال وبعمك والله ما بي أنك صرعتني ، ولكن كأتى بابن الأنان ، يعني جريزاً ، وقد بلغه خبري فقال يهجوني :

جَلَسْتُ إِلَى لَيْلَى لَتَحْطَى بِقُرْبِهَا نَفَاكَ دُبُرُ لَا يَزَالُ يَحُونُ
فَلَوْ كُنْتُ دَاخِرُكُمْ شَدَّدْتُ رِكَاءَهُ كَمَا شَدَّ جُرْبَانُ الدَّلَاصِ قُيُونُ

قال فوالله ماضى إلا أيام حتى بلغ جريزاً الخبر ، فقال فيه مدين البيتين ، وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه (أن يبدل) كقول امرئ القيس :

وَتَوَقَّافًا بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطَائِمِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ
وَقَوْلُ طَرْفَةٍ :

وَتَوَقَّافًا بِهَا تَحْيَى عَلَى مَطَائِمِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكِ أَسَى وَتَجَمَّلِ

فَإِنْ كَانَ الثَّانِي أُلْبِغَ لِاخْتِصَاصِهِ بِفَضِيلَةٍ ، فَمَمْدُوحٌ ، كَقَوْلِ بَشَّارٍ :
 مَنْ رَقَبَ النَّاسَ لَمْ يَطْفُرْ بِحَاجَتِهِ وَقَارَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهَجُ
 وَقَوْلِ سَلَمٍ :
 مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ هَمًّا وَقَارَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ
 وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فَمَمْدُومٌ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

وكقول حاتم :

وَمَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا
 وقول الأعور :

وَمَنْ يَفْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَقْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا
 (اختصاصه بفضيلة) كحسن السبك أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة
 معنى (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكاً وأخصر لفظاً ، وزد ربابي
 عن أبي معاذ راوية بشار أنه قال أنشدت بشاراً قول سلم فقال : ذهب والله
 بيتي فهو أخف منه وأعذب ، والله لا أكلت اليوم ولا شربت . . . هذا ، ومن
 السراقات المددوحة قول الشاعر :

خَافَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسْمُرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبٍ
 وقول ابن نباتة بعده :

خَافَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عَيْنُونَا لَمَّا وَقَعَ السُّوفُوفُ حَرَاجِبُ
 فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى ، وهو الإشارة إلى انهزامهم ،
 ومن الناس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمام) فإن مصراعه أجسن

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَيَسْخِلُ
وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَعْدَى الزَّمَانُ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَسْكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخَيْلًا
وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ فَأَبْعَدُ مِنَ الدَّمِّ ، وَالْفَضْلُ لِلْأَوَّلِ ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

سبكا من مصراع أبي الطيب ، لأن أبا الطيب أراد أن يقول ولقد كان الزمان
به بخيلا فعدل عن الماضي إلى المضارع للوزن . فإن قلت المعنى أن الزمان
لا يسمح بهلاكه ، قلنا السخاء بالشئ هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا
به فقد بذله فلم يبق في تصريفه حتى يسمح بهلاكه أو يسخل به (أعدى الزمان)
أى تعلم الزمان منه السخاء لجاد به ، وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا
سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فأبعد من الدم)
هذا على تقدير ألا يكون فى الثانى دلالة على السرعة باتفاق الوزن والقافية ،
وإلا فهو بالدم حقيق كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الْفَانِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَيْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَذْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي
وقول أبي الطيب :

وإني عنك بعد غدي لغادي وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ
يُحْيِكَ حَيًّا أُنْجَمَتْ رِكَابِي وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ
(كقول أبي تمام) وقول بشار :
يَأْقُومُ أَذْنِي لِيَبْقِيَ الْحَيَّ عَاشِقَةً وَالْأَذُنُ تَمُتُّ قَبْلَ الْعَيْنِ أَخْيَانًا
وقول ابن السكنة الموضي :

قَوْلَ حَارٍ مُرْتَادٍ لَلنَّبِيِّ لَمْ يَحِذْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلًا

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

قَوْلًا مُتَارِقَةً الْأَخْبَابِ مَا وَجَدَتْ لَهَا لِلنَّايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وَأِنْ أَخَذَ الْأَمْنَى وَخَذَهُ شَيْئًا لَأَمَامًا وَسَلَخًا ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَذَلِكَ

أَوَّلُهَا كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَأِنْ أَمَرْتُ أَحَبَّبْتُكُمْ لِكَاثِرِمْ سَمِعْتُ بِهَا وَالْأَذُنُ كَالْبَيْنِ تَمَسُّ

وَكَذَا قَوْلُ الْأَرَجَانِي :

لَمْ يَبْكِي إِلَّا حَدِيثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّا أُسْرَ بِهِ إِلَيْكَ مُودَعِي

هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَوْدَعْتُمْ فِي مَسْمَعِي الْقَيْتَةُ مِنْ مَدْمَعِي

وَقَوْلُ جَارِ اللَّهِ :

وَقَالَتِ مَا قَبِذَهُ الدُّرُّ الَّتِي تَسْأَلُهَا عَيْنَايَ سَمْعًا بَيْنَ سَمْعَيْنِ

فَقُلْتُ هِيَ الدُّرُّ الَّتِي قَدْ حَشَا بِهَا أَبُو مُعْتَمِرٍ أَذُنِي تَسَاقَطُ مِنْ عَيْنِي

(كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ لَوْ حَارَ) فَإِنْ أَبَا الطَّيِّبِ أَخَذَ الْمَعْنَى بِرَمْتِهِ مَعَ بَعْضِ الْأَلْفَاظِ كَالْمَنِيَةِ وَالْفِرَاقِ وَالْوَجْدَانِ وَالْإِثْنَانِ مَقْسَاوِيَانِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَالْإِثْنَانِ الْطَلَبُ ، وَإِضَافَةُ الْمُرْتَادِ إِلَى الْمَنِيَةِ بَيَانِيَّةٌ وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ (لَأَمَامًا) مِنْ أَلَمٍ بِالْشَيْءِ إِذَا قَصَدَهُ وَأَصْلُهُ مِنْ أَلَمٍ بِالْمَنْزِلِ إِذَا نَزَلَ بِهِ (وَسَلَخًا) وَهُوَ كَشَطُ الْجِلْدِ عَنْ نَحْوِ الثَّنَاءِ ، وَالْفِعْلُ لِلْمَعْنَى بِمَنْزِلَةِ الْجِلْدِ ، فَكَأَنَّهُ كَشَطَ عَنْ الْمَعْنَى جِلْدًا وَابْتَسَاهُ جِلْدًا آخَرَ (كَذَلِكَ) أَيْ مِثْلَ مَا يُسَمَّى لُغَارَةً وَمَسْحًا ، لِأَنَّ الثَّانِي لَمَّا أَبْلَغَ مِنَ الْأَوَّلِ أَوْ دُونَهُ أَوْ مِثْلَهُ (كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ) وَكَقَوْلِ الْبَحْثَرِيِّ

هُوَ الصَّنْعُ إِنْ يَجْعَلْ خَيْرًا وَإِنْ يَرِثْ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَمِنْ أَتَخَوَّرَ بَطْنُهُ سَيِّئِكَ عَنِّي
وَتَانِيهَا كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

تَصُدُّ حَيًّا، أَنْ تَرَكَهَ بِأَوْجِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَجُرُومُ جَرَّةٍ سَفْهَاءُ قَوْمٍ
وَحَلَّ بِغَيْرِ جَاكِيمِهِ الْعَذَابُ
فَإِنْ بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْسَنُ سَبْكَ ، وَكَأَنَّهُ اقْتَبَسَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : أَتَهْلِكُنَا
بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ :

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الْفَتَى
وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ :

بَصْدُ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُودَدٌ
وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ تَاهِدُ

فَبَيْتُ أَبِي تَمَامٍ أَخْصَرُ وَأَبْلَغُ ، لِأَن قَوْلَهُ وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءُ تَاهِدُ :
زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ (كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ هُوَ الصَّنْعُ) فَبَيْتُ الْمُتَنَبِّىِّ أَبْلَغُ لِأَسْتَهْلِكُهُ عَلَى
زِيَادَةِ بَيَانٍ . وَالرِّبْثُ : الْإِبْطَاءُ ، وَالسَّيْبُ : الْعَطَاءُ ، وَالْجَهَامُ : السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ
فِيهِ (كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ) فَإِنْ بَيْتُ أَبِي الطَّيِّبِ دُونَ بَيْتِ الْبَحْتَرِيِّ ، لِأَنَّهُ قَدْ قَالَهُ
مَا أَفَادَهُ الْبَحْتَرِيُّ بِفَلْظِي تَأْتِي ، وَالْمَصْقُولُ مِنَ الْاسْتِمَارَةِ التَّخْيِيلِيَّةِ حَيْثُ أُمْتُتِ
التَّائِقُ وَالصَّفَالَةُ لِلْكَلَامِ ، كَأَنْبَاتِ الْأَطْفَارِ لِلْبَنِيَّةِ ، وَيَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَشْبِيهُ كَلَامِهِ
بِالسَّيْفِ وَهُوَ الْاسْتِمَارَةُ بِالْكُنْيَةِ ، وَمَعْنَى تَأْتِي : لَمَحَ ، وَالتَّدْيُ : الْمَجْلَسُ الْغَائِصُ
بِأَسْرَافِ النَّاسِ ، وَالْمَصْقُولُ : الْمَنْقَعُ ، وَالْعَضْبُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ . شَبَّهَ لِسَانَهُ بِسَيْفِهِ .

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ السَّمْعُ قَوْلُ خِلَتَ لِسَانَهُ مِنْ عَظْمِهِ
وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

كَأَنَّ السُّنَمُ فِي النُّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّلَعِ خُرُصَانَا
وَتَأَلَّهَا كَقَوْلِ الْأَعْرَابِ :

وَلَمْ يَكُ أَكْثَرَ الْفَتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

وخرصان الرماح : أسننها أو الحلق ، قطيف بأسافل الأسنة ، وواحداهما خرص
بالضم والكسر ، وصف فصاحة أسنة المدحجين وخلاقتها . يقول إن أسننتهم
في المضاء والتفاد تشابه أسننتهم عند الطعن ، فكان أسننتهم جعلت أسنة
ورماحهم . ومن هذا القسم قول بعض الأعراب :

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طَيِّبِهَا وَالطَّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْمَنْبَرُ
وقول بشار :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَبًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
وكذلك قول النجم :

وَعَلَى عَدْوِكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ صَوِّهِ الضَّبْحِ وَالْإِفْلَامِ
فَإِذَا تَدَبَّعَ رُغْمَهُ وَإِذَا هَذَا سَلَتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَخْلَامِ
وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُيْحَكَ فِي كَلَامِهِ وَيَحْتَشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ

فمن يذكر السهاد لأنه أراد الیقظة فأخطأ ، إذ ليس كل یقظة سهاداً
ولما السهاد امتناع السكرى في الليل ، وأما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهداً .
(كقول الأعرابي) وكذا قول أبي بكر بن النطاح :

وَقَوْلُ أَشْجَعِ :

وَلَيْسَ بِأَوْسَمِهِمْ فِي الْغَنَى * وَلَكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ
* وَأَمَّا غَيْرُ الظَّاهِرِ فَمِنْهُ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّغْنِيَانِ ، كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّكَ عِنْدَ السَّكَرِيِّ حَوْمَةٌ الْوَعَى تَنْزُرُ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
وقول أبي الطيب :

فَسَكَاتُهُ وَالطَّلْنُ مِنْ قُدَامِي مَتَّخُوْفَةٌ مِنْ خَفَائِهِ أَنْ يَطْلُقَ .
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

الصَّبْرُ يَحْتَدِي لِلْوَالِدَيْنِ كُنْهَا إِلَّا عَائِلِكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
وقول أبي تمام بعده :

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الدَّنِيرِ حَازِمًا فَأَتَتْ بِجَاحٍ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَبْرَعُ
وفلان رجب الذراع والباع : سعى (كقول جرير) فإن تعبير الجرير
عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبي الطيب عنه بمن في كفه فتاة ، وكذا العبارة
عن المرأة بذات الحمار ، ومن في كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرماح
ابن حكيم الطائي :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْتَنِي بَقِيضٍ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ مَا نِلِ
وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَتَيْتُكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَلِمٌ

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظُهُمْ سَوَاهُ ذُو الْعِمَامَةِ وَالْخِطَابِ
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :
 وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ
 وَمِنْهُ أَنْ يُنْقَلَ الْمَعْنَى إِلَى مَعْنَى آخَرَ ، كَقَوْلِ الْبُخَّارِيِّ :
 سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا
 وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَإِنْ ذِمَّ النَّاقِصُ أَبَا الطَّيِّبِ كَبَعْضٍ مِنْهُ هُوَ غَيْرُ طَائِلٍ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَشَهَادَةُ
 ذِمَّ النَّاقِصُ أَبَا الطَّيِّبِ بِفَضْلِهِ كَزِيَادَةِ حُبِّ الطَّرْمَاحِ لِنَفْسِهِ ، وَكَذَا قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ
 الْمَعْرِيِّ فِي مَرْمِيَّةٍ :

وَمَا كَرَامَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطَمِ
 وَقَوْلُ الْقَيْسَرَانِيِّ :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلَسْتُ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ
 وَلَا يَفْرَنُكَ مِنَ الْبَيْتَيْنِ الْمُتَشَابِهَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا نَسِيبًا وَالْآخَرُ مَدِيحًا
 أَوْ هِجَاءً أَوْ افْتِخَارًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ الْحَادِثَ إِذَا عَمِدَ إِلَى الْمَعْنَى الْمُخْتَلَسِ
 لِيَنْظُمَهُ تَحِيلٌ فِي إِخْفَائِهِ فَغَيْرُ لَفْظِهِ وَعَدْلٌ بِهِ عَنْ نَوْعِهِ وَوزْنِهِ وَقَافِيَتِهِ (كَقَوْلِ
 الْبُخَّارِيِّ) فَإِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ كَمَا تَرَى نَقَلَ الْمَعْنَى مِنَ التَّثْنِ وَالْمُجْرَحِ إِلَى السِّيفِ .
 سَلَبُوا : أَيِ سَلَبُوا ثِيَابَهُمْ ، وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ : أَيِ فَظْهَرَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ
 مَلَابِسُهُ لِإِشْرَاقِ شُعَاعِ الشَّمْسِ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسَلَبُوا لِأَنَّ الدَّمَاءَ الْمَشْرُوقَةَ كَانَتْ
 يَمْزِلُهُ ثِيَابَهُمْ : وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْعَرَبِ

يَبِيسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْتَدٌ

وَمِنْهُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَشْمَلُ : كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

وَمِنْهُ الْقَلْبُ : وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي نَقِصَ مَعْنَى الْأَوَّلِ ،

كَوَلِ أَبِي الشَّيْصِ :

وَبَقِيَ بَيْنَ ابْنَيْ هُشَيْمٍ بِطَفَنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكْسُو السَّيَابَ إِذَا رَأَى^(١)

(النجيع) النجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف

(بقول جرير) فإن جريراً جعل الناس كأنهم بنو تميم ، وأبا نواس جعل العالم

كما في واحد (كقول أبي الشيص) فإن ما في بيته منافض لما في بيت

أ. الطيب ، لأنه صرح بحب الملامة ، والمنفي في حبها بهمزة الإنكار ، لكن

كما منهما باعتبار آخر ، ولهذا قالوا الأحسن في هذا النوع أن يبين السبب

كما في هذين البيتين^(٢) إلا أن يكون ظاهراً كما في قول أبي تمام :

وَأَفْتَمَةُ مُعْتَقِي جَدَّوَاهُ أَحَلَّى عَلَى أذُنِيهِ مِنْ نَعَمِ السَّمَاعِ

(١) عند المرق سال فلم يكدر قفاً ، وهو عرق عائد .

(٢) فإن الأول علل حب الملامة بحبه لذكره ، والثاني علل كراهيته

لأنها تصدر عن الأعداء .

أَجِدُ اللَّامَةَ فِي هَؤُلَاءِ لَقِيْدَةً حُبًّا لِدِرْكِكَ فَلْيَلْنِي الْوَمُ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ اللَّامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ
وَمِنْهُ أَنْ يُؤَخِّدَ بَعْضُ اللَّعْنَى وَيَصَافَ إِلَيْهِ مَا يُحْسِنُهُ كَقَوْلِ الْأَفْوَى :
وَرَأَى الطَّيِّبَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَّةً أَنْ سَتَمَارَ

وَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَقَدْ ظَلَمْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ نَحْنُ يَعْقِبَانِ طَيْرٌ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّبَابَاتِ حَقِّي كَأَنَّهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ
فَإِنْ أَبَاتَمَامَ لَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ الْأَفْوَى رَأَى عَيْنَ

وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَالْجُرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَفَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَبِيهِ بِسُؤَالِ

أَرَادَ أَبُو تَمَامٍ أَنَّ الْمَدْمُوحَ يَسْتَلْذِقُ نَفَمَاتِ السَّائِلِينَ لَهُ فِيهِ مِنْ غَايَةِ الْكَرَمِ
وَنَهَايَةِ الْجُودِ ، وَأَرَادَ أَبُو الطَّيِّبِ أَنَّهُ إِذَا سَبَقَتْ نَفْعَةٌ مِنْ سَائِلٍ نَهْمَاءَ الْمَدْمُوحِ
بَلَغَ ذَلِكَ مِنْهُ مَبَاحُ الْجِرَاحَةِ مِنَ الْمَجْرُوحِ ، لِأَنَّ عَادَةَ أَنْ يُعْطَى نَفِيرُ سُؤَالِ (عَلِيٍّ
أَثَارِنَا) وَرَأَيْنَا تَابِعَةً لَنَا (رَأَى عَيْنَ) بِمَعْنَى عَيَانًا (سَتَمَارَ) أَيْ سَتَعْمَمُ
مِنْ لَحُومٍ مِنْ تَقْتُلِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ (وَقَدْ ظَلَمْتُ) يَقُولُ : إِنَّ رَايَاتِ الْمَدْمُوحِ الَّتِي
هِيَ كَالْعِقْبَانِ قَدْ صَارَتْ مَظَلَّةً بِالْعِقْبَانِ مِنَ الطَّيُورِ النَّوَهِلِ فِي دِمَاءِ الْقَتْلِ ، لِأَنَّهُ
إِذَا خَرَجَ لِلْغَزْوِ تَسِيرَ الْعِقْبَانِ فَوْقَ أَمَاتِهِ ، وَتَوَفَّأَ أَنَّهَا سَتَعْمَمُ لَحُومَ الْقَتْلِ
فَتَلْقَى ظِلَالَهَا عَلَيْهَا ، وَالنَّوَهِلُ جَمْعُ نَاهَلَةٍ : مَنْ نَهَلَ إِذَا رَوَى (فَإِنْ أَبَاتَمَامَ)

وَمِنْ قَوْلِهِ ثَقَّةٌ أَنْ سَتَمَارُ ، لَكِنْ زَادَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ
وَقَوْلِهِ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ ، وَبِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ
وَبِأَنِّي سَتَمْتُ حُسْنَ الْأَوَّلِ ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَنَحْوِهَا مَقْبُولَةٌ ، بَلْ
بِأَنِّي أَخْرَجْتُ حُسْنَ التَّصَرُّفِ مِنْ قَبِيلِ الْإِتْبَاعِ إِلَى حَيْثُ الْإِبْتِدَاعِ ،
وَلَمَّا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْقَبُولِ ، هَذَا كُلُّهُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ
أَنِّي أَخَذْتُ مِنَ الْأَوَّلِ ، لِيَجْوَازَ أَنْ يَسْكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ

إِنْ أَنْ أَبَاتِمَامُ أَخَذَ بَعْضُ مَعْنَى بَيْتِ الْأَفْوَهَ لَا كُلَّهُ ، لِأَنَّ الْأَفْوَهَ أَفَادَ بِقَوْلِهِ
رَى عَيْنَ قَرَبِ الطَّيْرِ مِنَ الْجَيْشِ لِأَنَّهَا إِذَا بَعْدَتْ تَخِيلَتْ وَلَمْ تَرَوْهَا يَكُونُ
فِيهَا تَوْفَعًا لِلْفَرِيصَةِ ، وَهَذَا يُوَكِّدُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ أَعْنَى وَصْفِهِم بِالْجَبَاعَةِ
وَلَا فِتْنَةَ عَلَى قَتْلِ الْأَعَادَى ، ثُمَّ قَالَ ثَقَّةٌ أَنْ سَتَمَارُ لِمَجْلِبَاهِ وَثَقَّةٌ بِالْمِيزَةِ ، وَأَمَّا
أَبَاتِمَامُ فَلَمْ يَلَمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، لَكِنْ زَادَ عَلَى الْأَفْوَهَ بِقَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ ،
وَقَوْلِهِ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلُ ، ثُمَّ بِإِقَامَتِهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ،
هَذَا يَتِمُّ حُسْنَ قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ ، وَهَذِهِ الزِّيَادَاتُ حَسَنَتْ قَوْلَهُ ،
وَلَوْ كَانَ قَدْ تَرَكَ بَعْضُ مَا أَتَى بِهِ الْأَفْوَهَ . فَقَوْلُ الْمَصْنُفِ وَبِهَا أَى هَذِهِ
إِلَاءَةُ الْأَخِيرَةِ وَهِيَ إِقَامَتُهَا مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنَ الْجَيْشِ ، وَقَوْلُهُ الْأَوَّلُ
فِي قَوْلِهِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ (إِذَا عَلِمَ أَنَّ الثَّانِي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ) بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهُ
يَحْفَظُ قَوْلَ الْأَوَّلِ حِينَ نَظَّمَ قَوْلَهُ ، أَوْ بِأَنَّهُ يُخْبِرُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ
لِيَجْوَازَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارِدِ الْخَوَاطِرِ (كَمَا يَقَعُ لِي فِيمَا دَرَجَ مِنْ
يَوْمِ أَيَّامٍ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ شِعْرًا وَلَا شَاعِرًا ، وَذَلِكَ بَيْتُ قَاتَنَةِ فِي صَدِيقٍ غَابَ
بِحَرَسَاتٍ مِنَ الزَّمَنِ وَهُوَ :

انكوا طير ، أئى يحببته على سبيل الاتقاي من غير قصدٍ للأخذ ، فإذا
كَمْ يُعَلِّمُ قِيلَ قَالَ فَلَانٌ كَذَا وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَلَانٌ فَقَالَ كَذَا .

وَمَا يَتَّصِلُ بِهَذَا الْقَوْلُ فِي الْاِْتِيَّاسِ وَالتَّضْمِينِ وَالْقَدْرِ وَالْحُلِّ وَالتَّوْلِيحِ .
أَمَّا الْاِْتِيَّاسُ : فَهُوَ أَنْ يُضَعْنَ السَّكَلَامُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ لَا عَلَى
أَنَّهُ مِنْهُ ، كَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : فَلَيْ يَكُنْ إِلَّا كَلْعَجِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ،
حَقٌّ أَشَدُّ فَأَعْرَبَ ، وَقَوْلِ الْآخِرِ :

إِنْ كُنْتُ أَزْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ فَصَبْرٌ جَيِّدٌ
وَإِنْ تَبَدَّلَتْ بِنَا غَيْرِنَا تَحْتَبِنَا اللَّهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ بَعْدِكَ مَا الْجَوَى وَلَا حَادِثَاتِ الدَّهْرِ كَيْفَ تَنُوبُ
فَأَسَمِعْتَهُ صَاحِبًا لِي فَقَالَ إِنْ مَثَلَهُ لَكثير عِزَّةٌ وَهُوَ :

وَمَا كُنْتُ أَذْرِي قَبْلَ عِزَّةِ مَا الْبُكَ وَلَا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
فَمَا كَادَ يَتِمُّهُ حَتَّى أَخَذْتُ مِنْ هِزَةِ الطَّرَبِ ، وَكَدَّتْ أَخْرَجَ مِنْ جِلْدِي فَرَحًا
وَقُلْتُ الْآنَ أَغْبِطُ نَفْسِي إِذْ طَبَعَتْ عَلَى غِرَارِ أَعْيَانِ الشُّعْرَاءِ ، وَكَمَا يَحْكِي عَنْ ابْنِ
مِيَادَةَ أَنَّهُ أَشَدُّ لِنَفْسِهِ :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتُهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَبَرَ اهْتَبَارَ الْمَهْدِ
فَقِيلَ لَهُ ابْنَ بَذَمٍ بِكَ هَذَا لِلْحَظِيئَةِ ، فَقَالَ الْآنَ عَلِمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ ، إِذْ
وَافَقْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ (الْآخِرُ) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكَاتِبِيُّ
(أَزْمَعْتُ) أَيَّ عَزَمْتُ (مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ) مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ صَدَرَ مِنْهُ فَازِيدُهُ

وَقَوْلِ الْحَرِيرِيِّ : قَلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقُبِحَ اللَّكَمُ وَمَنْ يَرُجُوهُ .
تَوَلَّى ابْنُ عَبَّادٍ .:

قَالَ لِي ابْنُ رَقِيْبٍ سَمِعَهُ اُخْلَقِيَ فِدَارِهِ
قُلْتُ دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ خَفَّتْ بِالْمَكَارِهِ
وَهُوَ مُرَبَّانٍ : مَا لَمْ يُنْقَلْ فِيهِ الْمُتَقَبِّسُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ ، كَمَا
ذَكَرَهُ ، وَخِلَافُهُ ، كَقَوْلِهِ :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَذْحِيكَ مَا أَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
وَلَا بَأْسَ بِتَغْيِيرِ يَسِيرٍ لِلْوَزْنِ أَوْ غَيْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

بَلْنَا شَاهَتِ الْوُجُوهَ) أَيْ قَبَحَتْ وَهُوَ لَفْظُ الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّهُ لَمَّا اشْتَدَّتْ
لِرَبِّ يَوْمَ حَنْبِئِينَ ، أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعًا مِنْ الْحَصْبَاءِ فَرَمَى بِهِ
شُرَكَائِهِ ، وَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوهَ (اللَّكَمُ) أَيْ اللَّثْمُ ، وَيُقَالُ هُوَ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ
فَس (فِدَارُهُ) مِنَ الْمَدَارَةِ ، وَهِيَ الْجَمَالَةُ وَالْمَلَاظِفَةُ (وَجْهَكَ الْجَنَّةُ)
بِدَاغْتَبَسَ مِنْ لَفْظِ الْحَدِيثِ حَمَتِ الْجَنَّةَ بِالْمَكَارِهِ ، وَحَمَتِ النَّارَ بِالشَّهَوَاتِ :
فِي أَنَّ وَجْهَكَ جَنَّةٌ فَلَا بَدَلَ مِنْ تَحْمِيلِ مَكَارِهِ الرَّقِيبِ ، كَمَا لَا بَدَلَ طَالِبِ الْجَنَّةِ
نَ مَشَاقِ التَّكَالِيفِ (كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ ابْنِ الرَّوْمِيِّ ، فَإِنَّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
تَبَسُّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، لَكِنْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ وَادٍ لَا مَاءَ فِيهِ وَلَا بَابَاتٍ .
فِي الْبَيْتِ جَذَابٌ لِأَخْيَرٍ فِيهِ وَلَا نَفْعَ (كَقَوْلِهِ) أَيْ قَوْلِ بَعْضِ الْمَعَارِفِ
بِدَ وَفَاةٍ بَعْضُ أَصْحَابِهِ . وَهُوَ قَوْلُ عَمْرِو الْحَنِينِ

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ بَكُونَا * إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
وَأَمَّا التَّصْمِينُ : فَهُوَ أَنْ يُصَمَّ الشَّعْرُ شَيْئًا مِنْ شَعْرِ الْغَيْرِ مَعَ التَّنْبِيهِ
عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ، كَقَوْلِهِ :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْعَالِي
بِصَانِيهِ فِكْرَةً وَعُلُوِّمَهُ
وَلَا حَاجَ لِي بِمِثْقَلِ نُورِ الْهُدَى فِي
لَيْالٍ لِلضَّلَالَةِ مُذْلِمَةٍ
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ
وَبَابِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ

وكذلك قول الفاضل منصور المروى الأزدي :

فَلَوْ كَانَتْ الْأَخْلَاقُ تُحَوِّي وَرَائَهُ
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرَاهِ لَا تَنْتَشِبُ
لَأَصْبَحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ صَمَّمَهُمْ هَوَى
كَأَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ صَمَّمَهُمْ أَبُ
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّهَا مَيْسَرَةٌ
لِمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ
(عليه) أى على أنه من شعر الغير (كقوله) أى قول الحريري بحكى ما قاله
الغلام الذى عرضه أبو زيد للبييع : والمصراع الأخير للمرجى وتامه :

* لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ نَغِيرٍ *

ومن هذا النوع قول ابن العميد :

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَقْبُوطًا بِصُحْبَتِهِ
دَهْرًا فَقَادَرَنِي قَرْدًا يَلَا سَكْنِي
هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فُطَارٍ بِهَا
نَحْوُ الشَّرُورِ وَالْجَانِي إِلَى الْحَزَنِ
كَأَنَّهُ كَانَ مَقْلُوبًا عَلَى إِحْسَنِ
وَلَمْ يَكُنْ فِي ضَرْبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي

حَلَّى أُنَى سَانِدُ عِنْدَ بَيْمَى أَضَاعُونِي وَأَمَى فَتَى أَضَاعُوا
وَأَحْسَنَهُ مَا زَادَ عَلَى الْأَصْلِي يُنْكَتَةُ كَالْتَوْرِيَةِ وَالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ :
إِذَا الْوَهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَتَغَرَّهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَبَارِقِ
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ قَدَّهَا وَمَدَامِي بَحْرٌ عَوَالِينَا وَتَجْرَى السَّوَابِقِ
، وَلَا يَضُرُّ التَّنْفِيرُ الْيَسِيرُ ، وَرُبَّمَا سَمِيَ تَضْمِينُ التَّبَيُّثِ ، فَمَا زَادَ

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْتَلُّوا ذَكَّرُوا مَنْ كَانَ يَأْتَنُهُمْ فِي النَّزْلِ الْخَلَّاشِينَ
والبيت لأبي تمام (كالتورية والتشبيه في قوله) أى قول ابن أبى الأصبع ،
فالمصراعان الأخيران مطلع قصيدة لأبي الطيب ، والعذيب وبارق : موضعان ،
والعوالى : الرماح ، والسوابق : الخيل . يقول إنهم كانوا نزولاً بين هذين الموضعين
وكانوا يحرمون الرماح عند مطاردة الفرسان ويباقون على الخيل ، فالشاعر
الثانى أراد بتضمينه بالعذيب وبارق معنيين البعدين ، لأنه جعل العذيب
تصغير العذب ، وعنى به شدة الحبيبة ، وبارق ثغرها الشيء بالرق ، وبما بينهما
ربةً ، وهذا تورية ، وشبهه بتختر قدها بتماثل الرمح وجريان دمه على السابغ
بجريان الخيل السوابق ، فزاد على فى الطيب هذه التورية والتشبيه (ولا يضر
التنفير اليسر) ليدخل فى معنى الكلام كقول بعض المتأخرين فى يهودى^(١) به
داه الثعلب^(٢) :

أَقُولُ لِمَعْشَرٍ غَلَطُوا وَغَضُّوا^١ عَنِ الشَّيْخِ الرَّشِيدِ وَأُنْكَرُوهُ

(١) ذمأ له بكونه أفرع .

(٢) هو مرض يسقط الشعر من الرأس .

اسْتِعَانَةً ، وَتَصْمِيمُ الْمَصْرَاعِ فَمَا دُونَهُ إِيدَاعًا وَرَفُوعًا . وَأَمَّا التَّعَدُّ : فَهُوَ أَنْ
يُنْظَمَ نَثْرًا عَلَى طَرِيقِ الْإِفْتِسَاسِ ، كَقَوْلِهِ :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ * وَحَيْفَةُ آخِرُهُ يَنْفَخَرُ

عَقَدَ قَوْلَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ
نُظْفَةٌ وَآخِرُهُ حَيْفَةٌ . وَأَمَّا الْخَلْجُ : فَهُوَ أَنْ يُنْثَرُ نَظْمٌ كَقَوْلِ بَعْضِ
الْمُغَارِبَةِ : فَإِنَّهُ لَمَّا قَبِضَتْ قَعْلَاتُهُ ، وَحَنَظَلَتْ نَحْلَاتُهُ ، لَمْ يَزَلْ شَوْهُ الظَّنُّ

هُوَ ابْنُ جَلَا وَطَلَّاحُ الثَّنَائِيَا مَتَى يَنْصَحُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ

البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أَنَا ابْنُ رَجُلَا وَطَلَّاحُ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

على طريقة التكلم كما ترى . فغيره إلى طريقة الغيبة ليدخل في المأهود
(إيداعاً) لأن الشاعر الثاني قد أودع شعره شيئاً من شعر الأول (ورفعوا)
لأنه رفع آخر شعره بشعر غيره (كقوله) أى قول أبي المتاهية . ومثله
قوله أيضاً :

وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْبُيُوتُ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّةٌ

عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر لما مات . كَانَ الْمَلِكُ أَمْسَ أَنْطَقَ مِنْهُ
الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسَ (وأما الحل) وشرط كونه مقولاً شيئاً
أحدهما : أَنْ يَكُونَ سَبْكُهُ خْتَارًا لَا ابْتِقَاصَ عَنْ سَبْكِ أَصْلِهِ ، وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ
حَسَنَ الْمَوْقِعِ مُسْتَثْنًى فِي مَحَلِّهِ غَيْرِ قَاقٍ (كقول بعض المغاربة) يصف شخصاً
بأنه سمى الظن لقباسه غيره على بعضه والعلاات الأفعال وحفظت نخلته .

يَعْتَادُهُ ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُمَهُ الَّذِي يَعْتَادُهُ . حَلَّ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الرَّءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُمِهِ
 وَأَمَّا التَّلْيِيحُ : فَهُوَ أَنْ يُشَارَ إِلَى قِصَّةٍ أَوْ شِعْرٍ مِنْ غَيْرِ
 ذِكْرِهِ ، كَقَوْلِهِ :

قَوْلُهُ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَأْتُمُ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يَوْشَعُ

صارت ثمار نخلاته كالنخل في المرارة . ومثل هذا قول صاحب الوشى المرقوم
 في حل المنظوم يصف نلم كاتب : فلا تحطى به دولة إلا نخرت على الدول .
 وغنيت به عن الخيل والخيول ، وقالت أعلى المالك ما يبني على الأقلام لا على
 الأسل حل قول أبي الطيب ..

« أَغَى لِلْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسَلِ »

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف : أوره عشق الرقاب نحولا ،
 فبكى والدمع مطر تزيد به الحدود نحولا ، حل قول أبي الطيب أيضاً :
 فِي الْخُلْدِ أَنْ عَزَمَ انْخِيطَ رَحِيلاً مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُلْدُودُ نُحُولاً
 وكقول في أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده : صار له دوى في كل قطر
 كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر ، حلت قول أبي الطيب يخاطب على بن أحمد
 الانطاسي :

وَتَرَسُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّمَا تَدَاوَلُ سَمْعَ الرُّءِ أَنْمَلُهُ الْعَشْرُ
 (كقوله فوائه) هُوَ لَا يَتَمَّ وَقَبْلَهُ :

لِحَقْنَا بِأَخْرَاقِهِمْ وَقَدْ حَمَمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَيْدَنَا طَيْرَهَا وَهَمِي وَقَعُ

أَشَارَ إِلَى قِصَّةِ يُوْشَعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَيْقَافِهِ الشَّمْسَ ، وَكَقَوْلِهِ :
لَعَمْرُكَو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَطِي أُرْقِي وَأُخْفِي مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ
أشار إلى البيت المشهور :
الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كَرْبِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

قَوَّدَتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخَلْدِ تَطْلُعُ
نَضًا ضَوْؤُهَا صَيْغَ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِمَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعِ
الضمير في أخرامهم ولهم للأجبة المرتحلين وإن لم يجر لهم ذكر في اللفظ ،
وحام الطير على الماء : دار ، وحومه غيره ، ونضاً : ذهب به وأزاله ، الضمير
في ضوئها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر ، والدجنة : الظلة ، وانطوى :
انضم ، والمجزع : ذلولين ، وقوله أحلام نائم : استعظام لما رأى واستغرب
(أشار إلى قصة يوشع) على ما روى أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت
الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ، ويدخل البيت فلا يحل له
قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لعمرؤ) هو لا ي تمام ،
والرمضاء : الأرض الشديدة الحر ، وأخفى من حقي بفلان : إذا بالغ في إكرامه
وأظهر السرور والفرح (المستجير بعمرؤ) لهذا البيت قصة هي أن البسوس
زارت أختها الطيلة وهي لم تجسأ بحارها من جرم ابن زيان له ناقة وكتيب
قد حمى أرضاً من العالية فلم يكن يرعاها إلا لابل جسأ لمصاهرة بينهم ،
فخرجت في لابل جسأ ناقة الجريرى ترعى ن حمى كليب ، فأنكرها كليب فرماها
فاختل ضرعها ، فولدت حتى بركت بفناء صاحبها رضرعها يشجب دماً ولبناً وصاحت
البسوس واذلاء واغربتاه ، فقال لها جئتنس أيتها الحرة اهدنى فوالله لا أعقرن

﴿ فَعَلَّ ﴾

يَنْبَغِي لِمُسْتَكْلَمٍ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ ، حَتَّى تَكُونَ
أَعَزَّ لَفْظًا ، وَأَحْسَنَ سَبْكَ ، وَأَصَحَّ مَعْنَى أَحَدَهَا : الْإِبْتِدَاءُ كَقَوْلِهِ :
﴿ قِنَا نَبْلُكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

خَلَا هُوَ أَعَزَّ عَلَى أَمَلِهِ مِنْهَا فَلَمْ يَزَلْ جَسَّاسٌ يَتَوَقَّعُ غَرَّةَ كَلْبٍ حَتَّى خَرَجَ وَنَبَاعَدَ
عَنِ الْحِمَى ، فَبَلَغَ جَسَّاسًا خُرُوجَهُ ، فَخَرَجَ عَلَى فَرْسِهِ فَأَتْبَعَهُ فَرَسٌ صَالِبٌ ، ثُمَّ
وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ بَاعْمُرُو أَغْتَنِي بِشَرْبَةِ مَاءٍ ، فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ فَمَضَى ، فَقِيلَ الْمُسْتَجِيرُ
بِعَمْرُو الْبَيْتِ ، وَنَشَبَ الشَّرْبُ بَيْنَ نَعْلَبٍ وَبَكْرٍ أَيْ بَعَيْنَ سَنَةِ كُلِّهَا لَتَغْلَبَ عَوْنُ مَكْرٍ ،
وَلِهَذَا قِيلَ أَشْأَمُ مِنَ الْبُيُوسِ . هَذَا مِنَ اللَّيْلِ ضَرْبُ يَشِبُّ الْمَقْزُ ، كَمَا رَوَى أَنَّ
تَمِيمًا قَالَ لِشَرِيكَ الْغُرَى : مَا فِي الْجَوَارِحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْبَازِي فَقَالَ : إِذَا كَانَ
يَصِيدُ الْقَطَا . أَشَارَ التَّحِيْمُ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَنَا الْبَازِي الْمِطْلُ عَلَى تَمِيمٍ أُنِيجُ مِنَ السَّمَاءِ أَمَا أَنْصِيَابًا

وَأَشَارَ شَرِيكَ إِلَى قَوْلِ الطَّرَمَاحِ :

تَمِيمٌ يَطْرُقُ اللَّوَاهُ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا (لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ ، فَإِنْ كَانَ عَذْبًا حَسَنَ
السَّكِّ صَحِيحَ الْمَعْنَى أَقْبَلَ السَّامِعُ عَلَى الْكَلَامِ . وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
الْمَوْحَمُ وَطَسٌ وَطَسٌ وَكَمْيَصٌ . فَيَقْرَعُ أَسْبَاحَهُمْ بِشَيْءٍ بِدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِنَثْلِهِ
عَهْدٌ لِيَكُونَ ذَلِكَ دُعَايَةً لَهُمْ إِلَى الْإِسْتِغَاةِ لَمَّا بَعْدَهُ . وَمِنْ هُنَا جَعَلَ أَكْثَرَ الْإِبْتِدَآتِ
بِأَخَذِ اللَّهِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَشَوَّفُ لِلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِسْتِغَاةِ (كَقَوْلِهِ
قِفَا بَاءً) قِيلَ لَمَّا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ . قَاتِلْ اللَّهَ الْمَلِكَ

وكقوله :

قَصُرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَقْتَ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
وَأَنْ يَتَجَنَّبَ فِي الْمَدِيحِ مَا يُتَطَيَّرُ بِهِ ، كقوله :
* مَوْعِدُ أَحْبَابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدٍ *

الضليل . وقف واستوقف . بكى واستبكى . وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد ، والبيت مطلع معلقة امرئ القيس وتماه :

* بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَخَوَمَلِ *

ومن الابتدآت الحميدة قول النابغة الجعدي :

يَكَلِّفُنِي لَهُمْ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ يَطْلُ السَّكَوَاكِيبِ
وقول المتنبي :

أَثَرَاهَا لِكُثْرَةِ الْمَشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعُ خِلَافَةً فِي السَّاقِ

(وكقوله) أى قول أنجح السلى (موعِد) مطلع قصيدة لابن مقاتل الضير أنشدها للداعي العلوي ، فقال له الداعي : موعِدُ أَحْبَابِكَ يَا أَعْمَى وَلَكِ الْمَثَلُ السُّوءُ ، ويروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد :

لَا نَقْلُ بَشَرَى وَأَسْكِنُ بَشَرِيَانِ غُرَّةَ الدَّاعِي فِي يَوْمِ الْمَهْرَجَانِ

فتطير به وقال يا أعمى تبدي هذا يوم المهرجان ، وقيل بطحه وضربه خمسين عصاً ، وقال إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه . ويروى أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، تجلس فيه وجمع أهله وأصحابه ، وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم ، فأرأى الناس أحسن من ذلك اليوم ، فاستأذن إسحق الموصلي المتني

وَأَحْسَنُهُ مَا يُنَاسِبُ الْمَقْصُودَ ، وَيُسَمَّى بَرَاغَةِ الْإِسْتِهْلَالِ ، كَقَوْلِهِ
فِي التَّهْنِئَةِ :

« بَشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالُ مَا وَعَدَا »

وقوله في المَثْبُوتَةِ :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِحَيْلٍ فِيهَا حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي

ش . أ . أجاد فيه . إلا أنه ابتداءً بذكر الدُّنْيَا وعفاها فقال :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْإِسْلَامُ وَمَحَاكِيهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَتَطِيرُ الْمُعْتَصِمَ وَتَفَامِزُ النَّاسَ ، وَعَجِبُوا كَيْفَ ذَهَبَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ مَعَ
قَمِيصِهِ وَعَلَهُ وَطُولُ حِدْمَتِهِ لِلْمُلُوكِ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ وَانْصَرَفُوا ، فَأَعَادَ مِنْهُمْ
أَنَّ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ . وَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى سَرْمَنْ رَأَى وَخَرِبَ الْقَصْرَ
(رَأَى) هُوَ لَا بِي مُحَمَّدُ الْخَازِنُ بَنِيهِ ابْنُ عِبَادٍ بِمَوْلُودِ لَبْنَتِهِ . وَأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ
أَبِي تَمَّامٍ بَنِيهِ الْمُعْتَصِمُ بِاللَّهِ بِفَتْحِ عَمُورِيَّةٍ . وَكَانَ أَهْلُ التَّنْجِيمِ زَعَمُوا أَنَّهَا
لَا تَبْتَغِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ :

إِلَّا يَفُؤُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْخُذُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

بَيْنَ الصَّفَائِحِ لِأَسْوَدَ الصَّحَافِ فِي مُتُونِهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وقول أبي الطَّيِّبِ فِي التَّهْنِئَةِ بِزَوَالِ مَرَضٍ :

إِذَا عُوْفِي إِذْ عُوْفِيْتَ وَالْكَرَمُ وَرَأَى مِنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّخَمُ

(هِيَ الدُّنْيَا) لِأَنَّ الْفَرَجَ السَّادِيَ يَرَى بَعْضُ مُلُوكِ بَنِي بُوَيْهِ . وَأَحْسَنُ

م . قَوْلُ أَوْسَ بْنِ حَصْرٍ :

وثانيها التَّخْلُصُ بِمَا شَبَّبهَ الكلامُ بهُ ، مِنْ نَسِيبٍ أَوْ غَيْرِهِ ،
إِلَى الْمَقْصُودِ ، مَعَ رِعَايَةِ الْمَلَاءَمَةِ بَيْنَهُمَا ، كَقَوْلِهِ :
يَقُولُ فِي قَوْمِمْ تَوَمَّى وَقَدْ أَخَذَتْ . مِمَّا الشَّرَى وَخَطَا الْمَلَكِيَّةِ النَّوَدِ
أَمُطِّلَعِ الشَّمْسِ تَبْقَى أَنْ تَوَمَّ بِنَا . فَمَلْتُ كَلًّا وَلَسَكِنْ . مَطْلَعِ الْجَوْدِ

أَيْتِبَهَا النَّفْسُ أَجْبَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحَذِّرِينَ قَدْ وَقَعَا
وقول أبي تمام :

كَذَا فَلْيَجَلِ الْخَلْبُ وَلْيَفْذَحِ الْأَمْرُ . وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ .
(وثانيها التذلل) لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب
إلى المقصود كيف يكون . فإذا كان حسناً متلائم الطرفين حرك من نشاط
السامع . وأعان على إصفاء ما بعده . وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر
عكس . هذا وكان الأحسن والأوضح للصنف أن يقول وثانيها التخلص .
وهو الانتقال مما ابتدئ به الكلام به من نسيب أو غيره إلى المقصود الخ ، كما
لا يخفى على العاقل . فقوله بما شَبَّبهَ الكلامُ به : أراد معطوف الابتداء والانتتاح
لا خصوص التشبيب الذي هو ذكر أيام الشباب والبهو والنزل والنسيب
أن يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها في العشق (أو غيره) كالافتخار
والهجو والشكابة (بينهما) أي بين ما شَبَّبهَ أي ابتدئ به الكلام وبين
المقصود (كقولهِ يقول) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل
وأخذت منا السرى : أي أثر فينا السير ليلاً ونقصت من قوتنا . والمهرية : الإبل
المنسوبة إلى مهرة بن حيدان . والقود : الطوال الظهور والأعناق . واليتان
لأن تمام في عهد الله من عالم هدا . من بدائع التخلص قول زهير

وَقَدْ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى مَا لَا يُبْلَغُهُ ، وَيُسْعَى الْإِفْتِضَابُ ، وَهُوَ مَذْهَبُ
الرَّسَبِ الْأَوَّلَى وَمَنْ يَلِكُهُمْ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ، كَقَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ خَيْرًا جَاوَزَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلُقِ شَيْبًا
كُلُّ يَوْمٍ تُبْدَى صُرُوفُ الْيَالِي خُلُقًا مِنْ أَيْنِ سَعِيدٍ غَرِيبًا

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمٌ
وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدُكَ مَا تَدْكِرُ أَنَّ رَبَّ لَيْثَلَةٍ كَانَ دُجَاهًا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
سَهْرَتْ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَمُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

وقول المتنبي :

خَلِيلِي مَا لِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّغْوَى وَمِنَ الْقَصَائِدِ
لَا تَمُجَّبَانِ الشُّيُوفَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ

(الأولى) يعني الجاهلية (من المخضرمين) وهم الذين أدركو الجاهلية
الإسلام مثل لبيد . قال الزمخشري : ناقة مخضرمة أى جدد نصف أذن ، ومنه
لمخضرم الذى أدرك الجاهلية والإسلام كأنما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية
(كقوله) أى قول أى تمام وهو من الإسلاميين ، لأنه كان فى زمن الدولة
العباسية . هذا والافتضاب فى الشعر كثير والتخلص بالنسبة إليه قطرة
من بحر ، فمن الافتضاب قول أبى نواس فى قصيدته التونية التى أولها :

* يَا كَثِيرَ النَّوْحِ فِي الدِّمَنِ *

فَاسْتَقَى كَأْسًا عَلَى عَدَلٍ كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أُذُنِي

وَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ التَّخْلِصِ ، كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ : أَمَّا بَعْدُ ، قِيلَ
وَهُوَ فَصْلُ الْخُطَابِ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَتَابٍ ، أَيْ
الْأَمْرُ هَذَا أَوْ هَذَا كَمَا ذَكَرَ ، وَقَوْلِهِ : هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَتَابٍ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكَاتِبِ : هَذَا بَابٌ * وَثَالِثُهَا الْإِنْتِهَاءُ ، كَقَوْلِهِ :
وَأَمَّا جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَتَيْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوَلَّيْتُ مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَأَنْتَ عَازِرٌ وَشَكُورٌ

مِنْ كُنَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٍ مَا سَلَسْتُ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي قُوَادٍ بَقِي فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
تَضَحُّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَنْكَارِ وَالسُّنَنِ
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(قيل وهو فصل الخطاب) قال ابن الأثير : والذي أجمع عليه المحققون
من علماء البيان أن فصل الخطاب هو أما بعد لأن ، المتكلم يفتتح كلامه في
كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج منه إلى الغرض
المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (وثالثها الانتهاء)
لأنه آخر ما يعيى السمع ويرتسم في النفس ، فإن كان مختاراً جبر ما عساه وقع
فيما قبله من التفسير ، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، وربما أنسى محاسن
ما قبله (كقوله وإني) أى قول أنى نواس في الحصيب بن عبد الحميد

وَأَحْسَنُهُ مَا آذَنَ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ :
بَقِيَتْ بَقَاءُ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دُعَاءُ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ
وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ الشُّورِ وَخَوَانِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْأُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا
يُظْهِرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّنَدُّكِ كَرِّمَا تَقَدَّمَ .

(بقيت) قيل إنه للمرمى (واردة على أحسن الوجوه وأكملها) فإنك
إذا نظرت إلى فواتح السور جماعها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب
الإشارة ما قد أصاب المحر وطبق المفصل . وإذا نظرت إلى خواتمها وجدت
من الأدعية والوصايا والمواعظ . والتحميد والوعد والوعيد ، وغير ذلك من
المخواتم ما لا يبقى للنفوس بعده مطمع . وما تسجد لحسنه مصافع البلغاء .
هذا آخر ما يسره الله سبحانه عما أردنا وضعه على هذا الكتاب ، في أوقات
كنا نحتلسها اختلاسا من بين تشعب الأعمال وتراحم الأشغال . فإن كنت
وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على مودته وحسن توقيفه . وإلا فأحق
الباس بقبول عذره ، وإقلال عتبه ، من وقف نفسه لصناعة التأليف في زمن
فترت فيه همم طلاب العلوم ، وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنظيمهم
على الدأب في عملهم والتمنية بصنائعهم . فإن فاقني إيفاء العمل حقه من الأجر ،
فإن يفوتني إن شاء الله إعطاؤه قطعه من العذر ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا
أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا .
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

عبد الرحمن البرقوقي

فهرست التلخيص

| الموضوع | صفحة |
|------------------------------|------|
| مقدمة الشارح للطبعة الأولى | ٢ |
| مقدمة الشارح للطبعة الثانية | ٢١ |
| مقدمة في الفصاحة والبلاغة | ٢٤ |
| (الفن الأول علم المعاني) | ٢٧ |
| تنبيه (في صدق الخبر وكذبه) | ٣٨ |
| أحوال الإسناد المعبري | ٤٠ |
| أحوال المسند إليه | ٥٣ |
| أحوال المسند | ١٠١ |
| أحوال متعلقات الفعل | ١٢٦ |
| القصر | ١٣٧ |
| الإنشاء | ١٥١ |
| الفصل والوصل | ١٧٥ |
| تذنيب أصل الحال | ١٩٦ |
| الإيجاز والإطناب والمساواة | ٢٠٩ |
| (الفن الثاني علم البيان) | ٢٣٥ |
| التشبيه | ٢٣٨ |
| الحقيقة والمجاز | ٢٩٢ |

| الموضوع | صفحة |
|---|------|
| فصل (في الاستعارة بالكناية) | ٣٢٤ |
| » (في منجب السكاكي في الحقيقة والجاز) | ٣٢٨ |
| » (فيما به تحسن الاستعارة) | ٣٣٤ |
| » (في الجاز بالحذف والزيادة) | ٣٣٦ |
| الكناية | ٣٣٧ |
| فصل « أطيع البناء الخ » | ٣٤٦ |
| (الفن الثالث غم البديع) | ٣٤٧ |
| المطابقة | ٣٤٨ |
| مراعاة الظير | ٣٥٤ |
| الأرضاد | ٣٥٦ |
| المشاكلة | ٣٥٦ |
| للزوجة | ٣٥٨ |
| العكس | ٣٥٨ |
| الرجوع | ٣٥٩ |
| التورية | ٣٥٩ |
| الاستخدام | ٣٦٠ |
| الف والنشر | ٣٦١ |
| المجم | ٣٦٣ |

| الموضوع | صفحة |
|---------------------------|------|
| التفريق | ٣٦٣ |
| التقسيم | ٣٦٤ |
| الجمع مع التفريق | ٣٦٤ |
| الجمع مع التقسيم | ٣٦٥ |
| الجمع مع التفريق والتقسيم | ٣٦٦ |
| التجريد | ٣٦٨ |
| المبالغة | ٣٧٠ |
| للذهب الكلامي | ٣٧٤ |
| حسن التعليل | ٣٧٥ |
| التفريع | ٣٧٩ |
| تأكيد المدح بما يشبه الذم | ٣٨٠ |
| تأكيد الذم بما يشبه المدح | ٣٨٢ |
| الاستنباع | ٣٨٣ |
| الإدماج | ٣٨٣ |
| التوجيه | ٣٨٤ |
| المرز الذي يراد به الجد | ٣٨٥ |
| تجاهل العارف | ٣٨٥ |
| القول بالموجب | ٣٨٦ |

| الموضوع | صفحة |
|-------------------------------|------|
| الأطراد | ٣٨٧ |
| الجناس | ٣٨٨ |
| رد العجز على الصدر | ٣٩٣ |
| السجع | ٤٠٤ |
| الموازنة | ٤٠٤ |
| القلب | ٤٠٤ |
| التشريع | ٤٠٥ |
| لزوم ما لا يلزم | ٤٠٦ |
| خاتمة في السرقات وما يتصل بها | ٤٠٨ |
| فصل ينبغي للمتكلم أن يتأنق | ٤٢٩ |
| في ثلاثة مواضع | |

